



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اشرافيية  
عليه صلوات الله  
عليه و آله

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

أحمد عبد الباقي

عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين

ساراج



الجزء الأول

الدار العربية للعلوم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين سامرا

كاتب:

احمد عبد الباقي

نشرت فى الطباعة:

الدار العربيه للموسوعات

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

٥	الفهرس
١٥	عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين سامرا المجلد ١
١٥	اشاره
١٥	اشاره
١٩	فهرست كتاب سامرا عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين
٢٣	مقدمه:
٣٣	الباب الأول تأسيس سامرا و عمرانها
٣٣	الفصل الأول تأسيس سامرا
٣٣	١- اسباب الانتقال من بغداد:
٤٠	٢- اختيار موضع سامرا:
٥٢	٣- قدم الموضوع:
٥٩	٤- بناء سامرا:
٥٩	اشاره
٥٩	تخطيط المدينه:
٦٢	الشوارع الرئيسيه:
٦٥	عزل مساكن الأتراك:
٦٦	انتقال المعتصم بالله الى سامرا:
٦٧	توسع العمران فى الجانب الغربى:
٧١	٥- اسم المدينه:
٧٧	٦- اطلال سامرا:
٨٣	الفصل الثانى منشآت المعتصم بالله فى سامرا
٨٣	اشاره
٨٣	١- دار الخليفه (دار العامه):
٨٣	اشاره

٨٤	الأوابين القائمه:
٨٦	باب العامه:
٨٨	قاعه العرش:
٨٨	جناح الحریم:
٨٩	الساحه الكبرى:
٩٠	السردابان:
٩٢	ساحه اللعب و حلبه السباق:
٩٣	زخارف دار العامه:
٩٣	٢- الجوسق الخاقانى:
٩٦	٣- قصر الجص:
٩٦	اشاره
٩٩	السور:
٩٩	مواد الأبنیه:
١٠٠	تبليط الأرض:
١٠٠	طلاء الجدران:
١٠١	الزخارف الجداریه:
١٠٢	٤- قصور المعتصم بالله الاخرى:
١٠٣	٥- معسكر الاصطبلات و نهر الاسحاقى:
١٠٧	٦- جسر سامرا:
١٠٩	الفصل الثالث سامرا فى عهد المتوكل على الله
١٠٩	١- عمران سامرا فى عهد الواثق بالله:
١٠٩	اشاره
١١٠	تشيد القصر الهارونى:
١١٢	٢- توسيع مدينه سامرا:
١١٢	اشاره
١١٥	الطراز الجيرى فى البناء:

- ١١٥ ..... ساحات الفروسيه و السباق: .....
- ١١٧ ..... اتل العليق: .....
- ١١٩ ..... الحير: .....
- ١٢٣ ..... ٣- مشاريع الرى فى عهد المتوكل على الله: .....
- ١٢٣ ..... اشاره ..... .....
- ١٢٣ ..... قناه سامرا: ..... .....
- ١٢٥ ..... نهر نيزك: ..... .....
- ١٢٦ ..... ٤- الجامع الكبير: ..... .....
- ١٢٦ ..... مقدمه: ..... .....
- ١٢٨ ..... مخطط الجامع: ..... .....
- ١٣٠ ..... المحراب: ..... .....
- ١٣١ ..... النافوره: ..... .....
- ١٣٣ ..... جدران الجامع: ..... .....
- ١٣٥ ..... ابواب الجامع و نوافذه: ..... .....
- ١٣٦ ..... الاسوار الخارجيه للجامع: ..... .....
- ١٣٧ ..... المناره الملويه: ..... .....
- ١٣٩ ..... طراز المناره الملويه: ..... .....
- ١٤٢ ..... ٥- قصور المتوكل على الله: ..... .....
- ١٤٢ ..... اشاره ..... .....
- ١٤٤ ..... قصر بلكوارا: ..... .....
- ١٤٩ ..... قصرا الشاه و العروس: ..... .....
- ١٥٠ ..... قصرا المختار و البديع: ..... .....
- ١٥٢ ..... قصرا الصبيح و المليح: ..... .....
- ١٥٤ ..... قصر البرج: ..... .....
- ١٥٦ ..... القصور الاخرى: ..... .....
- ١٦٠ ..... الغرد: ..... .....

الفصل الرابع تأسيس مدينه المتوكليه (الجعفريه) ----- ١٦٣

١- تأسيس المدينه: ----- ١٦٣

٢- النهر الجعفري: ----- ١٧٣

٣- القصر الجعفري: ----- ١٧٧

اشاره ----- ١٧٧

قصر لؤلؤه: ----- ١٨٤

٤- جامع ابي دلف: ----- ١٨٤

مقدمه: ----- ١٨٤

تخطيط الجامع: ----- ١٨٤

المحراب و المنبر: ----- ١٨٩

سور الجامع و ابوابه: ----- ١٨٩

التسقيف و التبليط: ----- ١٩٢

المئذنه: ----- ١٩٣

الفصل الخامس سامرا بعد المتوكل على الله ----- ١٩٥

١- المنتصر بالله: ----- ١٩٥

اشاره ----- ١٩٥

قبة الصليبيه: ----- ١٩٦

٢- المستعين بالله: ----- ١٩٧

٣- المعتز بالله: ----- ١٩٨

٤- المهتدى بالله: ----- ٢٠٣

٥- المعتمد على الله: ----- ٢٠٤

اشاره ----- ٢٠٤

قصر المعشوق: ----- ٢٠٥

الفصل السادس العوده الى بغداد و هجر سامرا ----- ٢١٣

١- العوده الى بغداد: ----- ٢١٣

٢- اسباب هجر سامرا: ----- ٢١٦



٢١٨	٣- سامرا بعد هجرها:
٢٢٣	الفصل السابع دور السكنى فى سامرا
٢٢٧	الفصل الثامن زخارف سامرا
٢٢٧	مقدمه:
٢٢٨	الزخارف الجصيه:
٢٣٣	الزخارف الخشبيه:
٢٣٦	الرسوم الحائطيه:
٢٣٧	الزخرفه بالفسيفساء:
٢٤١	الباب الثانى خلفاء سامرا
٢٤١	الفصل الأول الخلافه و المبايعه و ولايه العهد
٢٤١	١- الخلافه:
٢٤١	اشاره
٢٤٤	ضعف الخلافه:
٢٤٦	٢- المبايعه و ولايه العهد:
٢٥١	الفصل الثانى المعتصم بالله ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد
٢٥١	١- وصيه المأمون:
٢٥٤	٢- مبايعه المعتصم بالله:
٢٥٨	٣- صفاته و سيرته:
٢٦٣	٤- الخليفه المثلث:
٢٦٨	٥- وفاته:
٢٧٣	الفصل الثالث الواثق بالله ابو جعفر هارون بن المعتصم بالله
٢٧٣	١- مبايعته:
٢٧٦	٢- صفاته و سيرته:
٢٨١	٣- رجال الدوله فى عهد الواثق بالله:
٢٨٤	٤- مصادره الكتاب:
٢٩٠	٥- وفاه الواثق بالله:

الفصل الرابع المتوكل على الله ابو الفضل جعفر بن المعتصم بالله ..... ٢٩٥

١- مبايعته: ..... ٢٩٥

٢- صفاته و سيرته: ..... ٢٩٩

٣- ولايه العهد: ..... ٣٠٥

٤- مؤامره قتله: ..... ٣٠٦

الفصل الخامس المنتصر بالله ابو جعفر محمد بن جعفر المتوكل على الله ..... ٣١١

١- مبايعته: ..... ٣١١

٢- صفاته و سيرته: ..... ٣١٤

٣- ولايه العهد: ..... ٣١٨

٤- وفاه المنتصر بالله: ..... ٣٢١

٥- المنتصر بالله و الاحلام: ..... ٣٢٧

الفصل السادس المستعين بالله ابو العباس احمد بن محمد بن المعتصم بالله ..... ٣٣١

١- مبايعته: ..... ٣٣١

٢- صفاته و سيرته: ..... ٣٣٣

٣- قتله: ..... ٣٣٦

الفصل السابع المعتز بالله ابو عبد الله المعتز بالله بن جعفر المتوكل على الله ..... ٣٤١

١- مبايعته: ..... ٣٤١

٢- صفاته و سيرته: ..... ٣٤٣

٣- خلع المؤيد من ولايه العهد: ..... ٣٤٥

٤- خلع المعتز بالله و قتله: ..... ٣٤٨

الفصل الثامن المهتدى بالله محمد بن الواثق بالله ..... ٣٥١

١- مبايعته: ..... ٣٥١

٢- صفاته و سيرته: ..... ٣٥٢

٣- خلعه و قتله: ..... ٣٥٧

الفصل التاسع المعتمد على الله ابو العباس احمد بن المتوكل على الله ..... ٣٦١

١- مبايعته: ..... ٣٦١

- ٢- صفاته و سيرته: ..... ٣٦٢
- ٣- استئثار الموفق بالسلطه: ..... ٣٦٤
- ٤- ولايه العهد: ..... ٣٦٨
- ٥- وفاه المعتمد على الله: ..... ٣٧١
- الباب الثالث مؤسسات الدوله العربيه فى عهد سامرا ..... ٣٧٥
- اشاره ..... ٣٧٥
- الفصل الأول وزراء سامرا ..... ٣٧٧
- اشاره ..... ٣٧٧
- ١- الفضل بن مروان: ..... ٣٧٧
- ٢- محمد بن عبد الملك الزيات: ..... ٣٨٦
- ٣- احمد بن خالد: ..... ٤٠٠
- ٤- محمد بن الفضل الجرجاني: ..... ٤٠٢
- ٥- عبيد الله بن يحيى بن خاقان: ..... ٤٠٣
- ٦- احمد بن الخصيب: ..... ٤٠٩
- ٧- احمد بن اسرائيل: ..... ٤١٣
- ٨- سليمان بن وهب: ..... ٤١٨
- الفصل الثانى الكتاب ..... ٤٢٥
- الفصل الثالث القضاء فى عهد سامرا ..... ٤٣٣
- ١- مقدمه: ..... ٤٣٣
- ٢- قاضى القضاء: ..... ٤٣٦
- اشاره ..... ٤٣٦
- احمد بن ابى دواد: ..... ٤٣٦
- يحيى بن اكثم التميمي: ..... ٤٥٢
- جعفر بن عبد الواحد الهاشمي: ..... ٤٥٨
- جعفر البرجمي: ..... ٤٦٠
- الحسن بن محمد بن ابى الشوارب: ..... ٤٦١

- ٤٦٣ ..... على بن محمد بن ابي الشوارب:
- ٣- قضاة مدينه السلام: ..... ٤٦٤
- اشاره ..... ٤٦٤
- محمد بن سماعه: ..... ٤٦٤
- شعيب بن سهل: ..... ٤٦٦
- عبد الرحمن بن اسحاق: ..... ٤٦٧
- اسماعيل بن اسحاق: ..... ٤٦٩
- الحسن بن الجعد: ..... ٤٧١
- عبد الله الخلنجي: ..... ٤٧٢
- الباب الرابع خلفاء سامرا و الأتراك ..... ٤٧٧
- الفصل الأول الاتراك فى عهد المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله ..... ٤٧٧
- ١- مقدمه: ..... ٤٧٧
- ٢- المعتصم بالله و استخدامه الاتراك فى الجيش: ..... ٤٨٠
- ٣- كبار القواد الاتراك: ..... ٤٨٢
- اشاره ..... ٤٨٢
- ايتاخ الخزرى: ..... ٤٨٤
- أشناس: ..... ٤٨٥
- وصيف: ..... ٤٨٧
- بغا الكبير: ..... ٤٨٨
- ٤- الأتراك فى عهد الواثق بالله: ..... ٤٩٠
- الفصل الثانى الصراع بين المتوكل على الله و الأتراك ..... ٤٩٣
- اشاره ..... ٤٩٣
- ١- التخلص من القائد ايتاخ: ..... ٤٩٤
- ٢- انشاء جيش من العرب: ..... ٤٩٦
- ٣- نقل العاصمه الى دمشق: ..... ٤٩٧
- ٤- تغلب القواد الأتراك: ..... ٥٠٠

٥٠٣	الفصل الثالث أيام الفتنه
٥٠٣	١- مقدمه:
٥٠٥	٢- المنتصر بالله يتنكر للاتراك:
٥٠٩	٣- المستعين بالله و الاتراك:
٥١٤	٤- الحرب بين جيش المستعين بالله و جيش المعتز بالله:
٥١٤	اشاره
٥١٥	بدايه الحرب و حصار بغداد:
٥١٦	اهم المعارك:
٥١٦	اشاره
٥١٧	معركه الشماسيه:
٥١٧	معركه النهروان:
٥١٧	معركه قطربل:
٥١٩	معركه الأنبار:
٥٢١	الوضع الداخلى فى بغداد:
٥٢٣	الاستعانه بالعيارين:
٥٢٤	محاولة فك الحصار عن بغداد:
٥٢٥	المستعين بالله يخلع نفسه و يباع المعتز بالله:
٥٢٩	٥- المعتز بالله و الأتراك:
٥٢٩	اشاره
٥٣٠	القائدان وصيف و بغا و مقتلهما:
٥٣٣	سيطره صالح بن وصيف:
٥٣٤	خلع المعتز بالله من الخلافه:
٥٣٦	٦- المهتدى بالله و محاوله اضعاف سلطه الاتراك:
٥٣٦	اشاره
٥٤٠	تنكر المهتدى بالله للقواد الاتراك:
٥٤١	محاولته الاعتماد على الجند و العامه:

٥٤٤	.....	نهايه المهتدى بالله:
٥٤٥	.....	٧- انحسار نفوذ القواد الاتراك:
٥٥١	.....	الباب الخامس العلويون و خلفاء سامرا
٥٥١	.....	الفصل الأول خلفاء سامرا و العلويون
٥٥١	.....	اشاره
٥٥٧	.....	الملحق: الامام على الهادى:
٥٥٩	.....	الامام الحسن العسكرى:
٥٦٧	.....	الفصل الثانى خروج العلويين فى عهد خلفاء سامرا
٥٦٧	.....	١- خروج محمد بن القاسم العلوى:
٥٧١	.....	٢- خروج محمد بن صالح:
٥٧٣	.....	٣- خروج يحيى بن عمر:
٥٧٩	.....	٤- خروج الحسن بن زيد الطالبى:
٥٨٧	.....	٥- خروج اسماعيل بن يوسف الطالبى:
٥٨٩	.....	٦- خروج الحسين بن محمد العلوى:
٥٩١	.....	٧- ظهور الكوكبى الطالبى:
٥٩٣	.....	٨- خروج على بن زيد العلوى:
٥٩٤	.....	٩- وثوب محمد و على ابنى الحسين بن جعفر:
٥٩٥	.....	١٠- اسباب فشل خروج العلويين:
٥٩٨	.....	تعريف مركز

## عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين سامرا المجلد ١

### اشاره

سرشناسه : عبدالباقي، احمد، ١٩١٧م - م.

عنوان و نام پديدآور : عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين سامرا/ احمد عبد الباقي.

مشخصات نشر : بيروت: دارالعربيه للموسوعات، ١٣ -

مشخصات ظاهري : ج.

وضيقت فهرست نويسى : برون سپارى.

يادداشت : فهرستنويسى بر اساس جلد دوم.

يادداشت : عربى.

يادداشت : كتابنامه

موضوع : عباسيان -- عراق -- تاريخ

موضوع : سامرا (عراق) -- تاريخ

رده بندي كنگره : DS٧٩/٩ /س٢ع٢ ١٣٠٠ى

رده بندي ديويى : ٩٥٦/٧٥

شماره كتابشناسى ملي : ١١٤٤٨٥٩

ص: ١

### اشاره









## فهرست كتاب سامرا عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين

الباب الأول: تأسيس سامرا و عمرانها:

الفصل الاول: تأسيس سامرا

الفصل الثانى: منشآت المعتصم بالله فى سامرا

الفصل الثالث: سامراء فى عهد المتوكل على الله

الفصل الرابع: تأسيس مدينه المتوكلية

الفصل الخامس: سامراء بعد المتوكل على الله الفصل السادس: العوده الى بغداد و هجر سامرا

الفصل السابع: دور السكن فى سامرا

الفصل الثامن: زخارف سامرا

الباب الثانى: خلفاء سامرا الفصل الاول: الخلافة و المبايعه و ولايه العهد

الفصل الثانى: المعتصم بالله

الفصل الثالث: الواثق بالله

الفصل الرابع: المتوكل على الله

الفصل الخامس: المنتصر بالله

الفصل السادس: المستعين بالله

الفصل السابع: المعتر بالله

الفصل الثامن: المهتدى بالله

الفصل التاسع: المعتمد على الله

الباب الثالث: مؤسسات الدولة العربيه فى سامرا الفصل الأول: وزراء سامرا

الفصل الثانى: الكتاب

الفصل الثالث: القضاء فى عهد سامرا

الباب الرابع: خلفاء سامرا و الأتراك الفصل الأول: الاتراك فى عهد المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله

الفصل الثانى: الصراع بين المتوكل على الله و الأتراك

الفصل الثالث: ايام الفتنه

الباب الخامس: العلويون و خلفاء سامرا الفصل الاول: خلفاء سامرا و العلويون

الفصل الثانى: خروج العلويين فى عهد خلفاء سامرا

الباب السادس: الفتن و الاضطرابات فى عهد سامرا الفصل الأول: الفتن الكبرى

الفصل الثانى: الاضطرابات الاخرى

الباب السابع: خلفاء سامرا و المحنه الفصل الاول: المعتزله و أهل السنه

الفصل الثانى: المعتصم بالله و المحنه

الفصل الثالث: المحنه فى عهد الواثق بالله

الفصل الرابع: نهايه المحنه

الباب الثامن: علاقات الدوله العرييه بمملكه الروم الفصل الاول: الحروب بين العرب و الروم

الفصل الثانى: المفاداه بين العرب و الروم

الفصل الثالث: العلاقات الثقافيه و التجاربه بين العرب و الروم

الباب التاسع: الامارات شبه المستقله فى عهد سامرا الفصل الاول: اماره بنى الاغلب

الفصل الثانى: اماره الطاهريين

الفصل الثالث: اماره بنى طولون

الفصل الرابع: اماره الصفارين

الباب العاشر: مجالس خلفاء سامرا الفصل الأول: مجالس المعتصم بالله

الفصل الثاني: مجالس الواثق بالله

الفصل الثالث: مجالس المتوكل على الله

الفصل الرابع: مجالس خلفاء سامرا الآخرين

بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمه:

هناك قسم من تاريخ الدوله العربيه فى عهد العباسيين يؤلف وحده تاريخيه كامله، امتدت من سنه ٢٢١ هـ حتى سنه ٢٧٩ هـ، كانت فيه مدينه سامرا حاضره الخلافه الاسلاميه. و هذه المدينه التى انشئت لتكون عاصمه الخلافه فى ايام المعتصم بالله ثامن الخلفاء من بنى العباس، شاء لها القدر ان تكون عاصمه لامبراطوريه من اعظم الامبراطوريات التى ظهرت على مسرح التاريخ. فقد امتدت الامبراطوريه العربيه من سواحل المحيط الأطلسى غربا حتى تخوم الصين شرقا و رغم اختلاف اجناس رعاياها و اختلاف الستتهم، و قيام بعض الامارات شبه المستقله على اطرافها المتباعده، فقد كانت ولاياتها جميعا مرتبطه برباط الدين الاسلامى و الحضاره العربيه و تخضع كلها لخليفه سامرا. و كما يقول المستشرق الهولندى كرامرز «انها كانت تؤلف كتله دينيه واحده فضلا عن وحده سياسيه متينه العرى متراصه البنيان، جمعت بينها قوه السلاح، و جعلت سكانها يقفون فى العالم كأعظم قوه مركزيه عرفها البشر». (تراث الاسلام / ١٢٥)

و نستطيع ان نعتبر تأسيس مدينه سامرا اهم اعمال المعتصم بالله و ابقاها اثرا. و تقوم هذه الأهميه على ما تطلبه تأسيسها من

تصميم مسبق، و جهد كبير متواصل، و مال و فير، و ما لعبته العاصمه الجديده من دور مهم فى مسيره الحضاره العربيه خلال الشطر الاكبر من القرن الثالث. و قد تيسر للمعتصم بالله ان ينهض بذلك العمل العظيم بما و هب من حب للعمران، و للجنديه و الحياه العسكريه، و ما توفر له من المال. و قد اختار المكان المناسب للمدينه من حيث حسن الجو و المناخ، و توفر المياه، و حصانه الموقع.

و خططها بما يسد احتياجات عسكره من الأتراك، و متطلبات الحياه المدنيه. و وزع الاعمال الانشائيه المطلوبه لتأسيس المدينه على قواده و كبار رجاله بما كفل سرعه انجازها. و لم يبخل ببذل ما احتاجه لذلك من الاموال. فاستطاع ان يقيم مدينه واسعه كامله المرافق فى خلال مده و جيزه تعتبر قياسيه- اذ ابتدأ بنائها فى سنه (٢٢١ هـ) و تم انجازها فى اواخر السنه التاليه-. و مع ان الصفه العسكريه غلبت على مؤسساتها و مرافقها عند تأسيسها، اذ كان معظم سكانها فى اول أمرها من الجند الأتراك الذين كانوا اهم أسباب تأسيسها، بحيث أطلق عليها اسم «العسكر». الا انها ما لبثت ان قصدها اصناف الناس و استوطنوها باعتبارها حاضره الخلافه. و لم تمض مده يسيره على تأسيسها حتى غدت من أمهات مدن الدنيا آنذاك. و قد أقدم اليها الخليفه نفسه من كل بلد من يعمل عملا من الاعمال، او يعالج مهنة من مهن الزرع و الغرس، و حمل من سائر البلدان من اهل كل مهنة و صناعه فانزلهم فى المدينه و أقطعهم فيها لبناء منازل لهم. فامتدت عماره المدينه و اتصلت بيوتها و قصورها و اسواقها، و انتقل اليها عدد كبير من وجوه الناس و اهل النباهه من سائر المدن و الأمصار لطيب جوها و حسن موقمها و عمارتها.

الا ان المدينه لم تلبث ان امتد اليها الخراب عند ما النقل الخليفه المعتضد بالله عائدا الى بغداد فى سنه (٢٧٩ هـ) بحيث لم يبق منها بعد سنين قلائل سوى اطلالها. غير ان هذه الاطلال حفظت لنا



طيله عده قرون اسس الابنيه الفخمه التى كانت فوقها مما ساعد، الآثاريين على استكشاف كثير من معالمها و تحديد الشوارع الرئيسه و كثير من القصور و دور السكن و ثكنات الجيش، التى كانت فيها.

و التعرف على الأسس الفنيه و المعماريه التى قام عليها تخطيط المدينه و عمرانها. اذ كشفت الحفريات و التنقيبات الحديثه من المعلومات عن البناء و الزخرفه ما يعطى فكره جليته عن جمال الحضاره العربيه الاسلاميه التى أفاءت على العالم آنذاك، و التى تمثلت فى تلك المدينه الخالده.

و مع أهميه سامرا عاصمه الدوله العربيه فى ازهى عصورها و دورها الكبير فى بناء الحضاره العربيه، فانها لم تنل ما تستحقه من عنايه المؤرخين و اهتمامهم. فقد أقام بها عدد من الخلفاء كان لهم اثر مهم فى تاريخها، و وقعت فى ايامها احداث جسام تركت آثارها العميقه على مسيره الدوله العربيه. و كان عهدا عهد القمم من اعلام الرجال ممن تفخر بهم فى مختلف ميادين العلم و الأدب.

فقد عاصرها الامام أحمد بن حنبل الشيبانى، و اماما الحديث محمد بن اسماعيل البخارى و مسلم بن الحجاج القشيرى، و المؤرخ الفقيه العالم محمد بن جرير الطبرى، و المؤرخ البلدانى أحمد بن أسحاق اليعقوبى. و اماما اللغه و النحو المبرد محمد بن يزيد و ثعلبه احمد ابن يحيى الشيبانى، و عميد ادباء عصره عمرو بن بحر الجاحظ، و الشاعران العبقرىان ابو تمام و البحترى، و فيلسوف العرب يعقوب بن اسحاق الكندى، و ابرز اطباء عصرهم يوحنا بن ماسويه و يختيشوع بن جبرائيل و حنين بن اسحاق، و آخرون كثيرون. كما تميز عهد سامرا باحداث خطيره، منها ان الدوله العربيه بلغت اوج قوتها حينما هدد المعتصم بالله فى سنه (٢٢٣هـ) مدينه القسطنطينيه عاصمه الدوله البيزنطيه بعد ان اجتاح قواعد الروم و حصونهم و افتتح عموريه أهم مدنهم. كما قضت الدوله العربيه فى هذا العهد على خطرين تعرضت لهما هما حركه بابك الخرمى و فتنه الزنج.

و فى هذا العهد ايضا ظهرت نتائج تتركب الجيش العربى، اذ طغى القواد الأتراك و تسلطوا على شؤون الدوله و بخاصه منذ ايام المتوكل على الله حتى ايام المعتمد على الله حينما استطاع اخوه الموفق المهيمن على شؤون الخلافه ان يكبح جماحهم الى حين. و كان ابرز مظاهر تسلط الاتراك استبدالهم بالخلفاء و قد قتلوا اربعة منهم و خلعوا ثلاثه من الخلافه.

و يظهر ان ما أصاب سامرا من اهمال كان سببه الرئيس سرعه خرابها بعد عوده عاصمه الدوله الى مدينه السلام التى استعادت مكانتها فى التاريخ العربى الاسلامى. و عسى ان نوفق فى تلافى بعض هذا الاهمال بما سنعرضه فى الصفحات التالىه من تاريخ الدوله العربيه فى عهد سامراء فى مختلف جوانبه. و نرجو ان تكون المواضيع التى تناولنا بحثها و عرضها بشىء من التفصيل كافيه لأن تعطى صورته واضحه عن التاريخ المذكور بما يتفق و المركز الذى شغلته مدينه سامرا ما يزيد على نصف قرن كانت فيه حاضره الخلافه الاسلاميه و عاصمه الدوله العربيه.

و قد جاء هذا البحث فى عشره أبواب، يضم كل منها عددا من الفصول يتناسب و طبيعه المواضيع التى يتضمنها الباب وسعتها.

فكان الباب الأول خاصا بتأسيس سامرا و عمرانها، و قد اشتمل على منشآت المعتصم بالله فيها، و سامرا فى عهد المتوكل على الله، و تأسيسه المدينه المتوكلية «الجعفرية»، و سامرا بعده، و العوده الى بغداد و هجر سامرا، ثم دور السكن فى المدينه، و الزخارف التى اشتهرت بها. و اشتمل الباب الثانى على دراسه خلفاء سامرا من حيث المبايعه و ولايه العهد مع نبذه مختصره عن سيره كل منهم لا سيما ما يتعلق منها بالدوله و المجتمع. و خصص الباب الثالث الدراسه مؤسسات الدوله العربيه فى عهد سامرا فضم دراسه عن الوزاره و الكتابه و القضاء. اما الباب الرابع فقد تناول علاقته

خلفاء سامرا بالاتراك و ما قام بين الطرفين من صراع و مظاهر ذلك الصراع و ما انتهى اليه. و خصص الباب الخامس لموقف العلويين من خلفاء سامرا. و اشتمل الباب السادس على دراسه الفتن و الاضطرابات التي و اجهت خلفاء سامرا، الكبرى منها كحركه الخرميه و فتنه الزنج، و المؤامرات التي استهدفت الخلافة، و الاضطرابات الاخرى التي كانت أقل خطرا رغم تعددها. و ضم الباب السابع موضوع المحنة التي آثاها المعتزله و موقف خلفاء سامرا منها. و اختص الباب الثامن بدراسه علاقات الدوله العربيه بمملكه الروم فشمّل الحروب و المفادات و العلاقات التجارويه و الثقافيه بين الطرفين فى خلال عهد سامرا. و اشتمل الباب التاسع على الامارات شبه المستقله فى عهد سامرا من حيث اداره شؤونها و علاقاتها بالخلافه. و خصص الباب العاشر لمجالس خلفاء سامرا العلميه و الادبيه منها و مجالس الأئس و السمر.

و قد انتهجنا فى دراستنا هذه اسلوبا يختلف عن الطريقه التي فناها فى كتابه التاريخ العربى. و هو اسلوب لا يهتم بالاشخاص قدر اهتمامه بالاحداث التاريخيه من حيث اسبابها و نتائجها و مسرح حدوثها. اى ان الاحداث هى محور الدراسه و البحث و ليس الاشخاص. و حاولنا جهد استطاعتنا ان نلم بتفاصيلها و مكوناتها لنضع امام القارىء صورته جليه لذلك العهد متمثله بمجريات الاحداث التي وقعت خلاله، و ما أحاط بها من الظروف المختلفه التي أدت بها الى ان تسير فى الاتجاه الذى صارت اليه، مع دراسه آثاها على المجتمع آنذاك. فعرضنا ذلك بشكل وحدات «ابواب» تتناول مواضيع تكوّن بمجموعها تاريخه.

و من الواضح ان دراسه الوقائع التاريخيه بشكل وحدات تساعد

على فهمها بمختلف جوانبها، رغم امتداد زمنها، و ما نشأ عنها من نتائج، مما يجعلها متكامله واضحه. و نحسب ان هذا الاسلوب سيعطى من الصور عددا اكثر و من الشمول و الوضوح مجالا- اوسع، مما توفره الطريقه التقليديه فى عرض الماده التاريخيه، لا سيما ان هذا الاسلوب يتيح مجالا رحبا للتعرف على مختلف جوانب حياه الدوله العرييه برمتها آنذاك. تلك الجوانب التى لا تنال الاهتمام الكافى فى الطريقه التقليديه.

و قد راعينا فى دراستنا بعض الاسس التى التزمنا بها فى مختلف الابواب، اهمها: ١- الحرص على التأكيد على عروبه عهد سامرا و التطور الحضارى خلاله، باعتباره امتدادا للدوله العرييه التى قامت فى المدينه المنوره اثر هجره الرسول الأعظم صلى الله عليه و سلم اليها و امتدت حتى منتصف القرن السابع الهجرى. اذا لم تعد كلمه العرب بمعناها الواسع تقتصر على سكان بلاد العرب فقط، بل انها شملت جميع الامم و الشعوب التى حمل العرب اليها الدين الاسلامى، و اتخذت من العرييه لغه لها، و انضوت تحت رايه الدوله العرييه، و من ثم كانت الحضاره التى ازدهرت آنذاك و آتت اكلها فى القرن التالى حضاره عرييه. ٢- و مما له علاقه بذلك اجتهدنا ان نكشف عن اسباب وضع بعض الأخبار بصيغه معينه، او تحريفها بشكل او بآخر، و بخاصه ما يتعلق بمحاوله الحط من شأن العرب و قادتهم. مما كان يدسه اعداء الأمه العرييه فى ثنايا الوقائع و الاخبار. ٣- و التزمنا جهد الاستطاعه بلغه العصر و اسلوبه السائد فى عهد سامرا من حيث التعابير و المصطلحات و المحتوى دون ان نتوسع بالاستعانه بالمعارف الحديثه و ذلك للحفاظ على التراث اللغوى، و تقديم صورته صادقه عن العهد المذكور من جهه، و للتمتع بنكهه ذلك الاسلوب من التعبير المتميز بقدر كبير من الفصاحه و البلاغه. ٤- و قد أرخنا جميع الاحداث و الوقائع بالتاريخ العربى «الهجرى» لأنسجام ذلك مع طبيعه الموضوع. على اننا

وضعنا فى آخر الكتاب جدولاً بما يقابل السنوات الهجرية الواردة فيه من السنوات الميلادية، تسهيلاً لمن يريد معرفه ذلك. ٥-  
و عند البحث فى سيره الخلفاء اجتهدنا ان نتحرى رعايتهم للمصالح العامه فى اعمالهم و تصرفاتهم، و اهتمامهم بكل ما له علاقه  
بالدوله و المجتمع، لتبين مدى ما قدموه فى خلال حكمهم مما يثبت اركان الدوله و ما بذلوه لصالح النفع العام، و لرفع ما يلحق  
الناس من عنت و ارهاق.

و اننا لا نستطيع ان ندعى بأن هذه الدراسه قد حققت ما نصبو اليه من اعاده مدينه سامرا الى المركز الذى تستحقه فى التاريخ  
العربى. الا اننا نأمل ان تكون قد القت بعض الضوء على ذلك و اوضحت دور سامرا فى تطور الحضاره العربيه، و ذلك حسبنا،  
و الله تعالى من وراء القصد انه نعم المولى و نعم النصير.

المؤلف



الباب الأول تأسيس سامرا و عمرانها ١- تأسيس سامرا

٢- منشآت المعتصم بالله في سامرا

٣- سامرا في عهد المتوكل على الله

٤- تأسيس مدينة المتوكلية (الجعفرية)

٥- سامرا بعد المتوكل على الله

٦- العوده الى بغداد و هجر سامرا

٧- دور السكن في سامرا

٨- زخارف سامرا





## الباب الأول تأسيس سامرا و عمرانها

### الفصل الأول تأسيس سامرا

#### ١- اسباب الانتقال من بغداد:

لما قدم المعتصم بالله بغداد من طرسوس بعد ان بويع بالخلافه فى سنه (٢١٨ هـ) نزل دار المأمون فى الجانب الشرقى من بغداد، و اقام حتى سنه (٢٢١ هـ)، و كان معه عدد كبير من الجند الاتراك.

و يجمع قدامى المؤرخين على ان الجند الاتراك، الذين توسع الخليفه المعتصم بالله فى استخدامهم فى الجيش العربى، و قد اشدت شوكتهم، كانوا اهم الاسباب التى دفعته الى الانتقال من العاصمه بغداد و ان يتخذ له عاصمه جديده غيرها. يقول اليعقوبى: «و كان اولئك الاتراك العجم اذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يمينا و شمالا فيشب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضا و يضربون بعضا، و تذهب دماؤهم هدرًا لا يعدون على من فعل ذلك. فثقل ذلك على المعتصم و عزم على الخروج من بغداد»<sup>(١)</sup>، اى انه خرج بهم ليحميهم من العامه.

و يقول الطبرى: «حدثنى جعفر بن محمد الفراء ان سبب خروج المعتصم الى القاطول كان ان غلمانة الاتراك كانوا لا يزالون يجدون الواحد بعد الواحد منهم قتيلا فى ارباضها، و ذلك انهم كانوا عجماء جفاه يركبون الدواب، فيتراكضون فى طرق بغداد و شوارعها، فيصدمون الرجل و المرأه و يطأون الصبى، فيأخذهم الالباء فيدكسونهم عن دوابهم و يجرحون بعضهم، فربما هلك من الجراح بعضهم، فشكت الأتراك ذلك الى المعتصم، و تأذت بهم العامه. فذكر انه رأى المعتصم راكبا منصرفا من المصلّى فى يوم عيد اضحى او فطر، فلما صار فى مربعه الحرشى (١)، نظر الى شيخ قد قام اليه فقال له: يا ابا اسحاق، قال: فابتدره الجند ليضربوه، فاشار اليهم المعتصم فكفهم عنه، فقال للشيخ: مالك:

قال: لا- جزاك الله عن الجوار خيرا، جاورتنا و جئت بهؤلاء العلوج فاسكنتهم بين اظهرنا فايتمت بهم صياننا، و املت بهم نسواننا، و قتلت بهم رجالنا. و المعتصم يسمع ذلك كله. قال: ثم دخل داره فلم ير راكبا الى السنه القابله فى مثل ذلك اليوم. فلما كان فى العام المقبل فى مثل ذلك اليوم خرج فصلى بالناس العيد، ثم لم يرجع الى منزله ببغداد، و لكنه صرف وجه دابته الى ناحيه القاطول، و خرج من بغداد و لم يرجع اليها» (٢).

و ما ذكره ابن الأثير لا يخرج عما ذكره الطبرى (٣). و يقول المسعودى: «و كانت الاتراك تؤذى العوام فى مدينه السلام بجريها الخيول فى الأسواق و ما ينال الضعفاء و الصبيان من ذلك، فكان اهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامرأه او شيخ كبير او صبى

١- كذا فى الاصل، و الصحيح الخرسى - دليل خارطه بغداد المفصل / ١٢٢، و بغداد فى عهد الخلفه العباسيه / ١٩٠.

٢- الطبرى ١٨ / ٩.

٣- الكامل ٤٥٢ / ٦.

او ضرير. فعزم المعتصم على النقله منهم»(١). و يقول ايضا بنفس المعنى «و كان السبب فى ذلك ان اهلها كرهوه و تأذوا بجواره حين كثر عبيده من الاتراك و غيرهم من الاعاجم، لما كانوا يلقونه منهم و من غلظتهم، و ربما و ثبت العامه على بعضهم فقتلوه لصدمة اياهم فى حال ركضهم، فأحب التنحى بهم و الانفراد عن مدينه السلام»(٢).

و يقول الخطيب البغدادي: «و لكثرة عسكر المعتصم و ضيق بغداد عنه و تأذى الناس به، بنى المعتصم سر من رأى و انتقل اليها فسكنها بعسكره»(٣).

و يضيف مسكويه على ما ذكره الطبرى «و حكى انه قام الى المعتصم يوما رجل من العامه فقال: يا ابا اسحاق اخرج عن مدينتنا و الا حاربناك بما لا تقوم له، فتقدم باخذ الرجل و حمله اليه، فلما صار بين يديه، قال: و يلک بمن تحاربنى و ما هذا الذى لا قوام لى به؟ قال: نحاربك باصابعنا اذا هدأت العيون بالليل، يعنى الدعاء. فسكت عن الرجل و لم يعرض له، ثم خرج فبنى سر من رأى»(٤).

و ذكر صاحب العيون و الحدائق «ان المساكن و الطرق ضاقت على الناس ببغداد لكثرة العساكر التى تجمعت مع المعتصم و كثر غلمانة الأتراك»(٥).

و جاء فى تذكره ابن حمدون ما يفيد بان الجند الاتراك اخذوا يتحرشون بالنساء و الصبيان مما اغضب الناس عليهم، اذ يقول:

١- مروج الذهب ٤ / ٥٣.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣٠٨ - ٣٠٩.

٣- تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٦.

٤- تجارب الأمم ٦ / ٤٧٨ - ٤٧٩.

٥- العيون و الحدائق ٣ / ٣٨١ - ٣٨٢.

«كان سبب خروج المعتصم ان غلمانة الاتراك كثروا ببغداد فتولعوا بحرم الناس و اولادهم، فاجتمع اليه جماعه منهم و قالوا: يا امير المؤمنين ما احد احب الينا مجاوره منك لأنك الامام و المحامي عن الدين، و قد افطر علينا امر غلمانك، فاما منعهم منا و اما نقلتهم عنا. فقال: نقاهم لا يكون الا بنقلى، و لكنى افتقدهم و ازيل ما شكوتهم منه. فنظروا فأذا الامر قد عظم و زاد. و خاف ان تقع بينهم حرب. و عاودوه بالشكوى و قالوا: ان قدرت على نصفتنا و الافتحول عنا. فقال: أتحول و كرامه، و رحل الى سر من رأى»(١).

و يذكر مثل هذا ياقوت الحموى فيقول: «ان جيوش المعتصم كثروا حتى بلغ عدد مماليكه من الاتراك سبعين الفا، فمدوا ايديهم الى حرم الناس و سعوا فيها بالفساد. فاجتمع العامه و وقفوا للمعتصم و قالوا: يا امير المؤمنين ما شىء احب الينا من مجاورتك لأنك الحامى للدين، و قد افطر علينا امر غلمانك و عمنا اذاهم، فاما منعهم عنا او نقلتهم عنا. فقال: اما نقلهم فلا يكون الا بنقلى و لكنى افتقدهم و انهاهم و ازيل ما شكوتهم منه. فنظروا و اذا الأمر قد زاد و عظم. و خاف منهم الفتنة و وقوع الحرب. و عاودوه بالشكوى و قالوا: ان قدرت على نصفتنا و الافتحول عنا، و الا حار بناك بالدعاء و ندعو عليك بالاسحار. فقال: هذه جيوش لا قدره لى بها، نعم اتحول و كرامه، و ساق من فوره حتى نزل سامراء»(٢).

و يقول مثله ابن الطقطقى ايضا «ان المعتصم استكثر المماليك فضاقت بهم بغداد و تأذى بهم الناس، و زاحموهم فى دورهم و تعرضوا بالنساء فكان فى كل يوم ربما قتل منهم جماعه. فركب المعتصم يوما فلقيه رجل شيخ فقال للمعتصم: يا ابا اسحاق، فاراد.

١- تذكرة ابن حمدون / ١٠٣-١٠٤.

٢- معجم البلدان / ٣ / ١٧٤-١٧٥.

الجند ضربه فمنعهم المعتصم، و قال له: مالك يا شيخ؟ فقال: لا جزاك الله خيرا عن الجوار، جاورتنا مده فأيناك شر جار، جتتنا بهؤلاء العلوج من غلمانك الاتراك فاسكتتهم بيننا فايتمت صبياننا و ارملت نساءنا و الله لنقاتلنك بسهام السحر، يعنى الدعاء، و المعتصم يسمع ذلك. فدخل منزله و لم ير راكبا الا فى يوم مثل ذلك اليوم، فركب و صلى بالناس العيد، و سار الى موضع سامرا فبناها(١).

و لخص ابن دحيه ما ذكره من سبقه من المؤرخين الا انه اشار الى سبب آخر من اسباب نقمه العامه على الجند هو النزول عليهم فى مساكنهم قسرا، و هو امر لم يألفه العرب، فيقول: «ان العامه شكوا اليه من الجند و النزول عليهم فى المساكن و التعرض بهم، فقال له بعض صلحاء المحدثين: يا أمير المؤمنين انى لا آمن عليك ان يقاتلك العامه، فقال له: و لم تقاتلنى العامه، و من يحملها على ذلك و انا فى هذا العسكر العظيم؟ فقال له: يقاتلونك بسهام الليل و رفع الايدى الى الله تعالى فى المساجد. فركب فى الحال و تخير موضع سر من رأى على دجله»(٢).

لا ريب فى ان ضيق العاصمه بغداد بجند المعتصم بالله لكثرتهم، و تخلفهم الحضارى عن سكان المدينه، و ما ترتب من النتائج السيئه عن احتكاكهم بالناس و تعديهم عليهم، و وقوع الاذى بين الطرفين بحيث ضاق كل منهما ذرعا بالآخر، و حرص المعتصم بالله على ان لا يغضب اهل بغداد، و هى حاضره الدوله العرييه و كبرى مدنهما، و قد شعر بانتشار روح النقمه و التدمر بينهم، و خشيه من أن يؤدى ذلك الى قيام فتنه لا يريدونها، مما جعله يقرر عزل الجيش بثكناته و اصطبلاته بعيدا عن بغداد. و مما يؤيد ذلك الطريقه التى

١- الفخرى ٢١١.

٢- النبراس / ٦٥.

انتهجها في اسكانهم عند ما بنى مدينة سامرا، اذ حرص على ان يكونوا معزولين بمناطق سكناهم عن بقية الناس.

ان ما استعرضناه مما ذكره المؤرخون عن اسباب انتقال المعتصم بالله من بغداد يدور كله حول ضيق أهل بغداد بجنده من الاتراك و شكواهم المتكرره من تصرفاتهم و تعدياتهم، و شكوى الجند انفسهم من اعتداء الناس عليهم. على ان هناك سببا آخر ورد ذكره على لسان المعتصم بالله نفسه، يستنتج منه انه لم يكن مطمئنا الى الحريه من جيشه، و هم العرب، لانهم كانوا قد تلكأوا في مبايعته و اظهروا ميلهم الى العباس بن المأمون. و يقول أحد كتابه و هو ابو الوزير احمد بن خالد: «بعثنى المعتصم بالله في سنة (٢١٩هـ) و قال لى: يا احمد اشتر لى بناحيه سامرا موضعا ابنى.

فيه مدينة، فانى اتخوف ان يصيح هؤلاء الحريه صيحه فيقتلوا غلمانى، حتى اكون فوقهم فان رابنى منهم ريب اتيتهم فى البر و البحر حتى آتى عليهم»(١).

و يروى ابن الطقطقى هذا السبب بالشكل الآتى «ان المعتصم خاف من ببغداد من العسكر و لم يثق بهم فقال: «اطلبوا لى موضعا اخرج اليه و ابنى فيه مدينة و اعسكر به، فان رابنى من عساكر ببغداد حادث كنت بنجوه و كنت قادرا على ان آتيتهم فى البر و فى الماء»(٢). مما يستدل منه انه كانت هناك فئات اخرى فى الجيش تنقم على المعتصم بالله، الى جانب العرب، لاعتماده على الجند الاتراك و ثقته بولائهم له.

و هناك سبب ثالث لخروج المعتصم بالله من ببغداد ذكره صاحب «الذخائر و التحف» و صاحب «الهفوات النادره» و السيوطى. و مع ما تضمنه الخبر من اوهام و مبالغه، فان خلاصته ان المعتصم

١- الطبرى ١٧/٩، و الكامل ٤٥١/٦، و معجم البلدان ١٧٤/٣.

٢- الفخرى ٢١١.

بالله كان قد فرغ من بناء قصره فى الميدان ببغداد فجلس للناس فيه، فأستأذنه اسحاق الموصلى فى الانشاد، فأذن له، فأنشده شعرا كان اول بيت فيه:

يا دار غيرك البلى فمحاك يا ليت شعرى ما الذى ابلاك

فتشاءم المعتصم من ذلك و تطير به، و تغامر الناس و عجبوا كيف ذهب هذا على اسحاق مع فهمه و علمه. و ان المعتصم بالله خرج الى سر من رأى و خرب القصر(١).

و نستطيع ان نضيف الى ما ذكرناه من الاسباب التى دفعت المعتصم بالله الى الانتقال من بغداد، سببا آخر يتعلق بشخصيته نفسه. فقد كان ذا نزعه عسكريه يعتز كثيرا بجيشه، و قد اراد ان تكون له عاصمه خاصه به و بجيشه مقتديا بجده ابى جعفر المنصور و غيره من الملوك العظام. و ان مقابلته رهبان الدير الذى كان فى موقع سامرا قبل بنائها، و ما دار بينه و بينهم من حديث حول اسم الموضع و تاريخه، يؤكد رغبته فى ان يبنى مدينه خاصه به ينزلها هو و ينزلها اولاده من بعده(٢).

و قد كان لانتقال عاصمه الدوله العربيه من مدينه السلام الى سامرا نتائج مهمه. فقد اقيمت العاصمه الجديده بتصاميم و خطط متقدمه اتاحت فرص العمل لعدد كبير من ذوى الحرف المتعلقه بالبناء و العمران. و كان قيام سامرا بموجب هذه التصاميم و الخطط فرصه لبروز الفن العمرانى العربى بزخارفه المبتكره مما يعتبر من مفاخر الحضاره العربيه. و ادى الانتقال الى سامرا الى قيام مركز حضارى جديد مهم الى جانب بغداد، كانت المنافسه العمرانيه و العلميه التى قامت بينهما خير مشجع على التقدم فى

١- الذخائر و التحف / ١٢٩ - ١٣٠، و الهفوات النادره / ١٧ - ١٨، و تاريخ الخلفاء / ٣٣٧.

٢- كتاب البلدان / ٢٥٧.

مضمار الحضاره و بخاصه فى النواحي العلميه منها. مما ساعد على ازدهار الحضاره العربيه فبلغت ذروتها خلال القرن التالى الذى اعتبر ازهى عصورها. هذا بالاضافه الى تخلص سكان مدينه بغداد من عبث الجند الاتراك و عنتهم.

على ان هذه النتائج الايجابيه لانتقال المعتصم بالله الى عاصمته الجديده، قد صحبتها نتائج سلبيه أثرت على مسيره الدوله العربيه آنذاك. و كان اهم تلك النتائج استفحال امر الاتراك. فقد ساعدتهم الطريقه التى اتبعت فى اسكانهم فى سامرا على التقارب و التآلف فيما بينهم مما ولد فى نفوسهم شعورا بقوتهم و اهميتهم فى الدوله. فعملوا على زياده نفوذهم، و اتساع تدخلهم فى شؤونها.

فأشدد الصراع بينهم و بين الخلفاء مده استغرقت الجزء الاكبر من عمر العاصمه الجديده. اذ فقد الخلفاء خلالها سلطانهم و غدا كبار القواد الاتراك هم الحكام الفعلين لانهم قد استولوا، منذ مقتل المتوكل على الله، على شؤون الدوله و اموالها، و استضعفوا الخلفاء، فكان الخليفه فى يدهم كالأسير ان شاءوا ابقوه و ان شاءوا خلعوه او قتلوه(١). مما جعل الخلفاء يحاولون الانتقال الى مدينه اخرى او العوده الى بغداد للتخلص من سيطره اولئك القواد و نفوذهم. مما سنعرض لتفصيلاته فى فصول قادمه. و هكذا عاد المعتمد على الله الى بغداد فى اواخر ايامه، حتى تولى المعتضد بالله فى سنه ٢٧٩ هـ فهجر سامرا. و بذلك انتهى الدور السياسى للمدينه التى قدر لها ان تلعب دورا مهما فى التاريخ العربى.

## ٢- اختيار موضع سامرا:

بعد ان استقر رأى المعتصم بالله على ان الانتقال بعساكره من بغداد امر لا بد منه اخذ يتقرى مكانا تتوفر فيه المواصفات المطلوبه



لاقامه مدينه له و معسكر لجيشه، من حيث السعه و توفر المياه و وسائل الحمايه الكافيه. فخرج الى الشماسيه شمالى بغداد. و قد اعتاد المأمون فى ايام خلافته ان يخرج اليها و يقيم فيها اياما. و قد عزم المعتصم بالله على ان يبنى فيها مدينه، الا انه وجد الارض تضيق عن حاجته، كما كره قرب المكان من بغداد(١). و هو يريد الابتعاد بعساكره عنها. فاشار عليه وزيره الفضل بن مروان ان يخرج الى البردان، و هى من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها(٢).

فمضى اليها و معه بعض رجاله و مستشاريه و عدد من المهندسين و من له معرفه بالاراضى و طبيعتها(٣). و اقام بها اياما فلم يستطع هواءها، و رآها ضيقه المساحه لا تتسع لقيام مدينه كبيره فيها(٤).

فصار الى باحمشا بين اوانا و الحظيره على الجانب الشرقى من دجله فقدر انشاء مدينه هناك الا انه لم يجد موضعا يحفر فيه نهرا لارتفاع الأرض عن مستوى النهر(٥). فتركها و نفذ الى قريه المطيره، و هى قريه جنوبى سامرا، بينها و بين القادسيه، و هى فى بقعه كلها متنزهات و بساتين و كروم(٦). و قد بنيت فى خلافه المأمون و نسبت الى مطر بن فزاره الشيبانى، و انما هى المطريه فغيرت و قيل المطيره(٧). و كما كانت المطيره متنزها لأهل بغداد صارت متنزها لاهل سامرا كذلك بعد تأسيسها. فاقام المعتصم بالله بها قليلا فلم تروق له، فصار الى منطقه القاطول.

قال مسرور خادم هارون الرشيد: سألتى المعتصم اين كان الرشيد يتنزه اذا ضجر من المقام ببغداد. قال قلت له: بالقاطول.

و قد كان بنى هناك مدينه آثارها و سورها قائمان، و قد خاف من

١- كتاب البلدان / ٢٥٦.

٢- معجم البلدان / ١ / ٣٧٥.

٣- مدينه المعتصم على القاطول - مجله سومر ج / ٢ / للسنة الثالثه / ١٦٤.

٤- مروج الذهب / ٤ / ٥٣.

٥- كتاب البلدان / ٢٥٦.

٦- الديارات / ١٤٦.

٧- معجم البلدان / ٥ / ١٥١.

الجند ما خاف منه المعتصم. فلما وثب اهل الشام و عصوا خرج الرشيد الى الرقه فاقام بها اياما، و بقيت مدينه القاطول لم تستتم(١). و يظهر ان ذلك كان بعد ان استفحل امر البرامكه و فكر بالتخلص منهم. و لعله اراد الابتعاد عن بغداد لكثرة اتباعهم و مؤيديهم فيها، لكي يستطيع ان يتدبر امرهم. و كان الرشيد قد حفر نهرا كبيرا هناك سماه ابا الجند لانه كان يسقى ارضا خصصت غلاتها لارزاق الجند(٢). الا- ان الوقت لم يتسع له لاتمام المدينه و الانتقال اليها كما اشرنا آنفا. فترسم المعتصم بالله خطى ابيه فى الانتقال الى القاطول، و لعله فكر فى اتمام بناء المدينه التى بدأها ابوه و لم يتمها. فخرج اليها و استطلع جوها فاستطاب هواءها، و رآها اصلح المواضع لاقامه مدينه ينتقل اليها.

أمر الخليفه مهندسيه بتخطيط المدينه بحيث يجعلون البناء فيها على جانبى القاطول و بينه و بين نهر دجله. و ان يقسموها الى قطائع و زعها على القواد و الكتاب و رجال حاشيته و الناس. فباشر المهندسون العمل و احضروا مواد البناء و جاءوا بالبنائين و الصناع، فأقاموا قصرا للخليفه. و بنوا بجواره بيوت رجال الحاشيه. كما أنشأوا معسكرا للجيش احاطوه بالاسوار. و بنى قاده الجيش و كبار رجال الدوله قصورهم بالآجر على ضفاف دجله و القاطول. و بنيت الاسواق و حولها الدور، و قد شيد معظمها باللبن. و يظهر انه كانت هناك قريه على القاطول يسكنها قوم من الجرامقه و ناس من النبط، فقال احد الشعراء يعير المعتصم بالله بانتقاله من بغداد و مجاورته الجرامقه(٣):

١- الطبرى ١٧/٩.

٢- فتوح البلدان / ٢٩٥، و معجم البلدان ٣/ ١٧٤.

٣- مروج الذهب ٤/ ٥٤ و الجرامقه طائفه من العجم نسبتها الى مدينه جرمق بين اصبهان و نيسابور. و قد نزل بعضهم بالموصل فى اوائل الاسلام- معجم البلدان ٢/ ١٣٩، و ترتيب القاموس المحيط ١/ ٤٠٩.

## أيا ساكن القاطول بين الجرامقهتركت ببغداد الكباش البطارقه

و كان المعتصم بالله قد انتقل الى القاطول و سكن فى القصر الذى بناه ابوه هناك ثم انتقل الى بعض ما بنى له، و سكن الى جانبه بعض حاشيته و بعض الناس (١). و يؤيد المسعودى و ياقوت الحموى ان المعتصم بالله قد شيد له قصرا فى القاطول، و لما انتقل منه و هبه لمولاه اشناس (٢). و قد اقيمت امام القصر بركه واسعته جميله ما تزال معالمها باديه للعيان، و هى منخفض اصطناعى طوله (٢٢٠) م و عرضة (١٩٠) م و عمقه ثلاثه امتار. و قد قسمت ارضه تقسيما هندسيا، فجعلت بعض اقسامه عميقه جدا تسمح بجريان الماء فيها، و ابقيت اجزاء منها بارتفاعها الأصلى، فجعل الماء منها دكات مستطيله متناظره و متعاشقه، عددها فى الجانب الشرقى اربع دكات و فى الجانب الغربى ست دكات. و جعل التراب الناشىء من الحفر على طول جانبي المنخفض الشرقى و الغربى بارتفاع يتراوح بين ٣ و ٥ أمتار، فتألف من ذلك كتفان عاليان زادا فى روعه البقعته و جمال منظرها. و كانت البحيره تستمد ماءها من فرع القاطول الممتد جنوبا الى القادسيه. كما كان يصرف ماؤها بكهاريز تنتهى بحافه نهر القائم (٣).

تقع المدينه التى بناها المعتصم بالله على القاطول فى منطقته القادسيه الممتده بين نهر القائم و نهر دجله، على بعد عشره كيلومترات جنوبى سامرا. و اظهرت التنقيبات آثار سور مثن الشكل يقع غربى مدينه المعتصم بالله، يبلغ طول كل ضلع من

١- فتوح البلدان / ٢٩٥، و كتاب البلدان / ٢٥٧، و مروج الذهب / ٤ / ٥٣.

٢- مروج الذهب / ٤ / ٥٣، و معجم البلدان / ٣ / ١٧٤.

٣- مدينه المعتصم على القاطول / ١٦٦.

اضلاعه (٦٣٠) م و هو مبنى باللبن و مدعوم بسلسله ابراج يبلغ عددها (١٤٠) برجاً. و فى كل ركن من اركانها برج كبير مدور قطره نحو ثمانيه امتار. و سمك السور اربعه امتار، و ارتفاعه نحو خمس امتار. و تبلغ مساحه الأرض التى يكتنفها السور (٧٤٥) دونما، اى ما يقارب المليونى متر مربع. و فى السور فتحات تدل على انها كانت ابواباً له. و السور من الداخل مؤلف من اروقه، كل رواق بين دعامين، و قد جعل بعض هذه الاروقه حجرات. و تشاهد فى وسط السور معالم بعض البنايات، و سلسله غرف ذات عقود مدببه. و يدل شكل السور على انه كان حصناً و معسكراً لجيش كبير يقيم معظمه فى الخيم المنصوبه فى ساحته، و ان الأبنيه التى وجدت آثارها فيه انشئت لسكنى قواد الجيش.

و مما هو جدير بالملاحظه ان سور القادسيه هذا يشبه اسوار القصور و القطائع التى انشئت فى سامرا فيما بعد، من حيث ضخامته و شكله و حجم اللبن الذى استخدم فى بنائه، مما يوحى بان المعتصم بالله جعل الاسوار مئمنه ليكسبها مظهراً قريب الشبه بأسوار مدينه المنصور(١). و ربما كان لشكل السور علاقه بتسميه المعتصم بالله بالخليفه المئمن.

و كان يدور بمحاذاه قاعده السور من الداخل خندق ما يزال ظاهراً، كان يستمد ماءه من نهر القادسيه. و هو فرع من القاطول الاعلى يمتد الى نهر القائم فيقطعه على عباره ما تزال بعض معالمها ظاهره للعيان فى عقيق القائم. و عند وصوله سور القادسيه يتفرع منه فرع يدخل المعسكر و ينقسم فى داخله الى فرعين يكونان زاويه قائمه، ثم ينعكس احدهما فى زاويه قائمه ايضا فيصير موازياً للفرع الأول. و لا شك فى ان هذا التوزيع يساعد جميع القاطنين فى

---

١- الآثار القديمه العامه - سامرا / ٧٢ - ٧٣، و مدينه المعتصم على القاطول / ١٦٨.

داخل السور على انتحال الماء. و من المحتمل ان المياه الزائده كانت تصرف بمصرف يخرج من الضلع الجنوبي للسور.(١).

أما مدينه القاطول نفسها فان المعتصم بالله كان قد انشأ كهريزا لا يصل مياه الشرب اليها. و يستمد هذا الكهريز المياه من نهر دجله فى نقطه تقع على بعد كيلومترين تقريبا من شمالى صدر نهر القائم، ثم يسير شرقا باتجاه حصن القادسيه فينحرف من جهته الشماليه حتى ينتهى الى بنايات مدينه المعتصم بالله شرقى الحصن.

و قد انشئ هـ هذا الكهريز فى مجريين متوازيين احدهما خاص بموسم الفيضان و الآخر خاص بموسم الصيف. و يبلغ طول هذا الكهريز من صدره حتى ابنيه مدينه القاطول زهاء اربعه كيلومترات(٢).

و وجدت فى الاراضى حول السور آثار مبان و اسوار تمتد غربا و شرقا، و قد شيد بعضها بالآجر، و البعض الآخر باللبن. مما يدل على ان قسما منها كان دورا و قصورا، و بعضها كان اسواقا.

و يظهر ان الأبنيه الكائنه فى جنوبى القادسيه قد شيدت جميعها بالآجر مما يستنتج منه انها كانت قصورا لكبار القوم. و وجدت ايضا خرائب فيها طبقات من الرماد و كسر الاوانى الزجاجيه و كتل من الزجاج المنصهر، تدل و فرتها على ان معامل للزجاج كانت تقوم فى هذا الموضع، و قد اتخذه صناع الزجاج فى ايام ازدهار سامرا و عظمتها مقرا لهم، و شيدوا فيه مصانعهم و دورهم و مساكن عمالهم، و قد ظل كذلك بعد انتقال الخلافه منها و عوده العاصمه الى بغداد(٣). و يذكر ياقوت الحموى ان القادسيه كانت قريه كبيره قرب سامرا يعمل فيها الزجاج(٤).

١- مدينه المعتصم على القاطول / ١٦٨.

٢- رى سامراء / ١ / ٢٦٦.

٣- مدينه المعصم على القاطول / ١٦٨.

٤- المشترك وضعاً / ٣٣٧.

على ان المعتصم بالله ما لبث ان ادرك ان الأرض التي اختارها ضيقه غير قابله للتوسع لاحاطتها بدجله و القاطول من جهه، و لارتفاع ضفه القاطول اليمنى بسبب تراكم الاتربه الناشئه من حفر هذا النهر على شاطئه الايمن، فتكون من ذلك سلسله مرتفعات و تلول على طول الضفه المذكوره حجزت الاراضى الواقعه الى جنوبه عن الواقف بالضفه اليسرى، مما يخلق حاجزا بين جانبى المدينه(١)، و هى بذلك لا- تفى بقيام حاضره للخلافه، كما وجد ان طبيعه الارض حصا و انهيار يصعب البناء فيها(٢). و كان الموضوع فوق ذلك شديد البرد فتأذى به المعتصم بالله و حاشيته، حتى قال بعض من كان معه(٣):

قالوا لنا ان بالقاطول مشتانا فنحن نأمل صنع الله مولانا

الناس يأترون الرأى بينهم و الله فى كل يوم محدث شانا

و كان المعتصم بالله قد صار فى خلال خروجه الى الصيد الى ارض واسعه، و هى صحراء من ارض الطيرهان خاليه من السكان و لا عماره بها سوى دير للنصارى، فوقف بالدير و سأل من فيه عن اسم الموضوع. فقال له بعض الرهبان: «نجد فى كتبنا المتقدمه ان هذا الموضوع يسمى سرمن رأى و انه كان مدينه سام بن نوح، و انه سيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر منصور له اصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاه ينزلها و ينزلها ولده. فقال: انا و الله ابنيها و انزلها و ينزلها ولدى. و لقد امر الرشيد يوما ان يخرج ولده الى الصيد، فخرجت مع محمد و المأمون و اكابر ولد الرشيد فاصطاد

١- مدينه المعتصم على القاطول / ١٦٧.

٢- كتاب البلدان / ٢٥٧، و فتوح البلدان / ٢٩٥.

٣- مروج الذهب / ٤ / ٥٤.

كل واحد منا صيدا و اصطدت بومه ثم انصرفنا، و عرضنا صيدنا عليه فجعل من كان معنا من الخدم يقول هذا صيد فلان و هذا صيد فلان حتى عرض عليه صيدى، فلما رأى البومه و قد كان الخدم اشفقوا من عرضها لثلاثا يتطير بها او ينالنى منه غلظه، فقال من صاد هذه؟ قالوا: ابو اسحاق، فاستبشر و ضحك و اظهر السرور.

ثم قال اما انه يلى الخلافه و يكون جنده و اصحابه و الغالبون عليه قوما و جوههم مثل وجه هذه البومه فيبنى مدينه قديمه و ينزلها بهؤلاء القوم ثم ينزلها ولده من بعده، و ما سر الرشيد يومئذ بشىء من الصيد كما سر بصيدى لتلك البومه»(١). و هذه القصة لا تخلو من ان تكون موضوعه على غرار الاسطوره التى وضعت عند ما اختار ابو جعفر المنصور موضع مدينته المدوره، و قد ذكرها ياقوت الحموى فى معجمه البلدان(٢). و معالم وضعها ظاهره، اذ كيف يتوقع هارون الرشيد ان يلى ابنه ابو اسحاق الخلافه و هو لم يدخله مع ولاء العهد من اولاده الذين كتب لهم كتاب العهد! و يرجح انها وضعت فيما بعد بشكل يلائم احوال المعتصم بالله.

نظر المعتصم بالله الى فضاء واسع تسافر فيه الأبصار، و هواء طيب، و ارض صحيحه، فأستمرأها و استطاب هواءها، و اقام هناك ثلاثا يتصيد فى كل يوم، فوجد نفسه تتوق الى الغذاء و تطلب الزيادة على العاده الجاربه، فعلم ان ذلك من تأثير الهواء و الماء و التربه. فلما استطاب الموضوع دعا باهل الدير فاشترى منهم ارضهم باربعه آلاف دينار(٣). و عرفت هذه المنطقه قديما بصحراء الطيرهان و قصبتها الماحوزه، و هى التى بنى فيها المتوكل على الله عاصمته المتوكله فيما بعد. و من المواضع الشهيره فيها قبل ان يختارها المعتصم بالله ليقم عاصمته فيها موضع يسمى (دور عربايا)

١- كتاب البلدان / ٢٥٧.

٢- معجم البلدان / ١ / ٤٥٨ - ٤٥٩.

٣- مروج الذهب / ٤ / ٥٤.

و موضع آخر اسمه (الكرخ) و دور عربايا او دور العرباني هو الدور الأسفل، و هو قريه بين سامرا و تكريت، و فيه انزل المعتصم بالله بعض قواده عند ما بنى سامرا(١). اما موضع الكرخ فكان يقال كرخ فيروز، و هو موضع مدينه قديمه على مرتفع من الأرض، و هو اقدم من سامرا، فلما بنيت اتصل بها، و ظل عامرا بعد هجرها و خرابها. و يقال له ايضا كرخ باجدا و كرخ جدان(٢). و قد انزل المعتصم بالله فيه مولاة اشناس القائد فيمن ضم اليه من القواد، لما بنى سامرا(٣).

و كانت منطقه الطيرهان تؤلف مع تكريت و السن و البوازيح اول حدود اعمال المغرب عند البلدانين و تعتبر من كور الموصل(٤). و هي ارض منبسطة كان يتردد عليها خلفاء بغداد للصيد. و يظهر ان المعتصم بالله نفسه كان يتردد ايام كان اميرا، الى هذا الموضع للصيد، و يضرب فيه مضاربه، كما سنرى فيما بعد.

و كانت تعرف قبل الفتح العربي بنفس الاسم. فقد ورد ذكرها في بعض الحوادث التي وقعت ايام العهد اليوناني في العراق(٥). و قد استمر هذا الأسم يطلق على منطقه سامرا بعد تأسيسها و لقرون عديده(٦).

يقول اليعقوبي في تاريخه: «ثم ارتحل (المعتصم بالله) من القاطول الى سر من رأى، فوقف في الموضع الذى فيه دار العامه، و هناك دير للنصارى فأشترى من اهل الدير الارض و اختط فيه.

١- فتوح البلدان / ٢٩٥، و معجم البلدان ٢ / ٤٨١، و المشترك وضعاً / ١٨٣.

٢- معجم البلدان ٤ / ٤٤٧، و المشترك وضعاً / ٣٦٩.

٣- فتوح البلدان / ٢٩٥، و كتاب البلدان / ٢٥٨.

٤- المسالك و الممالك ٩٤ و ٢٤٥، و الخراج و صناعه الكتابه / ١٧٥.

٥- اخبار فطاركه كرسى المشرق لمارى بن سليمان / ٤- ٥.

٦- اخبار فطاركه كرسى المشرق لعمر بن متى / ٧٢- ٧٣، و ٨٣ و ١٠٠، و ١١٦- ١٢١.



و صار الى موضع القصر المعروف بالجوسق على دجله فبنى هناك عدة قصور للقواد و الكتاب و سماها باسمائهم»(١). و يقول المسعودى:

«و لم يزل (المعتصم بالله) يتنقل فى تلك النواحي حتى وقع اختياره على موضع سامرا، و هو بلاد فى كوره الطيرهان»(٢). و يقول ايضا: «خرج يتقرى المواضع فانتهى الى موضع سامرا، و كان هناك دير عادى فسأل بعض اهل الدير عن اسم الموضع فقال: يعرف بسامرا. قال له المعتصم: و ما معنى سامرا؟ قال: نجدها فى الكتب السالفه و الامم الماضيه انها مدينه سام بن نوح. قال له المعتصم:

و من اى بلاد هى و الام تضاف؟ قال: من بلاد طيرهان و اليها تضاف»(٣). و جاء فى اخبار فطاركه المشرق لمارى بن سليمان ان المعتصم بالله «خرج الى الطيرهان للتصيد، و صاد و جعل فى اعناق السباع الاطواق الحديد، و وسم على افخاذ الطباء و حمير الوحش اسمه، و استطاب الموضع، و ابتاع من سكان ذلك الموضع النصارى الحزيات المتصله بالمطيره، و جدد بناء سر من رأى»(٤).

و لما عزم المعتصم بالله على ان ينزل بموضع سامرا كلف وزيره محمد بن عبد الملك الزيات و قاضى القضاة احمد بن ابى دواد، و عمر بن فرج، و احمد بن خالد المعروف بأبى الوزير، و هما من رؤساء الدواوين، بأن يشتروا له من اصحاب الدير الارض التى رآها و ان يدفعوا اليهم اربعة آلاف دينار ثمنالها، ففعلوا ذلك»(٥).

و هناك خبر يروى عن ابى الوزير انه قال: «بعثنى المعتصم فى سنه (٢١٩ هـ) و قال لى: يا احمد اشتر لى بناحيه سامرا موضعا ابني فيه مدينه .. و قال لى: خذ مائه الف دينار، قال قلت: آخذ

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٣.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣٠٩.

٣- مروج الذهب ٤ / ٥٤.

٤- ص: ٧٧.

٥- كتاب البلدان / ٢٥٧ - ٢٥٨.

خمسة آلاف دينار فكلما احتجت الى زياده بعثت اليك فاستردت.

قال: نعم فأتيت الموضوع فاشترت موضع سامرا بخمسائه درهم<sup>(١)</sup>، من النصارى اصحاب الدير، و اشترت موضع البستان بخمسة آلاف درهم، و اشترت عدده مواضع حتى احكمت ما اردت، ثم انحدرت فاتيته بالصكاك، فعزم على الخروج اليها. حتى وضع البناء بسامرا فى سنة (٢٢١ هـ)<sup>(٢)</sup>. ولا نرى تضاربا بين الروايتين، اذ يجوز ان الخليفة كلف الاشخاص المذكورين اول الأمر، ثم اقتصر مهمه الشراء على ابى الوزير.

و يبدو مما يرويه ابن ابى اصبيعه ان للمعتصم بالله سابق معرفه بموضع سامرا عند ما كان اميرا، اذ يقول: «ثم صار المعتصم الى سر من رأى فضرب مضاربه فيها و اقام بها فى المضارب، فانى لفى بعض الايام على باب مضرب المعتصم اذ خرج سلمويه بن بنان ... فقال لى: حدثنى فى غداه يومنا نصر بن منصور بن بشام انه كان يساير المعتصم فى هذا البلد، يعنى بلد سر من رأى، و هو أمير، قال لى سلمويه: قال نصر ان المعتصم امير المؤمنين قال له: يا نصر أسمعت قط بأعجب ممن اتخذ فى هذا البلد بناء و أوطنه! ليت شعرى ما اعجب موطنه، حزونه ارضه او كثره اخاقيقه<sup>(٣)</sup>. ام كثره تلاعه و شد الحرفيه اذا حمى الحصى بالشمس، ما ينبغى ان يكون متوطن هذا البلد الا- مضطرا مقهورا، او ردى ء التمييز. قال لى سلمويه: قال لى نصر بن منصور: و انا و الله خائف ان يوطن امير المؤمنين هذا البلد. فان سلمويه ليحدثنى عن نصر اذ رمى ببصره نحو المشرق فرأى فى موضع الجوسق المعروف بالمصيب اكثر من الف رجل يضعون اساس الجوسق.

١- فى معجم البلدان ١٧٤ /٣ بخمسة الاف درهم، و فى العيون و الحداثق ٣ /٣٨١ بخمسائه الف درهم.

٢- الطبرى ١٧ /٩، و معجم البلدان ١٧٤ /٣.

٣- فى النص: اخاقيقه، و هو خطأ مطبعى، و الاخاقيق الحفر.

فقال لى سلمويه: احسب ظن نصر بن منصور قد صحح. و كان ذلك فى رجب سنه احدى و عشرين و مائتين»(١).

ان ما ذكره ابو الوزير، و ما رواه ابن ابى اصيبيه يستنتج منه ان المعتصم بالله كان يفكر بالانتقال الى عاصمه اخرى، و لذا يمكن القول ان شكوى اهل مدينه السلام كانت سببا مباشرا لانتقاله عنها.

و يظهر ان سعه الموضع و موقعه من نهر دجله و بعده عن بغداد مما اغرى المعتصم بالله بأن يختاره لأن يقيم فيه مدينته التى ازمع على تأسيسها. على ان هناك اسبابا اخرى جعلته يفضل هذا الموضع على غيره. فانه كان محاطا بالمياه من جميع اطرافه بحيث انها تشكل سورا دفاعيا يحيط بالمدينه. فنهر دجله يلازمها من جهتها الغربيه و يسير بمحاذاتها من اقصى شمالها حتى اقصى جنوبها، مما يؤمن اضافته الى اهميته الدفاعيه سبيلا للمواصلات النهريه و نقل البضائع و المؤن و غيرها الى المدينه عن طريق النهر، سواء كان ذلك من شمالي العراق او جنوبيه. اما من الجهات الاخرى فان مجرى النهر وان- و هو مجرى القاطول او الرصاصى- الذى يفرع من دجله من شمالي مدينه سامرا، يجرى بموازاه دجله فيحيط بالمدينه من الجهتين الشماليه و الشرقيه. و ان مجرى نهر القائم- و هو قاطول الرشيد- الذى يتفرع من دجله من جنوبي سامرا و يلتقى بمجرى الرصاصى قبل وصوله الى نهر العظيم يحيط بالمدينه من الجهه الجنوبيه. و ذلك مما اغناه عن احاطه المدينه بسور يصد عنها الهجمات شأن المدن الاخرى فى ذلك العهد. ثم ان الموضع الذى تقع فيه المدينه يؤلف جرفا يرتفع عن مستوى مياه النهر، مما يجعلها فى مأمن من اخطار الفيضان. و لا يخفى ان الفيضان كان

مصدر قلق شديد في مدينة بغداد التي كانت معرضه دوما الى خطر الغرق(١).

### ٣- قدم الموضوع:

سبق ان اشرنا الى قدم منطق الطيرهان التي اسست فيها مدينة سامرا، و ان ذكرها ورد في بعض الحوادث التي وقعت في العراق في العهد اليوناني. وقد جاء في بعض المصادر التراثية ان موضع المدينة التي بناها المعتصم بالله كان مدينة قديمه اصابها الخراب فاندثرت معالمها. اذ يقول المسعودي: «و قد ذكر انها كانت قديمه مسماه بهذا الاسم، سميت بسام بن نوح، و انها كانت آهله عظيمه عامره، فلم تزل تتناقص على مر الزمان، و كان اضرارها في ايام فتنة الامين و المأمون»(٢) و يقول صاحب العيون و الحدائق: «حكي في بعض الكتب ان سر من رأى كانت مدينة عظيمه عامره كثيره الأهل فأخر بها الزمان حتى بقيت خربه و بها دير عتيق، و كان سبب اضرارها فيما حكي ان اعراب ربيعه و غيرهم كانوا يغيرون على اهلها فرحلوا عنها»(٣). و يقول ماري بن سليمان: «و خرج المعتصم الى الطيرهان للتصيد .. و استطاب الموضع و ابتاع من سكان ذلك الموضع النصارى الخرابات المتصلة بالمطيره و جدد بناء سر من رأى»(٤).

ان ما رواه المؤرخون المذكورون يعني ان بناء المعتصم بالله مدينة سامرا كان تجديدا لبناء المدينة القديمه. على ان هذه الاشارات جاءت عرضيه في المصادر المشار اليها، بينما لم تشر

١- رى سامراء ج / ٥٤-٥٥.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣٠٩.

٣- العيون و الحدائق ٣ / ٣٨١.

٤- اخبار فطاركه كرسى المشرق / ٧٧.

المصادر المهمه الاخرى الى شىء من ذلك. كما ان الدراسات الحديثه عن المنطقه، و التنقيبات الأثريه التى اجريت فيها لم تكشف عما يؤيد ان المكان موقع مدينه قديمه اندثرت. بل على العكس من ذلك انه كان ارضا بكرا مستريحه الوف السنين (١). خلا ما عثر عليه من دلائل سكنها فى عصور ما قبل التاريخ. مما يدعو الى القول بان ما جاء فى المصادر المذكوره ينقصه التأييد و البرهان على ان ذلك لا يعنى ان منطقهُ الطيرهان كانت صحراء لا عماره فيها كما يقول اليعقوبى (٢). فقد كان بها عدد من الأديره، و قد فُصِّلنا ذلك فى مكان آخر. كما ان ما ذكر عن بستان و خرابات اضافهُ الى الدير دليل واضح على انها لم تكن تخلو من بعض العمران.

و قد ثبت من التحريات و التنقيبات الاثريه التى اجريت فى خرائب سامرا انه كان فى موضعها مستوطنات و قرى يرجع بعضها الى ادوار ما قبل التاريخ. فقد اكتشف العالم الآثارى هرزفيلد فى مطلع هذا القرن مقبره تعود الى ادوار ما قبل التاريخ بالقرب من شريعه الناصريه، و وجد فيها نوعا من الفخار المصبوغ يعتبر وسطا بين فخار شوش و فخار تل العبيد، و سُمى هذا الفخار القبتاريخى باسم «فخار سامراء» و هو يمثل دورا من ادوار ما قبل التاريخ فى العراق (٣). و عند ما توسعت مديرية الآثار العراقيه فى التنقيب فى الموقع المذكور عثرت على موضعين آخرين يعودان الى ما قبل التاريخ ايضا احدهما شمالى المقبره التى عثر عليها هرزفيلد و الآخر على ضفهِه دجله شمالى صدر القائم جنوبى سامرا يسمى تل الصوان.

١- كتاب البلدان / ٢٦٤.

٢- كتاب البلدان / ٢٥٧.

٣- سامراء المديرية الآثار العامه / ٧٦.

يقع تل الصوان قرب النصب المعروف بالقائم على الضفة الشرقيه لنهر دجله، على بعد (١١) كيلومترا جنوبى مدينه سامراء الحاليه. و تؤلف اطلال هذا الموقع تلا ييضوى الشكل تقريبا طوله من الشمال الى الجنوب (٢٣٠) م و عرضه من الشرق الى الغرب (١١٠) م، و لا يزيد ارتفاعه عن ثلاثه امتار و نصف عند اعلى بقعه من سطحه. و قد اعلنت المديرية العامه للآثار عن اثريه هذا التل فى سنه (١٩٤٩) و ميزت نوعيه الملتقطات المنتشره على سطحه و ثبتت ازمانها التاريخيه. ثم قررت فى سنه (١٩٦٤) ان تقوم باجراء تنقيبات عامه شامله فيه. و قد دفعها الى ذلك سببان مهمان، اولهما ان وقوع التل فى وسط العراق قد يكشف فى طياته عن دلائل أثريه تلقى الضوء على نوع الارتباط الحضارى بين شمالى وادى الرافدين و جنوبيه فى خلال النصف الثانى من الألف السادس قبل الميلاد، حين بدأ العراقى القديم ينحدر الى منطقه السهول الغربيه فى وسط الوادى و جنوبيه. و يؤسس اولى القرى الزراعيه هناك.

و ثانيهما احتمال العثور على قريه من الطور المذكور بابنيتها و آثارها الاخرى لتوضح جوانب مهمه من تاريخ العراق القديم فى النصف الثانى من العصر الحجري الحديث و بدايه ما يسمى بالعصر الحجري المعدنى. لأن ما كان معروفا عن المرحله الحضاريه المسماه (بطور سامراء) لما قبل التاريخ لا يتعدى الفخاريات التى كشف عنها هرزفيلد لأول مره فى المقبره التى تعود الى هذه الفتره. و لقد اسفرت التنقيبات عن نتائج مهمه القت الضوء على جوانب كثيره مما توخته دائره الآثار العراقيه. اذ كشفت لأول مره عن مستوطنه تم الكشف على خمس طبقات اثريه منها كانت قد سكنت على التوالي (١). و ترجع الطبقات الثلاث السفلى منها الى آواخر

العصر الحجري الحديث، ثم طور حسونه القديم و بدايه فخار حسونه الانموذجى الذى يستمر الى الطبقة الرابعه ثم الخامسه مع فخار طور سامراء(١).

و كشفت الطبقة الرابعه، اضافه الى البيوت المبنيه باللبن عن بنايات اخرى ذات تخطيط بنائى موحد يشبه الى حد كبير الحرف اللاتينى T بغرف متعدده اعتبرها المنقبون مخازن للحبوب، و كان احدها مكانا دينيا. و لوحظ ان طبقه السكن الثالثه قد سيجت فيها جميع المنطقه المسكونه بسور خارجى بطلعات غير منتظمه، و تمت حمايته بخندق منيع. و هو اقدم نظام دفاعى تم العثور عليه حتى الآن فى وادى الرافدين. و تتخلل هذه الأبنيه ساحه واسعه و دروب بعضها مرصوف بالحصى. و وجدت فى احدى الساحات مجموعه من التنانير ملاصقه لسور القرية، و هناك ما يدل على انها كانت كورا لشى الفخار. و هذا بحد ذاته يعتبر كشفا مهما اكد ان فخاريات سامرا بكل انواعها الملونه و المحززه و لمدلوكه و البسيطة الخاليه من النقوش قد تم صنعها فى تل الصوان.

و ان غزارة بقايا هذا النوع من الفخار هنا يؤكد بان تل الصوان كان مركزا مهما لهذه الصناعه فى القسم الوسطى من العراق، و منه كانت تتزود القرى و المستوطنات الاخرى فى هذه المنطقه من وادى الرافدين(٢).

و قد تأكد بان الطبقة الرابعه قد مرت بدورين سكنيين على الأقل. كما ظهر ان معظم مشتملات الدور العلوى بغرفها الصغيره كانت مخازن للغلال. و قد عثر فيها على بقايا من تلك الغلال و عظام الحيوانات التى استفاد السكان من لحومها. كما وجدت آلات و ادوات حجريه استعملت للحراثة و الحصاد و لتهيئه

١- مقدمه فى تاريخ الحضارات القديمه / ٢١٤ - ٢١٥.

٢- التنقيب فى تل الصوان السابق / ٣٩.

الطعام(١). و ان العدد الكبير من تماثيل صغيره للنساء الذى وجد فى مقبره تل الصوان قد يعنى ان هذا الموقع كان فى اوائل الالف السادس قبل الميلاد، و ربما قبل ذلك بقليل، مركزا رئيسا لعباده الأم الالهه. و قد وضعت تماثيل صغيره عديده لها فى توبيت الصغار لتحميمهم فى رحلتهم الطويله فى عالم ما بعد الموت. و لوحظ ان اكثر بقايا الهياكل العظيمه التى عثر عليها فى قبور القرية كان اصحابها قد دفنوا بوضعيه القرفصاء و ان الرأس يتجه دوما نحو الجنوب الا ما ندر. و وجدت بعض الهياكل ملفوفه بحصير مطلى بالقار، كما عثر على عدد من الاوانى الكبيره من الجص مع اغطيتها المماثله لشكل الاناء البيضوى المفلطح قد استخدمت كتوابيت للأطفال، و يظهر ان هذا النوع من مدافن الاطفال كان شائعا فى تل الصوان و بخاصه فى الطبقتين الرابعه و الخامسه(٢).

و من الادوات التى تلفت النظر مما عثر عليه، مجرشه، و مدقه كرويه، و مدقات طويله الشكل، و منجل من حجر الصوان ملصق بالقار، و محراث من الحجر، و حجاره مقلاع، و ثقاله ل «جومه» حياكه، و هاون او جاون، و حجر للدلك، و صناره باب، و طبله لمزج الاصابع، و ادوات مختلفه من معظم. كما عثر على مجموعه من عده الخياطه كالايير و المخارز، و هى ادله قاطعه على تمرس سكان هذا الموقع فى خياطه الملابس من الجلود، او من الصوف الذى كان يغزل بمغازل تصنع اقراصها من الفخار او الحجر. و ان الكشف عن ثقالات من الحجر و الفخار يدل على استخدام انواع ساذجه من «جوم» الحياكه، و هو برهان على انهم مارسوا حيا؟؟؟

الأقمشه لاستخدامها فى الملابس و اغراض اخرى(٣). و مما عثر

١- نفس المصدر.

٢- التنقيب فى تل الصوان / ٤٠-٤١.

٣- نفس المصدر / ٤٣-٤٥.



عليه ايضا سلطان من الخوص مبطنتان بالقار مما يظهر ان صناعه السلال و تبطينها بالقار كانت على ما يظن صناعه شائع في تل الصوان منذ اقدم الطبقات السكنيه فيه(١). و عثر كذلك على ختم منبسط مستطيل الشكل من الحجر الأسود و قد حفرت فيه حزوز متقاطعه، و هذا يعتبر واحدا من الاختام المنبسطه الاولى التي وصلتنا من اواسط الألف السادس قبل الميلاد(٢).

يقول المرحوم الاستاذ طه باقر ان فخار سامرا بالمقانه مع فخار تل حلف الذي يليه، يمتاز بانه ذو لون واحد (Monochrome) كما يمتاز بزخارفه الهندسيه المرتبه في انطقه (Bands) متوازيه و كذلك اشكال بعض الحيوانات مثل الطيور و الاسماك و العقارب و الأيل، و في حالات قليله اشكال آدميه مرسومه بصوره تخطيطيه تقريبيه.

و كانت هذه الزخارف تنقش بلون اسود فاتح او اسمر، على سطح الاناء ذي اللون الاصفر الباهت. و لحد ما نعرفه الى الآن لم يعرف العراقيون القدماء استعمال المعادن و التعدين في طور سامرا، و كانت الحجاره الماده المعتمده في صنع الأدوات و منها الحجر البركاني الاسود (الابزیدی-٣ Obzidian).

و مما كان يشغل اذهان علماء الآثار، لا سيما من يبحث منهم في فترات ما قبل التاريخ، التعرف على نمط الحياه الاقتصاديه، و انواع المواد الغذائيه الاولى التي عرفها الانسان بعد ان استقر في قرى ثابتة قرب المياه. فقد عثر على بقايا من الغلال و الحبوب المتفحمه، و البقايا العظيمه للحيوانات التي اقتات على لحومها سكان تل الصوان في مختلف ادواره، فتفرع لدراستها احد مشاهير المختصين بالنباتات القديمه هو الاستاذ هانس هيلبان من المتحف

١- مجله سومر، ج: ١ و ٢ لسنة ١٩٦٧، ص: ب.

٢- نفس المصدر، ص: ج.

٣- مقدمه في تاريخ الحضارات القديمه / ٢١٦-٢١٧.

الوطنى فى كوبنهاكن بالدانمارك. و توصل الى ان الحنطه و الشعير كانا من جملة المحاصيل الحقلية لاهالى تل الصوان. و انهم كانوا يعتمدون احيانا على السقى فى زراعه هذين النوعين من الغلال، لقله الامطار فى وسط العراق فى ذلك الزمن و كما هى الحال الآن (١). مما يستنتج منه ان سكان هذا المستوطن بدأوا بمشاريع الري الصغيره.

كما ان البحث الدقيق فى الركام و التراب الناجم عن حفريات مختلف البقايا النباتيه و مخازن الغلال كشف عن بقايا من عظام الحيوانات الاليفه و البريه التى اصطادها الانسان فى هذا الموقع و اقتات على لحومها و استفاد من جلودها و اصوافها. و ظهر بنتيجه دراسه المختصين لهذه البقايا ان الخراف و الماعز و الغزلان كانت عماد الثروه الحيوانيه، لأهل هذا الموقع فى الألف السادس قبل الميلاد، و ان السمك كان الغذاء الرئيس لسكنه تل الصوان فى جميع ادواره (٢). كما انهم كانوا يضعون الاسماك مع الموتى لتكون زادا لهم فى رحله الموت الطويله، كما تدل على ذلك بقايا عظام السمك الكثيره التى وجدت فى القبور المكتشفه فى هذا التل (٣).

و تمخضت الحفريات فى تل الصوان فى موسم سنه (١٩٧٢) عن نتائج مهمه ساعدت على تكوين فكره عامه عن نمط الحياه الاجتماعيه و الاقتصاديه لقريه الصوان، و كذلك عن بدايه الاستيطان فيها. و مما يمكن استخلاصه ان سكان القريه تلاحموا مع بيئتهم ممارسوا البدايات الاولى لأساليب الري نتيجته لتذبذب

١- لتتقيب فى تل الصوان / ٤٥.

٢- نفس المصدر / ٤٦.

٣- مجله سومر ج: ١ و ٢ لسنة ١٩٦٧. ص: ج.

سقوط الامطار و قلتها فى هذه المنطقه. و ان هذا التفاعل ساعد على الخلق و الابداع فى النواحي التى ميزت اولئك السكان(١).

#### ٤- بناء سامرا:

#### اشاره

يعتبر ما كتبه المؤرخ الجغرافى احمد بن ابى يعقوب المعروف باليعقوبى عن تخطيط مدينه سامرا و عمرانها فى «كتاب البلدان» اوسع ما تضمنته كتب التراث العربى عن هذا الموضوع. و لكتابه اليعقوبى المتوفى سنه (٢٨٤ هـ) عن المدينه اهميه خاصه اذ كان معاصرا لها عند ما كانت عاصمه الدوله العرييه، و قريب عهد من تأسيسها. و لذا سيكون كتابه المذكور مصدرنا الأول فى سنورده فى هذا البحث(٢)، الا اذا اشرنا الى مصدر آخر.

#### تخطيط المدينه:

بعد ان اختار المعتصم بالله الأرض اللانزمه لبناء المدينه او عز الى المهندسين بتخطيطها وفق اسس عينها لهم. و يمكن ان نستخلص من مجريات العمل فى تأسيس المدينه، ان اهم تلك الأسس كانت:

١- اكد المعتصم بالله على ضروره ان تصير قطائع الأتراك جميعا و الفراغنه، بعيده عن الاسواق و الزحام، و ذلك بجعل مساكنهم فى شوارع واسعه و دروب طوال، ليس معهم فى قطائعهم و دروبهم احد من الناس يختلط بهم من تاجر و لا غيره. و ذلك لتلافى المشاكل التى واجهها فى بغداد من جراء التصادم المستمر بين

١- مجله سومر ج: ١ و ٢ لسنة ١٩٧٢، ص: ب.

٢- كتاب البلدان / ٢٥٥ - ٢٦٨.

اهلها و جنده من الاتراك فى دروب المدينه و اسواقها مما اضطره على ترك العاصمه و الانتقال الى مدينه بعيده عنها.

٢- ان يبدأ العمران فى الجانب الشرقى من المدينه، لما تمتاز به ارض هذا الجانب مما سبقت الاشاره اليه من المميزات. ثم ينظر بعد ذلك فى اعمار الجانب الغربى.

٣- الاكثار من الشوارع الرئيسه فى المدينه على ان تكون موازيه لنهر دجله، و بأعرض ما يمكن، و ان توصل بينها شوارع فرعيه عريضه و دروب، و ان يكون الشارع الذى على ضفه دجله مباشره فسيحا يتسع للسفن التى ستفرغ حمولتها فى فروضه او تحمل منها.

٤- ان تقام الأسواق الرئيسه حول المسجد الجامع الذى تقرر انشاؤه على شارع السريجه، بحيث تجعل سوق خاصه لكل تجاره منفرده، و يكون كل قوم من اصحاب التجارات و البياعات على حده، على مثل ما رسمت عليه اسواق بغداد.

و قد خطط المهندسون شوارع المدينه و دروبها، و وضعوا اسس القصور و المساجد، و مختلف القطاعات التى اعدت لسكنى الجند، و مختلف طبقات الناس، وفق الأسس المشار اليها. و قد برهنوا فى تخطيطهم على مهاره فائقه تجلت فى تنظيم الشوارع، و تنسيق الأبنيه العامه، و توزيع القطاعات، و اقامه الاسواق.

و كان من اول اعمال المعتصم بالله، بعد ان كمل تخطيط المدينه انه كتب الى مختلف الولايات «فى اشخاص الفعله و البنائين و اهل المهن من الحدادين و النجارين و سائر الصناعات. و فى حمل الساج و سائر الخشب و الجذوع من البصره و ما والاها، و من بغداد و سائر السواد و من انطاكيه و سائر سواحل الشام. و فى حمل عمله الرخام و فرش الرخام، فاقامت باللاذقيه و غيرها دور صناعه

الرخام»<sup>(١)</sup> لتهيئه ما تحتاجه قصور المدينة و مساجدها من الرخام و المرمر الابيض و الملون. على ان المعتصم بالله لم يقتصر على استخدام عمال البناء و الحرفيين ممن لهم علاقه بالبناء و التشييد فقط، بل حاول ان يحشد للمدينه الجديده ايدى عامله كثيره فى مختلف النواحي. و لهذا اقدم من كل بلد من يعمل عملا من الاعمال او يعالج مهنة من مهن العماره و الزرع و النخل و الغروس، و هندسه الماء و وزنه و استنباطه و العلم بمواضعه من الأرض. و حمل من مصر من يعمل القراطيس و غيرها، و حمل من البصره من يعمل الزجاج و الخزف و الحصر. و حمل من الكوفه من يعمل؟؟؟ ف و من يعمل الأدهان و الاصباغ. و من سائر البلدان من اهل كل مهنة و صناعه. فانزلوا بعيالهم فى اماكن خاصه من المدينه، و اقطعوا فيها لبناء منازل لهم.

ابتدأ البناء فى سنه (٢٢١ هـ)<sup>(٢)</sup>. و يظهر ان اول ما بنى فى المدينه الجديده هو قصر الخليفه الذى عرف بالدار العامه، و قد بنى فى بستان الدير الذى اشتراه المعتصم بالله، و صارت ارض الدير بيت المال. و يقول المسعودى: «انه ارتاد لبناء قصره موضعا فيها فأسس بنيانه، و هو الموضع المعروف بالوزيرى فى سر من رأى، و اليها يضاف التين الوزيرى، و هو اعذب الأتيان و ارقها قشراً و اصغرها حبا»<sup>(٣)</sup>.

و يقول الآثرى كرزويل ان المعتصم بالله ارسل رجالا الى مصر و امرهم بانتزاع اعمده الرخام من الكنائس، و انهم بعد ان انتزعوا اعمده كنائس الاسكندريه ذهبوا الى كنيسه القديس ميناس فى

١- كتاب البلدان / ٢٥٨.

٢- الطبرى ١٧ / ٩، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٣، و التنبيه و الاشراف / ٣٠١ و معجم البلدان ٣ / ١٧٤، و الكامل ٦ / ٤٥٢.

٣- مروج الذهب ٤ / ٥٤.

مربوط و انتزعوا منها الرخام الملون و مرمر التبليط(١). الا ان زعمه هذا لا يمكن قبوله، لأن المعتصم بالله الذى دفع مبالغ كبيره لشراء الخرائب و الاراضى المتروكه التى كانت تخص الرهبان فى موضع سامرا لا يمكن ان يأمر باغتصاب اعمده الكنائس و مرمر تبليطها، و بخاصه اذا ما علمنا ان دور صناعه للرخام و المرمر قد اقيمت فى بعض المدن التى اشتهرت بقطعه و صقله، لسد حاجه المدينه الجديده منه.

### الشوارع الرئيسيه:

يسمى الشارع الذى امتد على ضفاف نهر دجله من شمالى المدينه حتى جنوبيها بشارع الخليج، حيث كانت تقوم عليه الفرض لرسو السفن التى تحمل البضائع و التجارات الى المدينه من بغداد و واسط و كسكر و سائر السواد و البصره و الأبله و الاحواز، و من الموصل و يعربايا و ديار ربيعه و ما اتصل بذلك، و تقوم فى هذا الشارع قطائع المغاربه، و عرف الموضع الذى خصص لسكنهم باسم «الأزلاخ» و تعتبر هذه القطائع اول ما اختط فى سر من رأى.

و هو بهذا الاعتبار شارع حيوى للمدينه، بل هو شريان حياتها الاقتصاديه لأن جميع السفن التى تحمل اليها البضائع و المؤن تفرغ حمولتها على الفرض القائم عليه، و كذلك تحمل منها الحاصلات و البضائع التى تنقل الى مدن اخرى.

و يلى شارع الخليج شرقا الشارع الرئيس فى المدينه و قد عرف اول الأمر بشارع السريجه، ثم اطلق عليه اسم الشارع الاعظم، لأنه كان اطول شوارع سامرا و اعرضها. فقد امتد من آخر البناء من قطيعه اشناس شمالا حتى آخر البناء فى قطيعه الافشين فى المطيره غربا بحيث كان طوله فى عهد المعتصم (١٩) كيلومترا تقريبا

و كانت (١) تقطعه دروب و شوارع عرضيه من جهة الشرع الى شارع ابى احمد بن الرشيد، و تنفذ الى شارع الخليج على دجله غربا.

و قد قامت على جانبيه بعض القطائع السكنيه. منها قطيعه اسحاق بن يحيى بن معاذ رئيس حرس المعتصم بالله، و قطائع عدد من القواد من غير الأتراك، كالقواد العرب والمخاربه و الخراسانيين، مل عجيف بن عنبسه، و الحسن بن على المأمونى، و حزام بن غالب الذى كان يتولى شؤون الاصطبلات بظهر قطيعته، و هاشم بن بانيجور، و هارون بن نعيم. بحيث كان لكل منهم قطيعه خاصه به و باصحابه. ثم القطائع الخاصه بكبار الخدم مثل مسرور سمانه و قرقاس و ثابت.

كما كانت تقع على هذا الشارع المباني الخاصه ببعض مؤسسات الدوله مثل ديوان الخراج، و الخزائن الخاصه و العامه، و مجلس الشرط، و المسجد الجامع الذى لم يزل يجمع فيه الى ايام المتوكل على الله، و الحبس الكبير، و دار الرقيق، و السوق العظمى و قد بنيت منعزله عن المنازل و فيها قسم خاص لكل تجاره منفرد عن غيره. كما كان هناك سوق لأهل كل مهنة بحيث لا يختلطون بغيرهم من اصحاب المهن الاخرى.

و قامت كذلك على جانبى هذا الشارع اعداد كبيره من منازل الناس، و قد بنوا اسواقهم فيه لمختلف البياعات و الصناعات و التجارات. و هكذا كانت العمارات و القطائع و المنازل و الاسواق تمتد على جانبى هذا الشارع، و بينه و بين شارع الخليج من جهة الغرب، و بينه و بين شارع ابى احمد من جهة الشرق. و يبدو من تخصيص بعض القطائع الواقعه على جانبى هذا الشارع للقواد من

---

١- رى سامراء ١ / ٦١ و اشناس و الافشين من كبار قواد المعتصم بالله و سيرد ذكرهم فى الفصل الاول من الباب الرابع، و فى الفصل الثانى من الباب الثامن.

غير الاتراك و لأصحابهم ان المعتصم بالله لم يحرص على عزلهم اسوه بما فعله بقطاع الجند الاتراك، فقد اسكن بينهم خليطا من الناس.

و يمتد شرقي الشارع الأعظم الشارع المعروف بشارع ابي أحمد بن الرشيد، و سمي هذا الشارع باسمه لان قطيعته كانت في وسطه. و قد قامت عليه قطائع للوزراء و القضاة و الكتاب و لسائر الناس. اذ كانت تقوم في آخره مما يلي الوادي الغربي المسمى بوادي ابراهيم بن رباح، قطيعه قاضي القضاة احمد بن أبي دواد، و قطيعه الوزير الفضل بن مروان، و قطيعه الوزير محمد بن عبد الملك الزييات، و قطيعه ابراهيم بن رباح بن شبيب الجوهري من كبار الكتاب. و يتضح من هذا ان شارع ابي احمد خصص لسكنى الوزراء و الكتاب و القضاة و غيرهم من كبار موظفي الدولة.

و بالاضافه الى الشوارع الثلاثة ماره الذكر كان هناك شارعان آخران يمتدان الى الشرق من شارع ابي احمد و موازيان له، الأول شارع الحير الأول الذي يمتد من الوادي المتصل بوادي اسحاق بن ابراهيم في الجنوب حتى وادي ابراهيم بن رباح في الشمال، و قد قامت فيه قطائع اخلاط الناس، و الثاني هو شارع برغامش القائد التركي و اوله من المطيره عند قطائع الأفشين و يمتد شمالا الى الوادي المتصل بوادي ابراهيم بن رباح. و اقيمت في هذا الشارع قطائع للاتراك و الفراغنه، و لكل منهما دروبه المنفرده لا- يخالطهم فيها احد من الناس. فالالاتراك في الدروب التي في القبلة، و الفراغنه بازائهم في الدروب التي في ظهر القبلة. و قد سمح للفراغنه بمجاوره الاتراك لقربهم منهم في بلادهم (١).



**عزل مساكن الأتراك:**

لقد افردت قطائع الأتراك عن قطائع الناس جميعا بحيث جعلوا منغزلين عن غيرهم، و لا يختلطون باحد و لا يجاورهم احد سوى الفراغنه. فقد اقطع المعتصم بالله اشناس الموضع المعروف بالكرخ، و يقال له كرخ سامرا تميزا عن كرخ بغداد و هو المحله التى فى الجانب الغربى من بغداد. كما كان يسمى كرخ باجدا، و كرخ جدان ايضا(١)، و هو على بعد عشره اميال شمالى سامرا(٢). و ضم اليه عددا من قواد الأتراك و رجالهم و امره ان لا يسمح لقريب بمجاورتهم، كما انزل بعضهم فى الدور المعروف بدور العربانى(٣).

و اقطع الأفشين حيدر بن كاوس الاشروسنى فى المطيره فى آخر البناء مشرقا، و ضم اليه اصحابه من الاشروسنيه و غيرهم من الأتراك، و امره ان يبنى هناك سويقه فيها حوانيت للتجار مما لا بد منه، و مساجد و حمامات. كما اقطع الحسن بن سهل بين آخر الاسواق و المطيره. و لم يكن فى ذلك الموضع يومئذ شىء من العمارات، الا ان المنطقه ما لبثت ان عمرت و امتد بناء الناس فيها من كل ناحيه حتى اتصل البناء بالمطيره. و اقطع خاقان غرطوج و اصحابه مما يلى قصر الجوسق الخاقانى و امر ان يضم اصحابه اليه. و أقطع وصيفا و اصحابه مما يلى الحير.

و لكى يؤمن المعتصم بالله عزله الجند الاتراك عن غيرهم اشترى لهم الجوارى و زوجهم بهن، و منعهم من ان يتزوجوا من احد من المولدين، الى ان ينشأ لهم الولد فيتزوج بعضهم من بعض. و اجرى

١- المشترك وضعاً / ٣٦٨ - ٣٦٩.

٢- بلدان الخلافة الشقيه / ٧٤.

٣- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

لجوارى الاتراك ارزاقا قائمه، و اثبت اسماءهن فى الدواوين، و لم يكن احد منهم يستطيع ان يطلق امرأته.

### انتقال المعتصم بالله الى سامرا:

ليس هناك تاريخ معين لانتقال المعتصم بالله الى عاصمته الجديده سامرا سوى ما ذكره اليعقوبى بقوله «و انتقل الوجوه و الجله و القواد و اهل النباهه من سائر الناس مع المعتصم الى سر من رأى فى سنه ثلاث و عشرين و مائتين»<sup>(١)</sup>. الا ان اتفاق المصادر الرئيسه على تاريخ بدايه بناء المدينه فى سنه (٢٢١ هـ) كما أشرنا، و قياسا على سرعه بناء مدينه المعتصم على القاطول، مما ذكرناه فى فصل آخر، يمكن القول ان الانتقال تم فى خلال سنه (٢٢٢ هـ). و مما يؤيد هذا ان اقدم خبر ذكرت فيه سامرا كحاضره للخلافه هو قدوم الأفشين ببابك الخرمى و اخيه على المعتصم بالله بسامرا ليله الخميس لثلاث خلون من صفر سنه (٢٢٣ هـ)<sup>(٢)</sup>.

و ذلك يعنى ان الخليفه قد استقر فى عاصمته الجديده خلال الأشهر القليله التى سبقت هذا التاريخ، اى فى بحر السنه (٢٢٢ هـ).

و يقول اليعقوبى ايضا: «و اتسع الناس فى البناء بسر من رأى اكثر من اتساعهم ببغداد، و بنوا المنازل الواسعه. و بلغت غله و مستغلات سر من رأى و اسواقها عشره الاف الف درهم»<sup>(٣)</sup>.

و يقول المسعودى: «و تسامع الناس ان دار ملك قد اتخذت؟؟؟ و اجهزوا اليها من انواع الامتعه و سائر ما ينتفع به

١- كتاب البلدان / ٢٥٤.

٢- الطبرى ٩ / ٥٢، و مروج الذهب ٤ / ٥٦، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٤ و لعيون و الحدائق ٣ / ٣٨٨.

٣- كتاب البلدان / ٢٦٣.

الناس»(١). و يقول ياقوت الحموى: «فعمر الناس حول قصره حتى صارت اعظم بلاد الله»(٢).

ان انتقال عاصمه الدوله بدواوينها الى المدينه الجديده، مع الخليفه و رجاله و حاشيته، و نقل الجيش بعدده و عدته اليها، استلزم انتقال جميع الموظفين و من يتعلق بهم كذلك. و كما أقدم الخليفه نفسه اول الأمر الى سامرا كثيرا من اصحاب الاعمال و الحرف و التجارات و غيرهم ممن كانت الحاجه ماسه اليهم فى أثناء بناء المدينه، فقد اخذ آخرون من اصحاب هذه الأصناف يفتدون اليها للعمل فيها لسد حاجه السكان المتزايدين. و لا يخفى ان قرب سامرا مما يؤتى به من الميره و المؤن من الموصل و بربايا و سائر ديار ربيعه فى السفن فى دجله ساعد على تموين المدينه و باسعار مناسبه مما يسر العيش فيها. فتقاطر الناس على اختلاف طبقاتهم اليها بعيالهم و اهليهم مستفيدين من اقطاعهم الاراضى لبناء المنازل و من توفر الأسواق و فرص العمل.

### توسع العمران فى الجانب الغربى:

لما فرغ المعتصم بالله من البناء فى الجانب الشرقى من سر من رأى وفق التخطيط الذى وضعه المهندسون لها، و تقاطرت افواج الناس من مختلف البلدان للسكن فيها بعد ان استقر بها الخليفه و اصبحت عاصمه الدوله العربيه بدلا من بغداد، اتسعت الابنيه و ازداد عدد السكان فيها. فظهرت الحاجه الى مزيد من المياه سواء للشرب او للزراعه و سقى الجنائن و البساتين. و بالنظر لأن هذا الجانب من النهر ترتفع اراضيه عن مستوى مياه النهر، فقد

١- مروج الذهب ٥٥ / ٤.

٢- معجم البلدان ١٧٥ / ٣.

كانت مياه الشرب تحمل اليهم من دجله على البغال و الابل، لأن الآبار بعيده الرشا لارتفاع الأرض، ثم ان ماءها مالح غير مستساغ، مما تعذر معه انشاء البساتين و المزارع بنطاق واسع يتفق وسعه المدينه و حاجتها. و لهذا اتجهت انظار الخليفه الى الضفه المقابله (الغريبه) من نهر دجله. فهى ارض منخفضه يسهل حمل الماء اليها و يمكن التوسع فى زراعتها. فعمد الى عقد جسر يوصل بين الجانبين. و قد اقيم هذا الجسر فى مركز المدينه تقريبا امام القصر الهارونى الذى بناه هارون بن المعتصم بالله فيما بعد. و يظهر انه كان من الجسور ذوات العقود، اى كان ثابتا مبنيا بالحجاره.

لقد شجع ذلك بعض الناس على الانتقال الى الجانب الغربى من نهر دجله و العمل هناك. فحفروا الجداول السحيه و شقوا الترع و انشأوا عليها المزارع و البساتين، فقامت فيها القرى العديده. و كانت هذه الجداول تتفرع من نهر الاسحاقى الذى امر المعتصم بالله بحفره لأرواء الأراضى الواقعه على هذا الجانب من النهر ارواء سيحيا. و نهر الاسحاقى هذا يستمد مياهه من دجله فى موضع يقع جنوبى تكريت بقليل، فيجرى امام سامرا من الغرب بموازاه نهر دجله. و هو نهر قديم كان يمتد حتى منخفض عفرقوف فى غربى بغداد، حفره قدامى العراقيين، الا انه كان قد اهمل فأندرس. فأمر المعتصم بالله صاحب شرطته اسحاق بن ابراهيم بان يتولى الأشراف على احياء القسم الاعلى منه الممتد بين تكريت و جنوبى سامرا، و لذا عرف بالاسحاقى.

و قد قسم نهر الاسحاقى الى فرعين شمالى معسكر الاصطبلات، الشطر الغربى و يسير جنوبا وسط الاراضى التى بين دجله و الفرات الى مسافه تقرب من (٤٠) كيلومترا ثم تضيع معاله فى رمال الصحراء. و الشطر الشرقى و يسير بموازاه السور الخارجى الغربى

لعسكر الاصطبلات، و بعد ان يسير مسافه (٣٠) كيلومترا تقريبا نحو الجنوب الشرقى يصب فى مجرى نهر الدجيل القديم(١).

فصار نهر الاسحاقى بما يحمله من مياه و فيره محور العمران فى الجانب الغربى من مدينه سامرا.

يقول اليعقوبى فى وصف التوسع الذى احده هذا النهر:

«فانشأ هناك العمارات و البساتين و الأجنه، و حفر الانهار من دجله و صير الى كل قائد عماره ناحيه من النواحي. و حمل النخل من بغداد و البصره و سائر السواد، و حملت الغروس من الجزيره و الشام و الجبل و الرى و خراسان و سائر البلدان. فكثرت المياه فى هذه العماره فى الجانب الغربى(٢) بسر من رأى. و صلح النخل، و ثبتت الاشجار، و زكت الثمار، و حسنت الفواكه، و حسن الريحان و البقل. و زرع الناس اصناف الزرع و الرياحين و البقول و الرطاب، و كانت الأرض مستريحه الوف سنين. فزكا كل ما غرس فيها و زرع بها حتى بلغت غله العمارات بالنهر المعروف بالاسحاقى و ما عليه و الايتاخى و العمرى و العبد الملكى و داليه ابن حماد و المسرورى و سيق و العربات المحدثه و هى خمس قري، و القرى السفلى و هى سبع قري، و الأجنه و البساتين، و خراج الزراعه اربعمائه الف دينار فى السنه. و بنى المعتصم العمارات قصورا و صير فى كل بستان قصرا فيه مجالس و برك و ميادين، فحسنت العمارات، و رغب و جوه الناس فى ان يكون لهم بها ادنى ارض و تنافسوا فى ذلك و بلغ الجريب من الأرض مالا كبيرا(٣).

لقد انتهج المعتصم بالله فى انجاز عمران عاصمته الجديده خطه تقوم على توزيع الأعمال على كبار قواده و رجاله، ليختص كل

١- لمزيد من التفصيلات عن نهر الاسحاقى، راجع: رى سامراء ١/ ٧٩-٨٣.

٢- فى الأصل: الشرقى.

٣- كتاب البلدان / ٢٦٣-٢٦٤.

منهم بجزء من عمران المدينة و يستعين على انجازه باصحابه و اعوانه. و لا يستبعد ان القواد منهم استخدموا الجند فى انجاز ما كلفوا به. فكلف بعض كبار اصحابه ببناء القصور، فصير الى خاقان غرطوج بناء الجوسق الخاقانى، و امر عمر بن فرج بان يتولى بناء القصر المعروف بالعمري، و كلف ابا الوزير احمد بن خالد ببناء القصر الوزيري. و كذلك فعل فى تشييد القطاعات السكنيه و المساجد و الاسواق. و قد اشرنا الى توزيعه القطاعات على كبار القواد و طلبه اليهم ان ينجزوها وفق التخطيط الموضوع لها، سواء لدور السكن او للمرافق العامه كالمساجد و الساحات و الأسواق.

و قد عمل جهده فى تهيئه العمال و الصناع الحرفيين، و مواد البناء، و الأموال اللازمه لتكاليف المواد و اجور العاملين. و كان لهذا التوزيع فى العمل نتائج باهره فى اسراع القواد بانجاز ما كلفوا به و تنافسهم فى ذلك، و فى نوعيه العمل المنجز.

و لأهتمام المعتصم بالله بانجاز تأسيس المدينة باسرع ما يمكن ليتخلص من مشاكل جنده مع اهل بغداد، و ليتفرغ لشؤون الدوله الكثيره الاخرى، و بذله الاموال اللازمه لذلك، فلا نستبعد انه قد جعل من نفسه مشرفا عاما على ذلك، يقوم بين آونه و اخرى بالتجول فى الشوارع الرئيسه ليراقب سير العمل، و يجيز العمال و المهندسين الماهرين المتفوقين باعمالهم، تشجيعا لهم و لغيرهم للاسراع بانجاز ما كلفوا به على احسن وجه، مما أثار روح المنافسه فى العاملين و دفعهم الى مزيد من الجهد و اتقان العمل.

حتى تم انجاز بناء تلك القصور و القطاعات و المساجد و الاسواق، و فتح الشوارع الرئيسه و الفرعيه بالسرعه المطلوبه. علما انه كان قد كلف وزيره محمد بن عبد الملك الزيات بالاشراف على جميع، ما بنى بسامرا فى جانبيها الشرقى و الغربى(١).

## ٥- اسم المدينة:

إذا تصفحنا كتب البلدانين العرب، و أمهات الكتب التي تعتبر مصادر التاريخ العربي، نجد ان الاسم الغالب الذي يطلقونه على العاصمة الثانيه للخلفاء العباسيين التي اسسها ثامنهم المعتصم بالله ابن هارون الرشيد، هو (سر من رأى). كما ان بعضهم يطلق عليها اسم (سامرا). فان ابا جعفر محمد بن موسى الخوارزمي المتوفى سنة (٢٣٢ هـ) ذكرها باسم (سر من رأى) في موضعين من كتابه(١).

و يعتبر اقدم من ذكر المدينة من البلدانين بهذا الاسم و كان قد عاصر تأسيسها. و كذلك اطلق عليها هذا الاسم ابن خرداذبه ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله المتوفى سنة (٢٨٠ هـ) في كتابه المسالك و الممالك حينما وردت في تضاعيفه.

و ان احمد بن اسحاق اليعقوبى المتوفى سنة (٢٩٢ هـ) الذي يعتبر ما ورد عن سامرا في كتابه (كتاب البلدان) اوفى ما وصلنا من النصوص القديمه عنها، من حيث اسباب اختيار موقعها، و خططها، و جهود المعتصم بالله في بنائها، و توسعها في عهد ابنه الواثق بالله و المتوكل على الله، يستعمل نفس الأسم (سر من رأى) في كتابه المذكور، و في كتابه الآخر (تاريخ اليعقوبى)(٢).

اما ابو اسحاق الاصطخرى ابراهيم بن محمد المتوفى سنة (٣٤٦ هـ) فيسميها (سر من رأى) ايضا في النبذه المختصره التي ذكرها عنها في كتابه(٣). و فعل مثله ابو القاسم محمد بن حوقل النصيبى في كتابه عند ذكره نبذه عنها في اثناء كلامه عن مدن

١- كتاب صورہ الارض / ٢١ و ١٢٩.

٢- كتاب البلدان / ٢٥٥-٢٦٨، و تاريخ اليعقوبى ٢- ٤٧٤-٥١١.

٣- كتاب الاقاليم / ٤٨.

العراق (١). و كذلك فعل الشابشتى ابو الحسن على بن محمد المتوفى سنة (٣٨٨ هـ) فانه يقتصر على استعمال اسم (سر من رأى) حيثما وردت في كتابه (٢).

على ان المقدسى البشارى محمد بن احمد المتوفى سنة (٣٨٠ هـ) ذكرها في كتابه باسم (سامرا) عند كلامه عن اقليم العراق. الا انه يشير الى انها عند ما زاد فيها المتوكل و صارت عجيبة حسنه سميت (سرور من رأى) ثم اختصرت فقييل (سر من رأى) و لما خربت سميت (ساء من رأى) ثم اختصرت فقييل (سامرا) (٣). مما يوحي ان اسم سامرا اطلق عليها بعد ان اهملت و خربت، و هو قول يخالف الواقع. و قد ذكرها الهمداني احمد بن محمد المتوفى سنة (٣٦٥ هـ) باسم (سر من رأى) في كتابه (٤).

اما المؤرخون فأن اقدمهم ابن قتيبة عبد الله بن مسلم المتوفى سنة (٢٧٦ هـ) يطلق عليها اسم (سر من رأى) عند ما يتكلم عن المعتصم و خروجه الى بنائها في كتابه (المعارف) (٥). بينما يستعمل الطبرى محمد بن جرير المتوفى سنة (٣١٠ هـ) اسم (سامرا) حيثما ورد ذكرها في الجزءين التاسع و العاشر من كتابه (الرسل و الملوك).

و يسميها البلاذرى احمد بن يحيى المتوفى سنة (٢٧٩ هـ) اى فى سنة الانتقال منها و العوده الى مدينه السلام، و قد عاصرها منذ تأسيسها (سر من رأى) (٦)، ايضا.

و قد استعمل المسعودى على بن الحسين المتوفى سنة (٣٤٦ هـ) الاسمين للمدينه فى مؤلفيه: التنبيه و الاشراف، و مروج الذهب.

١- صوره الارض لابن حوقل / ٢١٨.

٢- الديارات / ٣٨ و ٧٩ و ١٠٥ و ١٤٩ و ١٩٠.

٣- احسن التقاسيم / ١٢٢-١٢٣.

٤- مختصر كتاب البلدان / ١٨ و ١٢٥ و ٢٥٣.

٥- المعارف / ٣٩٢.

٦- فتوح البلدان / ٢٩٥.



فانه ينهج في الكتاب الأول نهج البلدانيين و يطلق عليها اسم (سر من رأى) عند ما يذكر ابتداء المعتصم بالله بينائها و يقول انه هو سماها به (١). غير انه في كتابه الثانى يستعمل اسم (سامرا) عند اشارته الى الموضوع الذى اختاره المعتصم بالله للبناء فيه و يفسر معناه و الأصل الذى اشتق منه، ثم يستمر باستخدام هذه التسمية كلما ورد ذكره للمدينه فى الكتاب عدا بعض المناسبات فقد استخدم الأسم الأول (٢).

الا ان طاهر بن مطهر المقدسى المتوفى سنه (٣٥٥ هـ) يقتصر على استخدام اسم (سر من رأى) فى كتابه (٣). و يقتصر ابن الأثير على بن محمد المتوفى سنه (٦٣٠ هـ) على استعمال (سامرا) فى الجزءين السادس و السابع من كتابه الكامل فى التاريخ، و احسبه قد اقتدى بالطبرى فى ذلك. و يلاحظ ان صاحب الفهرست ابن النديم محمد بن اسحاق المتوفى سنه (٤٣٨ هـ) يذكرها فى عدد من المواضع فى كتابه باسم (سر من رأى) (٤). و يرى ابن دحيه الكلبي عمر بن ابي على المتوفى سنه (٦٣٣ هـ) انها سميت (سر من رأى) لأن المعتصم لما انتقل اليها بجملته و عسكره سر كل منهم برؤيتها فقبل فيها (سر من رأى) و لزمها هذا الاسم، و قد غيرته العامه فقالوا (سامرا) (٥). و هذا يتفق و ما يراه ياقوت الحموى الذى يقول ان اسمها (سر من رأى) فخففها الناس و قالوا سامرا (٦).

و ينقل عن الزجاجى قوله: «كان اسمها قديما ساميرا سميت بسامير بن نوح كان ينزلها لأن اباه اقطعه اياها فلما استحدثها

١- التنبيه و الاشراف / ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٩.

٢- مروج الذهب ٤ / ٤٦ و ٥٦ و ١١٤.

٣- البدء و التاريخ ٣ / ١١٤ و ١٢٢.

٤- الفهرست / ٢٣٦ و ٢٧٧.

٥- النبراس / ٦٥.

٦- معجم البلدان ٣ / ١٧٣.

المعتصم سماها سر من رأى (١). على انه نفسه يذكرها باسم آخر هو (سراء) و يقول انه اسم من اسماء سر من رأى مدينه المعتصم (٢).

و يرد الحريري ابو محمد على بن القاسم المتوفى سنه (٥١٦هـ) على من يسميها سامرا، و يرى ان الصواب هو ان تسمى سر من رأى، على ما نطق بها فى الأصل، لأن المسمى بالجمله يحكى على صيفته الاصليه، و ان المعتصم حين شرع فى انشائها نقل ذلك على عسكره، فلما انتقل بهم اليها سر كل منهم برؤيتها فقل سر من رأى و لزمها هذا الاسم، و هو يرى ان تغيير الشعراء الاسم المذكور انما هو لاقامه الوزن و تصحيح النظم (٣).

من هذا يتضح ان الاسم الغالب على المدينه فى مؤلفات القدامى من البلدانيين و المؤرخين هو سر من رأى. و يرجح ان تغلب هذا الاسم يعود الى ان المعتصم بالله هو الذى سماها به (٤). و من ثم اصبح الاسم الرسمى لها. و قد سماها بعضهم سامرا. على ان هناك اسماء اخرى اطلقت على المدينه فى ثنايا كثير من كتب الأدب و بخاصه فى الشعر. و قد لخص ياقوت تلك الاسماء، فقال «سامراء» لغه فى سر من رأى. و فيها لغات سامراء ممدود، و سامرا مقصور، و سر من راء، و سراء مهموز الآخر، و سر من راء مقصور الآخر (٥) و استشهد على ذلك بأبيات من الشعر.

١- نفس المصدر / ٢١٥.

٢- المشترك وضعاً / ٢٤٣.

٣- دره الغواص / ١٨٠ - ١٨١.

٤- فتوح البلدان / ٢٩٥، و التنبيه و الاشراف / ٣٠٩، و معجم البلدان، ٣ / ٢١٥.

٥- معجم البلدان ٣ / ١٧٣.

اما سبب تسميتها فيروى ياقوت ثلاثة اقوال فى ذلك. الأول انها كانت مدينه عتيقه تحمل اليها الاتاوه التى كانت موظفه للفرس على الروم، و قد استدل على ذلك من اسم المدينه، لأن (سا) اسم الاتاوه و (مره) اسم العدد، و المعنى انه مكان لقبض الجزيه. و القول الثانى ان سام بن نوح كان يصيف بالقريه التى ابتناها ابوه عند خروجه من السفينه ببازيدى و سماها ثمانون، و يشترط بأرض جوخى، و كان ممره من ارض جوخى الى بازيدى على شاطىء دجله من الجانب الشرقى، فسمى ذلك المكان (سام راه) يعنى طريق سام. و القول الثالث انها مدينه بناها سام بن نوح، او انها بنيت له فنسبت اليه و قيل سام راه(١).

ان القول صاحبه فارسى يحاول ان يربط كل حدث او موضع باكاسره الفرس، و هو قول واضح البطلان، لأن الادعاء بان الروم كانوا يدفعون اتاوه للفرس امر مشكوك فيه، و حتى اذا ما كان ذلك قد وقع فعلا فان الموضع المذكور لا يصلح ان يكون مكان اتصال بين الدولتين المذكورتين، لأنه لا يقع على الحدود الفاصله بينهما.

و يبدو ان صاحب القول اراد ان يستنتج تاريخ المدينه من تحليل اسمها المركب ففسره بما ذهب اليه هواه، ففاته الصواب لأنه تفسير عقيم(٢). و اما القولان الثانى و الثالث فانهما الى الاساطير اقرب لأنهما ينقصهما السند التاريخى، و هما كالقول الأول محاوله لاستنتاج سبب تسميه المدينه من تحليل اسمها، و لو كان ذلك من باب الظن و الوهم.

و هناك من يرجح ان اسم موضع سامرا مشتق من اسم مستوطن قديم عرفه الآشوريون و البابليون باسم (سومورم؟؟؟)

او باسم (سورمارتا-Su-ur-mar-ta) و كان موضعا مهما فى

١- نفس المصدر/ ١٧٣-١٧٤.

٢- موسوعه العتبات المقدسه- قسم سامراء ١/ ١٣.

العهد الذى سبق الفتح العربى، و قد التقى فيه الجيش الساسانى بالجيش الرومانى بعد مقتل الانبراطور جوليان فى عام ٣٦٣ م و تراجع الجيش الرومانى، و قد دون اخبار هذه المعركة المؤرخ اميانوس مرسيلينوس الذى رافق الحمله و ذكر هذا الموضع باسم (سوميره)، و كان الجيش الرومانى قد عبر عند تراجعه نهر دجله فى مكان ورد اسمه بصيغه (دورا) و هو موضع امام الدور الآن<sup>(١)</sup>.

و يقول انستاس الكرملى «اما اسم المدينه فليس من وضع المعتصم نفسه بل هو قديم فى التاريخ فقد ذكره المؤرخ الرومانى اميانوس مرسيلينوس الشهير الذى ولد فى سنه ٣٢٠ م و توفى سنه ٣٩٠ م بصوره (سومرا-Sumera)، و نوه به زوسيمس المؤرخ اليونانى من ابناء المائه الخامسه للمسيح صاحب التاريخ الرومانى بصوره (سوما-Souma) أهل التقد من ابناء هذا العصر انه سقط من آخر الاسم حرفان و الأصل (سومرا-Soumara) و ورد فى مصنفات السريان (شومرا) بالشين المنقوطه .. اما الكلمه فليست بعربيه صرفه و ان ذهب الى هذا رأى كثير من المؤرخين و الكتبه و اللغويين و ذلك لعتقها كما اوضحنا. و هى عندنا من اصل سامى قديم و يختلف معناها باختلاف تقدير اللفظه للصحفه عنه، فاذا قلنا ان اصلها (شامريا) فمعناها الله يحرس المدينه، او بعباره اخرى (المحروسه) و ان قدرنا اصلها (شامورا) باماله الالف الاخير فمعناها الحرس، اى منزل الحرس او موطن الحفظه بتقدير حذف المضاف و ابقاء المضاف اليه، و هو كثير الورد فى جميع اللغات الساميه. و عليه يعتبر قولهم ان (سامرا) تخفيف (سر من رأى) او (ساء من رأى) من قبيل الوضع<sup>(٢)</sup>.

١- المرشد الى مواطن الآثار و الحضاره / ١١- ١٢.

٢- مجله لغه العرب العدد (٦) من السنه الثالثه / ٧٢١- ٧٢٢.

و للمرحوم الدكتور مصطفى جواد رأى قريب من هذا فى تخريج اسم سامرا، فيقول: «سامرا اسم ارامى و هو فى اصله مقصور كسائر الاسماء الآرامية بالعراق، مثل: كربلا و عكبرا، و حرورا، و باعقوبا ..) و قد مد العرب كثيرا من هذه الاسماء الآرامية المقصوره فى استعمالهم اياها، و خصوصا ذكرها فى الشعر الحاقا لها بالاسماء العربيه او توهما منهم انها عربيه تجمع بين المد و القصر ... و اذ كانت الآرامية فرعا من فروع اللغه الساميه الأم، و كان الغالب على سينها ان تبدل شينا فى العربيه جاز ان يكون بين ماده (شمر) العربيه و (سامرا) الآرامية صله لفظيه و صله معنويه. قال الأصمعى: «التشمير: الارسال من قولهم شمّرت السفينه ارسلتها و شمّرت السهم ارسلته» و قال ابن سيده:

«شمّرت الشىء ارسله، و خص ابن الاعرابى به السفينه و السهم».

فغير بعيد ان كانت (سامرا) عند الآراميين فرضه كبيره لارسال السفن فى دجله او دار صناعه لها، و لدجله عندها خليج لا يزال على حاله القديمه يتبطح فيه الماء عند الزياده»<sup>(١)</sup>.

يتبين من مختلف التوضيحات التى قدمت عن اصل تسميه موضع سامرا بهذا الاسم ان ذلك الأصل قديم يرجع عهده الى ايام الآشوريين و البابليين، و من الطبيعى ان يتعرض اللفظ للتحوير و التعديل بمرور الزمن و فى مختلف اللغات، حتى استقر عند بناء المدينه فى عهد المعتصم بالله الى سر من رأى و سامرا.

## ٦- اطلال سامرا:

تقع مدينه سامراء الحاليه على الضفة الشرقيه لنهر دجله شمالى بغداد بمسافه (١٣٠) كيلومترا. و قد بنيت على قسم من من اطلال سامرا التى اسسها المعتصم بالله و اتخذها عاصمه له فى

١- موسوعه العتبات المقدسه- قسم سامراء ١/ ٧- ٨.

اواخر سنه (٢٢٢ هـ). وهذه الاطلال تحيط بالمدينه الحاليه من جميع جهاتها، و تمتد على طول نهر دجله ابتداء من صدر نهر الرصاصى شمالا حتى فم نهر القائم جنوبا. و يبلغ طولها نحوا من اربعة و ثلاثين كيلومترا، تقع ثمانيه منها جنوبى المدينه الحاليه و تقع البقيه شماليها. و يظهر هذا الامتداد الهائل لاطلال المدينه القديمه مدى سعتها و امتداد عمرانها عند ما كانت «المدينه الثانيه من مدن خلفاء بنى هاشم» و عاصمه الدوله العريبه. و قد اصاب القزوينى عند ما و صفها بانها «اعظم بلاد الله بناء و اهلا .. و لم يكن فى الأرض احسن و لا اجمل و لا اوسع ملكا منها»<sup>(١)</sup>. الا ان تلك المدينه الواسعه المزدهره التى قامت خلال فتره قصيره، اسرع اليها الخراب بعد ان هجرت، و لم يبق من آثارها شاخصا اليوم.

اى بعد ما يزيد على احد عشر قرنا، سوى القليل من بقايا المباني التى لا تزال قائمه تتحدى الزمن.

و يتوزع القسم المهم من الأطلال المذكوره شمالى المدينه الحاليه و جنوبيها. حيث تقوم فى الشمال الملويه و بقايا المسجد الجامع الكبير و دار الخليفه و باب العامه و جامع ابى دلف. و تقوم فى الجنوب بقايا قصر بلكوارا و اطلال المدينه التى بناها المعتصم بالله على القاطول.

و لما كانت سامرا قد توسعت ايام ازدهارها الى الجبهه الغربيه من نهر دجله فان المنطقه الممتده بين نهر دجله و نهر الاسحاقى كانت بمثابة حدائق المدينه الكبيره، و قد عمرت بالبساتين و الجنائن و القصور، و لكن لم يبق شاخصا من مبانيها سوى بقايا قصر المعشوق و قبه الصليبيه و قصر الجص.

و يضاف الى الاطلال المشار اليها من بقايا مدينه سامرا القديمه ملحقان مهمان من جهتها الجنوبيه هما بقايا القادسيه الواقعه بين

نهر دجله و نهر القائم، و بقايا الاصطبلات المقابله للقادسيه فى الجانب الغربى من المدينه.

أما بقيه الاطلال فهى أسوار و آكام ترايبه مبعثره فى جميع الجوانب، و أهم الاسوار التى لا تزال ماثله سور عيسى و سور اشناس و سور القصر الجعفرى.

و تتكون الآكام بصوره عامه من بقايا أسوار الدور و القصور و زوايا غرفها و قاعاتها. و تتسلسل الآكام الاسوار على خطوط مستقيمه تدل على استقامه شوارع المدينه القديمه، كما تتوزع بقايا زوايا الدور و القصور فى كثير من المحلات حول ساحات صغيره و كبيره تظهر الشىء الكثير من مخططات المباني المختفيه تحتها.

و تظهر آثار الشوارع القديمه الفسيحه بصوره خاصه فى جوار قصر بلكوارا فى الجنوب، و بعد سور اشناس فى الشمال، اذ يظهر جليا ما كان يسمى بالشارع الاعظم الذى يبقى اتجاهه مستقيما الى مسافه سبعة كيلومترات، و تظهر على جانبيه سلسله منتظمه من الشوارع الفرعيه التى يبلغ عرض بعضها خمسين مترا. كما تظهر فى الآكام المتراكمه على جانبى الشارع الأعظم مخططات الدور و الاسواق التى يستطيع المشاهد ان يتبين حدودها و تقسيماتها الاساسيه. كما تظهر فى أقصى الشمال بعض بقايا مدينه المتوكليه التى اسسها المتوكل على الله فى أواخر ايامه.

ان الصور الجويه التى اخذت لأطلال سامرا تظهر اتجاهات الشوارع و تقسيمات الدور و القصور بوضوح تام، يدل على براعه هندسيه فائقه فى تخطيط المدينه من حيث سعه شوارعها و استقامتها، و توزيع الأبنيه العامه و المساجد و الأسواق و دور السكن، و تنسيقها لمدينه كامله مع ما تحتاجه من ساحات و ملاعب و متنزهات(١).

١- راجع عن اطلال سامرا: الاثار القديمه العامه - سامراء / ٩ - ١٠.

و قد بدأ الاهتمام باطلال سامرا منذ اواسط القرن التاسع عشر. غير ان التنقيب فيها لم يبدأ الا بعد انتهاء العقد الأول من القرن العشرين. فقد قام المهندس هنرى فيوله-**henry Viollet** لاول مره ببعض التنقيبات الاستكشافيه فى دار الخليفه خلال صيف سنه ١٩١٠ م. ثم اعقبه فى السنه التاليه الآثرى الالمانى هرزفيلد-**herzfeld** على رأس بعثه علميه، فقام بتنقيبات واسعه استمرت حتى نشوب الحرب العالميه الاولى. و شملت هذه التنقيبات دار الخليفه و قصر بلكوارا و المسجد الجامع و تل العليق، مع نحو خمس عشره دارا من دور السكن الخاصه، بالقرب من المدينه الحاليه. و كانت الآثار التى عثرت عليها بعثه هرزفيلد خلال هذه التنقيبات قد وضعت فى صناديق بقيت فى سامراء خلال الحرب المذكوره، و لما ابتليت البلاد بالاحتلال الانكليزى نقلت تلك الصناديق الى انكلترا. و قد نشر قسم من النتائج العلميه التى حصلت من هذه التنقيبات، و لذلك فان النتائج التى توصل اليها هرزفيلد فى هذا الحقل لم يعرف عنها الا الشئ القليل (١).

و اوفدت مديره الآثار القديمه العامه منذ سنه ١٩٣٦ م عدّه بعثات آثاريه لاجراء مزيد من الحفريات و التنقيب فى اطلال سامراء. و كانت حصيلتها معلومات غزيره عن معالم المدينه ايام كانت عاصمه مزدهره. و قد نشرت فى سنه ١٩٤٠ نتائج التنقيبات التى قامت بها البعثات المذكوره فى كتاب «حفريات سامراء ١٩٣٦-١٩٣٩» بجزءين. يقع الجزء الأول فى (٥٠) صحيفه عدا الفهارس و الالواح المرفقه به، و يتناول وصفا دقيقا لما كشفت عنه التنقيبات التى اجرتها مديره الآثار القديمه العامه فى خلال مواسم السنوات المذكوره. و قد اوصلت هذه التنقيبات الى معرفه مخططات قصر كامل هو قصر الجص فى الموقع المعروف باسم الحويصلات، و ثلاث دور



سكنيه كامله، و مخططات القسم الأكبر من غرف ثمانى دور اخرى.

و يقع الجزء الثانى فى (١٦) صحيفه عدا الفهرست و الالواح المرفقه به. و فيه بحث مفصل عن الآثار المنقوله التى عثر عليها فى اثناء التنقيب فى اطلال سامرا خلال المده المشار اليها آنفا، و قد تضمن اوصافها و الوانها و مميزاتها الاخرى.

كما اصدرت المديرية المذكوره فى سنه ١٩٤٠ كتابا آخر بعنوان «سامراء» تضمن بحوثا عن مدينه سامرا الحاليه، و عن اطلال المدينه القديمه، مع مجمل لتاريخها و خلاصه و افيه عما توصل اليه الآثاريون عن اهم الآثار التى لا تزال بقاياها شاخصه حتى اليوم كالمسجد الجامع و الملويه و دار الخليفه و باب العامه و السرايب الملحقه بدار الخليفه، و ساحه اللعب و حلبه السباق و ساحه الفروسية و تل العليق، و جامع ابى دلف، و قصر بلكووارا، و القصر الهارونى، و قصر المعشوق، و قبه الصليبيه، و سور القادسيه، و الاصطبلات، و المقبره القبتاريخيه.

ان اطلال مدينه سامرا تتميز بميزه مهمه من الوجهه الآثاريه.

لأنها رغم اتساعها الهائل، تعود الى عهد معين محدود لم يسبقه دور بناء اقدم منه، كما انه لم يتبعه دور بناء احدث منه. اذ ان جميع الاطلال الممتده من النهر الرصاصى شمالا حتى صدر نهر القائم جنوبا، على طول لا يقل عن اربعة و ثلاثين كيلومترا، هى بقايا مدينه سامرا التى شيدت و اتسعت بسرعه خارقه، ثم هجرت بغيته فاندست بسرعه هائله ايضا، اذ لم تعش غير حقبه قصيره تزيد قليلا عن نصف قرن، تعود الى دور محدد معين. و هو مما يندر مصادفته فى تاريخ الآثريات.



## الفصل الثانى منشآت المعتصم بالله فى سامرا

### اشاره

سنستعرض فيما يلى اهم منشآت المعتصم بالله فى مدينه سامرا، مما لا يزال قسم من اطلالها ماثلا حتى اليوم، او ورد ذكر عنها فى مصادر التراث العربى.

### ١- دار الخليفه (دار العامه):

### اشاره

كانت دار الخليفه اهم و افخم القصور التى بنيت حين تأسيس سامرا على عهد مؤسسها الخليفه المعتصم بالله. و يمكن اعتبارها اول بنايه انشئت فيها. و هى تقع على شارع السريجه او الشارع الأعظم. و دار الخليفه هى دار العامه التى يجلس فيها ايام الأثنين و الخميس. و قد بنيت فى موضع المدير الذى ابتاعه المعتصم بالله قبل شروعه فى انشاء سامرا(١). و يبلغ طول واجهتها من جهه النهر (٧٠٠) م، اما المسافه بين بابها و منتهى بناياتها الخلفيه فلا تقل عن (٨٠٠) م، و ذلك بصرف النظر عن الحديقته الفسيحه التى كانت تمتد امامها حتى شاطئ النهر على طول (٦٠٠) م. «و كانت دار الخلافه و ما يتصل بها كأنها لكبرها مدينه قائمه بذاتها»(٢).

١- كتاب البلدان / ٢٥٥.

٢- الحضاره الاسلاميه ٢ / ١٧٦.

و قد لاحظ اطلال هذا القصر العظيم المهندس المعماري الفرنسي فيوله-Viollet في سنة ١٩٠٩ م و رسم مخططا تقريبا للمعالم التي رآها حينئذ. كما رسم صورته خياليه للقصر كما تصور حالته الأصليه، و على ضوء المخطط الذي رسمه له.

و مع ان الريازه التي تظهر على هذه الصوره تمعن في الخيال و لم تتقيد بالرياضات المعروفه، فان الصوره تعطى فكره لا بأس بها عن أقسام القصر المختلفه. و جاء العالم الآثاري الالماني هرزفيلد-Herzfeld بعد فيوله و اجرى تنقيبات و حفريات منتظمه في بعض اطلال القصر، كشف خلالها قسميه الوسطى و الجنوبي مع بعض الأقسام المتفرقه، و اظهر قاعه العرش و غرف التشريفات و الحمام و دور الحریم. كما عثر على آثار كثيره و رسوم و زخارف بدعيه و مواد خزفيه ثمينه. الا ان استمرار الناس على اقتلاع الآجر من جدران القصر و اسسه لاستعمالها في بناياتهم لم يبق من الغرف و القاعات التي اكتشفها هرزفيلد شيئا غير الركام و الانقاض الكلسيه. و لم يبق ما يستلفت الزائرين بين اطلال القصر المذكور سوى الأواوين القائمه في مدخل القصر المطل على السهل، و السردابين المحفوران في الجهتين الشرقيه و الشماليه. اما بقيه اقسام القصر فقد اصبحت آكاما لا تظهر اوضاعها العامه الأ من الصور الجويه(١).

### الأواوين القائمه:

ان أواوين القصر التي تكوّن باب العامه من اهم المباني الشاخصه من بقايا القصر. و تتألف الجبهه من ثلاثه اواوين مدببه العقود، الايوان الوسطى كبير و مستطيل الشكل، طوله (٥ ر ١٧) م

و عرضه (٨) م، و جداراه الجانبيان يحملان عقاده مدببه ترتفع ذروتها عن الارض (١٢) م. و واجهته الاماميه مفتوحه بكاملها و مطله على السهل، و ضلعه الخلفيه مسدوده بجدار شاقولى يفتح فيه باب كبير يبلغ عرضه (٨ ر ٣) م و ارتفاعه (٧) م اما الايوانان الجانبيان فهما اقل عرضا و عمقا من الايوان الوسطى. فان عرض واجهه كل منهما (٥ ر ٤) م و لا يتجاوز عمقهما (٤) م. و تكوّن العقاده التى تعلو الجدران الثلاثه نصف قبه. و يوجد فى الجدار الخلفى باب مرتفع تعلوه نافذه، و هو يفضى الى قاعه خلفيه كبيره مدببه العقد، مثل عقد الايوان الوسطى. و فى جانب الايوان الشمالى باب آخر يفضى الى غرفه مربعه متصله بغرف اخرى ظهرت جدرانها الباقية عند رفع الانقاض فى سنه ١٩٣٧. كما يوجد بجانب الايوان الجنوبى سلسله غرف ظهرت جدرانها كذلك عند رفع الانقاض فى السنه المذكوره (١).

كان الباب الذى يقع خلف الايوان الوسطى يؤدى الى سلسله قاعات كبيره توصل الى غرف الخليفه و قاعه العرش. الا ان جدران هذه الغرف و القاعات و الممرات التى بينها قد اندرست تماما. و كان يوجد فوق هذه الاواوين طابق آخر لأن احد جدرانها كان قائما الى علو سته امتاز حتى عهد قريب. و يظهر هذا الجدار فى الصور التى اخذت للاواوين قبل الحرب العالميه الاولى. و كانت الاواوين المذكوره مزدانه بزخارف جصيه شاهد (فيوله) قسما منها فى محلها. و عثر هرزفيلد على بعض منها بين الانقاض خلال تنقيباته. كما عثرت مديره الآثار القديمه على قسم آخر عند ما رفعت الانقاض لتجميل منظر الاواوين و تقويه اسس الجدران.

و قد ظهرت على جدران الغرفه المتصله بالغرفه المربعه التى اشير

اليها آنفا، زخرفه جداريه بديعه نقلت الى دار الآثار العربيه(١).

### باب العامه:

ان الاواوين المبحوث عنها كانت بمثابة مدخل القصر، و كانت تسمى «باب العامه» و الساحة التي امام الأواوين تكون شرفه تطل على السهل. و تلاحظ هناك معالم الدرج العريض الذي يصل القصر بالسهل، و البركه الكبيره التي كانت تبدأ من اسفل الدرج المذكور، و تتصل من منتصف ضلعها الغربيه بساقيه منتظمه تمتد على طول (٤٠٠) م حتى تصل الى شاطئه دجله(٢).

و كانت الساحة الواسعه الممتده امام باب العامه قد اتخذت ميدانا عاما كما تدل الحوادث التي جرت فيها. فقد شهر بها ببابك الخرمي لما قبض عليه و جىء به الى سامرا في اوائل سنه (٢٢٣ هـ) و اراد المعتصم بالله ان يشهر به و يريه للناس، فأمر بحمله على فيل من المطيره، حيث انزله القائد الأفشين في قصره، الى دار العامه «فاستشرفه الناس من المطيره الى باب العامه فأدخل دار العامه الى امير المؤمنين»(٣) فقتل صبوا. كما كان يصلب بها بعض المحكوم عليهم، فعند ما مات الأفشين في الحبس «اخرجه فصلبوه على باب العامه ليراه الناس، ثم طرح بباب العامه مع خشبته»(٤).

و كانت تنصب بها رؤوس بعض القتلى من الثوار و الخارجين على الدوله. فعند ما قتل يحيى بن عمر الطالبى الذى خرج فى الكوفه فى سنه (٢٥٠ هـ) «نصب رأسه بباب العامه بسامرا»(٥) و لما قتل

١- نفس المصدر / ٥٤.

٢- سامرا لمديره الآثار القديمه / ٥٥.

٣- الطبرى ٩ / ٥٢ - ٥٣، و العيون و الحقائق / ٣٨٨.

٤- الطبرى ٩ / ١١٤.

٥- الطبرى ٩ / ٧٧٠.

القائد صالح بن وصيف فى سنه (٢٥٦ هـ) «حمل رأسه على قناه و طيف به ... و نصب بباب العامه ساعه ثم نحى، و فعل به ذلك ثلاثه ايام تتابعا»<sup>(١)</sup>.

كما كانت تضرب اعناق المجرمين، و يجلد بعض المغضوب عليهم بباب العامه. ففى سنه (٢٥٨ هـ) «ضرب عنق قاض لصاحب الزنج كان يقضى له بعبادان، و اعناق اربعة عشر رجلا من الزنج باب العامه بسامرا»<sup>(٢)</sup>. و عند ما أمر القائد صالح بن وصيف بضرب الكاتبين احمد بن اسرائيل و عيسى بن ابراهيم، فى سنه (٢٥٥ هـ) «أخرج احمد بن اسرائيل و ابو نوح عيسى بن ابراهيم الى باب العامه، فقعد صالح بن وصيف فى الدار و وكل بضربهما حماد بن محمد بن حماد بن دنقش»<sup>(٣)</sup>. و لما خالف القائد التركى كنجور فى سنه (٢٥٩ هـ) و كان واليا على الكوفه و قتل، «الزم كاتب له نصرانى مالا، ثم ضرب هذا الكاتب فى شهر ربيع الآخر بباب العامه الف سوط فمات»<sup>(٤)</sup>.

و كان الباب المذكور يتخذ احيانا للتظاهر ضد السلطه.

فعد ما ادعى احد المشعوذين انه ذو القرنين فى سنه (٢٣٥ هـ) «خرج من اصحابه بباب العامه رجلا .. و زعما انه نبى»<sup>(٥)</sup>.

و لما بويح للمستعين بالله فى سنه (٢٤٨ هـ) تظاهر عدد من مؤيدى المعتز بن المتوكل على الله، و شهروا السلاح، تصدى لهم الاشروسنيه من الجند، و نفر على باب العامه عدد من المبيضه و الشاكريه

١- نفس المصدر / ٤٥٤.

٢- الطبرى ٩ / ٤٩٠، و المنتظم ٨ / ٥.

٣- الطبرى ٩ / ٣٩٧.

٤- الطبرى ٩ / ٥٠٢.

٥- الطبرى ١٧٥ / ١٧، و الكامل ٧ / ٥٠.

و كثروا، فشد عليهم المغاربه و الاشروسنيه فشتتوهم و هزموهم(١).

### قاعه العرش:

تتكون قاعه العرش من غرفه كبيره وسطى مربعه الشكل محاطه بأربع قاعات على شكل الحرف T . و يرجح ان الغرفه الكبيره كانت تعلوها قبه. و قد عثر فى اطلال هذه القاعه على بقايا من اطار من رخام جميل و زخارف جصيه. و كانت امثال هذه القاعات التى على شكل الحرف T توجد فى البيوت كذلك كقاعات للاستقبال. و عثر فى هذه القاعات على بقايا زخارف جصيه جميله فى بواطن الاقواس، او مما كان يزين الجدران.

و كانت توجد بين اذرع التقاطع قاعات صغيرى مزينه بافاريز من الواح و بلاطات رخاميه. و هناك غرفه صغيره مزينه جدرانها بزخارف جصيه، و بها محراب، مما يدل على انها اتخذت مسجدا للخليفه(٢).

### جناح الحریم:

ان ما تم التنقيب عنه فى القسم الخاص بالحریم من القصر اظهر انه كانت تمتد على جانبى الجناح الشرقى و الجناح الغربى من هذا القسم غرف عديده متماثله، اعيد بناؤها عدده مرات، معده للسكنى. و كلها مجهزه بالمياه بمواسير كبيره من الرصاص، تتصل بها انابيب بعضها من الزجاج الأزرق و بعضها من الفخار.

كما ان هناك حجرات للاستحمام و الغسيل و دورات للمياه. و فى

١- الطبرى ٩ / ٢٥٧، و الكامل ٧ / ١١٧-١١٨.

٢- Creswell ,E. M. A. P. :٣٦٢



القسم الجنوبي من هذا الجناح مقابل قاعه العرش غرفه مربعه لها اربعة ابواب واسعه، فى وسطها حوض كبير محاط بممشى طول ضلعه (٢١) م، تحيط به اربعة اعمده رخاميه من كل جانب.

و هذا الحوض من الكرانيت المصرى يعود الى عهد الفراعنه. و كانت جدران هذه الغرفه مزينه بصور الاشخاص (١).

### الساحه الكبرى:

و هناك قاعه كبيره اخرى فى القصر، مستطيله يبلغ طولها حوالى (٣٨) م و عرضها (٥ ر ١٠) م، تقع امام القاعده الشرقيه من قاعات العرش، و تفتح بخمسه ابواب على ساحه واسعه مكشوفه، طولها (٣٥٠) م و عرضها (١٨٠) م. و هى محاطه بجدران من الشمال و الجنوب، و يوجد على مسافه كل عشرين مترا تقريبا برج نصف دائرى شيد لاسناد هذه الجدران. و هناك عدده ابواب فى كل من هذين الجدارين تؤدى الى الابنيه المجاوره التى كانت تستخدم كثكنات للجند من حرس القصر، او مخازن للأسلحه و غيرها. و قد زينت بعض اقسام هذه الساحه بحدائق من الازهار، و برك و فوارات مصنوعه من الرخام (٢).

و كانت هذه الساحه الواسعه مقسمه بقناه الى قسمين: القسم الغربى و هو مبلط و تزينه نافورتان، و القسم الشرقى و هو غير مبلط و به عدد من القنوات الصغيره، يمكن ان يستدل منها على ان هذا الجزء من الساحه كان حديقته واسعه.

و يرى هرزفيلد انه كان فى الساحه الكبرى هذه ثلاثه مساجد لم تكن محاريبها على سمت القبله تماما (٣).

١- نفس المصدر.

٢- نفس المصدر.

٣- رى سامراء ١ / ٧١.

## السردابان:

و من مشتملات قصر الخليفة سردابان احدهما صغير و الآخر كبير. و يقع السرداب الصغير فى الجبهه الشرقيه للساحه الكبرى باتجاه محور الايوان الكبير و على بعد (٦٠٠) م منه. و يسميه الناس الزندان و الهيئه - اى الهاويه - و هاويه السباع. و يتكون هذا السرداب من حفرة مربعه الشكل نفرت فى الصخر، يبلغ عمقها نحو (١٠) امتار و طول ضلعها نحو (٢١) م. و قد فتح على جدار من جدرانها الاربعه ثلاثه اواوين او كهوف نقشت على جدرانها زخارف جصيه. و تتوسط الحفره بركه كبيره مستديره. و ينزل الى السرداب و يصعد منه بسلمين متصلين بدھليز منتظم. و كان مدخل هذا السلم يقع فى غرفه جميله زينت جدرانها برسوم قافله من الجمال حفرت على الجبس. و هذه الغرفه جزء من المبانى التى تحيط بفتحه السرداب من جهاته الاربع. و السرداب محاط بصفوف متوازيه من الغرف العديده التى يرجح انها كانت اصطبالات لدواب القصر(١).

و يمكن القول ان تسميه هذا السرداب بهاويه السباع انه كان هناك عدد من السباع بالقرب منه، و ربما انها كانت تأوى اليه، و قد ورد فى الأخبار ما يؤيد ذلك. فان الخليفه المهتدى بالله امر بقتل السباع التى كانت فى دار السلطان و طرد الكلاب(٢).

اما السرداب الكبير فانه يقع فى الجبهه الشماليه الغربيه للسرداب الصغير، شمالى شرقى الاواوين. و هو حفرة اكبر و اعرق من الحفره السابقه، تحيط بها بنايه مربعه الشكل كثيره التقسيمات، يبلغ طول ضلعها (١٨٠) م. و فى وسط ارضيه هذا

١- سامراء لمديرية الاثار العامه / ٥٧ - ٥٨.

٢- الطبرى ٩ / ٤٠٦، و الكامل ٧ / ٢٠٣.

السرداب برکه مستديره واسعه يبلغ قطرها نحو (٨٠) م تتصل بكهريز تحت الارض. و فى القسم الاعلى من السرداب عدد من الغرف الصغيره يحيط بالجهد الداخليه من جدران البنايه، و بعضها مسقف بعقود متقاطعه. و فى الزاويه الشماليه الشرقيه للسرداب آثار بنايه اخرى كثيره التقسيمات و يعتقد انها كانت الخزانه العامه(١). و قد اشار اليعقوبى الى ان الخزائن الخاصه و خزائن العامه كانت فى شارع السريجه ممايلى الدار العامه(٢). التى بنيت على ارض الدير التى اشتراها المعتصم بالله قبل بناء سامراء، و صار الدير بيت المال(٣). كما ذكر الطبرى و ابن الأثير فى حوادث سنه (٢٣١ هـ) ان قوما من اللصوص نقبوا بيت المال فى دار العامه فى جوف القصر و اخذوا اثنين و اربعين الفا من الدراهم و شيئا يسيرا من الدنانير(٤).

و يرى هيرزفيلد ان الابنيه التى كانت فى الركن الشمالى الغربى للسرداب الكبير تؤلف ثكنات الجيش و يرجح انها ثكنات للخياله، اما ثكنات الجند المشاه فتفصلها عنها قطعه من الارض خاليه من البناء. و كانت هذه الثكنات تقع الى جانب الشارع الأعظم الذى يوصلها بالقصر، و هى تشرف على الحديقته و شاطىء دجله. و كانت هذه الثكنات تتألف من (٦٠٠) قاعه ينزلها نحو (٣٠٠٠) من الجنود(٥).

و يقول الدكتور سوسه ان البركتين المذكورتين فى السردابين قد انشئتتا على عهد المتوكل على الله، و دليله على ذلك ان القناه التى

١- سامراء لمديرية الآثار العامه / ٥٨.

٢- كتاب البلدان / ٢٦١.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٢٥٥.

٤- الطبرى ٩ / ١٤٠، و الكامل ٧ / ٢٣.

٥- رى سامراء ١ / ٧١.

تمونهما بالمياه انشئت في عهد الخليفة المذكور، و هي تبدأ من نهر دجله من فوق الدور، و تنتهي بسامرا(١).

### ساحه اللعب و حلبه السباق:

توجد في منتهى قصر الخليفة من جهته الشرقيه و خلف السرداب الصغير او هاويه السباع، ساحه مسوره مستطيله الشكل يبلغ طولها (٥٣٠) م و عرضها (٦٥) م. و هذه الساحه المسوره لا تقطع محور القصر بصوره عموديه، بل تنحرف قليلا. و يغلب على الظن انها كانت معده للألعاب و لا سيما للعب كره الصولجان التي كان يمارسها آنذاك الخلفاء و الوزراء و قواد الجيش. و يلاحظ في منتصف القسم الخلفى من سور هذه الساحه آثار بنايه مرتفعه بعض الارتفاع، يظهر انها كانت معده للتفرج منها على الالعاب و المسابقات، لأنها كانت مطله على الساحه المذكوره من جهه، و على حلبه السباق التي تمتد خلف القصر من جهه أخرى(٢).

اما حلبه السباق فكانت تبدأ من امام هذه البنايه و تمتد الى مسافه خمسه كيلومترات و نصف الكيلومتر، و تكون منحنيا منتظما مسدودا، يبلغ طول محيطه (٥ ر ١١) كيلومتر. و تشاهد معالم هذه الحلبه الطويله بوضوح عند تتبع الآكام الصغيره الممتده خلف قصر الخليفه(٣).

و كانت حلبه السباق مستطيله تمتد طولا نحو جهه الشرق، و تبدأ في اولها عند القصر ضيقه ثم تتسع تدريجيا حتى تبلغ اقصى سعتها في نهايتها(٤).

١- نفس المصدر / ٧٠.

٢- سامرا- الآثار القديمه العامه / ٥٩.

٣- نفس المصدر.

٤- رى سامراء / ١ / ٧١.

## زخارف دار العامه:

ان فخامه الزخارف التي وجدت في غرف القصر وقاعاته قلما يوجد مثلها. فقد زينت معظم جدران القاعات و الغرف بزخارف جصيه، اما جدران غرفه العرش فقد كانت زخارفها من الرخام المنحوت. و لوحظ ان جدران بعض الغرف مكسوه بالبلاط الرخامي. و كانت الاجزاء العليا من جدران غرف الحريم تغطيها لوحات جداريه لصور الأشخاص و الحيوانات، و قد عثر على اجزاء من تلك اللوحات.

و كانت جميع الأجزاء الخشبيه كالابواب و الدعامات و السقوف من خشب الصاج المنحوت و المدهون، و بعضه مذهب، و قد عثر على كسر صغيره من البرنز المذهب. كما وجدت كتابات محفوره على الخشب، و على قسم منها اسماء صانعيها من الحرفيين بعضها بالعرييه و بعضها بالسريانيه او اليونانيه(١).

## ٢- الجوسق الخاقاني:

عند ما ارتحل المعتصم بالله من القاطول الى سر من رأى وقف في الموضع الذي فيه دار العامه و كان فيه دير للنصارى فاشترى الأرض من أهل الدير و اختط فيها، ثم صار الى موضع قصر الجوسق على دجله و بنى هناك عدده قصور(٢). و يستدل من هذا ان دار العامه بنيت على ارض الدير، ثم بنى قصر الجوسق في موضع آخر على شاطئ دجله. اي ان دار العامه و الجوسق الخاقاني قصران مختلفان. الا ان الأثاري كريزويل استاذ العماره الاسلاميه في

١- ٦٦٢ - ٥٦٢ :P, Ibid, Creswell.

٢- تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٧٣.

جامعه فؤاد الأول بالقاهرة اعتبر قصر العامه اسما آخر للقصر الخاقاني، لأن ما ذكره في كتابه

## Ashort Account of Early Muslim Architecture

تحت عنوان: الجوسق الخاقاني (او قصر المعتصم) انما يتعلق بدار العامه و لا صله له بقصر الجوسق.

لقد كان قصر الجوسق من اهم القصور التي شيدها المعتصم بالله في سامرا. و قد اختار له موضعا يقع على ضفه دجله الشرقيه جنوبي دار العامه مطلا على الحير، و يشغل المساحه التي بين شاطىء دجله و الحير و هي مساحه واسعه جدا(١). و قد اتخذه المعتصم بالله مقرا له فسكن فيه طيله خلافته، و لما توفي دفن فيه(٢). و قد وصف الجوسق(٣). كما سكنه المعتز بالله من بعده(٤)، و سكنه كذلك عرطوج ابي الفتح بن خاقان، امور بنائه و الاشراف عليه. و كان قد اقطعه و اصحابه الاراضى التي تلى الجوسق(٥). فبنوا فيها قصورهم و مساكنهم.

و قد اتخذ اغلب خلفاء سامرا بعد المعتصم بالله هذا القصر سكنا لهم. فقد سكنه الواثق بالله في اول خلافته ثم انتقل الى قصره الهاروني الذي شيده، و فيه دفن عند وفاته(٦). و عند ما كان المنتصر اميرا سكن في قصر الجوسق(٧)، و لما بويح بالخلافه سكن في القصر المحدث و فيه كانت وفاته(٨). و يظهر من الأحداث المهمه التي وقعت في ايام المستعين بالله انه كان يسكن في قصر

١- رى سامراء ١ / ٧٤.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٨، و مروج الذهب ٤ / ٤٦ و ٦٣.

٣- الطبرى ٩ / ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٨٠ و ٢٨٤ و الكامل ٧ / ١١٩ و ١٢٣ و ١٣٩ و ١٤٢.

٤- الطبرى ٩ / ٣٨ و الكامل ٧ / ١٩٩.

٥- كتاب البلدان / ٢٥٨.

٦- الطبرى ٩ / ١٥١، و الكامل ٧ / ٣٠.

٧- الطبرى ٩ / ٢١٧.

٨- الطبرى ٩ / ٢٥٤.

الجوسق (١). كما سكنه المعتز بالله من بعده (٢) و سكنه كذلك المهتدى بالله، وقد تكرر ذكر الجوسق كثيرا فى حوادث الخلاف الذى نشب بين الخليفة و القواد الأتراك (٣). كما سكن فيه المعتمد على الله اغلب ايام خلافته، قبل ان يبنى قصر المعشوق (٤).

و كان المعتصم بالله قد بنى فى الجوسق سجنا لحبس قائده الأفشين الذى اتهم بالتآمر و الخروج على الاسلام و سماه (سجن لؤلؤه) ثم عرف بعد ذلك بالأفشين (٥). و يظهر ان هذا السجن خصص لسجن الامراء و القواد و السياسيين المغضوب عليهم. فقد حبس المستعين بالله المعتز و اخاه المؤيد فى حجره الجوسق. و وكل بهما (٦). و حبس المعتز بالله اخويه المؤيد و الموفق فى الحبس المذكور (٧). و لما خرج القائد التركى كنجور و قبض عليه امر المعتز بالله بحبسه فى الجوسق (٨).

و لا شك فى ان اطلال الجوسق و بقاياها كانت من ابرز و أوسع المواقع الأثرية فى سامرا. الا ان قرب تلك الأطلال من مدينه سامراء الحاليه كان اهم اسباب ازاله معالم تلك الأطلال. اذ استخراج الناس كل ما فيها من آجر و مرمر و ما يصلح للبناء و نقلوه الى المدينه الجديده التى شيدت فوق اطلال قسم من سامرا القديمه، و استعملوه فى بناء بيوتها، و فى انشاء السور الضخم حولها.

و يرجح ان جزءا من مدينه سامراء الحاليه قد بنى على طرف من

١- الطبرى ٩/ ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٨٠ و ٢٨٤، و الكامل ٧/ ١١٩ و ١٢٣ و ١٣٩ و ١٤٢.

٢- الطبرى ٩/ ٣٨، و الكامل ٧/ ١٩٩.

٣- الطبرى ٩/ ٤٥٢ و ٤٥٥ و ٤٥٧ و ٤٥٩ و ٤٦١ و ٤٦٧ و ٤٦٩.

٤- الطبرى ٩/ ٥٠٧ و ٥٤١ و ٦٢٢.

٥- الطبرى ٩/ ١٠٦.

٦- الطبرى ٩/ ٢٥٩ و ٢٨٤، و الكامل ٧/ ١١٩ و ١٤٢.

٧- الطبرى ٩/ ٣٦١.

٨- نفس المصدر / ٣٧٢.

ارض قصر الجوسق، مما ادى الى محو معالم القصر محوا يكاد يكون كاملا(١).

و من الادله على اهميه قصر الجوسق من حيث موقعه و مساحته بالنسبه لقصور سامرا الاخرى، ان المكتفى بالله لما اتجهت نيته الى الانتقال الى سامرا و اعاده بنائها، و خرج اليها فى سنه (٢٩٠ هـ) و معه الصناع يريد البناء بها، ضربت له المضارب فى الجوسق، و ابدى الرغبة فى البناء فيه الا ان وزيره ثناه عن عزمه(٢).

و مما يجدر ذكره ان ياقوت الحموى يذكر بين القصور التى بناها المتوكل على الله فى سامرا قصرا باسم الجوسق، و يقول ان المتوكل على الله انفق عليه خمسمائه الف درهم(٣). و يظهر من ذلك ان هناك قصرين باسم الجوسق، احدهما من ابيه المعتصم بالله و هو الجوسق الخاقانى، و الآخر من ابيه المتوكل على الله انشأه بالقرب من الجوسق الكبير، فى احدى ساحاته(٤).

### ٣- قصر الجص:

#### اشاره

كان الموقع المعروف باسم الحويصلات الواقع فى الجبهه الغربيه من نهر دجله على بعد سبعة عشر كيلومترا شمالى محطه قطار سامراء الحاليه، يلفت النظر باطلاله العالیه و ما يشغله من مساحه واسعه مما يوحي بانه بقايا احد قصور خلفاء سامرا ايام كانت عاصمه الدوله العربيه. و قد لوحظ ان موقعه ينطبق على موقع «قصر الجص» الذى ذكره ياقوت الحموى بانه «قصر عظيم قرب سامرا فوق الهارونى بناه المعتصم للنزهه»(٥). و قال عنه سهراب

١- رى سامراء ١/ ٧٨.

٢- الطبرى ١٠/ ٩٨، و الكامل ٧/ ٥٢٩، و المنتظم ٦/ ٣٨.

٣- معجم البلدان ٣/ ١٧٥.

٤- رى سامراء ١/ ٧٨.

٥- معجم البلدان ٤/ ٣٥٦.



فى معرض كلامه عن نهر الاسحاقى «ثم يمر فى غربى دجله عليه ضياع و عمارات، و يمر بطيرهان، و يجرى الى قصر المعتصم بالله المعروف بقصر الجص، و يسقى الضياع التى هناك فى غربى سر من رأى»<sup>(١)</sup>.

لقد استرعى الموقع المذكور اهتمام دائره الآثار القديمه فأوفدت بعثه للتنقيب فيه فى اوائل نيسان سنه ١٩٣٦. فكشفت البعثه بما قامت به من الحفريات و التحريات عن بقايا قصر عظيم.

و استطاعت ان ترسم له مخططا يوضح اقسامه و محتوياته مع ابعادها، على ضوء ما عثرت عليه من اسس الجدران و بقايا زواياها، و تعرفت على المواد المستخدمه فى بنائه. و قد تأكد لدى الدائره المذكوره ان هذا القصر هو قصر الجص الذى ذكره سهراب و ياقوت الحموى<sup>(٢)</sup>.

يتكون القصر من بنايه مربعه الشكل تتوسط ساحه مسوره، و يبلغ طول ضلع البنايه (١٤٠) م. اما طول السور الخارجى فيقدر بنحو (٣٧٠) م. و يظهر من ذلك ان مساحه القصر لا تقل عن (١٩٠٠٠) متر مربع. اما مساحته مع حدائقه و ساحاته و سوره الخارجى فتربو على ثلاثين و مائه الف متر مربع. و قد جرفت مياه نهر دجله الزاويه الشماليه الشرقيه من القصر و ازاله معالم السور الخارجى من الجهتين الشماليه و الشرقيه كما ازاله الضلع الشماليه من السور الداخلى و معظم الضلع الشرقيه منه ايضا<sup>(٣)</sup>.

و يظهر من التخطيط الذى وضعته دائره الآثار القديمه لما كشفته الحفريات عن بقايا هذا القصر، انه كانت فى مركز بنايه

١- عجائب الاقاليم السبعه / ١٢٧.

٢- حفريات سامراء ١ / ١١.

٣- نفس المصدر.

القصر قاعه مربعه كبيره طول كل ضلع من اضلاعها (٤٠ ر ١٥) م، و جدرانها سميكه جدا يبلغ سمكها (٢٠ ر ٢) م، و يظهر انها كانت تحمل قبه مرتفعه، و يرجح ان قاعده القبه كانت تحتوى على عدد من النوافذ لاناره القاعه. و تتصل هذه القاعه المركزيه من اواسط اضلاعها الأربع باربع قاعات مستطيله، بواسطه اربعه مداخل كبيره عرض كل مدخل منها (٦٠ ر ٣) م. علما ان طول القاعات المستطيله (٦٠ ر ١٦) م و عرضها (٦٠ ر ٦) م. و كل واحده من هذه القاعات المستطيله تتصل بدورها من وسط ضلعها الطويل بايوان مستطيل مكشوف طوله (٨٠ ر ٧) م و عرضه (٢٠ ر ٦) م. و كل ايوان يفتح على صحن واسع مستطيل الشكل مكشوف طوله (٨٠ ر ٢٢) م و عرضه (٨٠ ر ١٨) م. و ينتهى كل صحن منها بثلاث غرف مستطيله تفضى الوسطيه منها الى دهليز ينتهى الى الخارج ببايين متناظرين يكونان مدخل القصر فى كل جهه من جهاته الأربع. و تمتد امام البابين دكه عريضه تشرف على الساحات الممتده بين القصر و السور الخارجى. و توجد فى طرفى كل ايوان غرفتان تفضيان الى الصحن. كما يوجد فى منتهى كل قاعه من القاعات المستطيله التى تحيط بالقاعه المركزيه قاعه مربعه الشكل توصل بين القاعات المذكوره بعضها ببعض. و تؤلف هذه الاقسام حول القاعه المركزيه شكلا مصلبا تام التناظر. اما المساحه الباقية بين اضلاع المصلب فينقسم كل منها الى عده بيوت مرتبه كالاتى:

١- القسم المحصور بين الصحن الشرقى و الصحن الجنوبى، اى فى الجهه الجنوبيه الشرقيه من القصر، فيه عشره بيوت يتراوح عدد غرفها بين الست و الثمانى غرف. و يستقل كل بيت منها بمدخل خاص و حمام و دوره مياه. و تفتح مداخل بعض هذه البيوت على الممر الممتد على طول السور الداخلى للقصر، بينما تفتح مداخل البعض الآخر على ممر خاص عمودى على السور المذكور، و تنفذ الى القصر.

٢- القسم المحصور بين الصحن الغربى و الصحن الجنوبى، اى فى الجهه الجنوبيه الغربيه فانها تختلف عن ذلك، لأنها تتكون من قاعات و حمامات كبيره عوضا عن بيوت صغيره.

٣- القسم المحصور بين الصحن الغربى و الصحن الشمالى و هو يشبه تقسيمات الزاويه الجنوبيه الشرقيه و البيوت فيه متناظره مع بيوت ذلك القسم.

٤- القسم المحصور بين الصحن الشرقى و الصحن الشمالى، اى فى الجهه الشماليه الشرقيه من القصر، فقد اندرس، و يغلب على الظن ان تقسيماته شبيهه بالزاويه الجنوبيه الغربيه. بالنظر للتناظر المشاهد فى الأقسام المعلومه من مخطط القصر (١).

### السور:

كان السور الذى يحيط بالقصر مدعما بمائه برج، اربعه منها كبيره و مستديره، قطر كل منها ثلاثه امتار، و البقيه صغيره مستطيله. و الابراج الصغيره موزعه على اساس (٢٤) برجا لكل ضلع من اضلاع السور الاربع. و هى منشوريه الشكل طولها متران و عرضها (٤٠ ر ١) م. و مما يلفت النظر انها منفصله عن جدار السور بمقدار ٨٠ سم، مما يحمل على الاعتقاد بانها كانت تتصل بالجدار بواسطه عقود خاصه. اما السور الخارجى فلم يكشف منه سوى برجين أثنين فقط، قطر كل منهما ثمانيه امتار، و المسافه بينهما (٢٥) مترا (٢).

### مواد الأبنيه:

ان الابنيه الرئيسه للقصر كالبهو و القاعات و الدواوين مبنيه بالآجر و الجص. و ابعاد الآجر المستعمل هى (٢٥ \* ٢٥ \* ٧) سم،

١- حفريات سامراء ١ / ١٢ - ١٣.

٢- حفريات سامراء ١ / ١٤.

و اما سائر جدران القصر فهى مبنيه بالحصى الممزوج بالجص بشكل يشبه الخرسانه. و قد استعمل فى بناء الأسس النوره و الرماد عوضا عن الجص. اما السور الخارجى فكان مبنيا باللبن(١).

### تبليط الأرض:

بلطت ارض البهو و القاعات و الأواوين بالآجر المربع الشكل، و طول ضلع الأجره (٣٦) سم. و حاله الآجر المستعمل تدل على اتقان كبير فى صناعته، كما ان عمليه التبليط كانت قد تمت بصوره متقنه جدا. و قد بلطت سائر اقسام القصر بطبقه من الجص المخلوط بالرمل، و يلاحظ ان هذه الطبقة الجصيه قد كسيت بطبقه من القار فى الحمامات و دورات المياه(٢).

### طلاء الجدران:

لقد ظهر للمنقبين ان الجدران كانت مطلية بطبقه من الجبس بصوره عامه. و ان جدران القاعات منقوشه بزخارف محفوره فى طبقه الجبس. اما جدران الغرف الصغيره فعاريه عن الزخارف، الا انه يلاحظ ان ابوابها كانت محاطه باطارات جبسيه بارزه ذات اشكال متنوعه. و قد لوحظ ان اقسام الجدران الواقعه خلف الزخارف الجبسيه قد طليت بالقار، لمنع تأثير الرطوبه عليها، كما لوحظ ان خلف الزخارف سلسله من المسامير مغروزه فى الجدار. و لا شك فى ان القصد منها ضمان ثبات التصاق الزخارف بالجدران لمنع انفصالها و سقوطها. و يمكن ان يستنتج من ذلك ان بعض تلك الزخارف كانت تعمل على قوالب خاصه اولاً، ثم تثبت

١- نفس المصدر.

٢- نفس المصدر.

حسب الحاجة على الجدران. و مما هو جدير بالملاحظه ان استعمال هذه المسامير و القار لم يظهر خلف الزخارف التى اكتشفت فى اطلال سامرا فى جانبها الشرقى. و سبب ذلك ان انخفاض مستوى الأرض فى الجانب الغربى من دجله بالنسبه للضفة الشرقيه، ساعد على تكوين الحدائق و البساتين، غير انه جعل البناءات معرضه لتأثير الرطوبة بطبيعته الحال. و يظهر ان الرغبة فى التوقى من تأثير الرطوبة على الزخارف الجصيه هى التى حملت البنائين على اتخاذ مثل هذه التدابير(١).

### الزخارف الجداريه:

تتكون عناصر الزخارف المستعمله فى تزيين جدران القصر من اوراق العنب و عناقيده بوجه عام. غير ان كيفيه توزع و تعاقب هذه الاوراق و العناقيد تأخذ اشكالا متنوعه جدا. كما ان تنظيمها الهندسى يضىف عليها جمالا أخاذا. و تحاط المنطقه المزخرفه دوما باطار جبسى يتألف من سلسله حلقات او ضفائر مختلفه الأشكال.

و مما يجدر ذكره ان الزخارف الجبسيه التى ظهرت بين انقاض القصر الفوقانى مكونه من اوراق و عناقيد مثل زخارف القصر التحتانى الا انها اكثر دقه و تعقيدا. فان بعض الاوراق فى هذه الزخارف تأخذ اشكالا تزيينيه جميله جدا، حيث تكون وردات مجتمعه حول مركز واحد. كما ان العناقيد تقع فى وسط الوردات و فوق الأوراق. و يستدل من تعقد الزخرفه و اتقانها ان هذه البنايه احدث عهدا من القصر التحتانى(٢). و ربما كان هذا القسم العلوى بمثابة قصر للنزهه و التفرج، يصعد اليه الخليفه بين حين

١- نفس المصدر / ١٥.

٢- نفس المصدر / ١٧.

و آخر ليشرف على ساحات القصر و حدائقه، و على نهر دجله و مدينه سر من رأى (١).

#### ٤- قصور المعتصم بالله الاخرى:

كان المعتصم بالله عند ما شرع ببناء مدينه سامرا طلب الى المهندسين ان يختاروا من الاراضى اصلحها و أنسبها لأنشاء عدد من القصور عليها. فاختاروا عده مواضع، و صير الى عدد من كبار اصحابه بناء قصر، فصير الى خاقان عرطوج بناء الجوسق الخاقانى، و الى عمر بن فرج بناء القصر الذى سمي بالعمري، و الى ابى الوزير احمد بن خالد بناء القصر الوزيري (٢). و قد ذكرنا ما توفر لدينا من المعلومات عن الجوسق الخاقانى، الا ان بقيه القصور المشار اليها لم يعثر على شىء من اطلالها، و لم يكن لها نصيب من اعمال الحفريات و التنقيب. كما اننا لا نجد عنها فى مصادرنا الأوليه شيئا يتعلق ببنائها او محتوياتها و اوصافها سوى ذكرها عند الكلام عن بعض الاحداث التى وقعت فى سامرا. فقد ورد ذكر القصر العمري فى حوادث سنه (٢٢٤ هـ) عند ما تزوج الحسن بن الأفشين من اترنجه بنت اشناس، اذ يقول الطبرى «و دخل بها فى العمري قصر المعتصم» (٣). و فى حوادث سنه (٢٤٨ هـ) لما بويح للمستعين بالله و ثار فى دار العامه جمع من فرسان الشاكريه و الطبريه و معهم عدد جم من الغوغاء و السوقه داعين للمعتر بن المتوكل على الله، فشد عليهم المغاربه و الاشروسنيه، و انصرف الأتراك ممن بايعوا المستعين بالله مما يلى العمري و البساتين (٤). و يفهم من هذه

١- نفس المصدر / ٢٠.

٢- كتاب البلدان / ٢٥٨.

٣- الطبرى ٩ / ١٠١.

٤- نفس المصدر / ٢٥٦-٢٥٧.

الإشارة ان القصر العمري كان في احد البساتين القريبه من دار العامه. اما عن القصر الوزيري فقد وردت في الطبري اشارتان الى «الوزيريه» و لا ندرى هل لهذا الموضع علاقه بالقصر المذكور.

و قد ذكر المسعودي ان المعتصم بالله «لما استطاب الموضع دعا بأهل الدير فأشترى منهم ارضهم باربعه الاف دينار، و ارتاد لبناء قصره موضعا فيها فأسس بنيانه و هو الموضع المعروف بالوزيريه»(١).

و اولى الاشارتين في الطبري كانت عند ما احصى ما في دار الأفشين بعد ادانته و كان له بعض المتاع في الوزيريه(٢). و كانت الاشاره الاخرى عند ما وافى القائد موسى بن بغا في رجاله للوثوب بالمهتدي بالله، فصار الى قنطره في ناحيه الوزيريه(٣).

#### ٥- معسكر الاصطبلات و نهر الاسحاقى:

ان بقايا الاصطبلات و اطلالها الممتده على الجانب الغربى من نهر دجله، على بعد (١٥) كيلومترا جنوبى مدينه سامراء الحاليه، هى بقايا معسكر الجيش الذى بناه المعتصم بالله فى أثناء اقامته فى القاطول قبل ان يؤسس مدينه سامراء، ثم اكمله فيما بعد. و مما يدل على اقامته هذا المعسكر فى تلك المده وجود كهاريز للماء وسط مباني الثكنات تستمد مياهها من الينابيع الموجوده فى منطقه الجزيره غربى المعسكر و توصلها الى داخله، و ذلك قبل احياء نهر الاسحاقى(٤). و عند ما قرر المعتصم بالله ان يترك منطقه القاطول و يتجه الى سامراء اكمل ابنه المعسكر و اصطبلاته، و بنى له سورا خارجيا متينا و احاطه بخندق من المياه.

١- مروج الذهب ٤ / ٥٤.

٢- الطبري ٩ / ١١٤.

٣- نفس المصدر / ٤٥٩.

٤- رى سامراء ١ / ١٠١.

و يمكن القول ان سبب انشاء ثكنات الجيش و اصطبلاته فى الجانب الآخر من دجله هو نفس السبب الذى حمل المعتصم بالله على الانتقال من مدينه بغداد و العمل على تأسيس مدينه جديده تتسع لفصل مساكن الجند و ثكناتهم عن غيرهم من الناس، و عزل أقسام الجيش بحسب عناصرهم و اسكانهم متباعدين عن بعضهم، لكى يتلافى قيام المشاكل التى حدثت فى مدينه السلام.

و يظهر ان الاغراض التى توخاها المعتصم بالله من احياء نهر الاسحاقى كانت توفير المياه للمعسكر الواسع، و ان يقيم من مجراه خندقا على محاذاه سورہ الخارجى زياده فى تحصينه بهذا الحاجز المائى الذى يحول دون الوصول اليه، و ذلك بحسب القواعد العسكريه التى كانت متبعه آنذاك.

لقد دلت التنقيبات التى اجريت فى اطلال معسكر الاصطبلات على انه كان يتألف من مستطيل صغير طوله (٥٠٠) م و عرضه (٢١٥) م يتصل بمستطيل كبير طوله (١٧٠٠) م و عرضه ٥٥٠ م.

و ان المستطيل الصغير كان مقسما الى سلسله من الأحواش. اما المستطيل الكبير فكان مقسما الى ثلاثه اقسام متساويه تفصل بينها أسوار شبيهه بالاسوار الخارجيه للمعسكر. و ان المربع الشرقى من هذه الاقسام كامل البناء، اذ يشاهد فيه شارعان رئيسان يتقاطعان عند منتصفيهما باتجاه عمودى على جدران السور و على الشوارع الاربعه التى تمتد على طول الاسوار. و تنقسم المربعات الاربعه المتكونه على اضلاع هذين الشارعين المتعامدين الى اقسام عديده بشوارع طوليه و عرضيه كلها متعامده او متوازيه. اما المربعان الآخران فأن الأوسط منهما قليل البناء، و الغربى خال من البناء لا يرى فيه سوى خطوط الشوارع(١).



و من الواضح ان (الاصطبلات) كان معسكرا كبيرا يحتوى على ثكنات الجنود و دور الضباط و ساحات للخيم. كما كان يضم و لا- شك اصطبلات واسعة لدواب الجند، مع ساحات للتدريب، و مخازن للأسلحة و المئذنة، و مرافق اخرى مما تحتاجه المعسكرات عادة. فقد بنيت فيه من الثكنات ما يكفى لسكن (٢٥٠) الف جندي، و من الاصطبلات ما يكفى لايواء (١٦٠) الف حصان(١).

و كان يحيط بالمعسكر سور خارجى يبدأ من الشمال من حافة نهر دجله الغربيه فى المكان المعروف باسم «تل بندرى» و يمتد على مسافه (٢٦) كيلومترا غربى المعسكر، ثم ينتهى جنوبا عند حافة دجله الغربيه عند التل المسمى «تل مسعود» الواقع على بعد (١٣) كيلومترا جنوبى تل بندرى. و كان هذا السور محصنا بابراج عديده فى المداخل الرئيسه للمعسكر و فى المنعطفات. و من جمله هذه الابراج البرجان الواقعان فى اول السور عند تل بندرى و فى منتهاه عند تل مسعود، و كانت المياه تحيط بالمعسكر الذى تبلغ مساحته (٥٨) كيلومترا مربعا من جميع جوانه. فنهرا دجله و دجيل يحدانه من الشمال و الشرق، و نهر الاسحاقى يحداه من الغرب و الجنوب. و كان الاسحاقى اضافه الى احاطته سور المعسكر بحاجز مائى كخندق امامه، يمون المعسكر بحاجاته من المياه.

و لتحقيق هذا الغرض كانت هناك ثلاثه فروع رئيسه له، تتفرع من ضفته اليسرى فتخترق المعسكر، ثم يصب بعضها فى نهر دجله و بعضها فى نهر دجيل. و يتفرع الأول و هو الشمالى من نقطه تقع على بعد كيلومترين تقريبا جنوبى شرقى المدخل الرئيس للمعسكر فى القسم الشمالى من السور، ثم يصب فى دجله. و يتفرع الاوسط من موضع يبعد حوالى كيلومترين جنوبى شرقى صدر الفرع

الشمالي و يخترق السور من تحته و يتجه الى الثكنات، و بعد ان يخترقها يصب في دجله ايضا. و كان هناك ناظم خاص انشىء على نهر الاسحاقى جنوبى صدر هذا النهر مباشرة لحجز المياه امام الناظم و تحويلها اليه بمنسوب عال. و يشتمل هذا الناظم على ثلاث فتحات لا تزال آثارها ظاهره. اما الفرع الثالث و هو الجنوبى فانه يتفرع جنوبى الناظم المذكور بكيلومتر و نصف تقريبا، و يسير بين الاسحاقى و سور المعسكر، ثم يدخل المعسكر من تحت السور و يخترق قسمه الجنوبى الشرقى ليخرج من تحته ايضا الى خارج المعسكر. و بعد ان يخترق جدار المطبخ و خندقه، و هو جدار قديم ضخم مدعم بابرّاج، يتجه نحو نهر دجيل فيصب فيه على مسافه اربعه كيلومترات من مقدم مصب نهر الاسحاقى فى نهر دجيل. و كما انشىء ناظم على الاسحاقى لحجز المياه امامه و تحويلها الى هذا الفرع، فقد انشىء ناظم خاص فى فوهه هذا الفرع لتنظيم المياه التى تدخل فيه. و يستدل من آثار الناظمين المذكورين ان ناظم الاسحاقى يتألف من فتحتين، و ناظم صدر الفرع يتألف من فتحه واحده. و نظرا لسعه مساحه المعسكر و وفره المياه فقد استعملت مساحه كبيره منه لاحداث مراعى اصطناعيه لجياد الجيش، فكانت الاراضى المخصصه للمرعى تغمر بمياه فروع الاسحاقى (١).

و الاسحاقى نهر قديم يعود الى عصور سحيقه، كان فى اوله يتفرع من الضفه اليمنى لنهر دجله عند تكريت و يسير جنوبا حتى ينتهى عند منخفض عقرقوف، بعد ان يروى القسم الأعظم من اراضى الجزيره الممتده بين دجله و الفرات شمالى سامرا. و قد اتت عليه عاديّات الزمن فاهمل و اندثر، الا ان آثار مجراه كانت واضحه. و عند ما شعر المعتصم بالله بحاجه الجانب الغربى من

سامراء الى مزيد من المياه لرى المزارع و البساتين الواسعه، اشير عليه باحياء النهر المندرس المذكور، فكلف رئيس شرطته اسحاق بن ابراهيم الخزاعي بان يتولى الاشراف على المشروع، فانفق عليه كثيرا من المال حتى عادت اليه الحياه، و عادت المياه تجرى فيه، و لذا سمي النهر الجديد باسمه.

و بعد ان هجرت سامراء و امتد اليها الخراب استمر نهر الاسحاقى يروى المناطق المذكوره فى الجانب الغربى من دجله.

فقد اشار اليه سهراب (المتوفى سنه ٢٩٠ هـ) فى كتابه بقوله:

«يحمل من دجله من غربيها نهر يقال له الاسحاقى اوله اسفل من تكريت بشىء يسير، يمر فى غربى دجله، عليه ضياع و عمارات، و يمر بطيرهان و يجىء الى قصر المعتصم المعروف بقصر الجص و يسقى الضياع التى هناك فى غربى مدينه سر من رأى المعروفات بالأوله و الثانيه و الثالثه و الى السابعه، و يصب فى دجله بازاء المطيره»<sup>(١)</sup>.

#### ٦- جسر سامراء:

بالنظر لوجود معسكرات الجيش فى الجانب الغربى من سامراء، و لقيام العمران فيه، اصبح من الضرورى ربط جانبي المدينه بجسر يسهل للناس الانتقال بينهما، و قد بادر المعتصم بالله فور فراغه من بناء الجانب الشرقى من دجله، و هو جانب سر من رأى، الى عقد جسر الى الجانب الغربى من دجله<sup>(٢)</sup>. و من المؤسف ان المصادر الأوليه لا تزودنا بمعلومات وافية عن هذا الجسر من حيث نوعيته و هل كان ثابتا قد بنى بالحجر ام كان طافيا على السفن.

و لا تتضمن تلك المصادر سوى اشارات عابره. فقد اشار المسعودى عند خروج المعتصم بالله لحرب الروم فى سنه (٢٢٣ هـ) الى هذا

١- عجائب الاقاليم السبعه / ١٢٧.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٣.

الجسر بقوله: «فخرج المعتصم من فوره ... فعسكر في غربى دجله .. و نصبت الأعلام على الجسر»<sup>(١)</sup>. و يظهر ان الناس كانوا متحمسين لحرب الروم و متفائلين بهذه الحمله فرفعوا الاعلام فوق الجسر اظهارا لتأييدهم الخليفه فى خروجه للحرب على رأس الجيش العربى. و يذكر الطبرى هذا الجسر فى حوادث سنه (٢٤٩ هـ) بقوله: «و تحركت المغاربه فى هذه السنه .. و كانوا يجتمعون قرب الجسر بسامرا»<sup>(٢)</sup>. و يذكره ايضا فى حوادث سنه (٢٥٤ هـ) عند ما حاول بغا الشرابى الوثوب بالمعتر بالله، فدخل سامرا ليلا بطريق دجله «فصار الى الجسر فى الثلث الأول من الليل، فلما قارب الزورق الجسر. خرج بغا فى البستان الخاقانى»<sup>(٣)</sup>.

و يشاركه فى ذلك ابن الأثير فى تاريخه<sup>(٤)</sup>. و لا يستخلص مما روينا سوى انه كان هناك جسر فى سامرا فى اثناء الحوادث المذكوره، و انه قريب من الجوسق الخاقانى.

لقد اقام المعتصم بالله الجسر فى الموضع الواقع امام القصر الهارونى الذى شيد فى عهد الواثق بالله. و لا تزال بقايا هذا الجسر يمكن مشاهدتها على الجانب الغربى من مجرى نهر دجله الحالى، و قد نصبت مضخه ماء على سقف احد الطيقان الضخمه المتبقيه من آثار الجسر المذكور. و ان قول يعقوبى «ان المعتصم عقد جسرا» معناه انه بناه على شكل الجسور ذات العقود او الطيقان المؤلفه<sup>(٥)</sup>. و يستخلص من تدقيق بقايا الجسر المذكور ان عرضه كان حوالى (١٦) مترا مما يدل على ضخامه بنائه و عظمه تصميمه<sup>(٦)</sup>.

١- مروج الذهب ٤ / ٦٠.

٢- الطبرى ٩ / ٢٦٥.

٣- نفس المصدر / ٣٨٠.

٤- الكامل ٧ / ١٨٧.

٥- رى سامراء ١ / ٧٤.

٦- نفس المصدر ٢ / ٦٠٠.

## الفصل الثالث سامرا فى عهد المتوكل على الله

### ١- عمران سامرا فى عهد الواثق بالله:

#### اشاره

كان الواثق بالله يختلف عن ابيه المعتصم بالله فى كثير من صفاته و سجاياه، و هو بعمه المأمون اشبه. و يقول صاحب الذهب المسبوك ان المأمون هو الذى رباہ فتقبل افعاله(١). فقد كان بعيدا عن الروح العسكريه و حياه الخشونه، ميالا الى الاداب و العلوم و المناقشه فى المجالس الادبيه و العلميه، و فنانا بطبيعته مولعا بالشعر و الغناء و التلحين. و مع ان اهتمامه بعمران حاضره الخلافه سامرا التى اسسها ابوه و انفق عليها اموالا- طائله، لم يبلغ درجه اهتمامه بما يتفق و ميوله، فانه استمر فى السكنى بها باعتبارها عاصمه الدوله العربيه و« كان قد انتقل من قصور ابيه و بنى له قصرا على شط دجله يقال له الهارونى»(٢)، و اتخذه سكنا له الى حين وفاته فدفن فيه(٣). و زاد فى الاقطاعات، اى انه اقطع الناس اراضى جديده لبناء مساكن لهم و اسواق، مما ادى الى توسع المدينه

١- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٤.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٤، و فتوح البلدان / ٢٩٥، و تاريخ يعقوبى / ٢ / ٤٨٣.

٣- الطبرى / ٩ / ١٥١، و فتوح البلدان / ٢٩٥، و الكامل / ٧ / ٣٠.

و ازدياد العمران فيها و زياده سكانها. كما انه زاد في الأسواق لتلبية حاجات سكان المدينه، و وسع الغرض التي كانت على دجله لتستوعب السفن التي تردھا من الموصل و بغداد و واسط و البصره(١). مما كان عاملا مهما في تنشيط التجاره و توسعها.

ان ما اهتم به الواثق بالله من عمران سامرا على قتله، شجع الناس على البناء و التعمير في المدينه، لا سيما تجديد مساكنهم و عماراتهم فاحكموها و اتقنوها لما علموا ان سامرا قد صارت مدينه عامره، و كانوا قبل ذلك يسمونها العسكر(٢).

### تشيد القصر الهاروني:

كان الواثق بالله قد اختار موضعا لبناء قصره الهاروني على شاطئ ء دجله في الجبه الشماليه الغربيه من دار الخليفه، و قد بنى له مسناه قويه(٣). و جعل فيه مجالس في دكه شرقيه و دكه غربيه، و كان من احسن القصور(٤). و قد انتقل اليه. و تكاد مصادرنا الاوليّه تخلو من ذكر شئ ء مهم عن هذا القصر الا- النزر اليسير و لا- سيما من حيث سعته و ما يحتوي عليه من مبان و مرافق اخرى.

فقد اشار الطبري في حوادث سنه (٢٢٩ هـ) عرضا الى وصف احد اروقه القصر، قال: «ذكر عن عزون بن عبد العزيز الانصاري انه قال: كنا ليله في هذه السنه عند الواثق فقال: لست اشتهى الليله النيذ، و لكن هلموا نتحدث الليله، فجلس في رواقه الأوسط في الهاروني في البناء الأول الذي كان ابراهيم بن رباح بناه. و قد كان في احد شقى ذلك الرواق قبه مرتفعه في السماء بيضاء، كأنها

١- كتاب البلدان / ٢٦٥.

٢- نفس المصدر.

٣- الآثار القديمه العامه - سامراء / ٧٠.

٤- كتاب البلدان / ٢٦٤، و تاريخ يعقوبى / ٢ / ٤٨٨.

بيضه الـ قدر ذراع، فيما ترى العين، حولها. فى وسطها ساج منقوش باللازورد و الذهب، و كانت تسمى قبه المنطقه، و كان ذلك الرواق يسمى رواق قبه المنطقه»(١).

كما ورد ذكر الهارونى فى بعض الاحداث التى وقعت فى سامرا بعد الواثق بالله. فعند ما قبض المتوكل على الله على وزيره محمد بن عبد الملك الزيات فى سنه (٢٣٣ هـ) و أمر باستصفاء امواله و املاكه، صير ما قبض مما فى منزله من متاع و جوار و غلمان و دواب فى الهارونى(٢). اى فى قصر الخليفه، لأنه عند ما ولى الخلافه اقام به و بنى به ابنيه كثيره(٣). و لما توفى المنتصر بالله اجتمع القواد الاتراك فى الهارونى و فيهم بغا الكبير و بغا الصغير و اوتامش و اصحابهم، لانتخاب من يخلفه(٤). و عند ما ثارت العامه اثر مبايعه المستعين بالله و نادوا بخلافه المعتز «دخلوا دار العامه منصرفين الى الهارونى فانتهبوا الخزانة التى فيها السلاح و الدورع و الجواشن»(٥). و يظهر انه كان قد اتخذ مستودعا للأسلحه.

تقع اطلال القصر الهارونى فى الموقع المعروف بالكوير على شاطىء دجلة الشرقى، و لا تزال بقايا الدكتين الضخمتين ظاهره يمكن مشاهدتها على شاطىء دجلة الشرقى الحالى فى موضع الكوير المذكور. و قد اشتهر آجر هذا القصر و مسناته بالكبر و الضخامة حتى صار يضرب به المثل فى سامراء الحديثه فيقال آجر الكوير.

و كان الجسر الذى اقامه المعتصم بالله على نهر دجلة يقع امام القصر الهارونى تماما. الا ان معالم القصر تكاد تزول بسبب تهافت اهل

١- الطبرى ٩ / ١٢٥.

٢- نفس المصدر / ١٥٨.

٣- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

٤- الطبرى ٩ / ٢٥٦، و الكامل ٧ / ١١٧.

٥- الطبرى ٩ / ٢٥٧.

مدينه سامراء على اقتلاع الآجر من جدرانها و البلوغ فى ذلك حتى اسسها(١).

و من بقايا القصر الهارونى قاعده الحوض الكبير و قد نقلت من بين انقاضه الى دار الآثار العربيه(٢).

و عند ما اتم الواثق بالله بناء القصر الهارونى مدحه الشاعر على بن الجهم واصفا بعض معالم الهارونى، بقصيده منها قوله:(٣):

بان بقرب الخليفه التحف محل صدق و روضه أنف

دار تحار العيون فيها و لا يبلغها الواصفون ان وصفوا

لم تنتسب قبله الى احدو لا تحلت من الألى سلفوا

البحر و البر فى يدى ملك تشرق من نور وجهه السدف

اختاره الله للامام الذى ينصف من نفسه و ينتصف

قد علم الناس ان بالملك الواثق بالله يشرق الشرف

تبارك الجامع القلوب على طاعته و القلوب تختلف

## ٢- توسيع مدينه سامراء:

### اشاره

كان المتوكل على الله مثل ابيه المعتصم بالله يحب البناء و العمران كثيرا، و قد تفوق عليه فيما اسسه بسامرا من القصور و المتنزهاة، و ما شقه من الترع و الجداول، و ما بذله من الاموال الطائله على ذلك. فقد كان ميالا للبخ مسرفا بطبيعته، و لهذا

١- الآثار القديمه العامه- سامراء / ٧٠.

٢- نفس المصدر.

٣- كامل القصيده فى ديوان على بن الجهم / ١٤-١٦.



«لم تكن النفقات فى عصر من الأعصار و لا وقت من الأوقات مثلها فى أيامه»<sup>(١)</sup>. و كانت فاتحه اعماله العمرانيه توسيع مدينه سامرا، فشق شارعين جديدين فى ناحيتها الشرقيه موازيين لشوارعها الكبيره الاخرى، هما شارع الأسكر و شارع الحير الجديد. و بنى فيها عددا كبيرا من القصور التى كانت زينته لها اكملت بهاءها بحيث بلغت اوج عمرانها فى عهد.

و يعتبر بناء الجامع الكبير فى آخر الحير، و شق الشوارع الفرعيه الثلاثه التى توصل اليه من المدينه، و اقامه الاسواق و الحوانيت لمختلف التجارات و الصناعات على جوانب هذه الشوارع، اهم ما ادى الى توسيع المدينه. اذ قامت على هذه الشوارع شكلك و قطائع للسكنى. فقد اقطع المتوكل على الله الكاتيين نجاح بن سلمه و احمد بن اسرائيل، و محمد بن موسى المنجم و اخوانه، و جماعه من الكتاب و القواد و الهاشميين و غيرهم فى آخر الشوارع المذكوره مما يلى قبله الجامع، و بذلك اتسعت على الناس المنازل و الدور كما اتسع اهل الاسواق<sup>(٢)</sup>.

و يلاحظ اهتمام المهندسين آنذاك بفتح الشوارع الفرعيه و الدروب التى توصل بين الشوارع الرئيسه فى المدينه. و لا يخفى ان ذلك يتيح لأكثر المساكن ان تكون و اجهاتها على تلك الشوارع و الدروب، و يسهل الاتصال بين قطائع السكان و الاسواق، اضافه الى تخفيف الزحام داخل المدينه.

اما الشارعان اللذان امر المتوكل على الله يفتحهما فى شرقى سامرا فهما شارع الأسكر و شارع الحير الجديد. و يعرف شارع الأسكر بشارع صالح العباسى لأنه ينتهى عند داره التى كانت على وادى ابراهيم بن رباح. و هو يبدأ من المطيره و ينتهى عند حائط

١- مروج الذهب ٤ / ١٢٢.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٥ - ٢٦٦.

الحيير. و قامت عليه قطائع العسكر الاتراك و الفراغنه فى دروب منفصله عن بعضها. و تليها قطائع القواد و الكتاب و الوجوه من الناس<sup>(١)</sup>. و يبدو ان المتوكل على الله قد انتهج سياسه ابيه فى عزل مساكن الجند عن بقية الناس و توزيعهم بحسب انتماء آتهم منفردين بعضهم عن البعض. و لعل ازدياد عدد الجند كان سبب فتح هذا الشارع لتقوم قطائعهم على جانبيه، و لهذا سمي بشارع الأسكر او العسكر.

و يقع شارع الحير الجديد شرقى الشارع السابق و موازيا له. و قد سمي بالجديد تمييزا له عن شارع الحير الذى فتح عند تأسيس المدينه فى ايام المعتصم بالله. و قد اقطعت السكك على جانبيه لعدد من قواد الفراغنه و الاشروسنيه و الاشتاخنجيه و غيرهم من الأعاجم، و اخلاطا من الناس، و كان ينتهى عند حائط الحير ايضا<sup>(٢)</sup>.

و صار بذلك عدد شوارع سامرا الموازيه لنهر دجله سبعة شوارع، اولها شارع الخليج فى الجهه الغربيه من المدينه على ضفاف دجله مباشره و آخرها شارع الحير الجديد فى الجهه الشرقيه لها. و كانت الشوارع الأربعة من جهه الشرق، و هى شارع الحير و شارع برغاش و شارع الأسكر و شارع الحير الجديد، تسمى «طرق الحير» لأنها كانت تنتهى عند حائط الحير<sup>(٣)</sup>.

و كان من اجراءات المتوكل على الله فى توسيع مدينه سامرا جنوبا، انه انزل ابنه ابراهيم المؤيد بالمطيره، و انزل ابنه المعتز خلفها مشرقا بموضع يقال له بلكوارا و كان قد بنى قصرا فسيحا هناك. فاتصل البناء من بلكوارا جنوبا الى آخر الموضع المعروف بالدور شمالا، مسافه اربعة فراسخ<sup>(٤)</sup>.

١- كتاب البلدان / ٢٦٢ - ٢٦٣.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٢ - ٢٦٣.

٣- رى سامراء / ١ / ١٠٦.

٤- كتاب البلدان / ٢٦٥.

## الطراز الحيرى فى البناء:

بلغ من حب المتوكل على الله للبناء و اهتمامه به انه احيا طرازا عربيا قديما فيه هو الطراز الحيرى ذو الكمين و الأروقه.

فقد حدثه بعض ندمائه ان احد ملوك الحيره كان احدث بنيانا على صورته الحرب و هيئتها، للهجه بها و ميله اليها و لئلا يغيب عنه ذكرها. فكان الرواق و فيه مجلس الملك يعتبر الصدر، و الكمان ميمنه و ميسره و فيهما اقرب خواصه اليه، و فى اليمين خزانه الكسوه، و فى اليسار خزانه الشراب. و اتبع الناس المتوكل على الله فى اتخاذ هذا الطراز من البناء لبيوتهم فى عهده و بعده(١). كما صار الطراز الحيرى يتخذ فى بناء القصور الكبيره اذ صار لها مقدم و على جانبيه جناحان، و لها ثلاثه ابواب أوسطها الباب الأكبر و الى جانبيه البابان الصغيران(٢). و قد انتقل هذا الطراز من البناء الى بغداد، فكان قصر التاج الذى بدأ المعتضد بالله بتشيدته ببغداد و اكمله ابنه المكتفى بالله، صورته مكبره للطراز الحيرى اذ كان وجهه مبني على خمس عهود كل عقد يقوم على عشره اساطين، و الاسطوانه خمسه اذرع(٣).

كما نقله الأمير احمد بن طولون الى مصر، و قد اشرنا الى ذلك عند الكلام عن اعمال ابن طولون العمرانيه فى مصر.

## ساحات الفروسية و السباق:

يظهر من دراسه الخرائط الطوبو جرافيه و الصور الجويه لأطلال مدينه سامرا انه كان فى السهل الممتد شمالى الجامع الكبير، اى غربى ساحه الحير، اربع حلقات كبيره تدور حول مربع

١- مروج الذهب ٨٧ / ٤.

٢- الحضاره الاسلاميه ١٧٥ / ٢.

٣- معجم البلدان ٥ / ٢.

مركزى. و قد اثبتت التنقيبات التى قامت بها دائره الآثار القديمه ان هذه الحلقات تتكون من طوقين متوازيين بينهما ساحه عرضها ثمانون مترا، و هما يدوران حول المربع المركزى اربع دورات دون ان تنقطع، و فى المربع المذكور دكه مرتفعه تظهر عليها آثار بنايه من الآجر.

و كانت الدوائر المذكوره ساحه للفروسيه او حله للسباق انشئت على شكل مبتكر بديع. و كانت بنايه فى الدكه المرتفعه معده للجوس الخليفه و حاشيته للتفرج و التمتع. اما الساحه الممتده بين الدائرتين المتوازيين، و الملتويه حول الدكه المذكوره فكانت معده لجرى الخيل و تسابقها. و من الواضح ان هذا الترتيب المبتكر هو ان يجعل طول الدوره الكامله فى هذه الدوائر المتتاليه يزيد على خمسه كيلومترات، بينما لا يزيد بعدها الاعظم عن الدكه على طول الدوره عن (٦٠٠) متر بحيث يستطيع المتسابقون ان يقطعوا على هذه الساحه مسافه خمسه كيلومترات او اضعافها دون ان يبتعدون عن عين الخليفه و اصحابه باكثر من (٦٠٠) متر فى جميع الأحوال، و هو ابتكار يثير الاعجاب و لا ريب. و مما يؤيد ذلك ان هذه الدوائر تقع فى نفس المنطقه التى تشاهد فيها معالم حلبتين آخريين من حلبات السباق، تبدأ احدهما من خلف دار الخليفه، و تبدأ الاخرى من تل العليق. و ان اوضاع هذه الحلبات الثلاث تسوغ الافتراض بأن اقدمها هى التى تبدأ من شرقى دار الخليفه و تتجه شرقا داخل ساحه الحير حتى تنتهى قرب نهر القاطول، و يزيد طول دورتها على عشره كيلومترات و نصف الكيلومتر. فكان طول الدوره يساعد على اجراء سباقات كبيره، غير ان الخيول كانت تتباعد عن الدكه تباعدا كبيرا لا يترك مجالا لتتبع حركاتها، فيحرم المشاهد من التمتع بمراها و هى تتسابق نحو الهدف. اما الحلبه التى تبدأ من تل العليق فليست

واضح المعالم عدا في قسمها الأول، و مع هذا فان اتجاه هذا القسم كاف للحكم على انها كانت طويله جدا. و من الطبيعي ان يساعد ارتفاع التل على تتبع حركات الخيول على هذه المسافات الكبيره، الا- ان ذلك كان يتطلب جهدا كبيرا و انتباها شديدا(١).

و قد سبقت الاشاره في البحث الخاص بدار الخليفه الى هاتين الساحتين، و انهما انشئتتا مع الدار المذكوره. اما الساحة التى وصفنا شكلها المبتكر فقد استحدثت بعد الحلبتين المذكورتين، لايجاد حلبه سباق يبقى المتسابقون و خيولهم فيها تحت الأنظار على الدوام. و يرجح انها من منشآت المتوكل على الله.

### اتل العليق:

يقع هذا التل شمالى الجامع الكبير، و قطره نحو مائتى متر، و هو يرتفع عن السهل المحيط به بمقدار (٢٥) مترا. و يحيط به خندق عريض دائرى يبلغ عمقه نحو ثلاثه امتار. و حوله معالم سور مستدير يبلغ قطره نحو (٤٥٠) مترا(٢). و فى شمالى التل طريق ينحدر من قمته و يعبر الخندق، و يرجح انه كانت عليه قنطره، و كانت المياه تصل الى الخندق من القناه التى حفرها المتوكل على الله لاىصال الماء الى سامرا(٣).

و يعلل الناس تسميه التل بروايه يتناقلونها هى ان التل تكون من التراب الذى نقله الجنود الخياله بعليق خيولهم. و يروون ان الخليفه المتوكل على الله اراد ان يظهر ضخامه جيشه و كثره

١- الاثار القديمه العامه- سامراء / ٦٣-٦٥.

٢- نفس المصدر / ٦٠.

٣- رى سامراء / ١ / ١١٨.

عدد فرسانه بدليل عياني محسوس، فأمر ان يملأ كل واحد من جنوده الخياله عليه بالتراب، ثم يرميه هناك، فتكون التل من التراب الذى تجمع على هذا الوجه(١). و جاء فى خلاصه الذهب المسبوك ان المعتصم بالله هو الذى امر بعمل تل المخالى المذكور لما جيش الجيوش الى محاصره عموريه(٢). و يحتج القائلون بالرأى الأول ان اتصال خندق التل بقناه سامرا دليل على انه من عمل المتوكل على الله الذى انشأ القناه المذكوره. الا اننا نرى ان ما ذهب اليه صاحب الذهب المسبوك اقرب الى الواقع لما عرف عن المعتصم بالله من الروح العسكريه الشديده و حبه الجيش و عنايته به بحيث انه ترك العاصمه الى مدينه اخرى بسببه، و لهذا فان التفاخر بضخامه الجيش و كثره عدد فرسانه اجدر به. اما اتخاذ اتصال خندق التل بالقناه دليلا على انه من منشآت المتوكل على الله، فلا يغير من الواقع شيئا، لأن ذلك لا يمنع من ان يكون التل موجودا و ان المتوكل على الله اوصل الماء الى الخندق المحيط به.

من المؤكد ان التل اصطناعى و قد كون بطريقه حفر خندق مستدير و تكويم التراب الذى يرفع منه فوق الدائره الباقيه فى داخله. و قد درس هرزفيلد هذا التل خلال تنقيباته فى سامرا و استنتج انه كان على قمته قصر مربع الشكل مقسم الى تسع غرف متصله ببعضها، واحده منها فى الوسط و اربعة متصله باضلاع هذه الغرفه على شكل اواوين مفتوحه. و الاربعه الاخرى بين اضلاع الاواوين المذكوره. و الغرض من تكوين هذا التل فى وسط السهل و تشييد هذا القصر فوقه انما كان للتفرج من محل مرتفع يمتد فيه النظر، لأنه كان يشرف على الحير و على احدى حلقات السباق(٣). و هناك احتمال ان يكون هذا التل قبر احد

١- الاثار القديمه العامه - سامراء / ٦١ - ٦٢.

٢- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٢.

٣- الاثار القديمه العامه - سامراء / ٦١ - ٦٢.

القواد الرومان، وقد استعمل للتفرج على السباق بعد ان شيدت فوقه تلك الحجرات، و مما يجدر ذكره للمقارنه ان هناك مصطبه على الكتف الغربى للقاطول الأعلى حيث تنتهى دوره حله السباق، عليها بقايا غرف مماثله تطل على الساحة المنبسطة، يحتمل انها شيدت لغرض التفرج منها ايضا(١).

### الحير:

حائر الحير هو الحائط او السور الذى بناه المعتصم بالله فى نهايه ابنيه سامرا من جهتها الشرقيه. و كان يمتد على طول الأبنيه من الجوسق الخاقانى حتى المطيره. و قد احتفظ بالسهل الواسع الممتد خلف هذا الحائط من غير بناء ليكون ساحه ترتع فيها الحيوانات و الطيور، و سميت بساحه الحير. و يذكر اليعقوبى انه كلما توسع عمران سامرا شرقا و امتد الى ساحه الحير هدم السور المذكور و بنى آخر بدلا عنه بعد العمران الجديد، و عدد اصنافا من الطيور و الوحوش كالظباء و الحمر الوحشيه و الأيائل و الارانب و النعام و غيرها، مما كان محجوزا فى الساحة المذكوره(٢).

و عند ما توسع المتوكل على الله فى العمران شرقى سامرا انشأ حائطا جديدا على الحدود الجديده للبناء الذى اقيم فى ظهر شارع الحير الجديد، بعد ان اقتطع جزءا كبيرا من ساحه الحير، و جعل لهذا الحائط بابا رئيسا عرف بباب الحير، جنوبى الجامع الكبير ممايلى الجوسق، ليوصل بين الساحة و المدينه. و قد ورد ذكر الحير و بابه فى عدد من الأحداث المهمه التى وقعت فى ايام الخليفه المهتدى بالله. فقد ذكره الطبرى فى حوادث السنه (٢٥٦ هـ) عند ما

١- المرشد الى مواطن الاثار و الحضاره- ( سامراء) /١٨.

٢- كتاب البلدان /٢٦٣.

صار القائد موسى بن بغا الى باب الحير و عسكر هناك قرب دار القائد التركي ياجور(١). و عند ما القى القبض على القائد صالح بن وصيف اخرج من باب الحير ليذهبوا به الى الجوسق(٢).

و عند ما عزم المهتدى بالله على حرب الأتراك خرج الى الحير و عرض الناس و امر ان تضرب الخيام و المضارب فى الحير، و عبأ اتباعه لمواجهه الأتراك(٣).

ان المتوكل على الله وسع الحير نحو الشرق و انشأ فيه حديقته و اسعه للحيوانات تزيد مساحتها على عشرين الف دونم، و احاطها بسور بلغ طوله حوالى ثلاثين كيلومترا. و قد جمعت فيها اصناف الحيوانات البريه من الوحش و الطير، كان بعضها حرا طليقا و بعضها حبيسا فى الأقفاص. و للشاعر البحترى قصيده يمتدح فيها المتوكل على الله و يشير الى حير الوحش و يقدر عدد الوحش فيه بالفين، و يقول انها كانت تألفه و تخضع له، و يذكر نهر نيزك الذى يروى متنزه الحير، جاء فيها(٤):

خليفه الله ما للحمد منصرف الا الى نعم أصبحت توليها

فلا فضيله، الا انت لا بسهاو لا رعيه، الا انت راعيها

ملك كملك سليمان الذى خضعت له البريه: قاصيها و دانيها

١- الطبرى ٩ / ٤٣٨ - ٤٣٩.

٢- نفس المصدر / ٤٥٤.

٣- نفس المصدر / ٤٦٥.

٤- ديوان البحترى - طبعه بيروت ١ / ٤٥ - ٤٦.



و طاعه الوحش اذ جاء تك من خرق أحرى، و أدمانه كحل مآقيها(١)

كالكاعب الرود يخفى فى ترائبها روع العبير و يبدو فى تراقبها

الفان وافت، على قدر مسارعها الى قبول الذى حاولته فيها

ان سرت سارت و ان وقفها و قفت صوراً اليك، بالحاظ تواليها

يرعن منك الى وجه يرين له جلاله يكثر التسييح رائيها

حتى قطعت بها القاطول و افترت بالحير فى عرصه فسح نواحيها

فنهز نيزك ورد من مواردها و ساحه التل مغنى من مغانيها

و قد انشىء فى الطرف الجنوبى لهذا المتنزه الواسع قصر يشرق على بركة ماء واسعة ينتهى اليها نهر نيزك، و عرف هذا القصر باسم قصر الدكه. و كان طوله (١٦٥) متراً و عرضه (١٢٥) متراً، اى ان مساحته كانت تربو على عشرين الف متر مربع.

و يرجح الدكتور احمد سوسه، ان هذا القصر كان يعرف بقصر الساج ايضاً، و ان البركه التى امامه هى البركه الحسناء التى وصفها البحتري و تغنى بجمالها و روعه الرياض التى تحتها(٢).

---

١- الخرق: المدهوش من خوف او حياء. و الادمانه: الطيبه التى لونها مشرب بياضا.

٢- رى سامراء ٢/ ٢٩٩.

و توجد فى الركن الجنوبى لقصر الدكه اطلال بنايه واسعه طولها (٤٠٠) متر و عرضها (٢٦٥) مترا، يرى الدكتور سوسه انه يحتمل ان تكون هذه الأطلال من بقايا قصر البديع الذى بناه المتوكل على الله، لأن البحتري اقترح فى احدى قصائده فى مدح المعتز بالله، ان يمد فرع قناه سامرا الذى شقه المتوكل على الله لتموين قصر الدكه بالماء، و يوصله الى قصر البديع و منه ينهيه الى دجله قرب الجوسق، اذ يقول: (١).

الحقه يا خير الورى بمسيره و امدد فضول عبايه المتدفق

فاذا بلغت به البديع فانما نزلت دجله فى فناء الجوسق

و هو يرجح ايضا ان قصرى الصبيح و المليح اللذين بناهما المتوكل على الله يقعان فى هذا المتنزه ايضا. و هو يستند فى ذلك على وصف البحتري الوارد فى احدى مدائحه التى قالها فى المتوكل على الله، و ذكر فيها القصرين المذكورين و البركه الحسناء، التى قال فيها: (٢)

و استتم الصبيح فى خير وقت فهو مغنى انس و دار مقام

ناظر وجهه المليح فلو يستطيع حياه معلنا بالسلام

ألبسا بهجه و قابل ذا ذاك فمن ضاحك و من بسام

١- نفس المصدر ١/ ١٢٥.

٢- نفس المصدر ٢/ ٣٠٣ و القصيده فى ديوان البحتري ٣/ ٢٠٠٤-٢٠٠٧.

حتى يقول:

مستمد بجدول من عباب الماء كالأبيض الصقيل الحسام

و اذا ما توسط البركه الخضراء ألفت عليه صبغ الرخام

فتراه كأنه ماء بحريخدع العين و هو ماء غمام

على ان تأييد ذلك يتوقف على ما ستسفر عنه التنقيبات و التحريات التى ستجريها دائره الآثار القديمه على الاطلاق و الآكام المشار اليها. علما ان الدائره المذكوره لا ترى رأى الدكتور سوسه فى موضوع البركه، و ترى انها بركه القصر الجعفرى الذى شيده المتوكل على الله فى مدينه المتوكليه، و ان البركه التى فى حديقته الحيوانات من عمل المعتصم بالله عند ما بنى قصره على القاطول قبل انتقاله الى سامرا(١).

### ٣- مشاريع الري فى عهد المتوكل على الله:

#### اشاره

تم فى عهد المتوكل على الله ثلاثه مشاريع مهمه لرى سامرا و ما حولها، هى: قناه سامرا او قناه المتوكل على الله، و نهر النيزك، و النهر الجعفرى. و سنلقى نظره سريعه على كل من قناه سامرا و نهر النيزك، اما النهر الجعفرى فنرجى ء البحث فيه الى موضوع انشاء مدينه المتوكليه لأنه انشى ء لا يصال المياه اليها.

#### قناه سامرا:

كان من جملة المشاكل التى واجهت مدينه سامراء منذ تأسيسها ان ارتفاع الضفء الشرقيه لنهر دجله التى قامت عليها المدينه

اولاً، حال دون توفر المياه للشرب وللرى الا بالواسطه. وقد اعتمد الناس فى شربهم على حمل المياه اليهم فى الروايا على الأبل والبغال، وهذا ما دفع المعتصم بالله الى اعمار الجانب الغربى من المدينه، لأن ارضه منخفضه عن مستوى النهر و يسهل اسقاؤها سيحاً، مما يساعد على التوسع فى الزراعه. وقد اشرنا الى احيائه نهر الاسحاقى الذى صار محور العمران فى هذا الجانب من المدينه.

و يظهر ان المتوكل على الله صرف همته الى توسيع مدينه سامرا فى الجانب الشرقى منها رأى ان يبدأ بتوفير المياه الكافيه لها قبل كل شىء. و لهذا كان اول مشاريعه الاروائيه حفر قناه تؤمن اىصال الماء الى هذا الجانب من المدينه بطريقه الرى الجوفى المعروف برى الكهاريذ. و اشتمل مشروعه على كهريزين ضخمين يستعمل احدهما فى الشتاء و الآخر فى الصيف. و هما يستمدان المياه من نهر دجله شمال الدور، فيسيران جنوباً حتى يصلا العاصمه. و قد مدت هذه القناه جنوباً لتصل الى المطيره فالقادسيه(١).

و الكهريز مجرى ماء على شكل نفق تحت الأرض لسحب المياه الجوفيه من العيون و نقلها الى الاراضى الزراعيه سيحاً، و ذلك بحفر آبار على مسافات معينه على طول النفق لرفع اتربه المجرى بواسطتها و لاستخدامها كنوافذ هوائيه للنفق و للنزول اليه اذا ما اقتضى تنظيفه من الترسبات و العوائق التى تحول دون جريان الماء فيه. و تحفر الآبار عادة بانحدار تدريجى من بئر الى اخرى ادنى مستوى منها، ليتسنى للمياه الجريان الى الجبهه المطلوبه. و تغطى هذه الآبار بابواب لمنع تسرب الاتربه الى المجرى. و تختلف المسافه بين بئر و اخرى حسب طبيعه الأرض، و هى تتراوح بين خمس

امتار و عشرين مترا. و تكون هذه الآبار عادة باتجاه واحد، و هى تدل على اتجاه الكهريز و طوله. و من الطبيعى ان يختلف طول الكهريز باختلاف طبيعه الارض و عمق المياه الجوفيه.

لقد تسنى للمتوكل على الله بواسطه هذه القناه ان يوصل المياه الى البركه الكبيره التى كانت خلف دار العامه، و هى المعروفه ببركه السباع. ثم الى البركه الثانيه التى تقع شمالى غربى البركه السابقه. و الى ساحه السباق الواسعه التى انشأها من جهه الحير، و الى خندق تل العليق المشرف عليها. كما انه وفر الماء الكافى للجامع الكبير و لاسيما لتافورته التى لا ينقطع ماؤها.

### نهر نيزك:

اراد المتوكل على الله ان يوسع حير الحيوانات خارج مدينه سامرا شرقا، فى المنطقه الكائنه بين القاطول الاعلى و القاطول الأسفل المسمى بنهر القائم، و ذلك بعد ان ضم جزءا كبيرا من اراضى الحير الذى انشأه المعتصم بالله، الى مدينه سامرا عند ما وسعها نحو الشرق بفتح الشوارع الجديده و توزيع الاراضى التى اقطعها لبناء المساكن، و بناء الجامع الكبير. الا ان المنطقه التى اختارها لتكون حديقته واسعه للحيوانات و متنزها كبيرا لأهل سامرا، تحتاج الى مزيد من المياه الدائمه الجريان. فعمد الى احياء نهر القادسيه القديم الذى كان يتفرع من الضفه اليمنى للقاطول الأعلى، من موضع يبعد عن صدره بثلاثين كيلومترا و ينتهى عند منطقه المشرحات فيخترق المنطقه المذكوره و يرويها.

و هى المنطقه التى كان الخليفه هارون الرشيد بنى فيها قصرا لنزهته. و كان نهر نيزك ينتهى عند البركه التى انشأها المتوكل على الله فى هذا المتنزه. و لكى يؤمن استمرار تدفق المياه فى النهر الجديد اقيم ناظم على نهر القاطول ليرفع مناسب المياه

فيه حتى يتدفق الى النهر المذكور الذى سمي بنهر نيزك. و بذلك أمن ارواء منطقته الحير الجديد الواسع و حدائقه سيحيا. و كانت تتفرع من نهر نيزك عدة فروع من ضفته الغربيه لتسقى اراضى المطيره و منطقته بركوارا، جنوبي سامرا(١).

#### ٤- الجامع الكبير:

##### مقدمه:

كان من خطه المعتصم بالله فى بناء سامرا ان يبنى مسجدا فى كل منطقته سكنيه، فعند ما اقطع كبير قواده اشناس و اصحابه الموضوع المعروف بالكرخ امره ان يبنى مع المساكن المساجد و الأسواق. كما انه انشأ مسجدا جامعاً على شارع السريجه، و هو الشارع الأعظم، و اختط الأسواق حوله. و لم يزل يجمع فيه الى ايام المتوكل على الله الذى تولى الخلافة سنة (٢٣٣ هـ) فضايق على الناس فهدمه و بنى مسجدا جامعاً واسعاً فى طرف الحير. يقول اليعقوبى: «و بنى المسجد الجامع فى اول الحير فى موضع واسع خارج المنازل لا يتصل به شىء من القطائع و الأسواق، و اتقنه و وسعه و احكم بناءه، و جعل فيه فواره ماء لا ينقطع ماؤها. و جعل الطرق اليه من ثلاثه صفوف واسع عظيمه من الشارع الذى يأخذ من وادى ابراهيم بن رباح، فى كل صف حوانيت فيها اصناف التجارات و الصناعات و البياعات، و عرض كل صف مائه ذراع بالذراع السوداء، لثلا يضيق عليه الدخول الى المسجد اذا حضر المسجد فى الجمع فى جيوشه و جموعه و بخيله و رجله»(٢).

١- رى سامراء ٢ / ٢٨٩.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٥.

يستنتج مما ذكره اليعقوبى ان المتوكل على الله بنى الجامع الكبير خارج المدينة و مد اليه ثلاثة شوارع توصل بينه و بين الشارع الأعظم فى سامرا، و جعل عرض كل شارع من هذه الشوارع مائه ذراع سوداء، و تقوم على جوانبها حوانيت اصناف التجارات و الصناعات بهدف توسيع المدينة و زياده اسواقها و متاجرها.

و كانت هذه الشوارع الثلاثة تتفرع من الشارع الأعظم جنوبى دار الخليفة و القصر الهارونى و قصر الجوسق، و تتجه شرقا حتى تفضى الى الجامع فى جانب الحائط الغربى الذى كانت فيه سبعة مداخل، بعد ان تخترق السور الخارجى للجامع.

يقول البلاذرى عن المتوكل على الله: «و بنى مسجدا جامعا كبيرا و أعظم النفقه عليه، و امر برفع منارته لتعلو اصوات المؤذنين فيها حتى نظر اليها من فراسخ، فجمع الناس فيه و تركوا المسجد الأول»<sup>(١)</sup>. و جاء فى خلاصه الذهب المسبوك ان المعتصم بالله «بنى الجامع الكبير و انفق على ذلك خمسمائه الف دينار و جعل وجوه حيطانه مرايا بحيث يرى القائم فى الصلاه من يدخل من خلفه. و بنى المناره التى يقال انها من احدى العجائب»<sup>(٢)</sup>. و هو لا شك و اهم اذا ما اعتبرنا كتاب البلدان لليعقوبى اقدم المصادر و اوثقها عن سامرا. و ان البلاذرى ايده فى روايته، كما ايده ياقوت فى معجمه.

يعتبر المسجد الجامع الذى انشأه المتوكل على الله اروع المنشآت ذات الأثر فى تلك الحقبة من حياه الدوله العربيه.

و تشاهد آثاره اليوم مع مئذنته الملويه شمالى شرقى مدينه سامراء الحاليه. و تعتبر اضخم و ابرز الأثار الباقية من مباني سامرا

١- فتوح البلدان / ٢٩٥، و معجم البلدان ٣ / ١٧٥ و قد نقل عن البلاذرى نفس النص.

٢- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٢.

القديمه. و رغم ان هذا الجامع يشبه المساجد الجامعه الاخرى من حيث تخطيطه العام و محتوياته الا انه يمتاز عليها جميعا بسعه مساحته و ضخامه بنائه، و بمئذنته الملويه. و هو يعد اكبر جامع فى العالم الاسلامى. و كان البدء ببنائه فى سنه (٢٣٤ هـ) و الانتهاء منه فى سنه (٢٣٧ هـ) (١). و يذكر ياقوت الحموى ان مجموع ما انفق على بنائه بلغ خمسه عشر الف الف درهم (٢).

و يتضح من تنقيبات هرزفيلد ان اضلاع السور الخارجى للجامع كانت تبلغ ٣٧٦ \* ٤٤٤ م، اى ان مساحه المسجد و الزيادات التى فى خارجه تربو على (١٧) هكتارا اى اكثر من (٦٨) دونما عراقيا (٣). و يقدر بروكلمان مساحه صحنه الداخلى باربعه و اربعين الف متر مربع، و يقول: «و بحسبنا لكى نكون فكره عن معنى هذا الرقم ان نذكر ان صحن كنيسه القديس بطرس فى روما يبلغ (١٥١٦٠ م ٢)، و صحن ايا صوفيا فى استانبول يبلغ (٦٨٩٠ م ٢)، فى حين لا يزيد صحن كاتدرائيه كولون على (٦١٢٦ م ٢) (٤).

### مخطط الجامع:

يتألف الجامع من اربعة اقسام تحيط بالصحن هى: الحرم و يقع على الضلع الجنوبيه للجامع، و كان فيه خمسه و عشرون رواقا مؤلفه من اربعة و عشرين صفا من الاعمده فى كل صف منها تسعه اعمده. و ينتهى الرواق الأوسط بالمحراب و هو اعرض قليلا من الاروقه الاخرى. ثم القسم الشمالى المقابل للحرم، و كان فيه خمسه و عشرون رواقا مؤلفه من اربعة و عشرين صفا من

١- الاثار القديمه العامه - سامراء / ٤٩.

٢- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

٣- رى سامراء ١ / ١١٢.

٤- تاريخ الشعوب الاسلاميه ٢ / ٥١.



الاعمده فى كل صف منها ثلاثه اعمده. و كانت صفوف هذه الأعمده تمتد على شكل خطوط ذات زوايا قائمه الى داخل المسجد بالنسبه لجداريه الشمالى و الجنوبى. و الرواق الأوسط فى هذا القسم اكثر اتساعا من بقية اروقته. ثم الجانبان الشرقى و الغربى من المسجد و كان فى كل منهما ثلاثه و عشرون رواقا مؤلفه من اثنين و عشرين صفا من الأعمده فى كل صف منها اربعة اعمده. و بذلك يبلغ مجموع الأعمده (٤٦٤) عمودا(١). و هناك اختلاف فى مجموع الأعمده ناشىء من اعتبار البعض عدد صفوف الأعمده فى الحرم عشره اعمده بدلا من تسعه، او من اعتبار عدد صفوف الاعمده فى القسم الشمالى اربعة بدلا من ثلاثه، بحيث يصبح المجموع (٤٨٨) عمودا.

ان جميع الأعمده كانت مبنيه بالآجر على قواعد مربعه طول ضلعها (٧٠ ر ٢ م) و ترتفع بشكل مثنى تاركه فى كل زاويه من الزوايا الأربع فسحه لارتكاز عمود رخامى قطره (٣٠ سم). و كان بعض هذه الأعمده الرخاميه اسطوانيا، و بعضها مثنى، و قد ثبتت قطعها باوتاد معدنيه، و ملئت الثقوب بالرصاص، و احييت مواضع الأتصال باطواق معدنيه ايضا. و يبلغ ارتفاع الأعمده من ارضيه الجامع حتى السقف حوالى (٥٠ ر ١٠ م)، و ينتهى اعلاها بتيجان جرسيه الشكل. و كانت الأعمده الرخاميه باللوان متعدده و جد منها تسعه انواع مختلفه معظمها من المرمر(٢).

و كانت هذه الأعمده تحمل السقف الخشبى للجامع دون ان ترتبط بعقود او طيقان من البناء كما ارتأى الآثاريون(٣). الا

١- الاثار القديمه العامه- سامراء/ ٤٧-٤٨.

٢- العماره العباسيه/ ١٤٥-١٤٦.

٣- الاثار القديمه العامه- سامراء/ ٤٨.

انه يظهر ان الفسحه الموجوده بين الأعمده كانت قد سقفت بعوارض، و ان الحفر التى ثبتت فيها العوارض المتقاطعه كانت لا تزال ترى فى الجانب الداخلى للجدار فى عام ١٩١١. كما ان التنقيبات التى اجرتها دائره الآثار القديمه كشفت عن وجود اكتاف من الطابوق و الجص، و ذلك مما يدفع الى القول بان السقف لم يكن يستند مباشره على الأعمده(١).

### المحراب:

اما محراب الجامع فانه يقع فى منتصف الضلع الجنوبيه، و كان قد تهدم و اتخذ شكل باب. غير ان دائره الآثار القديمه كشفت عن معالمه من تحت الانقراض و اعادت بناء القسم الاسفل منه. لاعطاء فكره عامه عن سابق وضعه(٢). و هو تجويف مستطيل الشكل عرضه (٥٩ ر ٢ م) و عمقه (٧٥ ر ١ م) و هى نفس الأبعاد التى كانت متخذة حينذاك للمحاريب(٣). و كان يحف به من الجانبين زوجان من اعمده الرخام الوردى اللون، و فى اسفل كل عمود و اعلاه قاعده بسيطه مستطيله. و يقوم على العمودين قوسان متحدا المركز يشكلان عقاده المحراب، و ذلك ضمن اطار مستطيل بارتفاع جدار الجامع(٤). و قد عثر بين اللقى على قطع من الفسيفساء المزجج النفيس و المذهب، يرجح انها مما كان يغطى جدران المحراب. و قد اشار المقدسى الى ان حيطان الجامع قد لبست بالميئا(٥). كما اشار الاربلى الى ان وجوه حيطان الجامع

١- العماره العباسيه / ١٤٥-١٤٦.

٢- الآثار القديمه العامه - سامراء / ٤٧.

٣- Creswell, E. M. A. P. : ٧٧٢.

٤- رى سامراء / ١ / ١١١.

٥- أحسن التقاسيم / ١٢٢.

جعلت من المرايا(١). و يظهر انهما قصدا بذلك الفسيفساء المزججه و المذهبه المشار اليها. و كان هرزفيلد قد فسر المينا بالموزاييك اى الفسيفساء(٢). و يلاحظ ان المحور الرئيس للمحراب يشير الى ان اتجاه القبلة فيه يقع على ١٩٨ درجه و ٣٠ دقيقه على حين ان القبلة تقع على ١٩٦ درجه و ٤٦ دقيقه، اى ان اتجاه الجدار يرجع درجه واحده و ٤٤ دقيقه الى الشرق(٣).

و هذا يتفق مع ما يقوله اليعقوبى عن سامرا «و اسمها فى الكتب المتقدمه زوراء بنى العباس و يصدق ذلك ان قبل مساجدها كلها مزوره، فيها ازورار، ليس فيها قبله مستويه»(٤).

و كشف التنقيب عن وجود بايين صغيرين على جانبي المحراب احدهما عن يمينه و الآخر عن يساره، و هما يؤديان الى بنايه صغيره كانت قائمه خلف المحراب. و قد قيل عن هذه البنايه انها ربما كانت مكانا لاستراحه الخليفه اذا جاء للصلاه، لأن قصور الخلفاء فى سامرا كانت بعيده عن المسجد الجامع. كما قد يكون احد البايين قد خصص لدخول الامام المسئول عن الجامع كى لا يتخطى المصلين من ظهورهم اذا جاء للصلاه بهم(٥).

### النافوره:

كان صحن الجامع واسعا فسيحا، و بعد رفع الركام المتجمع فيه ظهرت فى وسطه آثار تدل على انه كانت هناك نافوره مدوره كبيره. و قد اشار اليعقوبى اليها فى معرض كلامه عن بناء الجامع

١- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٢.

٢- Creswell, E. M. A. P. : ٧٧٢.

٣- رى سامراء / ١ / ٢٨٤ هـ.

٤- كتاب البلدان / ٢٦٨.

٥- مجله سومر العددان ١ و ٢ من سنه ١٩٦٩ / ١٤٨.

بقوله «و جعل فيه فواره ماء لا- ينقطع ماؤها»<sup>(١)</sup>. و قال ياقوت الحموى ان المتوكل على الله «اشتق من دجله فئاتين شتويه و صيفيه تدخلان الجامع و تتخللان شوارع سامراء»<sup>(٢)</sup>. و بذلك تأمن استمرار تدفق المياه من النافوره.

و قد اظهرت تنقيبات هرزفيلد ان الحوض كان يرتكز على قاعده اسطوانيه بنيت بالآجر بمونه الكلس و الرماد و كسيت بالرخام. و عثر فى الانقراض المجاوره للنافوره على قطع من اعمده رخاميه و اجزاء من تيجانها، و زخارف جصيه مذهبه، و قطع من الفسيفساء الزجاجيه. و يرجح من وجود بقايا الأعمده الرخاميه حول قاعده الحوض انه كان ثمة سقف فوق النافوره تحمله هذه الأعمده<sup>(٣)</sup>. و وصف حمد الله المستوفى الحوض المشار اليه بأنه كان قطعه واحده من الحجر محيطها (٢٣) ذراعا، و ارتفاعها (٧) أذرع و سمكها نصف ذراع، و كانت تعرف بكأس فرغون<sup>(٤)</sup>.

و اشار المؤرخ ابن الفوطى فى حوادث سنه (٦٥٣ هـ) الى انه فى هذه السنه «حملت القصعه المعروفه بقصعه فرعون من سر من رأى الى بغداد فى كلكك، و رفعت تحت دار الخليفه، و كانت عظيمه جدا، فلم تزل حتى سنه (٦٥٧ هـ) ثم كسرت»<sup>(٥)</sup>.

و سبق ان ذكرنا ان الحوض الكبير الذى كان يتوسط الدار المربعه فى جناح الحرير من دار العامه كان من الكرانيت المصرى و انه يعود الى عهد الفراعنه، و لذا يمكن القول بان حوض الجامع الكبير و هو صخره عظيمه مجوفه كان قد جلب من مصر ايضا مع

١- كتاب البلدان / ٢٦٥.

٢- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

٣- رى سامراء / ١ / ١١١.

٤- نفس المصدر.

٥- الحوادث الجامعه / ٣٠٦.

الحوض المذكور او بعده، و من هنا جاءت نسبه الى فرعون فسمى كأس فرعون او قصعه فرعون.

### جدران الجامع:

لم يبق من بناء الجامع شىء قائم غير جدرانه الخارجيه التى تحيط بساحه مستطيله طولها نحو ٢٤٠ مترا و عرضها ١٦٠ مترا، اى ما مساحته (٣٨) الف متر مربع. و هذه الجدران سميكه لا يقل سمكها عن مترين، و يناهز ارتفاعها عشره امتار. و هى مبنيه بناء جيدا متقنا بالآجر و الجص. و تدعمها من الخارج ابراج نصف دائريه عددها اربعون برجاً، اربعه منها فى الاركان، و ثمانيه فى كل من الضلعين الشماليه و الجنوبيه، و عشره فى كل من الضلعين الشرقيه و الغربيه (١). الا- ان المخططات التى وضعها الآثاريون ممن عنوا بدراسه بقايا الجامع، مثل بيليه و هرزفيلد و فيوله و كريزويل تتفق فى ان عدد الابراج الواقعه على كل من الجانبين الأطول منه (١٢) برجاً، و فى كل من الجانبين الآخرين (٨) ابراج، فيصبح المجموع (٤٤) برجاً (٢).

شيدت الابراج المذكوره على قواعد مستطيله من صنفين او ثلاثه من الطابوق، و هى تمس محيط البرج، طولها (٩٠ ر ٣ م) و عرضها (٢٥ ر ٢ م) لأبراج الجوانب. اما ابراج الاركان فيبلغ طول القواعد التى تقوم فوقها (٤٥ ر ٥ م) و عرضها (٢٥ ر ٥).

و معدل قطر ابراج الجوانب (٦٠ ر ٣ م) اما ابراج الأركان فان اقطارها اكبر من ذلك. و يبلغ معدل بروز الابراج جميعا بما فيها ابراج الأركان (١٥ ر ٢ م) من كلا الوجهين، عدا البرجين

١- الاثار القديمه العامه - سامراء / ٤٥.

٢- العماره العباسيه / ١٣٣.

اللذين على جانبي المحراب فانهما مستطيلان من وجهها الداخلى حتى مستوى قمه الأبواب(١).

ان الابراج خاليه من النقوش و الزخارف. اما اجزاء الجدران الواقعه بين الابراج فانها مزدانه فى قسمها الأعلى بست خسفات مربعه يظهر فى وسط كل منها خسفه مستديره تكسب الجدار رونقا و جمالا. و يبلغ قطر الخسفه المستديره مترا واحدا و عمقها (٢٥ سم) و قد بنى نصفها العلوى على شكل عقد نصف دائرى. و لا يزال قسم من هذه الخسفات تكسوه طبقه من الزخارف الجصيه. و فوق الخسفات بثلاثين سنتمترا يوجد افريز يتكون من صفين من الآجر. و يظهر على كل جزء من اجزاء الجدار بين الابراج شق شاقولى منتظم لا-شك فى انه كان يحتوى على المواسير المخصصه لتصريف مياه الامطار مما يتجمع فوق سطح الجامع(٢).

و قد عثرت دائره الآثار العامه فى أثناء التحرى و التنقيب فى الجامع على قطع زجاجيه زرقاء غامقه مربعه الشكل طول ضلع الواحد منها (٥٠ سم) و سمكها (٥ ر ٣ سم) و يبدو انها كانت بالأصل تزين الجزء السفلى من الجدار القبلى داخل الحرم الى ارتفاع متر اعتبارا من تبليط ارضيه الجامع. و قد لوحظ ان هناك صفين من تلك القطع احدهما فوق الآخر، و تكبس فى الفراغات الحاصله بينهما مساند مدوره من نفس الزجاج لزياده تماسك القطع الزجاجيه التى كانت مثبتة فى القديم على ثلاثه صفوف. و ما تزال آثار طبعتها تشاهد بصورة سليمة جليه اسفل الجدار القبلى(٣).

١- نفس المصدر / ١٣١-١٣٣.

٢- الآثار القديمه العامه - سامراء / ٤٦.

٣- العماره العباسيه / ١٥٠.

**ابواب الجامع و نوافذه:**

كان للجامع سبعة عشر مدخلا تختلف سعة كل منها باختلاف موقعها. اثنان منها فى الضلع الجنوبيه، و قد سبقت الاشاره الى انهما كانا مدخلين خاصين احدهما للخليفه و الآخر لأمام الجامع.

و قد اختيرت مواقع الأبواب الرئيسه الاخرى بشكل يتفق و نظام اروقه الجامع، و كانت موزعه على جهات الجامع الثلاث الباقيه.

ففى الجبهه الشرقيه خمسه مداخل رئيسه عرض كل منها (٩٠ ر ٣ م) باستثناء احدها فقد وسع بعدئذ ليبلغ عرضه (٨٥ ر ٤ م). و فى الجبهه الغربيه سبعة مداخل، خمسه منها اصليه انشئت عند بناء الجامع و قد بنيت على غرار مداخل الجبهه الشرقيه من حيث مقاييسها و طراز عمرانها، و هى تقابلها تماما. اما المدخلان الآخران فقد اضيفا فى وقت لاحق بناء على الحاجه اليهما بسبب تزايد عدد المصلين و تزامهم على الابواب. و كان عرض احدهما (٦٥ ر ٢ م) و عرض الآخر (٢٥٨ ر ٢ م). اما الجبهه الشماليه فقد كان فيها ثلاثه مداخل، و اوسطها اوسعها اذ يبلغ عرضه (٩٥ ر ٢ م) و هو يقابل المناره الملويه تماما(١).

ان جميع الابواب المذكوره مستطيله الشكل، و هى تمتد بواسطه دعامات ترتفع عليها عقود، و فى اغلب الابواب تهدم البناء القائم فوقها، الا انه تبين بعد فحص النوافذ التى بقيت مصانعه انه كان هناك عقد مرتفع مسطح يستند على عوارض(٢).

اما نوافذ الجامع فلم تكن كثيره، اذ خلت جدرانها منها عدا القسم الاعلى من الضلع الجنوبيه، اى الجدار القبلى. حيث توجد سلسله من النوافذ تبدو من الخارج كفتحات ضيقه مستقله،

١- مجله سومر- العددان ١ و ٢ لسنة ١٩٦٩/١٤٦-١٤٧.

٢- العماره العباسيه / ١٣٩- ١٤٠.

الا انها تأخذ فى الداخلى هئته شبابيك جميله. و يتألف كل واحد من هذه الشبائيك من دخله مستطيله الشكل يظهر داخلها عمودان من الآجر يحملان طاقا مكونا من خمس حنايا. و كان عدد هذه النوافذ (٢٤) نافذه، اثنتان منها تقعان فوق البابين الذين على جانبى المحراب. و يحيط بكل نافذه اطار مستطيل ارتفاعه (٥ ر ٢ م) و عرضه (٩٠ ر ١ م). و هناك شبان آخران فى جنوبى كل من الضلعين الشرقى و الغربى. بحيث يصبح مجموع النوافذ (٢٨) نافذه، و يظهر ان الشبائيك الاربعه فتحت فى وقت متأخر عن وقت البناء(١).

و قد عثر هرزفيلد فى اثناء تنقيباته على نوعين من الزجاج يتألف النوع الأول من بقايا الواح زجاجيه سميكة بين انها كانت تستخدم لهذه النوافذ، و النوع الآخر قطع صغيره مثلثه الشكل استخدمت لملء الحافات. و مما لفت نظره انه لم يجد هناك ايه علاقه تذكر بين صف النوافذ و ترتيب الابراج، بل ان النوافذ جميعها متناسقه مع الاروقه الشماليه و الجنوبيه للحرم و تقع على محاورها(٢).

### الاسوار الخارجيه للجامع:

يستدل من الحفريات التى اجريت فى منطقه الجامع و من الصور الجويه التى اخذت لها، انه كان يحيط بالجامع سور عظيم من الاجر من جوانبه الشرقيه و الغربيه و الشماليه. و يحيط بهذا السور من الجوانب الاربعه سور كبير آخر يفصله عن السور الأول فضاء مكشوف عظيم الاتساع فى جهاته الجنوبيه و الشرقيه و الغربيه، و يضيق فى الجهه الشماليه، يبلغ طوله (٤٤٤) مترا،

١- مجله سومر- العددان ١ و ٢ لسنة ١٩٦٩ / ١٤٩.

٢- العماره العباسيه / ١٤١- ١٤٢.



و عرضه (٣٧٦) مترا. و يدعمه (٤٨) برجا، اربعة منها كبيره دائريه الشكل فى اركان السور، و سبعة عشر برجا، اربعة منها فى كل من ضلعيه الشرقى و الغربى، و خمسة عشر برجا فى كل من ضلعيه الشمالى و الجنوبى، و كلها بهيئه نصف دائره (١).

كما لوحظت آثار ابنه بين جدران الجامع و السور الداخلى تدل على انها كانت مدارس دينيه حول الجامع، يدرس فيها الطلاب الذين كانوا يسكنون هناك ايضا، على نمط المدارس الدينيه الحاليه الملحقه بالجوامع و الأماكن المقدسه (٢).

### المنازه الملويه:

الملويه مئذنه مخروطيه الشكل تستند الى قاعده مربعه، و يصعد الى قمته من سطح مائل عريض يدور حولها من خارجها دوران الحلزون. و هى تقع خارج الجامع على بعد (٢٥ مترا) من ضلعه الشمالى و على محوره الأوسط، و ترتبط به بممر عرضه (١٢ مترا). و كانت قد تعرضت الى تخريبات كثيره و بخاصه فى قاعدتها و فى لوالبها الاولى، حتى ان معالم القاعده كادت تزول تماما. فقامت دائره الآثار القديمه باعمال الصيانه اللازمه لها منذ سنه ١٩٣٧، فأظهرت اسس القاعده و اعادت بناءها، و عمرت اللوالب فاعادت المرقاه الى حالتها السابقه (٣). و فى سنه ١٩٧٠ شيدت سلما حديثا عند جانبها الجنوبى ليسهل عمليه الصعود اليها، و اصلحت التخريبات التى فى بدن المناره و رمت القمه،

١- الآثار القديمه العامه - سامراء / ٤٩، مجله سومر المشار اليها / ١٤٤.

٢- رى سامراء / ١١٢.

٣- الآثار القديمه العامه - سامراء / ٤٥.

و نصبت سياجا حديديا حول بدن المئذنه بارتفاع مناسب ليؤمن خطرا ارتقائها(١).

و يمكن تقسيم المناره الملوويه الى ثلاثه اقسام هي: القاعده، و بدن المناره، و قمته.

تتألف القاعده من مربعين الواحد فوق الآخر و ارتفاعهما معا ٢٠ م و طول ضلع المربع الأسفل ٥٠ م و هناك افريز بارز بارتفاع ١٥ سم يمتد حول الجوانب الاربعه للقاعده. اما المربع الثاني فهو فوق المربع السابق مباشره و اصغر منه قليلا، و ابعاده ٦٠ م ر ٢٠ م \* ٤٠ م ر ٣٠ م. و جوانب القاعده مزخرفه بعدد من الحنايا المستطيله المجوفه. فهناك ست حنايا على الجانب الجنوبي المقابل للضلع الشماليه للجامع، و تسع حنايا على كل جانب من الجوانب الثلاثه الأخرى(٢).

و تتصل قاعده الملوويه بالجامع بواسطه اسس آجريه يرجح انها بقايا السلم المتخذ للصعود الى هذه القاعده. فقد كشفت الحفريات التي قام بها هرزفيلد و التحريات التي اجرتها مديريه الآثار العامه عن وجود سلم منحدر طوله ٢٥ مترا و عرضه ١٢ مترا مشيد بالآجر، يبدأ من نقطه تبعد عن جدار الواجهه الشماليه للجامع بمسافه قدرها ٢٥ م ر ٢ متر ثم يأخذ ذلك المنحدر بالارتفاع حتى يتصل بالقاعده المذكوره، في نفس المكان الذي يبدأ فيه السلم الحلزوني الموصل الى اعلى المناره الملوويه(٣).

و يرتفع بدن المناره عن القاعده ب ٥٠ مترا. و تبدأ المرقاه الحلزويه التي تضمن الصعود الى القمه، من وسط الضلع الجنوبيه للقاعده و تدور حول محور المئذنه باتجاه معاكس لاتجاه

١- مجله سومر- العددان ١ و ٢ من السنه ١٩٧٠ / ٢٨١.

٢- العماره العباسيه / ١٥٩.

٣- مجله سومر المشار اليها آنفا / ٢٨٠.

دوران عقرب الساعه، خمس مرات. و هي تناقص في سعتها كلما ارتفعت، اذ انها تبدأ بعرض ٥٠ ر ٢ م و تنتهي بعرض ٩٠ ر ١. الى ان تصل باب القمه الذى يفتح هو ايضا فى وسط الضلع الجنوبيه. و يقول هرزفيلد ان السلم الحلزوني كان له سياج من الخشب، و قد استدل على ذلك من الثقوب التى رآها على الجانب الخارجى منه(١).

و تكون القمه اسطوانه يبلغ ارتفاعها سته امتار، و هي مزدانه بروازين عمياء مدببه العقد و مقعره السطح، عددها ثمان، غير ان احداها تقوم مقام باب ينفذ الى داخل الاسطوانه و يوصل الى ذروتها بواسطه سلم حلزوني يدور داخلها حول محورها(٢).

و هناك ثمانيه ثقب في قاعده الاسطوانه استدل منها هرزفيلد انها ربما كانت تغطى ذلك الموضع سقيفه محموله على ثمانيه اعمده خشبيه مثبته في تلك الثقوب. الا- ان بعض الآثاريين رجحوا ان هذه الثقوب او الحفر تعود لأعمده رخاميه باعتبار ان الرخام اكثر مقاومه للعوامل الطبيعيه. الا ان الهيئه الفنيه التى انيط بها صيانته الملويه فى سنه ١٩٧٠ عثرت فى احد تلك الثقوب على بقايا من عمود خشبي، مما دل على ان هرزفيلد كان مصيبا فى أستنتاجه(٣).

### طراز المناره الملويه:

امتازت مناره الجامع الكبير فى سامرا بانها طراز غريب فى نوعه، سواء من حيث شكلها و مظهرها، او طريقه ارتقائها الى اعلاها. فقد كانت المنائر حتى تاريخ انشاء الملويه اسطوانيه فى

١- الآثار القديمه العامه - سامراء / ٤٥.

٢- نفس المصدر.

٣- مجله سومر - للعددان ١ و ٢ لسنة ١٩٧٠ / ٢٨٠.

شكلها او مربعه و يصعد اليها بسلاالم داخلية. و كلما كانت المناره مرتفعه سامقه كانت ادعى الى الجمال و الروعه. و ملويه سامرا بضخامتها و شكلها المخروطى اللولبى ليست جميله رائعه حسب، بل انها مهيبه تملأ النفس رهبه و خشوعا اضافه الى سلمها الخارجى الحلزونى، مما اكسبها ميزه واضحه على غيرها من المنائر. و من هنا كان اهتمام الأثاريين، لا سيما المعماريين منهم شديدا فى معرفه اصول هذا الطراز من المنائر، و حاولوا ان يتعرفوا على المصدر الذى اقتبسه منه معمار سامرا، فطرح عدده افتراضات لذلك، و امعن بعضها فى الغرابه حين افترض ان طراز الملويه مقتبس من معابد النار المجوسيه. و يظهر ان اصحاب هذا الافتراض تناسوا ان الدين الاسلامى انما جاء ليقضى على المجوسيه و معابدها، مما لا يمكن القول معه ان يقتبس طرازها. كما تناسوا اتصاله حضاره وادى الرافدين و عمق جذورها، و انها عرفت هذا النوع من البناء ذى السلاالم الحلزونيه الخارجيه.

فقد اقام العراقيون «الزقورات» فى جنوبى البلاد و شمالها، التى تميز جميعها بضخامتها و تعدد طوابقها و طريقه ارتقاؤها الى اعلاها. و هى نفس الصفات التى تميزت بها ملويه سامرا. لذا يصح ما قاله كريزويل بان السلم الحلزونى المستخدم فى مناره سامرا و مناره جامع ابى دلف مقتبس من الزقورات(١)، قولا مقبولا.

ان الزقورات التى شيدت فى سومر و بابل و آشور لم تكن من طراز واحد، كما انها اختلفت فيها طريقه الوصول الى قمته.

فقد اتخذت فى بعضها السلاالم الاعتياديه المتصله ببعضها بين طابق و آخر، و اتخذت فى بعضها الآخر السلم الذى يدور حول البناء عدده دورات حتى يصل الى اعلاه. و كان برج بابل و زقوره خرسباد

(دور شروكين) قد اتبع فيهما الاسلوب الأخير. و يقول هيرودوتس عن برج بابل «ان حاره الاله (جوبتر- بعل) المقدسه فناء مربع طول كل ضلع من اضلاعه نصف الميل، ذو ابواب من البرنز الصلد، كانت ما تزال باقيه فى زمنى. و يقع وسط ذلك الفناء او الساحة برج ذو بناء صلد طوله ١ / ٨ الميل و عرضه ١ / ٨ الميل ايضا، اقيم فوقه برج ثان و على هذا برج ثالث، و هكذا الى البرج الثامن الأعلى. و كان الصعود الى القمه من الخارج بواسطه سلم يدور حول جميع الابراج، و عند ما يبلغ المرء منتصف المسافه فى صعوده فانه يجد موضعا للاستراحه، حيث اعتاد الناس الجلوس بعض الوقت و هم فى طريق ارتقائهم الى القمه»(١).

اما زقوره خرسباد (دور شروكين) فقد كشفت منذ ما يزيد على مائه عام على يد الباحث الفرنسى فكتور بلاس-Victor Place الذى عثر على ثلاث طوابق و بقايا طابق رابع، و لم يجد الزقوره اسطوانيه كما كان يتوقع بل وجدها مربعه الشكل طول ضلعها ١٠ ر ٤٣ مترا، و لها سلم يبدأ من الزوايه الجنوبيه و يستمر على طول الواجهه و يلتف عند الزوايه، ثم يرتفع مارا بالزوايا على التوالى حتى يجد الصاعد نفسه فى الطابق الأول فوق النقطه التى بدأ بالصعود منها و لكن على ارتفاع ١٠ ر ٦ متر، و يستمر السلم بالدوران حول البرج بعكس اتجاه دوران عقرب الساعه- كما فى ملويه سامرا- حتى يتم صعود الطوابق الثلاثه بارتفاع ١٠ ر ٦ متر لكل منها(٢). و يقول المهندس المعمارى الهولندى بوسنك-Busink احد المختصين بالموضوع ان الزقوره المذكوره تتألف من خمس طوابق فقط، و فى الطابق الخامس معبد الاله آشور، و الوصول الى هذا الطابق لم

١- مقدمه فى تاريخ الحضارات القديمه / ٥٧٠.

٢- ٩٧٢: F.M.A.P. Creswell

يكن بسلم اعتيادي و انما بمنحدر حلزوني يدور حول البرج(١).

ان ما اوردناه آنفا يوضح ان طراز ملويه سامرا طراز محلي عريق توارثته الاجيال في وادي الرافدين خلال العصور الطويله من تاريخها، بحيث لا يمكن الزعم بانه لم يكن هناك نموذج للملويه في العراق عند ما بنيت سامرا و اسس الجامع الكبير، في القرن الثالث، و ان المعمار الذي تولى بنائها كان خبيرا ماهرا لا تنقصه القابليه على الابتكار و التطوير فبناها على اساس دائري و ليس مربعا، ف جاء بهذه التحفه الفنيه التي ستبقى خالدته على مر العصور.

## ٥- قصور المتوكل على الله:

### اشاره

اهتم المتوكل على الله ببناء القصور اهتماما عجيبا يثير الانتباه. فقد بنى عددا منها في انحاء مختلفه من سامرا، و قد تفنن في تزيينها و زخرفتها و انشاء حدائقها و يركها الجميله.

و لعله وجد في ذلك ما يشغله و يلهيه عن مشاكل القواد الأتراك، و يحرره من ضغوطهم الماليه و الاداريه. و قد سبقت الاشاره الى سوء العلاقه بين الطرفين، و محاوله كل منهما اخضاع الطرف الآخر او الفتك به و التخلص منه. الا ان مما يؤسف له انه رغم متانه بناء تلك القصور و رصانه اسسها، لم يبق منها شىء سوى اطلال بعضها و آثار من اسسها تساعد الى حد ما على معرفه تخطيطها و مساحاتها و مواد بنائها. اما ما احتوت عليه من ريازه و تصاوير و افاريز مما يعبر عما وصل اليه الفن العمرانى في عهد سامرا، فقد ذهب به الاهمال و عوادي الزمن، و لم يبق سوى بعض القطع و الكسر مما يعثر عليه بين الآكام، فتتخذ

وسيله للاستدلال و الاستنتاج مما لا- يمكن معه الوصول الى الحقيقه كامله. و ان ما جاء فى طيات المصادر التى ذكرت تلك القصور لا يزيد على نطف و اشارات لا تشفى الغليل، و ان ما قاله الشعراء فيها اقتصر على مدحها و التفاخر بها و ذلك فى معرض مدح الخليفه و الثناء عليه و التزلف اليه. و لا يتضمن شعرهم شيئاً عن محتوياتها او زخارفها و رسومها او اثاثها، سوى النزر اليسير.

على اننا سنحاول ان نتحرى ما جاء فى ثنايا الشعر و تلك المصادر عما كانت تضمه تلك القصور بين جدرانها من مرافق و اجنحه، و ما يحيط بها من حدائق، و ما يزينها من برك و احواض. و يمكن اعتبار كتاب الديارات للشابشتى و معجم البلدان لياقوت الحموى اغزر تلك المصادر عن القصور المذكوره.

فقد ذكرا اغلبها و اشارا الى بعض مما ذكرنا، و لم يفتهما ان يبينا مقدار ما انفق من الأموال عليها. و يقدر الشابشتى مجموع ما انفق المتوكل على الله على بناء القصور و عددها (١٩) قصرا بمائتى الف الف و اربعة و اربعة و سبعين الف الف درهم و مائه الف الف دينار (و لعلها مائه الف دينار)، و هى تعادل آنذاك ثلاثه عشر الف الف دينار و خمسمائه الف دينار و خمسه و عشرين الف دينار<sup>(١)</sup>. و يقول ياقوت الحموى ان مجموع ما انفق على ذلك هو مائتا الف الف درهم و اربعة و تسعون الف الف درهم<sup>(٢)</sup>. اما النويرى فيقول: «حكى المؤرخون انه أنفق فى بنائها مائه الف دينار و خمسون الف دينار عينا، و مائتا الف الف و ثمانيه و خمسون الف الف و خمسمائه الف درهم»<sup>(٣)</sup>.

١- الديارات / ١٥٩ - ١٦٠.

٢- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

٣- نهايه الارب ١ / ٤٠٦.

و سنحاول فيما يأتى من البحث ان نلم باكثر ما جاء فى مصادرنا التراثيه عن بعض تلك القصور، و ما اسفرت عنه التنقيبات و التحقيقات الحديثه عنها.

### قصر بلكوآرا:

اختلفت المصادر فى اسم هذا القصر، اذ ورد باسماء متقاربه بالفاظها. فقد سماه اليعقوبى فى (كتاب البلدان) «بلكوآرا»<sup>(١)</sup>. و ورد فى الطبرى «بركوآرا»<sup>(٢)</sup>. و ذكره الشابشتى باسم «بركوآرا» و باسم «بركوآرا»<sup>(٣)</sup>. اما ياقوت الحموى فقد سماه (يزكوآرا) و (بركوآن)<sup>(٤)</sup>. و يبدو ان هذا الاسم من الكلمات الدخيله و لذا تعدد صور رسمه و الفاظه.

و يقول الدكتور احمد سوسه ان المتوكل على الله اطلق عليه اسم «بلكوآرا» الا ان بعض المؤرخين سموه بركوآرا او بزكوآرا<sup>(٥)</sup>.

و فسر الاستاذ عبد الحميد الدجيلى الكلمه بقوله انها فارسيه و ضبطها الصحيح «بزركوآرا» اى القصر العظيم الكبير جدا، و يرى الاستاذ احمد حامد الصرواف، و هو من الادباء المتقنين للغه الفارسيه ان الاصح فى تسميته هو «بركوآرا» و معناه الهانى ء او الهنى ء<sup>(٦)</sup>. و رأينا المستشرقين و الآثاريين ممن اشاروا الى هذا القصر انهم آثروا استخدام الاسم «بلكوآرا» الذى ذكره اليعقوبى.

١- كتاب البلدان / ٢٦٥.

٢- الطبرى / ٩ / ٤٩٠.

٣- الديارات / ١٥٠ و ١٥٦ و ١٥٩ و ١٦٠ على التوالى.

٤- معجم البلدان / ١ / ٤١٠ و ٣ / ١٧٥ و ٥ / ٧١.

٥- رى سامراء / ١ / ١٢٥.

٦- الديارات / ٣٦٦.



لقد شيد المتوكل على الله هذا القصر فى اقصى الجنوب لمدينه سامرا فى منطقه القادسيه عملا بخطته فى توسيع عمران المدينه الى مختلف جهاتها. و تقع اطلاله اليوم على مسافه سته كيلومترات من مدينه سامراء الحاليه و يسمى موقعه «المنقور». ذكره الشابشتى فى معرض كلامه عن متنزه القادسيه فقال: «و بالقادسيه بنى المتوكل قصره المعروف ببركوار، و لما فرغ من بنائه و هبه لابنه المعتر و جعل اعذاره فيه. و كان من احسن ابنيه المتوكل و اجلها، و بلغت النفقه عليه عشرين الف الف درهم»<sup>(١)</sup>.

و اشار الى ان الايوان الذى اقيم فيه الاحتفال باعذار المعتر كان واسعا طوله مائه ذراع و عرضه خمسون ذراعا<sup>(٢)</sup>. و ذكر ان المتوكل على الله كان يتردد على هذا القصر فى المواسم و الأعياد، و يجلس فيه للشراب<sup>(٣)</sup>.

و يعتبر قصر بلكوارا القصر الوحيد من القصور التى بناها المتوكل على الله فى سامرا مما امتدت اليه ايدى الآثاريين فكشفوا لنا عن معالمه ما لم تتضمنه المصادر التراثيه. فقد نقب الاستاذ هرزفيلد فى سنه ١٩١١ فى هذه المنطقه و اكتشف اسس و معالم القصر المذكور. و قد لخص ما كتبه عنه مؤلف كتاب (العماره العباسيه فى سامرا) تلخيصا و افيا سنعتمد فى استعراضنا هذا عليه ما لم نشر الى مصدر آخر<sup>(٤)</sup>.

تشغل مباني هذا القصر مساحه واسعه من الأرض تزيد على ثلاثه امثال مدينه سامراء الحاليه عند ما كانت مسوره. و يحيط به سور مستطيل ذو ابراج طوله (١٢٥٠) مترا، يرتكز جانبه

١- نفس المصدر / ١٥٠.

٢- الديارات / ١٥٠.

٣- نفس المصدر / ١٦٠.

٤- العماره العباسيه / ١٦٥ - ١٧٠.

الجنوبى على شاطىء دجله الصخرى الذى يرتفع بمقدار خمسة عشر مترا. و له ثلاثة ابواب تقع فى منتصف الجدران الشماليه و الشرقيه و الغربيه. و يخترق البناء شارعان رئيسان متقاطعان.

و كانت الأرض تضم الى جانب القصر مجموعه من المنازل و ثكنات الحرس. و هناك حديقته واسعه خارج جدار القصر يحيط بها سور ذو دعائم يكسوه الملاط، ينتهى عند الشاطىء بسقفيات غنيه بالزخارف، و يتوسط الحديقته حوض ماء كبير. و قد انشىء الى جانب الحديقته مرفأ خاص للسفن التى يستخدمها القصر(١).

و كان للقصر مدخل رئيس كبير يتوسط جداره الشمالى الشرقى، فى منتصف ساحه مربعه عند تقاطع الشارعين. و تقسم بنايات القصر الى ثلاثة اقسام متوازيه، يحتوى القسم الأوسط منها على بوابه القصر الضخمه، و ثلاث رحبات و تسع قاعات مرتبه على شكل صليب. و تفتح غرف العرش على الرجه الثالثه كقاعات كبيره مفتوحه على النهر. و قد روعى التناسق المحورى و التشابه التام على جانبي القصر. و كانت الواجهات المطله على الرجه و الحديقته ذات ثلاثه عقود، كما هى الحال فى دار الخليفه، و يزيد العقد الأوسط منها اتساعا و ارتفاعا على العقدين الجانبيين. و خصصت القاعات ذات المداخل و الواجهات المتماثله للاجتماعات العامه. اما القاعتان الخارجيتان الواقعتان على المحور الرئيس للقصر فلهما شكل الحرف و كان ذلك مألوفاً آنذاك فى ابنيه سامرا. و تقوم حول هاتين القاعتين رحبات و غرف كثيره للسكن، بينها حمام فاخر مكسو بالرخام.

و هناك اربع مجموعات من الغرف المتشابهه، بين اذرع الصليب، يتكون كل منها من ثمانى غرف تدور حول فناء مربع

الشكل. و قد سقفت القاعات الكبيره بالخشب، او بسقوف معقوده على الأرجح. اما الغرف الصغيره فقد سقفت بعقود من الطابوق.

و شيد عدد من المساكن فى القسم الممتد بين رحبه الشرق الثالثه و الحائط المطل على النهر. اما الفضاء المجاور للرحبتين فقد كان خاليا من البناء تقريبا. و هذه البيوت يمكن اعتبارها نماذج لطراز البيوت الخاصه فى سامرا. فهى تتكون من ست عشره غرفه مجتمعهم حول فناء مستطيل الشكل، و يظهر انها كانت معده لسكنى الحرم و الخدم.

و يلاحظ عند حائط الرحبه الثالثه بقايا مسجد ذى اروقه منتظمه، و له محراب فى رواقه الجنوبي، ابعاده ١٥\* ١٣ مترا، و له صفان من الاعمده من الرخام او الخشب الساج. و كان المسجد مبني بالآجر، و لم يبق منه سوى آثار مواضع الاعمده و اسس قواعدها. كما وجدت آثار مسجد صغير آخر فى القسم الجنوبي من القصر، تبلغ ابعاده ٣٥ ر ١٠\* ٧٦ ر ٧ متر، و قد شيد باللبن، و له ثلاثه ابواب فى جداره الشمالى، و يتألف محرابه من حنيه مستديره عميقه تحيط بها انصاف اعمده مزخرفه بزخارف ذات تقوير، و هى تشكل اطارا مستطيلا للمحراب.

و يختلف القسم الشمالى من القصر فى تخطيطه، ففیه رحبات كبرى يرجح انها كانت ثكنات للحرس.

و قد تميز قصر بلكوارا بزخارفه الجصيه التى كانت تغطى مساحات كبيره من سطوح جدرانهم و سقوفهم و افاريزهم. و من طبيعهم الزخارف التى تغطى مساحات واسعه انها تعتمد على تكرار الزخرف الواحد، و لذا يقل التنوع فيها. و لقد زينت جدران بعض الغرف و سقوفها بصور مائيه مموهه بالذهب اضافه الى الزخارف الجصيه. و كانت تعلق الافاريز حنايا جداريه فى ثلاثه

صفوف، السفلى منها مربعه، و الوسطى مدببه العقد، و العليا دائريه. اما واجهه القصر ذات العقود الثلاثه فقد زينت بالفسيفساء الزجاجيه على ارضيه مذهبه.

و عملت ابواب الغرف من الخشب الجيد، و قد حفرت عليها الزخارف و النقوش الجميله المختلفه، و قد مؤه اكثرها بالذهب.

كما موهت مساميرها النحاسيه بالذهب كذلك. اما النوافذ فكانت مغطاه بالزجاج الملون بمختلف الالوان لا سيما الازرق و الأصفر الغامق و الفاتح، و الأخضر الغامق، و الأحمر القانى، و البنفسجى و الابيض الرائق.

يعد قصر بلكوارا عملا- معماريا من الطراز الاول، و لا- يعود ذلك الى سعه مساحته حسب، و انما لما اشتمل عليه من مظاهر عمرانيه غنيه، و انسجام فى مختلف اقسامه، و تخطيط قاعاته و رحبته، و تباين اشكال مداخله، و بلغ اقصى عظمته المعماريه فى واجهته ذات العقود الثلاثه المزينه بالفسيفساء. كما ان اختيار المواقع يشير الى مهاره هندسيه كبيره، و معرفه واسعه باختيار المواقع الممتازه للبناء. اذ ان الواقف فى الحجره الوسطى يرى باتجاه الشمال الغربى صفا كبيرا من القاعات و رحبات الشرف الثلاث مع بواباتها، و الحديقه و النهر، و الاراضى المتموجه الممتده الى الجزيره.

و قدر رتبت شتى العناصر المتباينه التى كان يتألف منها هذا القصر العظيم ترتيبا متناسقا فبدت جميله التركيب، روعى فى تخطيطها ان تكون واسعه النطاق على هيئه الحرف بحيث ينتهى محورها الطويل العمودى على النهر بالغرف الثلاث المعقوده فى الواجهه، و قد زينت زينه بديعه بآيات النحت و الفسيفساء(١).

و اعتبره الآثاري كريزويل من اعظم المنشآت المعماريه لكبر مساحته و ضخامه حجمه، و كثره الظواهر الفنيه المعماريه فيه(١). و يقول عنه المستشرق الالمانى بروكلمان انه اهم بناء لا تزال اسسه محفوظه لنا فى سامرا، و قد اعجب كثيرا بتخطيطه و محتوياته و ملحقاته، و بخاصه ظاهره الانسجام بينها(٢).

و لخص العالم الآثاري ارنست كونل وصف القصر بمايلى: «بناء الخليفه المتوكل لأبنه المعتز، بالقرب من سامرا، على غرار قصر الحيره. و به عدده افنيه كبيره متتابعه و عدد من قاعات العرش المتعامده، ممتده على طوله على هيئه ابهاء مكشوفه لها واجهات مؤلفه من ثلاثه عقود. و عن يمين وسطه و يساره تمتد اروقه بها عشرات من المساكن لكل منها فناء خاص. و ينتهى ذلك كله بحديقته تتجه نحو دجله ممتده الى ما وراء السور الخارجى، و بها حوض ماء و مرسى للزوارق»(٣).

### قصر الشاه و العروس:

اعتبرهما اليعقوبى من القصور التى انفق عليها المتوكل على الله اموالا- عظاما(٤). و ذكرهما الشابشتى فى جملة القصور التى انشأها المتوكل على الله(٥). و قال ياقوت الحمودى عنهما «قصران عظيمان بناهيه سامرا انفق على عماره الشاه عشرون الف الف درهم و على العروس ثلاثين الف الف درهم. ثم نقضت فى ايام المستعين و وهب نقضاتها لوزيره احمد بن الخصيب فيما

١- رى سامراء / ١ / ١٢٧.

٢- تاريخ الشعوب الاسلاميه / ٢ / ٥٠.

٣- الفن الاسلامى / ٣٧.

٤- تاريخ اليعقوبى / ٢ / ٤٩١.

٥- الديارات / ١٥٩.

وهب له»(١). كما انه ذكر قصر العروس و ما انفق عليه في معرض بيان ما بناه المتوكل على الله من القصور(٢).

و جاء في الاغانى «لما عقد المتوكل لولاه العهود من ولده ركب بسر من رأى ركبته لم ير احسن منها، و ركب ولاه العهود بين يديه، و الاتراك بين ايديهم اولادهم، يمشون بين يدي المتوكل بمناطق الذهب، و فى ايديهم الطبرزيينات المحلاه بالذهب. ثم نزل فى الماء فجلس فيه و الجيش معه، فى الجوانحيات و سائر السفن.

و جاء حتى نزل فى القصر الذى يقال له العروس، و اذن للناس فدخلوا اليه. فلما تكاملوا بين يديه مثل ابراهيم بن العباس بين الصفيين، فأستأذن فى الانشاد فاذن له، فقال(٣):

و لما بدا جعفر فى الخميس بين المطل و بين العروس

بدا لابسا بهما حلهازيلت بها طالعات النحوس

و لما بدا بين احبابه ولاه العهود و عز النفوس

غدا قمرا بين اقماره و شمسا مكلله بالشموس

و ذكر فى حوادث السنه (٢٣٧ هـ) فى النجوم الزاهره «و فيها كان بناء قصر العروس بسامرا، و تكمل فى هذه السنه، فبلغت النفقه عليه ثلاثين الف الف درهم»(٤).

### قصرا المختار و البديع:

ذكر اليعقوبى قصر البديع بين القصور التى بناها المتوكل على الله(٥). و ذكر الشابشتى القصرين المختار و البديع فى

١- معجم البلدان ٣/ ٣١٦.

٢- نفس المصدر / ١٧٥.

٣- الاغانى ١٠ / ٦٤.

٤- النجوم الزاهره ٢ / ٢٩٠.

٥- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩١.

جملة قصور المتوكل على الله (١). و قال ياقوت الحموي عن قصر البديع: «اسم بناء عظيم للتوكل بسر من رأى» (٢). و قال عن قصر المختار «قصر كان بسامرا من ابنه المتوكل. ذكر ابو الحسن على بن يحيى المنجم عن ابيه، قال: أخذ المتوكل بيدي يوما و جعل يطوف الابنيه بسامرا ليختار بيتا يشرب فيه. فلما انتهى الى البيت المعروف بالمختار استحسنه و جعل يتأمله و قال لي:

هل رأيت احسن من هذا البناء؟ فقلت: يمتع الله امير المؤمنين، و تكلمت بما حضرني. و كانت فيه صور عجيبة من جمتلها صور بيعه فيها رهبان و احسنها صورته شهرار البيعه. فأمر بفرش الموضع و اصلاح المجلس. و حضر الندماء و المغنون، و اخذنا فى الشرب.

فلما انتشى فى الشرب اخذ سكيننا لطيفا و كتب على حائط البيت:

ما رأينا كبهجه المختارلا و لا مثل صور الشهار

مجلس حف بالسرور و بالترجس و الآس و الغنا و الزمار

ليس فيه عيب سوى ان ما فيه سيفنى بنازل الأقدار

فقلت: يعيد الله امير المؤمنين و دولته من هذا، و وجمنا.

فقال: شأنكم و ما فاتكم من وقتكم، و ما يقدم قولى خيرا و لا يؤخر شرا» (٣). و قال ياقوت ان النفقه على قصر المختار كانت خمسة آلاف الف درهم (٤).

و جاء فى الطبرى عن هذين القصرين ان المتوكل على الله لما امر ببناء الماحوزه، و سماها الجعفرى، امر بنقض القصر المختار

١- الديارات / ١٥٩.

٢- معجم البلدان ١ / ٣٥٩.

٣- معجم البلدان ٥ / ٧٠ - ٧١.

٤- نفس المصدر ٣ / ١٧٥.

و البديع و حمل ساجهما الى الجعفرى(١). و يقول الدكتور احمد سوسه ان الاطلال الموجوده فى الساحة المسوره فى حلبه السباق القديمه يرجح ان تكون من بقايا قصر البديع. و دليله على ذلك ان البحترى فى احدى مدائحه الخليفه المعتر بالله اقترح عليه ان يمد فرع قناه سامرا الذى انشىء لتموين قصر الدكه بالماء. فيوصله الى قصر البديع و منه ينهيه الى دجله قرب الجوسق و ذلك فى قوله(٢):

الحقه يا خير الورى بمسيرهو امدد فضول عبايه المتدفق

فاذا بلغت به البديع فانما انزلت دجله فى بناء الجوسق

و يلاحظ ان الشاعر يقصد بذكر البديع الموضع الذى كان يشغله القصر المذكور، لأنه كان قد نقض فى عهد المتوكل على الله، كما ذكرنا آنفا. ان يكون النقض قد شمل جانبا يسيرا منه و بقى القسم الرئيس للقصر ماثلا حتى عهد المعتر بالله.

### قصر الصبيح و المليح:

يفهم من قصيده للبحترى يشير فيها الى اربعة قصور من قصور المتوكل على الله، هى: الجعفرى و شيراز و الصبيح و المليح، ان قصر: لصبيح شيد بعد المليح. و انهما يقعان فى منطقه واحده، و هما متقابلان تتوسطهما بركه من الرخام الاخضر يسقيها جدول

١- الطبرى ٩/ ٢١٢.

٢- رى سامراء ١/ ١٢٥.



ماء عليه دواليب يديرها النعام بدلا عن الجمال كما هو المؤلف، يقول فيها(١):

و استتم الصبيح في خير وقت فهو مغنى انس و دار مقام

ناظر وجهه المليح فلوينطق حياه معلنا بالسلام

البسا بهجه و قابل ذا ذاك، فمن ضاحك و من بسام

كالمحبين لو اطاقا التقاء افرطا في العناق و الالتزام

مستمد بجدول من عباب الماء كالابيض الصقيل الحسام

فاذا ما توسط البركه الخضراء القت عليه صبغ الرخام

فتراه كأنه ماء بحريخدع العين و هو ماء غمام

و الدواليب اذ يدرن و لا ناضح بهن غير النعام

ان خير القصور اصبح موهوبا بكره العدى لخير الامام

و كان مبلغ ما انفق على كل من الصبيح و المليح خمسه آلاف الف درهم(٢). مما يستدل منه انهما قصران صغيران اعدا للنزهه

و الاستراحه. و يظهر من قصيده اخرى للبحترى امتدح بها

---

١- كامل القصيده في ديوان البحترى ٣/ ٢٠٠٤-٢٠٠٧.

٢- معجم البلدان ٣/ ١٧٥.

المتوكل على الله بعد انتهائه من بناء القصر الجعفرى فى المتوكليه فى سنه ٢٤٦ هـ، ان قصر الصبيح كان روضه بهيجه كثيره الورود.

و كنا ذكرنا بعض ابيات هذه القصيده عند الكلام عن القصر الجعفرى.

وقد ذكر الشابشتى هذين القصرين بين قصور المتوكل على الله (١). كما كنا قد اشرنا فى مكان آخر الى ان هذين القصرين يرجع انهما بنيا فى المتنزه الذى انشأه المتوكل على الله فى حير الحيوانات.

### قصر البرج:

يقول اليعقوبى ان المتوكل على الله انفق على البرج الف الف و سبعمائه الف دينار (٢). و يقول ياقوت الحموى ان ما انفق عليه كان عشره آلاف الف درهم (٣). و ذكر الشابشتى نفس المبلغ الذى قال به اليعقوبى (٤). و يظهر مما سنذكره من بعض اوصاف القصر ان ما ذكره اليعقوبى و الشابشتى اقرب الى واقع النفقه عليه.

يصفه الشابشتى بأنه «من احسن ابنيه المتوكل، فجعل فيه صورا عظاما من الذهب و الفضة، و بركه عظيمه جعل فرشها ظاهرها و بطاننها صفائح الفضة. و جعل عليها شجره ذهب فيها كل طائر يصوت و يصفر، و كلله بالجواهر، و سماها طوبى. و عمل له سرير من الذهب كبير عليه صورتا سبعين عظيمين، و درج عليها

١- الديارات / ١٥٩.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩١.

٣- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

٤- الديارات / ١٦١.

صور السباع و النسور و غير ذلك، على ما يوصف به سرير سليمان بن داود عليهما السلام. و جعل حيطان القصر من داخل و خارج ملبسه بالفسيفساء و الرخام المذهب. فبلغت النفقه على هذا القصر الف الف و سبعمائة الف دينار. و جلس فيه على السرير الذهب، و عليه ثياب الوشى المثقله. و امر الا يدخل عليه احد الا فى ثياب و شى منسوجه او ديباج ظاهره. و كان جلوسه فيه سنه تسع و ثلاثين و مائتين. ثم دعا بالطعام، و حضر الندماء و سائر المغنين و الملهين، و كل الناس. و رام النوم فما تهيأ له. فقال له الفتح: يا مولاي، ليس هذا يوم نوم. فجلس للشرب. فلما كان الليل رام النوم، فما امكنه، فدعا بدهن بنفسج، فجعل منه شيئاً على رأسه و تنشقه فلم ينفعه. فمكث ثلثه ايام بلياليها لم ينم.

ثم حم حمى حاده، فانتقل الى الهارونى قصر اخيه الواثق، فاقام به سته اشهر عليلًا و امر بهدم البرج و ضرب تلك الحلى عينا» (١).

و قد نقل النويرى طرفاً من هذا الوصف، و اضاف: و قد وصفه الشعراء فمن ذلك قول السرى (٢):

مجلس فى فناء دجله، يرتاح اليه الخليع و المستور

طائر فى الهواء، فالبرق يسرى دون اعلاه و الحمام يطير

فاذا الغيم سار، اسيل منه حلل دون جدره و ستور

١- الديارات / ١٦٠-١٦٢.

٢- نهايه الأرب ١/ ٤٠٦-٤٠٧. و السرى هو الشاعر ابو الحسن السرى ابن احمد بن السرى الكندى، الملقب بالرفاء، لانه كان فى صباه يرفو و يطرز الملابس. توفى سنه ٣٦٦ هـ و قيل سنه ٣٤٤ هـ- و فيات الاعيان ٢/ ١٠٤-١٠٥.

و اذا غارت الكواكب صبحافهو الكوكب الذى لا يغور

و قال ايضا:

منزل كالربيع حلت عليه حالبات السحاب عقد النطاق

يمتع العين فى طرائف حسن تتحامى بها عن الاطراق

بين ساج كأنه ذائب التبر مثل ذائب الأوراق

و يظهر من هذا الوصف ان قصر البرج كان عظيم الارتفاع، يناطح الغيم: ناصع البياض يغالب بياضه ضوء الشمس، و انه كان متعه للناظرين. و يوحى هذا الوصف ان القصر بقى عامرا شامخا حتى اواخر مقام الخلافة بسامرا و بعدها لعهده عقود من السنين بحيث ادركه الشاعر السرى و وصفه بشعره المذكور. و قد اشار الشابشتى الى ان المتوكل على الله امر بهدمه فى اواسط عهده بالخلافه. الا ان يكون الهدم قد اهمل فى حينه بالنظر لجمال القصر و روائه، او ان الهدم اقتصر على قسم منه.

### القصور الاخرى:

و هناك قصور اخرى شيدها المتوكل على الله، الا- ان ما جاء عنها فى المصادر ليس فيه ما يستحق الذكر سوى نسبه تلك القصور الى الخليفه المذكور، و ذكر المبالغ التى أنفقت عليها. و قد يرد فى بعضها معلومات قليلة جدا عنها. و من هذه القصور مما اتفق على ذكرها الشابشتى و ياقوت الحموى ما يأتى(١):

البهو: و قد انفق على تشييده خمسه و عشرون الف الف درهم، و لم يذكر شيئا عن موضعه و تاريخ انشائه. و يبدو انه كان فخما فسيحا لارتفاع كلفته.

الجعفرى المحدث: بلغت النفقه عليه عشره آلاف الف درهم.

و قد ذكره الطبرى فى احداث سنه ٢٤٨ هـ، و ذلك عند ما سكنه المنتصر بالله الذى أثر ترك المتوكليه و العوده الى سامرا، و فيه كانت وفاته(١).

شيراز: انفق عليه عشره آلاف الف درهم. و ذكره الشابشتى باسم «السندان».

الغريب: بلغت النفقه عليه عشره آلاف الف درهم.

قصر بستان الايتاخيه: انفق على تشييده عشره آلاف الف درهم. و سماه الشابشتى «القصر». و قد يكون هو احد القصور التى ذكرها اليعقوبى ان عندها ينتهى شارع ابى احمد فى قطيعه القائد ايتاخ(٢).

القلائد: ذكره ياقوت الحموى و قال ان المتوكل على الله انفق عليه خمسين الف دينار، ثم جعل فيه ابنه بمائه الف دينار. و ذكره الشابشتى باسم «القلايه».

الجوسق: كان المعتمصم بالله شيد قصرا كبيرا لسكناه على دجله جنوبى دار العامه و سماه الجوسق الخاقانى. و قد اشرنا اليه و الى اهميته فى تاريخ سامرا. و بنى المتوكل على الله قصرا بنفس الاسم انفق عليه خمسمائه الف درهم(٣). و يظهر من ضآله المبلغ الذى انفق على بنائه اذا ما قورن بما انفق على القصور الاخرى التى

١- الطبرى ٩/ ٢٣٧ و ٢٤٤ و ٢٥٤.

٢- كتاب البلدان ٢٦١-٢٦٢.

٣- معجم البلدان ٣/ ١٧٥.

بناها الخليفة المذكور، انه لم يكن قصرا فخما قائما بذاته، بل ربما كان جناحا ملحقا بالجوسق الخاقاني فسمى باسمه.

وقد سبق للمتوكل على الله لما نزل في اول خلافته في القصر الهاروني انه بنى فيه ابنيه جديده. فمدحه الشاعر على بن الجهم و وصف بعض معالم هذا القصر بما يوحي كأن المتوكل على الله هو الذى بناه، بقصيده منها قوله (١):

ما زلت اسمع ان الملوک تبني على قدر اخطارها

و اعلم ان عقول الرجال يقضى عليها بآثارها

فللروم ما شاده الاولون و للفرس مأثور احرارها

فلما رأينا بناء الأمام رأينا الخلافه فى دارها

بدائع لم ترها فارس و لا الروم فى طول اعمارها

صحون تسافر فيها العيون و تحسر عن بعد اقطارها

و قبه ملك كأن النجوم تفضى اليها باسرارها

لها شرفات كان الربيع كساها الرياض بانوارها

نظمن الفسيفس نظم الحلى لعون النساء و ابكارها

فيضن كمصباحات برزن بفصح النصارى و افطارها

فمنهن عاقصه شعرها و مصلحه عقد زنارها

و سطح على شاهق مشرف عليه النخيل بأثمارها

و فواره ثأرها فى السماء فليست تقصر عن ثأرها

ترد على الحزن ما انزلت على الارض من صوب مدرارها (٢)

١- كامل القصيده فى ديوان على بن الجهم / ٢٨ - ٣٠، و يقول ياقوت انه قالها فى القصر الجعفرى - معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

٢- ورد هذا البيت ببعض الاختلاف فى «عيون الاخبار» ١ / ٣١٣.

فلا زالت الارض معمور هبعمر ك يا خير عمارها

يتضح من بعض ابيات هذه القصيده ان بناء القصر الهاروني كان مبتكرا في طرازه فاق ما يعرفه الروم و الفرس من طرز البناء.

و انه واسع الصحون فسيح الابهاء، تعلوه قبه تناهز النجوم بارتفاعها، و قد سبقت الاشاره اليها، و له شرفات تزين جدرانها زخارف الفسيفساء و فيها صور الازهار، و صور النساء من النصارى و هن بهيئات مختلفه من عاقصه شعرها، و مصلحه عقد زنارها. كما يظهر ان المتوكل على الله اضاف الى القصر نافوره ماء، فأشاد الشاعر بقوه دفعها الماء حتى لترد المطر الساقط من السماء. كما اشاد باهتمام الخليفه بالعمران و انه فاق غيره من الخلفاء في ذلك. و قد اشاد الشاعر نفسه بالبركه التي توسطتها الفواره المذكوره، و ان المتوكل هو الذى انشأها في هذا القصر، بقصيده اخرى منها(١):

انشأتها بركه مبار كهفبارك الله في عواقبها

حفت بما تشتهى النفوس لهاو حارت الناس في عجائبها

لم يخلق الله مثلها و طنائى مشرق الارض و مغاربها

كأنها و الرياض محدقهبها عروس تجلى لخاطبها

من اى اقطارها اتيت رأيت الحسن حيران في جوانبها

للموج فيها تلاطم عجب و الجزر و المد في مشاربها

الوحيد و التل و الجامع: انفرد ياقوت الحموى بذكر القصر «الوحيد» و قال ان المتوكل على الله انفق عليه الفى الف درهم.

و يظهر من قله كلفته انه كان دارا صغيره للاستراحه. و «قصر التل» الذى انفق عليه خمسه الاف الف درهم. و هناك من يرجح

ان آثار البنايه التى كشفت عنها تنقيبات هرزفيلد فى قمه تل العليق قد تكون هى أطلال هذا القصر(١).  
كما ان فرد الشابشتى بذكر قصر اسمه «الجامع» الا انه لم يبين موضعه و لا المبالغ التى انفقت عليه.

### الغرد:

و من القصور التى ذكرها ياقوت الحموى قصر «الغرد» و قال عنه «هو بناء للمتوكل بسر من رأى فى دجله انفق عليه الفى الف درهم، و لم يصح لى انا ضبطه و ما اظنه الا الغرد، و الله اعلم»(٢).

و قد ذكر البحترى هذا القصر فى قصيدتين امتدح بهما المتوكل على الله، فقد قال فى احدهما(٣):

أحسن بدجله منظرا و مخيماو الغرد فى اكتاف دجله منزلا

خضل الفناء متى وطئت ترابه قلت: الغمام انهل فيه فاسبلا

حشدت له الامواج فضل دوافع أعجلن دو لايه ان يتمهلا

تبيض نقيته و يسطع نوره حتى تكل العين فيه و تتكالا

كالكوكب الدرى اخلص ضوءه حللك الدجى حتى تألق و انجلى

١- رى سامراء ١/ ١١٩.

٢- معجم البلدان ٤/ ١٩٢-١٩٣.

٣- ديوان البحترى ٣/ ١٦٥١-١٦٥٤.



رفدت جوانبه القباب ميامناو مياسرا و سفنن عنه و اعتلى

فتخاله و تخالهن ازاءه ملكا تدين له الملوک ممثلا

و على اعاليه رقيب ما ينى كلفا بتصريف الرياح مو كلا

من حيث دارت يطلب وجههافعل المقاتل جال ثم استقبلا

بدع لبدع فى السماحه ما ترى من امره الا عجيبا مجذلا

و يفهم مما جاء فى هذه الأبيات ان بنايه الغرد كانت مرتفعه جدا بحيث انها تعلو على ما جاورها من المباني، و انها كان فى اعلاها ما يشير الى اتجاه الرياح، مما اعتبره الشاعر من الاعمال المبتكره العجيبه.

و جاء ذكر «الغرد» فى قصيده اخرى للبحترى امتدح بها المتوكل على الله عند ما عقد الصلح مع بنى تغلب، و منها قوله(١):

تؤم القصور البيض من ارض بابل بحيث تلاقى (غردها) و (بديعها)

إذا اشرق البرج المطل رمينه بأبصار خوص قد أرثت قطوعها

و فيها يصف الشاعر الأبل التي كدها السير و هي تنظر باعين غائره الى هذه القصور السامقه. و يبدو ان القصور الثلاثه، الغرد و البديع و البرج كانت متقاربه من بعضها.

\*\*\*

## الفصل الرابع تأسيس مدينه المتوكليه (الجعفرية)

### ١- تأسيس المدينه:

كان اضخم اعمال المتوكل على الله العمرانيه تأسيسه مدينه جديده سميت باسمه. فقد بذل اول امره جهودا كبيره فى توسيع مدينه سامرا و تحسينها و اىصال الماء اليها، و انفق على ذلك اموالا طائله، ليجعل منها اجمل مدينه تليق بأن تكون عاصمه الدوله العربيه المتراميه الاطراف. و لكن سامرا، مع ما اقامه فيها من منشآت عمرانيه و مشاريع اروائيه، لم تشبع طموحه، بل انها ضاقت باحلامه و رغباته. فراح يفكر فى انشاء مدينه جديده يشرف على تخطيطها و بنائها وفق ما يطمح اليه من شوارع عريضه مستقيمه، و قصور فخمه جليله، و حدائق غناء و متنزهات جميله، و مبان واسعه لدواوين الدوله. و استولت عليه رغبه ملحه فى ان تنسب اليه المدينه ليخلد بها اسمه. فأمر محمد بن موسى المنجم و من يحضر ببابه غيره من المهندسين ان يختاروا موضعا صالحا لانشاء مدينه خاصه به بالمواصفات التى يريدونها. فوقع اختيارهم على موضع يقع شمال مدينه سامرا، بينها و بين تكريت، يقال له الماحوزه<sup>(١)</sup>،

---

١- كذا سماها يعقوبى و الطبرى و البلاذرى، الا ان المسعودى و ابن الاثير يسميانها «الماخوره»- كتاب البلدان / ٢٦٦، و الطبرى ٢١٢ / ٩، و فتوح البلدان، ٢٩٥، و مروج الذهب ١٣٠ / ٤، و الكامل ٨٧ / ٧.

على بعد عشرين كيلومترا تقريبا من سامراء الحاليه(١). و قالوا له ان المعتصم قد رأى ان يبنى هنا مدينه و يحفر نهرا كان فى الدهر القديم(٢)، فلقى ذلك هوى فى نفسه. و يظهر انه فضل هذا الموضع لأنه يمتد على ضفاف دجله مثل مدينه سامراء، و ان فيه نهرا مندرسا يسد حاجه المدينه الجديده و منشآتها من المياه اذا ما اعيد حفره.

و قد ايد المهندسون صلاحيه المنطقه للبناء، و ان من الممكن احياء النهر المذكور اذا ما توفرت النفقات اللازمه لذلك، و كانوا قدروا النفقه على احيائه بالف الف و خمسمائه الف دينار(٣). و مع جسامه المبلغ فقد رضى المتوكل على الله و طاب نفسا و أمر بالمباشره بحفره بنفس الوقت الذى بوشر فيه بتخطيط المدينه و البناء فيها.

و قد حدد البلاذرى موضع المدينه بقوله «ثم انه احدث مدينه سماها المتوكليه و عمرها و اقام بها و اقطع الناس فيها القطائع، و جعلها فيما بين الكرخ المعروف بفيروز و القاطول، فدخلت الدور و القرية المعروفة بالمحوزه فيها، و بنى بها مسجدا جامعاً(٤).

كانت اعمال تأسيس المدينه و بنائها بدأت مع البدء بحفر النهر، فكان لا بد من توفير المياه اللازمه لأعمال البناء، و لذا امر المتوكل على الله بانشاء كهريز يستمد مياهه من نهر دجله بالقرب من تكريت و يحملها الى موقع المدينه الجديده على شاكلة قناه سامراء التى سبق ان انشئت لأىصال المياه الى سامراء و كانت قناه جوفيه، و يمكن تتبع آثار هذا الكهريز على طول المسافه من صدره حتى

١- رى سامراء ٢/ ٣١٥.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٦.

٣- كتاب البلدان / ٢٦٦. و فى الطبرى ٩ / ٢١٢ ان ما قدر من النفقه كان مائتى الف دينار.

٤- فتوح البلدان / ٢٩٥ - ٢٩٦.

مدينة المتوكليه. فهو يبدأ من دجله بالقرب من تلول هطره، ثم يسير بموازاه قناه سامرا «قناه المتوكل» فيخترق الدور، و يتابع سيره الى جانب كهريزي القناه المذكوره حتى يصل امام قنطره الرصاص التي على القاطول الاعلى، فينحرف نحو الغرب. و بعد ان يقطع قناه سامرا و القاطول يتجه نحو مدينة المتوكليه. و لا تزال شبكه الكهاريز التي كانت تتفرع من الكهريز المذكور ماثله يمكن مشاهدتها في عده امكنه داخل اطلال مدينة المتوكليه(١). و كان ذلك ضروريا لتعذر نقل كميات المياه المطلوبه للبناء من نهر دجله على ظهور الحيوانات.

و قد عين المهندسون مواضع قصور الخليفه، و دار الخلافه و الدواوين الرسميه، و المناطق السكنيه، و قطائع القواد و الجند.

و وضعوا التفصيلات اللازمه لعمرانها، و جىء بالعمال و البنائين، و قام العمل على قدم و ساق لانجاز المدينه بأقصر وقت ممكن. و مدوا الشارع الأعظم من دار اشناس التي بالكرخ، و كانت قد صارت للفتح بن خاقان، مسافه ثلاثه فراسخ شمالا، و جعلوا عرضه في مدينه المتوكليه مائتي ذراع، و قدروا ان يحفر على جانبيه جدولان يجرى فيهما الماء من النهر الكبير الذي بوشر بحفره. و اقطع الخليفه و لاه عهدده الثلاثه و سائر اولاده، و قواده و كتابه و جنده، و سائر الناس كافه، عن يمين الشارع الاعظم و عن يساره، و جعل الاسواق الكبيره في موضع منعزل، كما جعل في كل مربعه و قطيعه سوقا خاصا بها(٢). و قد بدأ العمل في بناء المدينه في سنه ٢٤٥ هـ.

و تميز الشارع الأعظم بطوله و استقامته، و لا سيما بعد ان امتد الى آخر مدينه المتوكليه و ضوعف عرضه. اذ بعد ان يترك سور

١- رى سامراء ٢ / ٣٤٠ - ٣٤٢.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٦ - ٢٦٧.

اشناس يتجه شمالا مسافه كيلومترين تقريبا ثم ينعطف نحو الغرب قليلا فيسير باتجاه مستقيم بين نهر دجله و القاطول الاعلى، و بعد ان يسير مسافه كيلومتر واحد تقريبا يتضاعف عرضه الى مائتى ذراع، و يستمر فى نفس الاتجاه مسافه سته كيلومترات و نصف الكيلومتر تقريبا فيجتاز السور الذى يفصل بلاط الخليفه و قصوره و دواوين الدوله عن بقية المدينه، فيعود الى عرضه السابق حتى يصل الى نهايه المدينه. (١) و واضح ان هذه المنطقه من المدينه يقل فيها الزحام، و تتطلب الهدوء، و لذا فلا تحتاج الى ذلك الشارع العريض. و يبلغ طول الشارع الاعظم فى داخل مدينه المتوكليه حوالى اثنى عشر كيلومترا و نصف الكيلومتر (٢).

و يظهر ان تصميم مدينه المتوكليه وضع على اساس تقسيمها الى ثلاثه اقسام: اولها القسم الجنوبى منها و يعرف باسم دور عربايا او الدور العربانى، و قد خصص لسكنى الناس بصوره عامه و كانت شوارعه الفرعيه مستقيمه و متوازيه، و يخترق الشارع الأعظم هذا القسم من المدينه من الجنوب الى الشمال، و كان يعرف بالشارع الغربى، و الى شرقيه شارع آخر هو امتداد لشارع ابى احمد فى سامراء، و كان يسمى بالشارع الشرقى. و خصص القسم الممتد على ضفاف دجله من هذا الجزء من المدينه الى الفتح بن خاقان و ابراهيم بن رباح. و قد سبق ان اشرنا الى ان دار اشناس و قطيعته قد صارت الى الفتح بن خاقان (٣).

و القسم الثانى هو القسم الوسطى من المدينه و قد خصص لقطائع القواد و اصحابهم، فكان لكل قائد قصر خاص يطل على دجله، و تمتد قطيعته التى تنتشر فيها مساكن اتباعه من الجند،

١- كتاب البلدان / ٢٦٦، و الطبرى ٩ / ٢١٢، و الكامل ٧ / ٨٧.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٦ و رى سامراء ٢ / ٣٣٩.

٣- رى سامراء ٢ / ٦٢٤ - ٦٢٥.

شرقى قصره، فتخترق الشارع الأعظم و شارع ابى احمد حتى تنتهى الى ضفه القاطول الاعلى. و فى هذا الجزء من المدينه يتسع عرض الشارع الأعظم الى مائتى ذراع، و تتفرع من جانبه شوارع فرعيه بزوايا قائمه، تنتهى الغربيه منها الى ضفاف نهر دجله، و تنتهى الشرقيه الى ضفاف القاطول الاعلى. و شيد فى شمالى هذا القسم جامع المدينه المعروف باسم جامع ابى دلف و منذنته الملويه. و ينتهى القسم الوسطى من المدينه شمالى الجامع بقليل حيث يبدأ القسم الثالث منها، و هو القسم الشمالى الذى خصص لدار الخلافه و دواوين الدوله و قصور المتوكل على الله، و يفصله عن بقية اجزاء المدينه سور يمتد بين ضفه القاطول الأعلى و نهر دجله و له ثلاثه ابواب عظام جليله يدخل منها الفارس برمحه(١). بحيث كانت هذه المنطقه معزوله تماما عن المدينه.

و قد روعيت حمايه هذا القسم و عزلته فقد كان يحده من الشمال و الشرق نهر القاطول الاعلى، و من الغرب نهر دجله و من الجنوب السور الذى مر ذكره. و لا سبيل للوصول الى هذا القسم من غير الابواب الثلاثه الماره الذكر. كما يلاحظ ان دار الخلافه و دواوين الدوله و قصور الخليفه قد احيطت هى الاخرى بسور خاص بها يبلغ طوله اربعه كيلومترات و نصف kilometre تقريبا. و قد تركت بين السور الفاصل بين القسمين الوسطى و الشمالى، و القسم الخاص بدار الخلافه و الدواوين مساحات واسعه نظمت فيها حدائق و بساتين يخترقها شارعان يؤديان الى دار الخلافه و دواوين الدوله(٢).

و كان المتوكل على الله يتفقد بنفسه سير العمل فى بناء مدينته، و فى حفر النهر، فمن رآه من العاملين قد جد فى البناء

١- كتاب البلدان / ٢٦٦.

٢- رى سامراء ٢ / ٦٢٥ - ٦٢٧.

اجازته و اعطاه، فجد الناس و نشطوا للعمل<sup>(١)</sup>، و بلغ من حرصه على متابعه العمل و الاسراع فى انجازه انه انتقل الى قريه المحمديه ليكون قريبا من الماحوزه ليسهل عليه الاشراف على ذلك<sup>(٢)</sup>.

و المحمديه قريه قريه من الماحوزه كانت تعرف بالايثاخييه نسبة الى القائد التركى ايتاخ، و سماها المتوكل على الله المحمديه باسم اكبر ابنائه محمد المنتصر، و كانت تعرف قبل انشاء سامرا بدير ابي الصفره، و هم قوم من الخوارج<sup>(٣)</sup>. و يرجح ان تسميتها بالمحمديه كانت بعد ان تمكن من القائد المذكور و قتله. و يتبادر الى الذهن ان اقامه المتوكل على الله فى المحمديه، ربما كانت وسيله للتخلص من معاكسه القواد الاتراك له فى سامرا و الابتعاد عن مشاكلهم العديده معه.

لقد ارتفع البنيان فى خلال مده تزيد على السنه، اذ بنيت القصور و شيدت الدور. و سمي المتوكل على الله المدينه الجديده «الجعفرية» نسبة اليه، الا انه كان هو و خاصه اصحابه يسمونها «المتوكليه»<sup>(٤)</sup>. و كان البناء قد اتصل منها الى الدور ثم الكرخ و سامرا حتى اسفل المطيره، حيث شيد قصر المعتز بن المتوكل على الله، و لم يبق بين ذلك مكان لا عماره فيه، و كان مقدار ذلك سبعة فراسخ<sup>(٥)</sup>.

و انتقل المتوكل على الله الى قصور هذه المدينه فى اول يوم من المحرم من سنه ٢٤٧ هـ. فلما جلس اجاز الناس بالجوائز السنيه و وصلهم، و اعطى جميع القواد و الكتاب، و من تولى عملا- و ساهم فى تأسيس المدينه، و تكامل له السرور حتى قال: «الآن علمت انى

١- كتاب البلدان / ٢٦٦.

٢- الطبرى ٩ / ٢١٢.

٣- معجم البلدان ٥ / ٦٥.

٤- كتاب البلدان / ٢٦٦، و الطبرى ٩ / ٢١٢، و الكامل ٧ / ٨٧.

٥- كتاب البلدان / ٢٦٦ - ٢٦٧.



ملك اذ بنيت لنفسى مدينه سكتتها»(١). و اقام فيه احتفالا- جمع فيه القراء، و احضر اصحاب الملاهي، و وهبهم اكثر من الفى الف درهم(٢).

و امر الخليفه بان تنقل دواوين الدوله من سامرا الى الجعفرية، فنقل ديوان الخراج و ديوان الضياع و ديوان الزمام و ديوان الجند و الشاكريه و ديوان الموالى و الغلمان و ديوان البريد، و جميع الدواوين الاخرى(٣). و من الطبيعى ان ينتقل الى العاصمه الجديده حاشيه الخليفه و ندماءه و مستشاروه، و رجال الدوله و موظفوها، و كل من له علاقه بمؤسساتها و دواوينها المختلفه.

كما انتقل اليها العديد من الناس اقتداء بالخليفه و رغبه فى التجديد. و يقول ياقوت الحموى: «و لما انتقل المتوكل من سامراء الى الجعفرية انتقل معه عامه اهل سامراء حتى كادت تخلو، فقال فى ذلك ابو على البصير هذه الأبيات»(٤)، منها قوله:

ان الحقيقه غير ما يتوهم فاختر لنفسك أى امر تعزم

أ تكون فى القوم الذين تأخروا عن خطهم ام فى الذين تقدموا

لا تقعدن تلوم نفسك، حين لا يجدى عليك تلوم و تندم

أضحى قفارا سر من را ما بها الا لمنقطع به متلوم

تبكى بظاهر وحشه و كأنها ان لم تكن تبكى بعين تسجم

رحل الامام فاصبحت، و كانها عرصات مكه حين يمضى الموسم

١- نفس المصدر / ٢٦٧.

٢- الطبرى ٩ / ٢١٢، و الكامل ٧ / ٨٧.

٣- كتاب البلدان / ٢٦٧.

٤- معجم البلدان ٢ / ١٤٣ - ١٤٤.

و كأنما تلك الشوارع بعض ماأخلت اباد من البلاد و جرهم

كانت معادا للعيون، فأصبحت عظه و معتبرا لمن يتوسم

فارحل الى الارض التي يحتلهاخير البريه، ان ذاك الأحزم

و انزل مجاوره باكرم منزل و تيمم الجهه التي يتيمم

ارض تسالم صيفها و شتاؤها بالجسم بينهما يصح و يسقم

و من اشهر ما قيل من الشعر فى مدينه المتوكليه ما قاله الشاعر البحترى يمتدح المتوكل على الله و يشيد بالمدينه الجديده. فقد

قال فى ذلك قصيده منها(١):

يهنيك فى المتوكليه أنهاحسن المصيف بها، و طاب المربع

فيحاء مشرقه يرق نسيمهايث تدرجها الرياح و اجرع

و فسيحه الاكفاف ضاعف حسنهابر لها مفضى و بحر مترع

قد سر فيها الاولياء اذ التقوا ببناء منبرها الجديد فجمعوا

فارفع بدار الضرب باقى ذكرها ان الرفيع محله من ترفع

و من قوله فى قصيده اخرى(١):

ارى المتوكليه قد تعالت محاسنها، و اكملت التماما

قصور كالكواكب لامعات يكدن يضمن للساى الظلاما

وبر مثل برد الوشى فيه جنى الحوذان ينثر و الخزامى

اذا برز الربيع له كسته غواى المزن و الريح النعامى

غرائب من فنون النبت فيها جنى الزهر الفرادى و التواما

تضاحكها الضحى طورا و طوراعليها الغيث ينسجم انسجاما

عند ما انتقل المتوكل على الله الى عاصمته الجديده كان الخلاف بينه و بين القواد الاتراك قد بلغ درجه خطيره. و مما زاد فى خطوره هذا الخلاف ان ولى العهد محمد المنتصر انضم الى معارضى ابيه. و بلغ الخلاف بين الجانبين ان بات كل جانب منهما يتربص بالجانب الآخر و يعمل على التخلص منه. و سرعان ما نجح الجانب التركى فى تدبير مؤامره اغتيل فيها الخليفه، و لم يكن قد مضى على انتقاله الى المتوكليه سوى تسعه اشهر و ثلاثه ايام. اذ قتل ليله الاربعاء لأربع خلون من شوال سنه ٢٤٧ هـ (٢).

١- ديوان البحترى - طبعه بيروت، ١/ ٣٧ - ٣٩.

٢- الطبرى ٩/ ٢٣٠، و تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٩٢، و مروج الذهب ٤/ ١١٨.

و تولى الخلافة محمد المنتصر، فلم يلبث فى المتوكليه سوى ايام قليله ثم انتقل الى سامرا، و امر الناس جميعا بالانتقال عن الماحوزه و ان يهدموا المنازل و يحملوا النقص الى سامرا. فانتقل الناس، و خربت قصور مدينه المتوكليه و منازلها و مساكنها و اسواقها فى اسرع مده بحيث صار موضعها موحشا لا- انيس فيه، كأنه لم يعمر و لم يسكن من قبل(١). و يقول البلاذرى ان المنتصر انتقل الى سامرا يوم الثلاثاء لعشر خلون من شوال(٢). اما المسعودى فيرى ان مقام المنتصر بالله بعد ابيه فى الماحوزه سبعة ايام ثم انتقل منه و امر بتخريب المدينه(٣). بينما يرى الطبرى ان اقامته كانت عشره ايام ثم تحول بعياله و قواده و جنوده الى سامرا(٤).

تقع اطلال مدينه المتوكليه على ضفاف نهر دجله، على بعد عشره كيلومترات من الحدود الشماليه لسامرا. و لا تزال آثار السور العظيم الذى كان يحيط بدار الخلافة و الدواوين و قصور الخليفه و الذى يربو طوله على اربعة كيلومترات و نصف kilometre مائله للعيان. و تبلغ مساحه الأرض التى كانت تشغلها هذه المباني (٥٤٠) دونما. كما ان هناك آثار سور آخر يقع جنوبى السور السابق، و كان يمتد بين ضفه نهر دجله و الضفه اليمنى لنهر القاطول و يفصل دار الخلافة و الدواوين و قصور الخليفه عن بقية المتوكليه كما اشرنا آنفا(٥). و لعدم القيام بالتنقيب فى اطلال المدينه خلا ما قامت به مديرية الآثار القديمه العامه من التنقيب المحدود فى اطلال بعض الدور السكنيه، فلم تتوفر معلومات كافيه واضحه

١- كتاب البلدان / ٢٦٧.

٢- فتوح البلدان / ٢٩٦.

٣- مروج الذهب / ٤ / ١٣٠.

٤- الطبرى / ٩ / ٢٣٤.

٥- رى سامراء / ١ / ١٢٩.

عن المدينة. و كان هز زفيلد قد القى نظره خاطفه على هذه المنطقه من سامرا دون ان ينقب فيها كما سنذكر فيما بعد عند الكلام عن القصر الجعفرى.

## ٢- النهر الجعفرى:

فى الوقت الذى كان فيه العمال منهمكين فى انجاز مباني و منشآت المدينة المتوكليه فى الماحوزه كان عدد كبير جدا من عمال الحفر منهمكين ايضا فى حفر النهر الذى سيوصل المياه الى المدينة الجديده. فقد عهد الخليفه المتوكل على الله الى دليل بن يعقوب النصرانى كاتب القائد بغا الكبير، بأمر الاشراف على حفر النهر المذكور الذى اطلق عليه اسم الخليفه جعفر المتوكل على الله فسمى النهر الجعفرى. و قد استخدم فى حفره اثنى عشر الف رجل، و لم يزل دليل يحمل المال اجورا للعمال و للنفقات الاخرى مما يستلزمه العمل (١).

يتفرع النهر الجعفرى من الضفه الغربيه لنهر دجله من موضع يقع شمالي تكريت بما يقرب من ٣٨ كيلومترا، و يسير موازيا لدجله مسافه ٢٠ كم تقريبا، فيتجه نحو الشرق مبتعدا عن دجله و بعد ان يجتاز الدور (دور تكريت) يصل الى تل اصطناعى يسمى «تل البنات» و هو تل كبير ينقسم عنده النهر المذكور الى فرعين يحيطان بالتل. ثم يعود الفرعان بعده للالتقاء ثانيه، فيسير النهر مقتربا من دجله حتى يصل القاطول الاعلى عند قنطره الرصاصى الواقعه على مسافه ٥ ر ٧ كلم من صدر القاطول، و هنا يتشعب الجعفرى الى ثلاثه فروع، فيعبر فرعان منه نهر القاطول، يعبر احدهما على عباره فوق القنطره المذكوره، و يعبر الفرع

الآخر على عباره اخرى شمالي العباره السابقه، و يصب الفرع الثالث فى نهر القاطول. و بعد ان يعبر الفرعان ينتهيان الى حوض كبير انشىء فى ضفه القاطول اليمنى لتتجمع فيه مياههما. ثم تتشعب من الحوض عدده جداول يمتد احدها الى مدينه المتوكليه، و يوصل الآخر المياه الى السواقى التى حفرت على جانبى الشارع الأعظم، و يمتد جدول ثالث الى القصر الجعفرى ليزود بركته الواسعه بالمياه. و يبلغ طول النهر الجعفرى من مبدئه حتى البركه حوالى ٦٣ كلم (١).

و كانت العبارة التى انشئت على قنطره الرصاصى لعبور فرع النهر الجعفرى تستعمل بنفس الوقت جسرا لعبور الناس و الدواب ايضا. و يرجح ان الجعفرى كان يجرى وسط العبارة، و على جانبيه ممران للسابله و الحيوانات، و يظهر ان العبارة بقيت تستخدم جسرا للعبور بعد ان اهمل النهر الجعفرى. و كانت العبارة الشماليه اصغر و تقتصر على عبور فرع الجعفرى عليها. و يلاحظ من الآثار المتبقية لقنطره الرصاصى الأصلية انها كانت تتألف من ثلاث دعامات و ان مجرى النهر كان يمر من تحت القنطره بفتحتين معقودتين بطاقتين ضخمين، عرض كل فتحه عشره امتار. و يبلغ طول البناء الذى يشتمل على الفتحتين و الدعامات الثلاث تسعا و عشرين مترا، و قد قلع هذا البناء من اساسه لاستخراج الرصاص من احجاره (٢).

و هناك اختلاف فى روايات المؤرخين عن النهر الجعفرى، فبعضهم يقول انه لم يتم حفره، و بعضهم يرى أنه تم انجازه الا ان الماء لم يجر فيه بالشكل المطلوب. يقول الطبرى ان المتوكل على

١- رى سامراء ٢ / ٣١٩ - ٣٢١.

٢- نفس المصدر / ٣٣٤ - ٣٣٦.

اللّه قتل فبطل العمل فى النهر و اخرجت الجعفرىه و نقضت و لم يتم امر النهر(١). و يقول اليعقوبى ان النهر لم يتم امره و لم يجر فيه الماء الا- جريا ضعيفا لم يكن له اتصال و لا- استقامه رغم انه انفق عليه قرابه الف الف دينار، و هو يعزو صعوبه حفره الى صلابه الأرض و طبيعتها المتكونه من الحصى و الانهار مما لا تعمل فيه المعاول الا بصعوبه بالغه(٢). اما ابن الأثير فيقول ان المتوكل على الله حفر للمدينه نهرا، و قتل فبطل حفر النهر و اخرجت المدينه(٣). و يلاحظ من هذه الروايات ان الطبرى و ابن الأثير يتفقان فى ان النهر لم يتم حفره لموت المتوكل على الله، بينما يفهم من روايه اليعقوبى ان حفر النهر لم يتم كما يجب، اى ان حفره كان فاشلا بسبب صلابه الأرض و لذا فقد كان جريان الماء فيه ضعيفا متقطعا.

و يظهر من روايه اوردها احمد بن يوسف الكاتب عن مشروع هذا النهر ان ما ذهب اليه اليعقوبى اقرب الى الصواب. و خلاصه ما يقوله: ان المتوكل على الله طلب الى محمد و احمد ابنى موسى بن شاكر، و هما من المتقدمين فى علم الرياضه و الهيئه و حركات النجوم و الحيل، ان يتوليا حفر النهر الجعفرى. فكلفا احمد بن كثير الفرغانى، و هو مهندس كان قد عمل المقياس الجديد لنهر النيل بمصر فى سنه ٢٤٧ هـ «فغلط فى فوهه النهر و جعلها اخفض من سائره، فصار ما يغمر الفوهه لا يغمر سائره» فلما علم المتوكل كلف المهندس سند بن على بأن يتحرى امر النهر المذكور و يبين له ما اذا كان هناك خطأ ارتكب فيه لكى يعاقب الاخوين ابنى موسى بن شاكر.

١- الطبرى ٩ / ٢١٢.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٧.

٣- الكامل ٧ / ٨٧.

و كان قد سبق للأخوين المذكورين ان اساء الى سند بن على بأن سعيًا به لدى المتوكل على الله و باعداه عنه. كما كانا قد دبرا على الكندى العالم الفيلسوف عند المتوكل على الله فغضب عليه، فتوجهها الى داره و استوليا على مكتبته. و لذا فقد توسلا الى سند بن على ان يتستر على عيوب النهر و الاخطاء التى ارتكبت فى تخطيطه و حفره. فاشترط سند عليهما ان يعيدا الى الكندى منزلته لدى الخليفة، و يعيدا اليه مكتبته فأعادها و أخذها خطه بذلك.

فقال لهسا سند: «الخطأ فى هذا النهر يستتر مده اربعه اشهر، و هى فتره زياده نهر دجله، و قد اجمع الحسّاب- اى المنجمون- على ان امير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى، و انا اخبره الساعه انه لم يقع خطأ فى النهر، ابقاء على ارواحكما، فان صدق المنجمون افلتنا نحن الثلاثه، و ان كذبوا و جاءت مدته حتى تنقص دجله و ينضب النهر اوقع بنا ثلاثتنا». فشكر الاخوان له قوله. فدخل سند الى المتوكل على الله و قال له: ما غلطا فى امر النهر. و زادت دجله و جرى الماء فى النهر و استتر حاله. ثم قتل المتوكل على الله بعد شهرين من ذلك. و سلم المهندسون المذكورون(١).

و يظهر من هذا ان النهر الجعفرى قد تم حفره و جرت فيه المياه فى موسم الفيضان، و ذلك قبيل مقتل المتوكل على الله. و ان الخطأ الذى وقع به المهندسون هو عدم التأكد من مناسيب المياه فى نهر دجله فى مختلف ايام السنه، لكى يحفر مستوى النهر وفق ذلك، بحيث ان صدر النهر جاء اعلى من مستوى المياه فى دجله فى الظروف الاعتياديه فلا تجرى فيه. و ان الماء الذى جرى فيه انما كان فى موسم الفيضان اذ ارتفع فيه منسوبه فسهل انسيابه الى الجعفرى و لكن لأمد قصير. و لا ينكر ان مجهودات عظيمه قد بذلت و اموالا طائله قد انفقت على النهر، اذ استغرق العمل فيه قرابه

١- كامل الخبر فى المكافأه / ١٩٥-١٩٦، و عيون الانباء / ٢٨٦-٢٨٧.



سنه و نصف، و ذلك لصلابه الارض التي يمر فيها مما لا يساعد على الحفر العميق. اما موضوع اجماع المنجمين على قرب نهايه اجل المتوكل على الله، فامر لا يخلو من ان تهديد القواد الاتراك باغتياله قد شاع بين الناس آنذاك، و ان ظواهر الامور تدل على رجحان كفه الاتراك و قرب تحقيق ذلك، فاستغل المنجمون الأمر لاطهار براعتهم فادعوا ان حساباتهم تعطى تلك الدلاله.

### ٣- القصر الجعفرى:

#### اشاره

بنى المتوكل على الله فى المدينه التى اسسها فى الماحوزه قصرًا سماه باسمه «القصر الجعفرى». يقول عنه اليعقوبى: «و انتقل المتوكل الى موضع يقال له الماحوزه .. و بنى هناك مدينه سماها الجعفرية. و بنى فيها قصرًا لم يسمع بمثله»<sup>(١)</sup>. و يقول عنه ابو الفداء فى حوادث سنه ٢٤٦ هـ «و فيها تحول المتوكل الى الجعفرى و كان قد ابتداء فى عمارته سنه ٢٤٥ هـ و انفق عليه اموالا تجل عن الحصر»<sup>(٢)</sup>. اما ياقوت الحموى فقد قال عن هذا القصر: «الجعفرى: هذا اسم قصر بناه امير المؤمنين جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بالله قرب سامرا بموضع يقال له الماحوزه. و فى سنه ٢٤٥ هـ بنى المتوكل الجعفرى و انفق عليه الفى الف دينار .. لأن الدرهم كانت فى ايام المتوكل كل خمس و عشرين درهما بدينار، فيكون عن الفى الف دينار خمسون الف درهم. و لما عزم المتوكل على بناء الجعفرى تقدم الى احمد بن اسرائيل باختيار رجل يتقلد المستغلات بالجعفرى من قبل ان يبنى، و اخراج فضول ما بناه الناس من المنازل، فسمى

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩٢.

٢- المختصر فى اخبار البشر ٢ / ٤١.

له ابا لخطاب الحسن بن محمد الكاتب. فكتب الحسن بن محمد الى ابي عون، لما دعى الى هذا العمل:

انى خرجت اليك من اعجوبهما سمعت به، و لما تسمع

سميت للاسواق قبل بنائها و ليت فصل قطائع لم تقطع (١).

و ايد ياقوت النفقه التى اشار اليها، فى مكان آخر من معجمه، و لذلك عند ما عدد قصور المتوكل على الله و ما انفق على كل منها (٢). و يتضح من ذلك انه لم ينفق على اى قصر آخر مثل هذا المبلغ الكبير الذى يزيد على ضعف ما انفق على قصر بلكوارا مع سعته و ضخامه بنائه. و قد يكون ياقوت واهما فى ذلك. اذ يقول الطبرى ان هذه النفقه كانت على بناء مدينه الجعفرى التى كان يسميها هو و اصحابه المتوكليه (٣). اى ان المبلغ المذكور قد انفق على بناء المدينه كلها و ليس على قصر الجعفرى حسب. و مما يؤيد ان الطبرى يقصد بالجعفرى المدينه لا القصر قوله فى مكان آخر «فلما عزم المتوكل على بناء الجعفرى قال له نجاح- و كان من الندماء- يا امير المؤمنين، اسمى لك قوما تدفعهم الى حتى استخراج لك منهم اموالا تبني بها مدينتك هذه» (٤). و هو يسميها احيانا الجعفرية (٥).

١- معجم البلدان ٢ / ١٤٣.

٢- نفس المصدر ٣ / ١٧٥.

٣- الطبرى ٩ / ٢١٢.

٤- نفس المصدر / ٢١٥-٢١٦.

٥- نفس المصدر / ٢٢١-٢٢٣.

و لا- تزال بقايا القصر الجعفرى و بركته الواسعه تشاهد على ضفه نهر دجله فى شمالى السور الداخلى لمدينه المتوكليه، فى الزاويه التى يكونها نهر دجله من جهه و نهر القاطول من الجهه الأخرى(١). و قد تعرف الآثارى هرزفيلد على بقايا هذا القصر فى اطلال المتوكليه، و وصفها بقوله: «انها سور ضخيم يغطى مساحه تبلغ ١١ / ٣ كيلومتر مربع، محاطه بجدران مدعمه بابراج من الطابوق المصنوع من اللبن. و تشكل مزلعا غير منتظم يقع بين ضفه دجله العليا و القناه، عند نقطه على هذه القناه بحوالى ١ / ٢ كيلومتر شمالى جامع ابى دلف، و حوالى كيلومتر واحد شمالى قنطره الرصاص. و عثر على مدخل السور حيث ينقطع منه شارع مستطيل خلال مساحه القصر باتجاه ٧٠ درجه جنوب غربى»(٢).

و قد اشتهر القصر الجعفرى بحسنه و فخامه بنائه و ببركته الواسعه الجميله. فوصفه عدد من الادباء و الشعراء. يقال ان ابا العيناء، الأديب البصير، دخل على المتوكل على الله فى قصره الجعفرى فى سنه ٢٤٦ هـ، فقال له المتوكل: ما تقول فى دارنا هذه؟ فقال: ان الناس بنوا الدور فى الدنيا، و انت بنيت الدنيا فى دارك. فاستحسن كلامه(٣). و عند ما انتهى المتوكل على الله من بناء قصره هذا مدحه البحرى و أشاد بالقصر، و مما جاء فى شعره قوله(٤):

أصبحت بهجه النعيم و امست بين قصر الصبيح و الجعفرى

١- رى سامراء / ١ / ١٣٣.

٢- العماره العباسيه / ١٧٥.

٣- مروج الذهب / ٤ / ٢٣٦، و معجم الادباء / ١ / ٦٢، و وفيات الاعيان / ٣ / ٤٦٨.

٤- ديوان البحرى / ٤ / ٢٤٥١ - ٢٤٥٢.

فى البناء العجيب و المنزل الآنس و المنظر الجميل البهى

و رياض تصبو النفوس اليهاو تحيا بوردهن الجنى

دار ملك مختاره لامام احرزت كفه تراث النبى

و لعل احسن ما قاله البحترى فى هذا القصر قوله فى احدى مدائحه المتوكل على الله (١):

قد تم حسن الجعفرى، و لم يكن ليتم الا بالخليفه جعفر

ملك تبوأ خير دار اقامهفى خير مبدى للامام و محضر

فى رأس مشرفه حصاها لؤلؤ، و ترابها مسك يشاب بعنبر

مخضره، و الغيث ليس بساكب و مضيئه، و الليل ليس بمقمر

تقرير لطفك و اختيارك اغنياعن كل مختار لها و مصدر

فرفعت بنيانا كأن زهاء اعلام رضوى او شواهد صنبر

ازرى على همم الملوك و غض من بنيان كسرى فى الزمان و قيصر

ملأت جوانبه الفضاء و عانقت شرفاته قطع السحاب الممطر

عال على لحظ العيون، كأنما ينظرون منه الى بياض المشتري

و تسير دجله تحته، ففناؤه من لجه غمر و روض أخضر

أعطيته محض الهوى، و خصصته بصفاء ود منك غير مكدر

و اسم شققت له من اسمك فاكتسى شرف العلو به و فضل المفخر

و تظهر القصيده ما كان عليه القصر من سعه المساحه، و كثره الشرفات و ارتفاعها الذى يناطح السحاب العالى. و ان فخامته مما

تعجز عن بناء مثله الملوك، و تقصر عنه ابنه الروم و الفرس.

و انه كان يطل على دجله، و تحيط به الرياض الخضراء، و ان الخليفه سماه باسمه، و ذلك مما زاده فخرا و جلالا.

و قد انشأ المتوكل على الله امام قصره الجعفرى بركه سميت باسمه ايضا هي «البركه الجعفرية» التى اشتهرت بسعتها و جمال

تنسيقها، و اعتبرت فى يومها من عجائب الزمان. و لم يبق منها اليوم سوى حفرة عميقه تحيط بها اطلال القصر الجعفرى فى

خرائب مدينه المتوكليه، و هى مستطيله الشكل يبلغ طولها زهاء ١٢٠ مترا و عرضها حوالى ٨٠ مترا، اى بمساحه تقرب من عشره

الاف متر مربع. و كان المتوكل على الله جعل فرعا من النهر الجعفرى ينتهى اليها من جهتها الشرقيه ليزودها بالمياه. كما انشأ لها

ثلاثه كهاريز تخرج من قمرها عند ضلعها الجنوبيه، ثم

تتوحد بكهريز واحد واسع لتصريف مياهها الزائده الى نهر دجله (١).

وقد سبقت الاشاره الى ان مديره الآثار العامه ترى ان البركه الجعفرية هذه هي التي وصفها البحترى و سماها البركه الحسناء و اشاد بها بقصيدته المشهوره التي يقول فيها (٢):

يا من رأى البركه الحسناء رؤيتها و الآنسات اذا لاحت مغانيها

يحسبها انها من فضل رتبها تعد واحده، و البحر ثانيها

ما بال دجله كالغيري تنافسها فى الحسن طورا، و طورا تباهيها

أما رأت كالى ء الاسلام يكلؤها من أن تعاب، و بانى المجد بانها

كأن جن سليمان الذين ولو ابداعها فأدقوا معانيها

فلو تمر بها بلقيس عن عرض قالت: هي الصرح تمثيلا و تشبيها

تخط فيها وفود الماء معجلها كالخيل خارجه من جبل مجريها

كانما الفضه البيضاء سائلهمن السبائك تجرى فى مجاريها

---

١- رى سامراء ٢ / ٣٣٧.

٢- كامل القصيده فى ديوان البحترى ٤ / ٢٤١٤ - ٢٤٢١.

لا يبلغ السمك المحصور غايتها بعد ما بين قاصيها و دانيها

يعمق فيها باوساط مجنحه كالطير تنفض في جو خوافيها

لهن صحن رحيب في اسافلها اذا انحططن و بهو في اعاليها

صور الى صوره الدلفين يؤنسها منه انزواء بعينه يوازيها

و زادها زينه من بعد زينتها ان اسمه حين يدعى من اساميها

محفوظه برياض لا تزال ترى ريش الطواويس تحكيه و يحكيها

و دكتين مثل الشعيرين غدت احدهما بازاء الاخرى تساميها

ان البحترى يشيد بحسن البركه، و يشير الى سعتها كأنها البحر و يقول ان دجله تغار منها لحسنها، و كأنها من صنع جن سليمان، و يشبهها بالصرح الذى بناه سليمان لبلقيس من الزجاج الصقيل، و ذلك لشده صفائها. و يشير الى سرعه تدفق المياه فيها كأنها الخيل فى جريها، و انها من السعه بحيث لا يبلغ السمك الذى فيها طرفيها، و ان بهوا مرتفعا يشرف عليها، و ان تمثالا للدلفين كان مقاما فى احد اركانها. و هى محاطه برياض من الورود متنوعه الالوان كريش الطواويس. و ان مما يزيد فى جلالها و زينتها ان تسمى باسم الخليفه جعفر المتوكل على الله.

و يشير فى خاتمه شعره الى دكتين كانتا على البركتين و يشبههما

بالشعريين، و هما من أسطع النجوم و اقربهما الى الأرض، احدهما الشاميه و تسمى الغميصاء او الغميصاء، و الاخرى يمانيه و تسمى العبور.

### قصر لؤلؤه:

و هناك آثار قصر آخر يقع جنوبى القصر الجعفرى على ضفه نهر دجله، خارج سور المتوكليه، يرجح انها اطلال قصر لؤلؤه (١). و قد قال عنه الطبرى ان المتوكل على الله بنى فى المتوكليه قصرا سماه لؤلؤه لم ير فى مثل علوه (٢). و ذكره الشابشتى فى جملة قصور المتوكل على الله و سماه «اللؤلؤه» (٣).

و قال ياقوت الحموى ان النفقه عليه بلغت خمسه الاف الف درهم (٤).

### ٤- جامع ابى دلف:

#### مقدمه:

يقع جامع ابى دلف فى مدينه المتوكليه التى بناها المتوكل على الله فى اواخر سنوات حكمه و اتخذها عاصمه له، شمالى مدينه سامرا. و تبعد اطلال الجامع و بقاياها عن مدينه سامراء الحاليه بنحو خمسه عشر كيلومترا. و كان العالم الأثرى هرزفيلد قد قام بالتنقيب فى اطلال هذا الجامع و توصل الى كثير من المعلومات عن

١- رى سامراء ١ / ١٣٥.

٢- الطبرى ٩ / ٢١٢.

٣- الديارات / ١٥٩.

٤- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.



سوره و اروقته و تسقيفه، الا- ان تحرياته لم تتناول جميع اطلال الجامع، كما ان بعضها لم يكن بدرجه كافيه من الدقه. و قد كشفت التنقيبات التى قامت بها مديرية الآثار القديمه العامه عن كثير من المعلومات المتعلقه بمشتملات الجامع و ابعادها، و بتسقيفه. كما قامت بصيانه قسم كبير من بقاياها، و بخاصه منارته الملويه، و ما بقى من اسواره و جدرانها. و نشر الاستاذان بشير فرنسيس مفتش الآثار القديمه، و محمود على الرسام فى مديرية الآثار القديمه العامه مقالا فى مجله سومر(١)، تضمن جميع ما كشفت عنه التنقيبات المذكوره.

ان جامع ابى دلف من جمله منشآت المتوكل على الله فى مدينه المتوكليه. فقد ذكر البلاذرى ان المتوكل على الله «احدث مدينه سماها المتوكليه. و بنى بها مسجدا جامعاً»(٢). و قال اليعقوبى ان المتوكل على الله عند بنائه الجعفريه «جعل فى كل مربعه و ناحيه سوقا، و بنى المسجد الجامع»(٣). كما اشار الطبرى الى وجود مسجد جامع فى مدينه الجعفريه صلى فيه عبد الصمد بن موسى صلاه الفطر بالناس، و لم يصل بسامرا احد(٤). و يضيف الدكتور احمد سوسه ادله اخرى على ان هذا الجامع شيد فى نفس الوقت الذى شيدت فيه المتوكليه ليحل محل المسجد الجامع فى سامرا.

منها وجود الشارع الواسع الموازى للشارع الأ-عظم الذى يبدأ من الحدود الجنوبيه للمتوكليه و يخترقها و ينتهى عند الجامع المذكور.

و الساحتان الواسعتان فى شمالى الجامع و جنوبيه تتفرع منهما

١- مجله سومر، الجزء: ١ لسنة ١٩٤٧ / ٦٠ - ٧٦.

٢- فتوح البلدان / ٢٩٥.

٣- كتاب البلدان / ٢٦٧.

٤- الطبرى ٩ - ٢٢١.

الشوارع الى الشرق و الغرب و الشمال و الجنوب، مما يدل على ان الجامع كان جزءا من تخطيط مدينه المتوكليه (١).

اما نسبه الجامع الى ابي دلف فانها حديثه و يرجح ان الناس اطلقوها عليه فى القرون المتأخره لما يتمتع به صاحب هذا الاسم من الشهرة، و لعلمهم انه كان من القواد العرب القلائل فى تلك الايام و قد عاش فى سامرا، فطاب لهم ان ينسبوه اليه، فاطلقوا عليه اسم جامع ابي دلف (٢). و ابو دلف هو القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل العجلي، احد الامراء الشجعان و من كبار رجال الدوله العربيه و قوادها على عهد الرشيد و ابنائه من بعده فى بغداد و سامرا. و قد سماه المتوكل على الله «شقيق دوله بنى العباس» (٣). و قد اشتهر بالسخاء و الكرم و الوفاء كشهرة بالشجاعه و الطعان.

### تخطيط الجامع:

تعتبر بقايا جامع ابي دلف ابرز اطلال مدينه المتوكليه. و هو يشبه فى تخطيطه و شكله العام الجامع الكبير الذى شيده المتوكل على الله فى سامرا. فى اوائل عهده بالخلافه، شبها كبيرا. فهو مثله مستطيل الشكل، ذو صحن مكشوف محاط من جهاته الأربع باروقه، و مئذنته ملويه ذات مرقاه خارجيه، كما كان محاطا بساحه فسيحه مسوره. اما اوجه الخلاف التى تميز بها هذا الجامع عن الجامع الكبير فتتخصر فى الأبعاد و عدد الاروقه و كيفيه التسقيف، كما سترى فيما بعد. كما ان اطلال هذا الجامع على عكس ما هى عليه بقايا جامع سامرا الكبير الذى شيدت اسواره من الآجر فبقى معظمها شاخصا حتى الآن، بينما لم

١- رى سامراء ٢/ ٦٠٤-٦٠٥.

٢- مجله سومر- العدد المذكور آنفا/ ٧٦.

٣- المحاسن و المساوى ء/ ٢٠٩.

يبقى شىء مما كان فى داخلها من المباني سوى بعض المعالم والأسس. اما جامع ابى دلف فان منشأته الداخليه قد بنيت بالأجر والجص فبقيت اكثر جدرانها قائمه عدا سقوفها، بينما تداعت اسواره المشيده باللبن و تحولت الى خطوط من الآكام والكثبان، عدا السور الشمالى فانه لا يزال اغلبه قائما قد يصل ارتفاعه فى بعض النقاط الى حوالى سبعة امتار(١).

يبلغ طول الضلع الكبرى لجامع ابى دلف، و هى الضلع الممتده من الجنوب الى الشمال ٤٧ ر ٢١٥ متر و ضلعه الصغرى الممتده من الشرق الى الغرب ٢٤ ر ١٣٨ متر، فتكون مساحته ثلاثين الف متر مربع تقريبا. و فى وسطه صحن مكشوف مستطيل الشكل ايضا و طول ضلعه الكبرى ٠٧ ر ١٥٥ متر، و ضلعه الصغرى ٦٠ ر ١٠٤ م اى ما مساحته ستة عشر الف متر مربع، و تحيط بالصحن من جوانبه الاربعه اروقه مساحتها مع سمك الجدران ٥٠٠ ر ١٣ متر مربع(٢). اى انه محاط باربعه اقسام: بيت الصلاه او الحرم فى الجنوب، و القسم الشمالى المقابل للحرم، ثم القسمين الشرقى و الغربى. و جميع هذه الاقسام تؤلف بوائك تمتد من الجنوب الى الشمال. و للحرم ست عشره دعامه تكون سبع عشره بلاطه، و كل بلاطه منها تتكون من خمسه اقواس باتساع ١٢ ر ٣ متر متجهه نحو الشمال. و يمتد صف عقود الرواقين فى طرفى الحرم الى الشمال فيؤلفان فى كل من الضلع الشرقيه و الضلع الغربيه تسع عشره بلاطه عمقها ١٤ مترا. و الجزء الشمالى من الجامع يشبه الحرم و له ست عشره دعامه تؤلف سبع عشره بلاطه. و كل رواق

١- مديريه الاثار القديمه - سامرا / ٦٦-٦٧ و مجله سومر آنفه الذكر / ٦٣.

٢- سومر آنفه الذكر / ٦٣.

يتألف من ثلاثه عقود، معدل اتساع كل عقد ٥٠ ر ٣ متر، تتجه نحو الجنوب(١).

و يبلغ عمق بيت الصلاه ٢٠ ر ٢٩ متر و هو عمق البوائك التي تنتهى عند الضلع الجنوبيه بدعامات على شكل الحرف تسند البائكه المستعرضه للاروقه السبعه عشر الموازيه للجدار الجنوبي على بعد ٦٠ ر ١٠ متر منه. و اما هذه الأقواس السبعه عشر جناح عمقه ٦٠ ر ١٠ امتار يمتد من الشرق الى الغرب بامتداد عرض الجامع، و يقع بين جدار القبله و الصفوف الأخيره من اقواس الحرم الموازيه للجدار المذكور. و يبدو ان هذا الجناح ظهر لأول مره فى الجوامع الاسلاميه مما جعل لجامع ابى دلف مكانه فريده فى سلسله تطور تصميم الجوامع(٢). و قد كشفت التنقيبات التي اجرتها مديره الآثار القديمه العامه عن وجود قواعد للاعمده فى هذا الجناح، مما يرجح انه كان مسقفا مثل حرم الجامع(٣).

و يلاحظ ان اقواس اروقه الجامع من طراز الاقواس ذات الأربعة مراكز، و هى مثل الاقواس التي وجدت فى المباني الاخرى بسامرا، كدار الخليفه. كما انها تشبه اقواس قصر الاخيرى قرب كربلا فى الباديه، و فى العراق عدد من المباني القديمه فيها مثل هذه الاقواس ايضا. و تتكون هذه الاقواس من حلقتين آجرها مربع الشكل، و قد صف آجر الحلقة الداخليه و وجهه الى الخارج، فى حين ان آجر الحلقة الخارجيه قد جعلت حافته الى الخارج، و سمك الحلقة الواحده نحو ٥٠ سم(٤).

١- نفس المصدر / ٦٦-٦٧، و العماره العباسيه / ١٩١ و ١٩٤-١٩٥.

٢- العماره العباسيه / ١٩٣-١٩٤.

٣- مجله سومر انفه الذكر / ٦٧.

٤- نفس المصدر.

**المحراب و المنبر:**

يقع محراب جامع ابي دلف فى منتصف جداره الجنوبي بمقدار ٥ ر ١٢ درجه غربا. وقد سبق ان اشرنا الى ان اليعقوبى قد ذكر هذا الانحراف و انه موجود فى كل مساجد سامرا و لهذا سميت زوراء بنى العباس. و هو مشيد بالآجر و الجص و يبرز ظهره عن جدار الجامع من الخارج بمقدار ٤٤ ر ٢ م. و لوحظ من بقايا البناء ما يدل على وجود محرابين للجامع احدهما بظهر الآخر و انهما شيئا فى وقتين مختلفين. و قد يكون الأول قد شيد عند بناء الجامع ثم ارتوى بعد اكماله ضروره تصغيره لاسباب ربما كان من جملتها وضع المنبر الذى يشغل جزء من المحراب الأول(١).

و تشاهد عند الركن الأيسر للمحراب بقايا بناء من الآجر و الجص طوله ٦٥ ر ٢ م و عرضه ٢٠ ر ١ م فى نهايته ثلاث درجات. و يستنتج من شكل البناء و وضعه انه كان منبرا، و انه قد اضيف بعد اكمال الجامع، و لا يستبعد انه بنى فى وقت واحد مع المحراب الثانى(٢).

**سور الجامع و ابوابه:**

يحيط بالجامع سور خارجى يفصله عن جدران الجامع فضاء واسع فى الشرق و الغرب و الشمال و عرضه ١٠٨ م، اما فى الجنوب فيضيق الى ٣٠ م(٣). و قد شيد السور باللبن و كسى وجهه

١- نفس المصدر / ٦٧-٦٨.

٢- نفس المصدر / ٦٨.

٣- رى سامراء ٢ / ٦٠٣.

الداخلي و الخارجى بطبقه سميكه من الجص. و يتراوح سمك السور بين ٦٠ ر ١ م و ٨٠ ر ١ م. و هو مثل سور جامع سامرا الكبير مدعم من الخارج بابراج نصف دائريه. و يقوم فى كل ركن من اركان الأربعة برج مستدير يقوم على قاعده من الآجر مربعه الشكل طول ضلعها ٦٠ ر ٣ م و اضلاعها مماسه لمحيط البرج، اى ان قطر البرج هو نفس طول ضلع المربع. و قد شيدت الاقسام السفلى من الابراج الى ارتفاع ٥٥ مترا بالآجر مثل القاعده و ما بقى منها بنى باللبن. و قد استعمل للبناء ملاط الجص فى حالتى البناء باللبن او بالآجر.

و تقوم الابراج الاخرى و هى نصف دائريه على قواعد من الآجر مستطيله الشكل طول ضلعها الموازيه للسور ١٠ ر ٣ م و طول كل من الضلعين المتعامدين عليه ٩٠ ر ١ م. و لما كانت هذه الاضلاع مماسه لمحيط البرج فان استدارته تزيد على نصف دائره. و تتوزع هذه الابراج على جوانب السور الأربعة كالتى: بنيت فى الضلع القبليه للسور عشره ابراج و قد شيد البرجان اللذان يليان برجى الركنين باللبن، و اللذان يليانها بالآجر، و هكذا بالتناوب فتكون سته من ابراج هذا الجانب مبنيه باللبن و الأربعة الأخر بالآجر.

و البعد بين الركنين و البرجين المجاورين لهما ٤٠ ر ١٢ مترا.

و المسافه بين الابراج الباقية ٦٠ ر ٤ امتار. اما البعد بين بروز المحراب و البرج المجاور له فهو ١٨ مترا. و فى الضلع الشماليه المقابله لضلع القبليه ثمانيه ابراج متناظره الابعاد ابتداء من برجى الركنين، فالبرج الذى يلى الركن يبعد عنه ب ٨٠ ر ١١ مترا، و يبعد هذا عن البرج الذى يليه ب ٦٠ ر ١٢ مترا، و يبعد هذا من البرج الثالث ب ٢٠ ر ١٢ مترا، و البعد بينه و بين البرج الرابع ٦٠ ر ١٢ مترا، و البعد بين البرجين المجاورين للمدخل الأوسط الذى يقابل المئذنه ٨ ر ١١ مترا. و كل هذه الابراج مبنيه باللبن بملاط الجص. و قد حافظ هذا الجانب من السور على

وضعه تقريبا، فلم تؤثر فيه عوادي الزمن كما فعلت في اسوار الجوانب الاخرى الا قليلا. وقد لوحظ امام قاعده هذا السور من الخارج وجود قنوات مكشوفه مشيده بالآجر عمقها نحو ٢٠ سم و عرضها ١٨ سم، و هي تشبه تلك القنوات التي وجدت في سور جامع سامرا الكبير، و اعتبرت مثلها لتصرف مياه الأمطار. و يبلغ سمك جدار السور في هذه الضلع ٨٠ ر ١ مترا. اما ابراج الضلعين الكبيرين، الشرقيه و الغربيه للسور فعددها عشره في كل منهما.

و كلها مبنيه باللبن بملاط الجص. و البعد بين برج الركن و البرج الذي يليه ٨٠ ر ٣٥ مترا، و الأبعاد بين الابراج الاخرى تكاد تكون متساويه و هي تتراوح بين ١٤ مترا و ١٥ مترا. و بهذا يكون مجموع الابراج التي تدعم السور ٤٢ برجاً، اربعة منها و هي ابراج الاركان دائريه الشكل - اسطوانيه- و البقيه و عددها ٣٨ برجاً نصف دائريه. و كلها مبنيه باللبن عدا اربعة ابراج منها في الضلع القبليه بنيت بالآجر كما سبق بيانه (١).

اما ابواب الجامع فعددها ثمانية عشر باباً، ثلاثه منها و هي القبليه تؤدي الى مشتملات تتصل بالضلع الجنوبيه للسور، و ثلاثه في الضلع الشرقيه و الغربيه. و يلاحظ في مواضع ابواب الجامع من جهاته الأربع انها تقع جميعها على محور الأقواس التي امامها، كما هي الحال في جامع سامرا الكبير، دون مراعاة توسطها الجدران. ففي الضلع القبليه ثلاثه ابواب، يجاور اثنان منها برجى الركنين و يقع الثالث في الوسط عند المحراب. و يبعد البابان الاولان عن برجى الركنين بنحو مترين و عرض كل منهما ٥٨ ر ١ مترا. و اظهرت الحفريات ان كل باب منهما كان يؤدي الى حجره طولها ١٠ امتار و عرضها ٦ امتار، و جدرانها من الآجر، و ارضيتها مبلطه بالطابوق. و يظهر من انفراد هاتين الحجرتين

و موضعهما انهما مخصصتان لمن يتولى امور الجامع. اما الباب الثالث و هو الاوسط فانه يبعد عن شرقى بناء المحراب من الخارج ب ٢٠ ر ١ مترا، و عرضه ٦٠ ر ١ مترا، و هو يؤدي الى بنايه واسعه مشيده بالآجر تقع خلف المحراب ملاصقه للجدار القبلى. و يبدو ان الغرض من تشييد هذه البنايه ملاصقه للجامع ان تكون مكانا لاستراحه الخليفه اذا جاء لصلاه الجمعه، فيدخلها من الباب الذى فى ظهر الجامع، و بعد استراحته و تجديد وضوئه، يدخل الجامع من الباب الذى بجانب المحراب. و قد ظهر من التنقيب ان جميع جدران هذه الدار قد بنيت بالآجر و كسيت بالجص من الداخلى و الخارجى، و ان جميع حجراتها قد بلطت بالجص ايضا(١). و من الجدير بالملاحظه انها شيدت على الطراز الحيرى ذى الصدر و الكمين، و هو الطراز الذى شاع آنذاك فى بناء الدور و القصور(٢).

### التسقيف و التبليط:

ان ما تبقى من الاقواس و ما يعلوها من البناء لا يدل على ان سقف الجامع كان معقودا بالآجر، و ذلك لعدم وجود التقوسات التى تبدأ منها العقادات. الا انه وجدت عند نقاط تعلو بنحو ٥٠ سم عن ذروه الأقواس فى جهات متعدده من اروقه المصلى ثقبوا بقطر ٢٠-٢٥ سم على استقامه واحده، و تتراوح المسافه بين ثقب و آخر بين ٦٠ سم و ٧٠ سم. و يستنتج من وجود هذه الثقوب ان السقف كان قائما على جسور من الخشب، و انه كان يرتفع عن مستوى التبليط بنحو سبعة أمتار(٣).

١- مجله سومر آنفه الذكر / ٦٤-٦٦.

٢- نفس المصدر / ٧٤.

٣- نفس المصدر / ٦٨.



و كانت الاقسام المسقفه من الجامع مبلطه بطبقه سميكه من الجص، اما الاقسام المكشوفه فقد بلطت بالطابوق المصقول المربع الشكل، و طول ضلع الطابوقه ٣٢ سم و سمكها ٥ سم. و معدل حجم الطابوق الذى استخدم فى تطبيق ساحه المئذنه الملوويه \*٤٨\* ٤٨\* ٥ سم، و هو مربع الشكل و مصقول ايضا(١).

### المئذنه:

لجامع ابى دلف مئذنه مبنيه بالآجر و الجص و هى تشبه ملويه جامع سامرا الكبير و قد بنيت على شاكلتها الا انها اصغر منها حجما. و هى تقع على محور الباب الأوسط للجامع و على بعد ٥٠ ر ٩ امتار منه. و تقوم على قاعده مربعه الشكل تقريبا، طول كل من ضلعها الشماليه و الجنوبيه ٨٧ ر ١٠ امتار، و طول كل من الضلعين الشرقيه و الغربيه ٦٠ ر ١٠ امتار، و تعلق عن مستوى التطبيق ب ٧٠ ر ٢ مترا. و يزين كلا من اوجهها الأربعة صف من المشكيات عددها ١٣ مشكاه فى كل وجه عدا الوجه الجنوبي ففيه عشر مشكيات تتوسطها باب المصعد. و يقع باب المصعد فى الضلع الجنوبيه لقاعده المئذنه كما اشرنا، و هو يفض الى درج يصعد منه الى سطح القاعده، و يبلغ عرض المدخل ١٥ ر ١ مترا، و عدد قدمات الدرج المشيد فى صلب القاعده اربع، تتجه نحو بدن الملوويه من غير ان تنعطف الى الحلزون. و يرتفع جسم المناره، اى القسم الحلزوني منها، الى علو ٢٠ ر ١٦ مترا فوق القاعده، فيصبح ارتفاع ملويه جامع ابى دلف من مستوى التطبيق حتى القمه المتهدمه نحو ١٩ مترا. و يبدأ الحلزون، و هو سلم المئذنه من يمين

الباب و يدور ثلاث دورات كامله باتجاه معاكس لدوران عقرب الساعه، و عرضه متر واحد(١).

و قد عثر فى الرواقين الواقعين بين المئذنه و الجدار الشمالى للجامع على رجه مربعه يبلغ طول ضلعها ٧٠ مترا تحيط بها جدران اقتلعت حجارتهها. و وجد فى الجدار الموازى للضلع الشماليه آثار عشر طاقات زخرفيه مشابهه لتلك التى وجدت على اوجه قاعده الملويه. و يظهر من هذا ان جدران رجه المئذنه كانت كلها مزينه بالزخارف المذكوره. و قد ظهرت فى هذه الرجه آثار قناتين تمتدان بين سور الجامع الخارجى و الجدار الذى فى يمين المئذنه و يسارها، و لعلهما كانتا لتزويد الميضأه بالماء، او لانسباب مياه الأمطار(٢).

---

١- نفس المصدر / ٦٩.

٢- نفس المصدر / ٧٢.

## الفصل الخامس سامرا بعد المتوكل على الله

### ١- المنتصر بالله:

#### اشاره

بويح للمنتصر بالله بالقصر الجعفرى بالمتوكليه، الا انه آثر الابتعاد عن مسرح جريمه مقتل ابيه المتوكل على الله. فلم يلبث سوى بضعه ايام حتى قرر اعاده عاصمته الى سامرا. و سبق ان ذكرنا انه امر الناس جميعا بالانتقال عن الماحوزه- و هى منطقه مدينه المتوكليه- و ان يهدموا المنازل و يحملوا الانقاض الى سامرا. فخربت قصور المتوكليه و منازلها و اسواقها.

و عند عوده المنتصر بالله الى سامرا سكن فى القصر الجعفرى المحدث الذى بناه ابوه و انفق عليه عشره الالف الف درهم(١).

و ذكر الطبرى ان المنتصر بالله عقد مجلسه فى هذا القصر ليستمع هو و القواد و القضاة و الامراء من بنى العباس الى اعلان اخويه المعتز و المؤيد تنازلهما عن ولايه العهد من بعده(٢). و فى هذا القصر كانت وفاته فى اوائل ربيع الآخر سنة ٢٤٨ هـ.

١- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

٢- الطبرى ٩ / ٢٣٧ و ٢٤٤.

كان من المنتظر بعد ان عادت الجموع الكثيره من سكان المتوكليه الى سامرا ان يعاد بناء قصورها و بيوتها و اسواقها و مرافقها التي سبق ان هدمت او هجرت عند انتقال العاصمه الى المتوكليه. و ان يتم ذلك بموجب تخطيط و تنسيق يعيد للمدينه عمرانها و بهاءها. الا- ان الوضع النفسى للمنتصر بالله و ما كان اعتراه من كآبه و قلق لندمه على المشاركه فى اغتيال ابيه، و قصر مده حكمه، فانه لم يقم بشىء من ذلك، بل انه اهمل مشاريع ابيه العمرانيه، و بخاصه النهر الجعفرى فلم يحاول تصحيح الأخطاء التي حصلت فى حفره. و لذا فان سامرا لم تحظ فى ايامه بشىء من العناية بعمرانها، و لكن امه طلبت عند وفاته ان تظهر قبره، فبنت له ضريحا اقيمت عليه قبه عرفت بقبه الصليبيه.

### قبة الصليبيه:

تقع اطلال هذه القبه على الضفة المرتفعه لنهر الاسحاقى فى الجانب الغربى من دجله، جنوبى قصر المعشوق و على مقربه منه.

و كانت فى الأصل بنايه مئمنه الشكل تتوسطها قاعه مربعه يحيط بها رواق مئمن، و يستدل من سمك جدرانها و من الاسم الشائع لها انها كانت تعلوها قبه. و لا مجال للشك فى انها كانت ضريحا لأحد الخلفاء (١). و كان هرزفيلد قد اجرى تنقيبات اوليه فى اطلال هذه البنايه، و وجد فيها ثلاثه قبور مما جعله يرجح انها كانت موضع قبر الخليفه المنتصر بالله. ثم دفن الى جانبه المعتر بالله و المهتدى بالله (٢).

١- الاثار القديمه العامه - سامراء / ٧٢.

٢- ٨٨٣: Creswell, E. M. A. P.

يقول الطبرى عن دفن المنتصر بالله انه اول خليفه من بنى العباس عرف قبره لأن امه طلبت اظهار قبره(١). و يقول عن دفن المعتز بالله انه لما مات دفن مع المنتصر فى ناحيه قصر الصوامع(٢). و يضيف ابن الأثير على ذلك ان المهتدى بالله لما مات دفن بمقبره المنتصر(٣). و فى هذا ما يؤيد ما ذهب اليه هرزفيلد فى ان قبه الصليبيه كانت ضريحا للخلفاء المذكورين.

و يرى كريزول ان القبه المذكوره تعود الى زمن متأخر من عهد سامرا لأنها مبنيه بنفس المواد التى استعملت فى بناء قصر المعشوق الذى شيد فى اواخر عهد المعتمد على الله(٤). و قد يؤيد هذا الرأى قرب القبه من القصر المذكور، و ان المعتمد على الله ربما قد بناها لتكون ضريحا له. لاسيما و انه عند ما توفى ببغداد حمل الى سامرا و دفن فيها.

## ٢- المستعين بالله:

لما توفى المنتصر بالله اجتمع كبار القاده الاتراك فى القصر الهارونى و اتفقوا على اختيار خلف له فبايعوا حفيد المعتصم بالله احمد بن محمد و لقب بالمستعين بالله. و قد بات ليلته الأولى فى القصر المذكور. و يظهر من مجرى الحوادث المهمه على عهده انه سكن فى قصر الجوسق الخاقانى، قصر جده المعتصم بالله الواقع على نهر دجله جنوبى دار الخليفه. فقد التجأ القائد التركى اوتامش الى الخليفه فى هذا القصر لما هاجمه مناوئوه

١- الطبرى ٩ / ٢٥٤.

٢- الطبرى ٩ / ٣٩٠.

٣- الكامل ٧ / ٢٣٠.

٤- ....

من الأتراك، فدخلوا الجوسق واستخرجوه و قتلوه مع كاتبه شجاع بن القاسم (١). و لما قتل باغا التركي حاصر اتباعه من الجند و القواد المواليين له في قصر الجوسق ايضا. و علم المستعين بالله باجتماعهم فرك القصر منحدرًا مع بعض قواد و افراد حاشيته الى بغداد (٢).

و نزل الخليفة في بغداد على محمد بن عبد الله بن طاهر في داره. ثم انتقل منها الى دار رزق الخادم في الرصافه. و لما تنازل عن الخلافة و بايع المعتز بالله نقل هو و عياله و ولده و جواريه من الدار المذكوره الى قصر الحسن بن سهل بالمخرم، و انزلوا فيها جميعا (٣).

لقد ظلت شؤون سامرا و مرافقها العمرانيه مهمله طيله خلافه المستعين بالله، لأنه قضى ما يقارب الثلاث سنوات من حكمه في سامرا في صراع مستمر مع الاتراك مما اضطره على الانتقال الى بغداد، ثم قيام الحرب بين بغداد و سامرا، و لذا لم تتح له الفرصه للقيام باى عمل عمرانى يذكر في سامرا.

### ٣- المعتز بالله:

اما المعتز بالله الذى بايعه الاتراك الذين ظلموا في سامرا و فشلوا في اقناع المستعين بالله بالعوده اليها، فقد كان ينزل في قصر الجوسق اول امره. و قد اضاف اليه جناحا خاصا لسكناه احسن عمارته و ريازته. و قد ذكر الشابشتى ان المعتز بالله بنى في الجوسق بيتا قدرته له امه و مثلث حيطانه و سقفه، فكان احسن بيت رثى، و لما انتهى منه دعا المعتز بالله حاشيته اليه فقصوا

١- الطبرى ٩ / ٢٦٤، و الكامل ٧ / ١٢٣.

٢- الطبرى ٩ / ٢٨٠.

٣- الطبرى ٩ / ٣٤٨.

احسن يوم سرورا(١). و ضرب فيه المعتز بالله ديناراً من دنانير الصلّه كل دينار بدينارين كتب على كل دينار منها «ضرب هذا الدينار بالجوسق لخزينه امير المؤمنين المعتز بالله»(٢). و كان المعتز بالله في بيته هذا لما جيء اليه برأس المستعين بالله في سنه ٢٥٢هـ(٣). و برأس القائد بغا الشرابي في سنه ٢٥٤هـ(٤).

و يشير البحترى في احدى قصائده في مدح المعتز بالله الى انه بنى قصرًا فخماً يقال له «الكامل» و قد تضمن مدحه بعض اوصاف القصر، و مما جاء فيها قوله(٥):

لما كملت رويه و عزمها عملت رأيك في ابتناء الكامل

و غدوت من بين الملوك موفقامنه لأيمن حله و منازل

ذعر الحمام و قد ترنم فوقه من منظر خطر المزله هائل

روفت لمنخرق الرياح سموكه و زهت عجائب حسنه المتخايل

و كأن حيطان الزجاج بجوه لجج يمجن على جنوب ساحل

و كأن تفويق الرخام اذا التقى تأليقه بالمنظر المتقابل

١- الديارات / ٦٧٠.

٢- نفس المصدر / ١٦٨.

٣- الطبرى ٩ / ٣٦٤، و الديارات / ١٧٠.

٤- الطبرى ٩ / ٣٨٠.

٥- ديوان البحترى ٣ / ١٦٤٦ - ١٦٤٩.

حبك الغمام رصفن بين منمر و مسير و مقارب و مشاكل

لبست من الذهب الصقيل سقوفه نورا يضى ء على الظلام الحافل

فترى العيون يجلن فى ذى رونق متلهب العالى انيق السافل

فكانما نشرت على بستانه سبراء و شى اليمنه المتواصل

اغنته دجله اذ تلاحق فيضها عن فيض منسجم السحاب الهائل

وافيته و الورد فى وقت معاو نزلت فيه مع الربيع النازل

يتضح من اوصاف البحترى ان الكامل كان قصرا مرتفعا شاهق البنيان، يحاذر الحمام ان يطاله فى ارتفاعه، و قد بنى بالرخام و المرمر و موهت سقوفه بالذهب الصقيل، و زينت نوافذه بالزجاج الشفاف. و انه كان على شاطى ء دجله بحيث يسقى ماؤها بستان القصر، و ان المعتر بالله نزل فيه فى اول فصل الربيع.

و مدح البحترى المعتر بالله بقصيده اخرى اشار فيها الى انه افتتح بناء جديدا، و لعله يقصد القصر الكامل المشار اليه آنفاً، كما يظهر من اوصاف البناء، اذ جاء فيها قوله: (١)

---

١- ديون البحترى- طبعه صادر ١ / ١٧٩ - ١٨٠.



بارك الله للخليفه فى الفتح الجنوبى، و البناء الجديد  
خير مبهج، و بنيان بمن فى منيف، عند السماك مشيد  
فوق صرح ممرد من قوارير، غريب التأليف و التمديد  
لو بدا حسنه لجن سليمان لخروا من ركع و سجود  
قد عددنا اليوم الذى جئته فيه لافراط حسنه، يوم عيد  
كما ذكر البحترى فى احدى مدائحه المعتر بالله قصرًا آخر باسم «قصر الساج» اذ يقول فيها(١):  
و كأن قصر الساج خله عاشق برزت لواقمها بوجه مونق  
قصر تكامل حسنه فى قلعهيضاء، واسطه لبحر محددق  
و انى المحل فلا المزار بشاسع عمن يزور، و لا الفناء بضيق  
قدرته تقدير غير مفرطو بنيته بنيان غير مشقق  
و وصلت بين الجعفرى و بينه بالنهر يحمل من جنوب الخندق

نهر كأن الماء فى حجراته افرند متن الصارم المتألق

لقد بنى المعتر هذا القصر و لم يدخر وسعا فى الانفاق عليه بحيث تكامل حسنه. فقد كان كالقلعه البيضاء وسط ساحه خضراء تكتنفها الاشجار الخضراء و الوان الورود. و كان واسع الارحاء قريبا فى موقعه.

و كان هناك قصر بديع يقع على ضفه القاطول الاعلى فى الناحيه الشماليه الغربيه من ساحه الحير، يعرف بقصر الدكه.

و قد عين الطبرى موقع هذا القصر فى معرض كلامه فى حادث مقتل القائد صالح بن وصيف فى سنه ٢٥٦ هـ فيقول ان الناس اجتمعوا و «تهايجوا من دار امير المؤمنين، فركبوا فى السلاح، و اخذوا فى الحير حتى اجتمعوا ما بين الدكه و ظهر المسجد الجامع»<sup>(١)</sup> و يرجح الدكتور احمد سوسه ان قصر الدكه هذا هو نفسه القصر المعروف بقصر الساج. و دليله على ذلك ان البحرى لما وصف قصر الساج فى قصيدته آنفه المذكور اشار فى اواخرها الى نهر كان يبدأ من قرب القصر الجعفرى و ينتهى عنده، اى ان النهر يوصل بين القصرين المذكورين، و ذلك بقوله:

الحقه يا خير الورى بمسيره و امدد فضول عبايه المتدقق

فاذا بلغت به البديع فانما انزلت دجله فى فناء الجوسق

ان وصف البحرى بانه قصر تكامل فى حسنه و هو كالقلعه البيضاء يحيط بها البحر، و ان المعتر بالله وصل بينه و بين الجعفرى

بالنهر الذى كان يتفرع من قناه سامرا، ينطبق على قصر الدكه، و لذا فهو قصر الساج الذى بناه المعتز بالله (١).

و يظهر ان مناطق سكنى الجند من الاتراك قد امتدت بعيدا عن المسجد الجامع الكبير مما صعب على المسنين منهم الوصول اليه لأداء فريضه الصلاه، فبتنى المعتز بالله مسجدا قريبا من مناطق سكناهم.

فأشاد البحترى بصنيع المعتز بالله بقوله (٢):

يا ابن عم النبي أمتعت العمر و مليت نعمه الامتاع

يعلم الله كيف حمد الموالى ما تعانى من شأنهم، و تراعى

اعظموا المسجد الجديد فابدوا و اعادوا فى الشكر عنه المذاع

رحت خير البانين و اخترت بالامس لخير البيوت خير البقاع

فصرت خطوه الكبير و لاقى متعب فضل راحه و اتداع

#### ٤- المهتدى بالله.

كان المهتدى بالله قد اقام فى الجوسق منذ ان بويع له الى ان قتل (٣). و بسبب الوضع المالى السيء للدوله فقد اتبع المهتدى

١- رى سامراء /١ /١٢٣.

٢- ديوان البحترى- طبعه صادر /١ /١٥٠-١٥٢.

٣- كتاب البلدان /٢٦٨.

بالله سياسته اقتصاد و تقشف فى جميع نفقاته و فى النفقات العامه.

و كان بطبيعته يمقت حياه البذخ و الترف، فخفض كثيرا من نفقات بلاطه و نفقات اهله و ولده، مقتصرًا على الضرورى منها.

و لذا لم يحدث فى ايامه التى لم تتجاوز السنه، اى عمران يذكر فى سامرا.

## ٥- المعتمد على الله:

### اشاره

اقام المعتمد على الله عند مبايعته بالخلافه بسر من رأى فى الجوسق و قصور الخلافه، ثم انتقل الى الجانب الغربى من المدينه فبنى قصر موصوفا بالحسن سماه المعشوق (١). و كنا ذكرنا فى سيرته انه كان مستضعفا، فانه رغم ميله الى الفنون و الآداب، و مع طول مده حكمه لم يستطع ان يضيف شيئا الى عمران سامرا الا يسيرا، و هو بناؤه قصر المعشوق. و ذلك لعدم توفر المال من جهه بسبب حرب الزنج و الثورات الداخليه الأخرى، و لسيطره اخيه الموفق على شؤون الدوله من جهه اخرى، مما حال دون ان يتمكن من ان ينفق شيئا من المال حسب مشيئته و رغباته. كما كان الموفق نفسه رجل حرب قضى اغلب ايامه فى جبهات القتال، فلم يعن بالامور العمرانيه.

و كان الاهمال العمرانى الذى اصاب سامرا بعد المتوكل على الله قد حرم قصورها من العناية بها و صيانتها و تجديدها، فاصبحت قديمه و قد فقدت جدتها و رونقها و لم تعد صالحه لسكنى الخلفاء.

و لهذا يلاحظ المتتبع لتاريخ سامرا خلال السنوات العشر الأخيره من حكم المعتمد على الله، انه كان يتردد فى سكناه بين بغداد و سامرا. و سبق ان اشرنا الى انه اتخذ القصر الحسنى ببغداد

سكننا له عند ما يكون فيها، و به كانت وفاته. على انه استطاع فى سنه ٢٧٥ هـ ان يبنى قصرًا فخما فى الجانب الغربى من سامرا اسماه المعشوق، و قد انتقل اليه و سكن فيه.

### قصر المعشوق:

اشار اليعقوبى الى هذا القصر بقوله «و لما ولى المعتمد اقام بسر من رأى فى الجوسق و قصور الخلافه ثم انتقل الى الجانب الغربى (١) بسر من رأى فبنى قصرًا موصوفًا بالحسن سماه المعشوق، فنزله فاقام به حتى اضطرته الامور فانتقل الى بغداد» (٢). و قال عنه ياقوت الحموى «المعشوق و هو اسم لقصر عظيم بالجانب الغربى من دجله قبالة سامرا فى وسط البريه باق الى الآن» (٣). ليس حوله شىء من العمران، يسكنه قوم من الفلاحين، الا- انه عظيم مكين محكم لم يبن فى تلك البقاع على كثره ما كان هناك من القصور غيره. و بينه و بين تكريت مرحله.

عمره المعتمد على الله» (٤). و ذكر ابن الجوزى فى حوادث سنه ٣٥٠ هـ ان معز الدوله احمد بن ابى شجاع البويهى نقض المعشوق بسر من رأى و حمل آجره لبناء داره ببغداد (٥). و جاء فى كتاب تجارب الامم ان معز الدوله قد اشتدت علته و اراد ان يترك بغداد الا ان وزيره ابو محمد المهلبى صرفه عن رأيه واقنعه بان يبنى قصرًا فى اعالي بغداد. و لما شرع بالبناء قلع الابواب الحديد التى على مدينه ابى جعفر المنصور، و نقض قصور الخلافه بسر من رأى

١- فى الاصل الشرقى.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٨.

٣- توفى ياقوت الحموى فى سنه ٦٢٦ هـ.

٤- معجم البلدان ١٥٦ / ٥ - ١٥٧.

٥- المنتظم ٢ / ٧.

و نقل منها الآجر لبناء قصره(١). و يظهر انه نقض قصر المعشوق ايضا.

و كان على بن يحيى المنجم نديم الخلفاء مقربا من المعتمد على الله فقلده بناء المعشوق فبنى له اكثره(٢). لأنه توفي في سنة ٢٧٥ ه قبل ان يتم بناء القصر. مما يستدل منه ان المعتمد على الله شيد هذا القصر في حدود السنه المذكوره. فعهد وزيره سليمان بن وهب الى محمد بن عبد الله بن يحيى الاشراف على اكمال بناء القصر، ثم ما لبث ان صرفه الخليفه(٣).

و مر باطلال قصر المعشوق كل من ابن جبير و ابن بطوطه، فقال عنه ابن جبير ابو الحسن محمد بن احمد الاندلسى المتوفى سنة ٦١٤ ه، عند مروره بسامرا «و نزلنا مع الصباح من يوم الخميس الثامن عشر لصفر على شط دجله بمقربه من حصن يعرف بالمعشوق .. فاقمنا بهذا الموضع طول يومنا مستريحين، و بيننا و بين مدينه تكريت مرحله»(٤). و قال عنه ابن بطوطه ابو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجى المتوفى سنة ٧٩٧ ه فى رحلته من بغداد الى الموصل عند ما مر به «فتزلنا موضعا على شط دجله بالقرب من حصن يسمى المعشوق و هو مبنى على الدجله. و فى العده الشرقيه من هذا الحصن مدينه سر من رأى و تسمى سامرا»(٥).

و كان المستشرق الفرنسى فيوله-Violet من اوائل المحدثين الذين ابدوا اهتماما بهذا الأثر فنشر دراسه قصيره عنه و بعضا من مخططاته فى سنة ١٩١١ م، عقبه المستشرق الالمانى

١- تجارب الامم ٢ / ١٨٢-١٨٣.

٢- معجم الادباء ٥ / ٤٧٦.

٣- الوزراء / ٢٨٤.

٤- رحله ابن جبير / ١٨٥.

٥- رحله ابن بطوطه ١ / ١٤٧.

هرزفيلد فاجرى بعض التنقيبات فيه قبيل الحرب العالميه الاولى(١).

تقع اطلال قصر المعشوق على الضفة الغربيه لنهر الاسحاقى فى الجانب الغربى من نهر دجله، و تسمى اليوم قصر العاشق. و كان المعتمد على الله آخر خلفاء سامرا قد بناه فى اواخر عهده، قبل انتقال مقر الخلافه الى بغداد. و بنايه القصر مستطيله الشكل ذات طابقين، و قد تحول الطابق الأسفل الى سرداب لتراكم انقاض اجزاء الطابق الثانى فيه. و يبلغ طول البنايه ١٣١ مترا و عرضها ٩٦ مترا، و كانت محاطه بساحه مسوره، و يشاهد فى هذه الساحه بين القصر و السور آثار عده مبان فرعيه(٢). و كان يدور حول سور القصر خندق واسع يستمد مياهه من قناه جوفيه (كهريز) ينحدر اليها الماء من العيون التى فى اراضى الجزيره الغربيه فتفضى اليه، لأن موقع القصر كان مرتفعا بالنسبه الى منسوب المياه فى نهر الاسحاقى فلم يكن بالامكان جر الماء منه الى الخندق(٣).

يعتبر قصر المعشوق من اهم القصور الأثرية المتخلفه عن العاصمه سامرا، و كان بناؤه متينا اذ ان معدل عرض جدرانها ٦٠ ر ٢ مترا، اضافه الى انه معزز بابرّاج ضخمة تدعمه من جوانبه المختلفه، و تحيط به مسناه من بعض جهاته لحمايته من مياه الأمطار. و ذلك ما حدا بالكتاب و البلدانيين القدماء الى ان يطلقوا عليه صفة القلاع و الحصون. و قد نشر المنقب الآثارى السيد ربيع القيسى تقريراً بعنوان «الصيانه الاثريه فى قصر العاشق فى

١- مجله سومر، العدد ١ و ٢ من السنه ١٩٦٧/١٨٣.

٢- الآثار القديمه العامه- سامراء/ ٧١.

٣- رى سامراء ٨٨/١.

سامراء» فى مجله سومر(١). تضمن وصفا دقيقا لأعمال الصيانه التى قامت بها مديره الآثار العامه للحفاظ على البقيه الباقيه من جدران القصر و ابراجه المتداعيه و كثير من جدرانه الداخليه التى استظهرت بنتيجته اعمال التنقيب. و فيما يلى ملخص بما كشف من مرافق القصر المذكور قد تساعدنا على تصور تخطيطه و ما كان يحتوى عليه من الغرف و القاعات و الممرات و غير ذلك من المرافق الاخرى.

بنى قصر المعشوق جميعه بالآجر من النوع الكبير (الفرشى) من قياس ٥ ر ١٠ \* ٥ ر ١٠ \* ٥ ر ٢ بوصه. و من اطلاله الباقيه فى الوقت الحاضر يشاهد فى الجبهه الشماليه منه بقايا جدران امكن الاهتداء بواسطتها الى مرافق القصر. و كانت فى القصر اووين على غرار الاووين فى قصور سامرا الاخرى. و وجد ان جدار الجبهه الشماليه للقصر تصاقبه من الخارج مجموعه من الفرف مستطيله و متوازيه و متعامده على هذا الجدار، و ظهر ان احداها و هى الغرفه الشرقيه تكون ممرا يؤدى الى مرافق القصر العليا، و يحتمل ان يكون هذا الممر مدخلا للقصر من جهته الشماليه. و قد شيد هذا المدخل بالآجر و الجص بهيئه سلم منحدر على دق من التراب يرتفع الى مسافه اربعه امتار ثم ينعطف نحو اليسار، و بعد مسافه ١١ مترا ينحرف مره اخرى نحو اليسار مشكلا ممرا يصل نقطه تقع فوق باب المدخل و عندها ينتهى الدفن المشيد عليه السلم. و ظهرت دلائل معماريه تؤكد استمرار هذا السلم و انعطافه يسارا مره ثالثه فيتصل بعقد من الخشب مشكلا سقفا للقسم الأسفل، و يؤدى بعد مسافه ١١ مترا الى مدخل بعرض مترين يفضى الى مرافق القصر. و فى جدار المدخل عدده نوافذ للاضاءه و التهويه، و كشف عن طابق اسفل تحت هذه الجبهه



بهينه سرداب مشيد بالآجر و الجص على غرار الأواوين فى العمائر الاسلاميه.

و كشف فى منتصف الجبهه الشرقيه للقصر مدخل تدل معالمه البنائيه على انه من المباني المضافه على هذا القسم، و عن يسار المدخل المذكور ثلاث غرف مستطيله الشكل ذات جدران سميكه، و على جدران هذه الجبهه ميازيب عموديه منحوتة عرضها ٣٠ سم و عمقها ٢٠ سم لتصريف مياه الأمطار. و يظهر انها نحتت بعد تشييد الجدران لأنه لوحظت آثار قص الجدران، و ان هذا القص يخترق جانبا من المشاكي التى تزين ظاهر الجدران. و كان بعض هذه الجدران تزينها نقوش و كتابات.

و وجد فى الجانب الغربى من القصر منفذ بهينه عقد يتوسط البرجين الثالث و الرابع و عرضه متران، مع آثار غرف صغيره امام المدخل تلاحق جدران القصر من هذا الجانب.

و فى الجبهه الجنوبيه من القصر وجدت بقايا اربعة ابراج.

و ظهر ان بعض جدران هذه الجبهه قد شيدت على وجه الارض من دون اساس و ذلك لصلابه الارض التى تقوم عليها هذه الجدران.

و وجد مدخل صغير فى هذه الجبهه على غرار مدخل الجانب الغربى من القصر. كما وجدت عده مرافق بقرب هذا المدخل تشابه المرافق الملاصقه لمدخل القسم الغربى.

و قد اشاد الباحثى بذكر هذا القصر فى قصيده مدح بها الخليفه المعتمد على الله مطلعها(١):

أريتك الآن المع البروق ام شعل مرفضه من حريق

الى ان يقول:

لازال معشوك يسقى الحيامن كل داني المزن واهى الخروق

فما خلونا مذ رأيناه من فتح جديد، و زمان أنيق

أشرق نظارا الى ملتقى دجله يلقاه بوجه طليق

و طالع الشمس على موعدهم مثل ضوء الشمس عند الشروق

لم أر كالمعشوق قصرا بدالأعين الرائين غير المشوق

هذاك قد بر في حسنه سبعا و هذا مسرع في اللحوق

و قد اشار ياقوت الحموى في معجمه الى ان المعتمد بالله كان عمّر قصرا آخر سمي باسمه هو القصر الأحمدي، و لكنه لم يذكر موضعه و متى انشأه، مكتفيا بهذه اللمحه البسيطة، و ذكر ما قاله فيه ابن المعتز واحد الأدباء. فقد ذكر ابن المعتز هذا القصر في شعر امتدح به المعتمد على الله، منه قوله (١):

بدر تنقل في منازل سعد يصبحه و يطرقه

فرحت به دار الملوك فقد كادت الى لقياه تسبقه

و الأحمدي اليه منتسب من قبل و المعشوق يعشقه

و قال بعض اهل الادب: اجتزت بسامرا فرايت على جدران القصر المعروف بالأحمدى مكتوبا(١):

فى الأحمدى لمن يأتيه معتبرلم يبق من حسنه عين و لا أثر

غارت كواكبه و انهد جانبه و مات صاحبه و استفضع الحيز



## الفصل السادس العوده الى بغداد و هجر سامرا

### ١- العوده الى بغداد:

ليس هناك تاريخ معين لترك المعتمد على الله مدينة سامرا و العوده الى بغداد، كما لا تتضح الاسباب التي دفعته الى الانتقال.

و ان ما ورد في المصادر الأوليه حول هذا الموضوع لا يلقى ضوء واضحاً على ذلك. و لكن المتبع لسير الحوادث خلال السنوات العشر الأخيره من حياه سامرا كعاصمه للدولة العربية يلاحظ ان الخليفه كان في اثنائها يتردد بين بغداد و سامرا، فيكون مقره في سامرا احيانا و في بغداد احيانا اخرى. و نذكر فيما يأتي بعضاً من الحوادث التي وقعت خلال المده المذكوره و كانت بغداد مسرح حدوثها مع ان سامرا كانت لا تزال عاصمه الدوله و مقر الخلافة، لأن دواوين الدوله و خزائنها لازالت فيها.

و مما حدث في سنة ٢٧٠ هـ ان ابا العباس احمد بن الموفق، و كان بمعيه ابيه في حرب الزنج، قدم بغداد و معه رأس الخبيث قائد ثوره الزنج ليراه الناس<sup>(١)</sup>. مما يدل على ان الخليفه كان

---

١- الطبري ٩/٦٦٣، و الكامل ٧/٤٠٥.

حينذاك في بغداد، لأن من المعتاد ان يحمل رأس الثائر الى الخليفة ليقرر ما يراه بشأنه، فقد يأمر بدفنه، او بتعليقه في محل عام او بالطواف به في بعض اقاليم الدوله.

و لتسع بقين من جمادى الآخره سنه ٢٧٢ هـ قدم ابو العباس بغداد منصرفا من وقعته مع ابن طولون بالطواحين(١). و في هذه السنه ورد الخبر مدينه السلام بدخول حمدان بن حمدون و هارون الشاري مدينه الموصل(٢).

و عند ما حبس الموفق ابنه ابا العباس في سنه ٢٧٥ هـ شغب اصحاب ابى العباس و حملوا السلاح، و اضطربت بغداد، فركب ابو احمد حتى بلغ باب الرصافه(٣).

و لأربع عشره خلت من شهر ربيع الاول من سنه ٢٧٦ هـ شخص ابو احمد الموفق من مدينه السلام الى الجبل(٤).

و في أول يوم من شعبان سنه ٢٧٧ هـ قدم بغداد قائد من قواد ابن طولون في جيش عظيم من الفرسان و الرجاله(٥). و مجيء هذا الوفد العسكري الى بغداد يدل على ان الخليفه كان فيها آنذاك.

و ان وفاه الموفق في صفر سنه ٢٧٨ هـ و دفنه بالرصافه ببغداد(٦)، و وفاه المعتمد على الله في رجب سنه ٢٧٩ هـ ببغداد(٧)، مما يشير الى انهما كانا قد استقرا في بغداد.

١- الطبرى ٩ / ١٠.

٢- الطبرى ٩ / ١٠ و الكامل ٧ / ٤١٩.

٣- الطبرى ١٥ / ١٠ و الكامل ٧ / ٤٣٣.

٤- الطبرى ١٦ / ١٠.

٥- الطبرى ١٨ / ١٠، و الكامل ٧ / ٤٣٩.

٦- الطبرى ٢٢ / ١٠، و الكامل ٧ / ٤٤٣.

٧- الطبرى ٢٩ / ١٠، و الكامل ٧ / ٤٥٥.

يقول ابن الأثير ان المعتمد على الله اول الخلفاء انتقل من سر من رأى مذ بنيت ثم لم يعد اليها احد منهم(١).

و يؤيد الخطيب البغدادي تردد المعتمد على الله على بغداد، اذ يذكر انه كان قد استنزل بوران ارمله المأمون عن قصرها المعروف بالحسنى، فاستنظرتة اياما فى تفریغه و تسليمه. ثم رممته و عمرته و فرشته باجل الفرش، و ملأت خزائنه بما يخدم به الخلفاء، و رتبت فيه من الخدم و الجوارى ما تدعو الحاجه اليه، فلما فرغت من ذلك انتقلت منه. فانتقل المعتمد اليه. و لما كانت بوران قد توفيت فى اواخر ربيع الأول من سنه ٢٧١ هـ، فان انتقال المعتمد على الله الى القصر كان قبل وفاتها.(٢)

و يشير ياقوت الحموى الى نفس الخبر المذكور فيقول: «فاتاه فرأى ما اعجبه و ارضاه و استحسنة و اشتهاه، و صار من احب البقاع اليه، و كان يتردد فيما بينه و بين سر من رأى فيقيم هناك تاره و هناك تاره اخرى»(٣). و واضح من هذا ان المعتمد على الله لم ينتقل الى بغداد بصورة نهائيه.

و قد لاحظ ياقوت ان سامرا «لم تزل كل يوم فى صلاح و زياده و عماره منذ ايام المعتصم و الواصل الى ايام المنتصر بن المتوكل. فلما ولى المستعين و قويت شوكة الأتراك و استبدوا بالملك و التولية و العزل، و انفسدت دوله بنى العباس، لم تزل سر من رأى فى تناقص للاختلاف الواقع فى الدوله بسبب العصبية التى كانت بين امراء الاتراك. الى ان كان آخر من انتقل الى بغداد من الخلفاء و اقام بها و ترك سر من رأى بالكلية المعتضد بالله امير المؤمنين»(٤).

١- الكامل ٧ / ٤٥٥.

٢- تاريخ بغداد ١ / ٩٩ - ١٠٠.

٣- معجم البلدان ٢ / ٤.

٤- نفس المصدر ٣ / ١٧٦.

و ذكر المؤرخ زكريا بن محمد القزويني مثل هذا، فقال «و لم تزل في زياده عماره من ايام المعتصم الى ايام المستعين، فعند ذلك قويت شوكت الأتراك و وقعت المخالفه في الدوله. فلم تزل في نقص الى زمان المعتضد بالله فانه انتقل الى بغداد و ترك سامرا بالكليه»<sup>(١)</sup>.

ان ما ذكرناه يؤيد ان المعتمد على الله كان يتردد بين سامرا و بغداد، و انه لم ينتقل بصورة نهائيه الى بغداد. و لعل قيامه ببناء قصر المعشوق في سامرا خلال سنتي ٢٧٥ و ٢٧٦ هـ دليل آخر على انه لم يزمع الانتقال منها. الا انه عند ما تولى المعتضد بالله الخلافه في رجب من سنه ٢٧٩ و هو في بغداد آثر الاستقرار بها، و نقل دواوين الدوله اليها، فعادت من جديد عاصمه للدوله العرييه.

و هكذا كانت سامرا عاصمه للدوله العرييه خلال المده من اوائل سنه ٢٢٣ هـ حتى رجب سنه ٢٧٩ هـ، اي طيله مده تقرب من سبع و خمسين سنه عدا المده التي انتقل بها المتوكل على الله الى المتوكل عليه. اما المده التي انتقل بها المتوكل على الله الى دمشق فانه «لم ير في سفرته هذه شيئا و لا نظر في مصلحه»<sup>(٢)</sup>. اي انه لم يمارس اعماله خلالها. و المده التي انتقل فيها المستعين بالله الى بغداد و بقاؤه فيها حتى تنازله عن الخلافه و قدرها سنه واحده، فقد بقيت سامرا خلالها عاصمه للخليفه المعتر بالله الذي بايعه القواد الأتراك اثر انحذار المستعين بالله الى بغداد.

## ٢- اسباب هجر سامرا:

و كما قامت مدينه سامرا و اتسعت خلال مده و جيزه من الزمن فقد قدر لها ان يغالها الاهمال و يعمها الخراب بسرعه ايضا. و ليس

١- آثار البلاد و اخبار العباد / ٣٨٦.

٢- تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٩١.



هناك اسباب واضحة لهجرها و عوده مقر الخلافة الى مدينه السلام.

الا- ان المتتبع يلمس اهمال الخلفاء الذين جاءوا بعد المتوكل على الله شؤون المدينه العمرانيه عدا مدته قصيره فى ايام المعتز بالله. و ذلك بسبب انشغال الدوله العربيه بالحروب و ما اصابها جراء ذلك من انهاك و ارهاق و بخاصه من الناحيه الماليه، بقيام ثوره الزنج التى استمرت خمسه عشر عاما، و خروج الولايات الشرقيه بين حين و آخر على سلطه الخلافه. بحيث فقدت سامرا و بخاصه قصورها جدتها و بهاءها و اصبحت لا تليق بسكنى الخلفاء فيها. مما جعل المعتمد على الله، رغم الظروف الماليه الصعبه، يبنى له قصرا فى الجانب الغربى من المدينه. و ان المعتضد بالله الذى قضى اكثر ايامه قبل توليه الخلافه ببغداد، رأى بعد ان بويع له ان الاقامه بالقصر الحسنى اكثر راحه و اعظم ابهه من السكن باحد قصور سامرا القديمه.

ولا- ينكر ان عوده العاصمه الى بغداد و نقل مختلف الدواوين و رجالها اليها، و ما تبع ذلك من انتقال عدد كبير من سكان سامرا رعايه لمصالحهم، أثر تأثيرا بالغيا فى عمران سامرا، و افرغها من سكانها تقريبا بحيث كادت تخلو منهم تماما. كما كان لصعوبه توفير مياه الشرب لسكان الضفه الغربيه المرتفعه من سامرا، و هى الجانب الأوسع و الأهم منها، تأثير مهم آخر فى نزوحهم عنها.

فهجرت المدينه التى نافست بغداد ردحا من الزمن زاد على نصف القرن، و تطرق اليها الاضمحلال و الخراب. و قد احسن ياقوت الحموى بقوله انها خربت حتى لم يبق منها سوى موضع المشهد و محله بعيده يقال لها الكرخ، و اصبحت «سائر ذلك خراب يباب يستوحش الناظر اليها بعد ان لم يكن فى الأرض كلها احسن منها و لا اجمل و لا اعظم و لا آنس و لا اوسع ملكا»(١).

## ٣- سامرا بعد هجرها:

وقد وصف سامرا بعد هجرها بسنين عديده بعض البلدانيين، و ذكرها بعض الرحالين الذين مروا بها. فقال عنها الاصطخرى «و هي خراب ربما يسير الرجل في مقدار فرسخ منها لا يجد بها دارا معموره»<sup>(١)</sup>. وقال المقدسى «و الآن خربت، يسير الرجل الميلىن و الثلاثه لا- يرى عماره، و هي الجانب الشرقى، و فى الغربى بساتين .. فلما خربت سميت ساء من رأى»<sup>(٢)</sup>. و قال ابن حوقل «و مدينه سر من رأى فى وقتنا هذا مختله و اعمالها و ضياعها مضمحله، قد تجمع اهل كل ناحيه منها فى مكان لهم به مسجد جامع و حاكم و ناظر فى أمورهم، و صاحب معونه يصرفهم فى مصالحهم.

و هواؤها و ثمار اصح من ثمار بغداد و هوائها. و لها نخيل و كروم و غلات تحمل الى مدينه السلام، و هي الآن خراب اكثرها»<sup>(٣)</sup>.

و مر بها الرحاله ابن جبیر فى طريقه من بغداد الى الموصل، فقال عنها «و نزلنا مع الصباح من يوم الخميس الثامن عشر من صفر على شط دجله بمقربه من حصن يعرف بالمعشوق. و على قبالة هذا الموضع فى الشط الشرقى مدينه سر من رأى و هي اليوم عبره من رأى، اين معتصمها و واثقها و متوكلها؟ مدينه كبيره قد استولى عليها الخراب الا بعض جهات منها هي اليوم معموره. و قد اطنب المسعودى رحمه الله فى وصفها و وصف طيب هوائها و رائق حسننها، و هي كما وصف و ان لم يبق الا- الأثر من محاسنها»<sup>(٤)</sup>.

١- كتاب الاقاليم / ٤٨.

٢- احسن التقاسيم / ١٢٢-١٢٣.

٣- صوره الارض / ٢١٨.

٤- رحله ابن جبیر / ١٨٥.

اما ابن بطوطه الذى توفى سنة ٧٧٩ هـ اى بعد وفاه ابن جبير ب ١٦٥ عاما فقد مر بها ايضا و قال عنها «فتزلنا موضعا على شط دجله بالقرب من حصن يسمى المعشوق و هو مبنى على الدجله. و فى العدوه الشرقيه من هذا الحصن مدينه سر من رأى و تسمى ايضا سامرا .. و قد استولى الخراب على هذه المدينه فلم يبق منها الا القليل.

و هى معتدله الهواء رائعه الحسن على بلائها و دروس معالمها. و فيها ايضا مشهد صاحب الزمان»(١).

و لم يفكر احد من الخلفاء بعد المعتضد بالله بالعوده الى سامرا.

و لكن يظهر مما ذكره ابو الحسن الهلال الصابى ان المكتفى بالله كان كلفا بها و كان يخرج اليها للصيد(٢). و يشير الطبرى فى حوادث سنة ٢٩٠ هـ الى ما يدل على ان المكتفى بالله قد اراد الانتقال اليها.

فهو يقول «و لعشر بقين من جمادى الآخرة خرج المكتفى بعد العصر عامدا سامرا مريدا البناء بها للانتقال اليها، فدخلها يوم الخميس لخمس بقين من جمادى الآخرة، ثم انصرف الى مضارب ضربت له بالجوسق، فدعا القاسم بن عبد الله و القوام بالبناء فقدروا له البناء و ما يحتاج اليه من المال للنفقة عليه، و كثروا عليه فى ذلك، و طولوا مده الفراغ مما اراد بناءه، و جعل القاسم يصرفه عن رأيه فى ذلك و يعظم امر النفقه فى ذلك و قدر مبلغ المال، فثناه عن عزمه»(٣). و قد ذكر ابن الجوزى مثل هذا فى حوادث سنة ٢٩٠ هـ(٤). و قد يكون نقله عن الطبرى. كما اشار الى ذلك ابن الأثير فى حوادث السنه المذكوره(٥).

١- رحله ابن بطوطه / ١ / ١٤٧.

٢- الوزراء / ٢٥٢.

٣- الطبرى / ١٠ / ٩٨ - ٩٩.

٤- المنتظم / ٦ / ٣٨.

٥- الكامل / ٧ / ٥٢٩.

و كتب عبد الله ابن المعتز الى صديق له يمدح سر من رأى و يصف خرابها، و يذم بغداد و اهلها، و يفضل سامرا، نجتري ء منه بعض الفقرات(١): كتبت اليك من بلده قد انهض الدهر سكانها، و اقعد جدرانها، فشهد اليأس فيها ينطق، و جبل الرجاء فيها يقصر، فكأن عمرها يطوى، و كأن خرابها ينشر، و قد وكت الى الهجر نواحيها، و استحث باقيها الى فانيها. و قد تمزقت باهلها الديار، فما يجب فيها حق جوار، فالظاعن منها ممحو الأثر، و المقيم بها على طرف سفر، نهاره ارجاف و سروره احلام، ليس له زاد فيرحل و لا مرعى فيرتع. فحالها تصف للعيون الشكوى، و تشير الى ذم الدنيا، بعد ما كانت بالمرأى القريب جنبه الأرض و قرار الملك، تفيض بالجنود اقطارها، عليهم اردية السيوف و غلائل الحديد، كأن رماحهم قرون الوعول، و دروعهم زبد السيول، على خيل تأكل الأرض بحوافرها .. على انها و ان جفيت معشوقه السكنى، و حبيبه المثوى، كوكبها يقظان، و جوها عريان، و حصاها جوهر، و نسيمها معطر، و ترابها مسك أذفر، و شرابها مرى ء ..

لا كبغدادكم الوسخه السماء، الومره الهواء، جوها نار و ارضها خيار، و مأؤها حميم، و ترابها سرجين، و حيطانها نزوز، و تشرينها تموز. فكم فى شمسها من محترق، و فى ظلها من عرق، ضيقه الديار، قاسيه الجوار، ساطعه الدخان قليله الضيفان.

اهلها ذئاب، و كلامهم سباب، و سائلهم محروم و مالهم مكتوم لا يجوز انفاقه و لا يحل خناقه، حشوشهم مسایل و طرقهم مزابل، و حيطانهم اخصاص و بيوتهم اقفاص، و لكل مكروه أجل، و للبقاع دول، و الدهر يسير بالمقيم و يمزج البؤس بالنعيم. و بعد اللجاجة انتهاء، و الهم الى فرجه، و لكل سابله قرار، و بالله استعين، و هو محمود على كل حال:

غدت سر من را فى العناء فى لهاقفا نبك من ذكرى حبيب و منزل

و اصبح اهلوها شبيها بحالها لما نسحتهم من جنوب و شمال

اذا ما امروء منهم شكا سوء حاله يقولون لا تهلك اسى و تجمل

و اذا ما تتبعنا الأخبار عن سامرا بعد هجرها فاننا نجد ذكرها يتردد مقرونا باحداث بعض السنوات. فقد جاء فى حوادث السنه ٢٨١ هـ ان الأعراب دخلوا سامرا و اسروا ابن سيماء (١). و ذكر فى حوادث السنه ٢٩٦ هـ عند ما خلع المقتدر و بويج عبد الله بن المعتز ثم عاد المقتدر، ان ابن المعتز و من بايعه من القواد حاولوا ان يسيروا الى سر من راى بمن تبعهم من الجند فيثبت أمرهم و يشتد سلطانهم، فلم يتبعهم احد (٢). و فى حوادث السنه ٣٢٠ هـ ان مؤنسا انحدر من الموصل فى شوال و بلغ خبره جند بغداد فشغبوا و طلبوا ارزاقهم، ففرق المقتدر بالله فيهم اموالا كثيره، و انفذ ابا العلاء سعيد بن حمدان و صافيا البصرى فى خيل الى سر من رأى، و انفذ ابا بكر بن ياقوت فى الفى فارس و معه الغلمان الى المشوق (٣). و عن وفيات السنه ٣٢٢ هـ يقول ابن الأثير «و فيها توفى خير بن عبد الله النساج الصوفى من أهل سامرا» (٤). و ذكر فى حوادث سنه ٣٣٠ هـ عند ما هرب ابو حسين البريدى من بغداد الى واسط و عاد الخليفه المتقى بالله اليها مع ابن حمدان، و كان المتقى قد سير اهله من

١- الطبرى ٣٧ / ١٠، و الكامل ٧ / ٤٦٨ و فيه انهم قتلوه.

٢- تجارب الامم ٦ / ١، و الكامل ٨ / ١٦.

٣- تجارب الامم ١ / ٢٣٤، و الكامل ٨ / ٢٤١.

٤- الكامل ٢٩٨.

بغداد الى سر من رأى، فاعادهم. كما عاد من هرب اليها من الأعيان(١). ولما نشبت بين اصحاب معز الدوله بعكبرا و ناصر الدوله و من معه من الاتراك بسر من رأى فى سنه ٣٣٤ هـ عبر اصحاب معز الدوله من الديلم من الجانب الشرقى من سر من رأى الى الجانب الغربى و ساروا الى تكريت فنهبوا، ثم صار بعضهم الى سر من رأى فنهبوا ايضا(٢). و يذكر ابن الأثير ان جامع سر من رأى احترق فى سنه ٤٠٧ هـ(٣). و عند ما خرج امر الخليفه القادر بالله فى سنه ٤١٥ هـ بصرف ابن ابى طالب عن نقابه الكوفه انكر الوزير المغربى ما يجرى على صهره ابن ابى طالب من العزل، و كان عند قرداش بسر من رأى(٤). و ورد فى وفيات السنه ٤٢٥ هـ وفاه ابى سنان غريب بن محمد الملقب بسيف الدوله فى شهر ربيع الآخر فى كرخ سامرا، و كان قد ضرب دراهم سماها السيفيه(٥).

و جاء فى حوادث السنه ٤٧٨ هـ ان السلطان بركياروق قتل عمه تكش و غرقه فى سر من رأى(٦).

١- تجارب الامم ٢ / ٣٠، و الكامل ٨ / ٣٨٥.

٢- تجارب الامم ٢ / ٨٩ - ٩٠، و الكامل ٨ / ٤٥٣.

٣- الكامل ٩ / ٢٩٥.

٤- الكامل ٩ / ٣٣٦.

٥- الكامل ٩ / ٤٣٨.

٦- الكامل ١٠ / ٢٣٩.

## الفصل السابع دور السكنى فى سامرا

ان دور السكنى التى تم الكشف عنها فى اطلال سامرا كانت تتألف من طابق ارضى واحد بوجه عام. و جدرانها مبنية باللبن و الجص. اما الآجر فقد استعمل فى تطبيق ارض بعض الغرف، فى عقد الطيقان. و قد شوهد فى بعض الدور نوع من الطابوق المصنوع من الجص فى بناء الطيقان و العقادات المهمة.

اما ارضيه الغرف فيبسط بالآجر و بعضها بالجص، و قليل جدا منها بلط بالرخام الابيض او الاسمر، و قطع الرخام المستعمله مربعه الشكل او مثلثه. و كانت الجدران عاده تطلّى بالجبس.

و لوحظ فى بعض الدور ان القسم الأسفل من جدران غرفها كانت تكسوه قطع الرخام الى ارتفاع متر واحد تقريبا. و على جدران معظم الغرف زخارف محفوره فى الجبس بالوان جميله. اما الجدران الخارجيه فلا أثر للترزين فيها. و شوهد فى كثير من البيوت اعمده و اساطين مصنوعه من الجص ملتصقه بالجدران، و تحتها قواعد بديعه. و لا شك ان رؤوس هذه الأعمده كانت على هيئه التيجان.

و اغلب الأعمده التى عثر عليها جصيه كلها، و قليل منها يتكون داخلها من اللبن او الطين و قد كسيت بالجص لتجميل منظرها.

و وجد فى جدران بعض الغرف روازين مزينه بالزخارف. و كانت ابواب الغرف تحاط باطار بارز من الجص بوجه عام(١).

و يظهر ان بيوت سامرا بنيت على نسق واحد، اذ يتقدم البيت مدخل مسقف- و هو ما نسميه بالمجاز- يفضى الى باحه مكشوفه مستطيله فى آخرها قاعه رئيسه على شكل حرف "T" مقلوب مع غرفتين صغيرتين فى الزاويتين، و تحاط القاعه بصفوف من الغرف للسكن او لاتخاذها مخازن، و السقوف جميعها خشبيه(٢).

و قد يكون فى الدار اكثر من صحن واحد، و كما اشرنا آنفا فان الغرف فى جميع البيوت المكتشفه مرتبه على نظام واحد: الغرفه الأصلية و تتألف من قسمين، الأول بمثابة الايوان و يتعامد مع القسم الثانى من وسطه و يكون عاده اعرض منه و أقل طولاً. و تقوم على طرفى الايوان غرفتان صغيرتان تفتح باب كل منهما على جناح القسم الثانى الذى يكون بمثابة رواق يمتد امام الغرفتين و يتصل بالايوان الذى يتوسطهما. و مما يلفت النظر ان هذا الترتيب ينطبق تماما على «الطراز الحيرى» الذى سبقت الاشاره اليه. فكان القسم المتوسط الشبيه بالايوان هو «الصدر» و الغرفتان اللتان على جانبيه هما «الكمان» اما القسم الذى يتعامد مع الصدر و الكمين فهو «الرواق». و قد ظهر فى بعض الدور مجازان طويلان على طرفى الكمين و الرواق، و هما بمثابة «خزانه الكسوه» و «مستودع الشراب». كما لوحظ فى بعض الدور ان الصدر لا يتصل بالكمين مباشره، بينما كان فى دور اخرى متصلتا بهما بصوره مباشره. و قد وجد فى احدى الدور المكتشفه ان الصدر كان غرفه مئمنه الشكل ذات ثلاثه ابواب، و ان بعض الغرف مقسمه الى

١- حفريات سامراء ١٩٣٦-١٩٣٩ / ١ / ٢٥.

٢- ٧٨٢ - ٤٨٢: Creswell .E .M .A .P.



قسم داخلى و قسم خارجى بواسطه جدارين صغيرين او بسلسله من الأعمده(١).

و اظهرت التنقيبات فى الدور المكتشفه عده حمامات، و مرافق صحيه، و بالوعات منتظمه يزيد عمق بعضها على ثلاثه امتار.

و شوهده فى بعض الدور مجارى للمياه متقنه الصنع. كما شوهده فى كثير من هذه الدور محلات مخصصه لتربيه الحمام، يقع بعضها فى احدى زوايا الدار، و بعضها الآخر تحت الدرج. و شوهده فى بعض الدور غرف مخصصه لذلك و قد بنيت على جدرانها اكنان على نظام بديع. و كان قسم من هذه الاكنان واسعه يستدل منها انها كانت لتربيه الطيور الداجنه الكبيره كالاوز و الدجاج.

و كشف عن وجود سراديب فى بعض دور السكنى المذكوره على اختلاف مواقعها، و وجد فى بعضها سردابان. و السراديب المذكوره محفوره فى الطبقة الصخرية التى تعرف بين الاهلين باسم «السن».

و كان ينزل الى هذه السراديب بدرج منظم يتألف قسمه الاعلى من خمس قدمات، و قسمه الاسفل من ست قدمات. و يدخل النور الى السرداب عاده من طاقات مفتوحه فى سقفه، و تظهر هذه الطاقات فى ارض الدار كفوهات آبار. و حفرت فى جدران بعض السراديب نوافذ عمياء (روازين) لوضع بعض الحاجات و الاسرجه(٢).

و من المعتاد ان يكون فى مدخل الدار دهليز او مجاز مستطيل تقوم على طرفيه دكتان معدتان للجلوس، و يعقب هذا الدهليز او المجاز مجاز آخر فيه دكتان او اكثر. و مما يلفت النظر ان امثال هذه الدكات كانت لا تزال تشاهد فى دور سامراء الحالىه فى وقت القيام بالتنقيبات. و يكون مدخل الدار فى اغلب الاحيان بارزا عن جدار الدار، و على طرفيه حنايا على شكل محاريب، و على طرفيها بعض

١- حفريات سامراء انف الذكر ١/ ٢٧-٢٨.

٢- نفس المصدر/ ٣١-٣٢.

الأعمده، مما يكسب مدخل الدار جمالا. و لوحظ فى معظم الدور المكتشفه آثار تغييرات حصلت فى بنائها، و فى زخارفها، اكثر من مره، كاستحداث باب فى احد الجدران، او سد باب قديم، او تقسيم غرفه الى قسمين او اكثر، او ردم الأرض و تعليه التطبيق.

او تجديد بعض الزخارف و النقوش. و ذلك ما نسميه اليوم بالصيانه و الأدامه. و تدل هذه التغييرات على نزعه التجديد. لقد لقد شوهدت فى بعض الدور مثلا، قاعه كبيره قد قسمت الى غرف صغيره بجدران بسيطه. حتى ان بعض المغاسل و المراحيض استحدثت فى زاويه من زوايا غرفه غنيه بالزخارف البديعه، مما يدل بشكل واضح على ان التغييرات كانت قد أحدثت بعد ان هجرت الدار من اصحابها الأغنياء فتحولت الى مأوى يسكنه عدد من العائلات الفقيره(١).

و قد وجدت بعض البيوت التى تقع على الشارع العام، تحتوى على صف من الدكاكين(٢). و كان تزيين البيت من الداخل سمه لها شأنها. فقد كانت الافاريز العاليه المزخرفه و المنقوشه توجد فى معظم البيوت، لا سيما فى الغرف، و هى تدور فى جميع جوانبها.

و كذلك كانت السقوف ايضا تزين بالنقوش، كما تزخرف اطارات الابواب و النوافذ، و جل هذه الزخارف من الجص، و قد تفنن صانعوها فى رسمها و صنعها و زينوها احيانا بالصور(٣).

و كان من المعتاد ان يزداد عدد الغرف فى الدار كلما اتسعت مساحتها، و قد يبلغ عدد الغرف فى الدار الواحده ستين غرفه، و بها شبايك تغطيها الواح من الزجاج المتنوع الألوان، يتراوح عرض اللوح الواحد بين العشرين و الخمسين سنتمتر(٤).

١- حفريات سامراء آنف الذكر ١ / ٣٢ - ٣٣.

٢- Creswell ,E.M .A.P .٧٨٢ .

٣- دائره المعارف الاسلاميه ١١ / ٨٦.

٤- الحضاره الاسلاميه ٢ / ١٧٢.

## الفصل الثامن زخارف سامرا

### مقدمه:

لا- شك في ان توفر ماده الطين لصنع اللبن، و التربه الكلسيه الصالحه لتحضير الجص لاستخدامه ملاطا و مؤنه للبناء و لطلاء الجدران و زخرفتها بالرسم او النقش او الحفر، مما ساعد على تقدم الريازه و تطور طرز العماره في سامرا و ازدهار الزخرفه الجصيه التي اتخذت لترين البنيات و القصور ازدهارا كبيرا، بحيث نشأ فيها طراز خاص من هذه الزخرفه باشكال لا تعد و لا تحصى ارتبط باسمها فعرف في تاريخ الفن المعماري بزخارف سامرا. و ان ما كشفت عنه التنقيبات من النقوش الزخرفيه في قصور سامرا و منازلها يدل على براعه صانعيها، و مدى تقدمهم في هذا الفن آنذاك. و يلاحظ ان من مميزات هذه الزخارف انها قد تعمل في خلال البناء او بعد اتمامه، و ان القشره الجصيه التي عليها الزخارف يمكن ان ترفع بسهولة و ان تعوض بقشره جديده تزخرف باشكال تختلف عن الأشكال السابقه. و بعد ان اتخذ القالب لصنع الزخارف المطلوبه صار عملها بهذه الطريقه رخيصا مما عمم استعمالها و اتاح للفنانين مجالا واسعا للعمل في هذا المضمار(١).

و لا- ينكر ان ثمة عوامل فنيه اخرى توفرت فى سامرا لأنها غدت مركزا جذبت اليها فنانيين و صناع كثيرين من جميع انحاء المعموره، و قد استهوتهم ثروه بلاط الخلفاء و الرعايه التى كانوا ينعمون بها فى ظلهم. فقد ر لهذه المدينه ان تكون البوتقه التى انصهرت فيها فنون امم مختلفه من روم و سريان و فرس و اقباط و هنود، و بزغ من ذلك فن جديد هو فن الريازه العربيه(١). و سوف نحاول ان نترسم خطى تطور هذه الزخارف التى اتسع نطاق استخدامها فاتخذت فى الحجر و فى الخشب اضافه الى الجبس و الجص.

### الزخارف الجصيه:

سبق ان اشرنا الى ان جدران الغرفه القائمه فى مدخل السرداب الصغير فى دار الخليفه قد زينت برسوم قافله من الجمال حفرت على الجبس، و ان جدران اووين هذا السرداب نقشت عليها زخارف جصيه. و قد ازدانت جدران قصور سامرا و مساكنها بالزخارف الجصيه الجميله. و تفاوتت رسوم هذه الزخارف و اشكالها تفاوتا كبيرا، فبعضها غايه فى البساطه و الغلظه، مستقيم الخطوط، غائر العمق، و بعضها احكم زخرفا و ابداع زينه، و قد اهتم الآثاريون بذه الزخارف اهتماما خاصا، فدرسوا مصادرها و تتبعوا مراحل تطورها. و يمكن القول ان العالم الآثارى هرزفيلد اول من عنى بذلك. و قد قسم هذه الزخارف الى ثلاثه انواع بحسب تطورها الزمنى. و يظهر ان تقسيمه نال قبولا- لدى العلماء الآثاريين ممن اهتموا بهذا الفن الذى ازدهر فى عهد سامرا فنسب اليها.

و النوع الأول هو النوع القديم الذى كان امتدادا للطراز الزخرفى الذى كان سائدا عند تأسيس مدينه

سامرا. و يتميز هذا النوع بعمق حفرة و قرب زخارفه من الطبيعه، و هى تتكون من تفريعات العنب، و كيزان الصنوبر، و المراوح النخليه، داخل تقسيمات هندسيه، و لها خلفيات واضحه. و مع ان الزخارف هنا تعتمد على اساليب الزخرفه الامويه، الا ان رجال الفن فى سامرا ابتكروا اشكالا جديده ذات مظهر زخرفى رائع(١).

و يرى كريزول ان الشكل المميز لهذا الطراز هو استخدام العنب فيه، مما يشاهد فى زخارف قبه الصخره مع بعض التغيير فى عدد الاوراق المستخدمه فى الزخرفه، و اختفاء حبات العنب التى كانت تظهر فوق الورقه عند اتصالها بالساق، و اضافه عيون جاحظه بين الورقات، و املاء الأرضيه، و هذا النموذج من الزخارف يرى على باب العامه و هو من البنايات الأولى فى سامرا(٢).

و فى النوع الثانى ابتعد الفنان عن الطبيعه فى رسم زخارفه التى تتكون من اشكال و تفريعات هندسيه تحمل اوراقا نباتيه او اشكالا مختلفه من المراوح النخليه. كما اهمل خليفه الرسم و صارت مجرد خطوط تفصل عناصر الزخرفه. الا انه احتفظ بمميزات الطراز الأول الاخرى كعمق الحفر و احاطه الزخارف باشكال هندسيه(٣). و هذا النوع من الزخارف الجصيه لا تظهر فيه الشجره او النبتة كامله، اذ اختفت سيقانها المتشابهه و اخذ كل منها يظهر مستقلا و متفرقا فى نهايته. اى ان الصفه الغالبه على هذه الزخارف انها ابتعدت عن الطبيعه، و ان التفاف السيقان و التقاؤها هو الغالب بحيث امكن املاء المربعات و المثلثات بالسيقان و البراعم(٤).

١- العراق مهد الفن الاسلامى / ٢١-٢٢، الفنون الاسلاميه / ٩٣.

٢- ٩٨٢: Creswell, F. M. A. P.

٣- العراق مهد الفن الاسلامى / ٢٢، و الفنون الاسلاميه / ٩٣.

٤- ٩٨٢: Creswell, E. M. A. P.

اما النوع الثالث فهو احدث الطراز المذكور، وفيه تبلورت الاسس الفنيه لزخارف سامرا. فابتعد الفنان تماما عن الطبيعه واهمل خلفيه الرسم. و اصبحت الزخرفه تقوم على خطوط متصله ببعضها بشكل لا- يحتاج معه الى الزخارف الدقيقه التي كانت تملأ الفراغ بين الزخارف الكبيره، لأن الأرضيه فى هذا النوع كادت تختفى تماما(١). و ان طريقه عملها اصبحت تعتمد على القوالب، بحيث ان الزخارف لم تعد ترسم و تحفر على الجدار مباشره، كما كان الحال فى النوعين الأول و الثانى، حينما كان الفنان يرسم الزخارف على الجدران فى المكان المطلوب زخرفته ثم يحفر الأرضيه و الخلفيات حول الرسم ليبرز العناصر الزخرفيه المطلوبه. و كان ذلك يتطلب دون ريب جهدا و مالا- فاتبعت طريقه القوالب و بخاصه فى زخرفه المساحات الواسعه من الجدران و السقوف. اذ يعمل الزخرف على قالب من الطين ثم يفخر ليكتسب صلابه، و من ثم يصب ملاط الجص او الجبس فوق القالب بعد ان يدهن كى لا يلتصق الجص بالقالب، ثم يرفع لوح الجص بعد جفافه تماسكه.

و واضح ان هذه الطريقه و فرت مالا- و وقتا و جهدا. لأن القالب يستخدم لمرات عديده فى صنع زخارف متماثله. و لكى لا تتشوه الواح الجص المزخرفه عند رفعها من قوالب فقد اتبع فى حفر القالب طريقه الحفر المائل. و اساس هذه الطريقه ان تنحت العناصر الزخرفيه نحتا مائلا، و تتقابل حوافها فى شكل زوايا منفرجه.

و قد اتبعت هذه الطريقه ايضا فى النحت على الحجاره و زخرفه الخشب. و يطلق عليها الاصطلاح المعروف بالنحت المشطوف او المائل «Beveled»

(٢). و يقول كريزول ان القالب يعمل اول الامر من الخشب ثم تصب عليه نماذج عديده من الطين، و بعد ان

١- العراق مهد الفن الاسلامى / ٢٢-٢٣، و الفنون الاسلاميه / ٩٣.

٢- الفنون الاسلاميه / ٩٤.

تفخر هذه النماذج تصبح هي القوالب التي تصب عليها الزخارف المطلوبة من الجبس، و كان اهم عامل لذلك هو الرغبه فى سرعه انجاز الزخارف بالنظر لسعه الحركه العمرانيه(١).

و يزعم بعض الآثاريين ان الفنان فى سامرا اقتبس هذه الطريقه فى الحفر من الزخارف التى رآها محفوره حفرا مائلا على بعض بعض الحلى التى كان الرقيق الاتراك بجلبونها معهم من بلادهم.

و من هؤلاء ارنست كونل Ernest Kuhnel الذى يرى ان «هذا التطور الأخير فى سامرا يعتبر ثوره زخرفيه كامله. و ابتكارا لطراز عباسى خاص مطعم بالفن التركى، يقوم على اساس الطراز السيتى لتصوير الحيوان فى الفن الشعبى الطورانى، و قد اخذ عن الخشب اصلا، ثم استعمل فى ادوات الزينه. و معروف ان الحفر المائل يمثل هجره الشعب السيتى وحده»(٢). على انه مهما كانت العوامل المؤثره و التى دفعت الى ابتكار هذا الطراز فنحن امام اسلوب جديد فى الزخرفه الجصيه غير مسبوق، او بعبارة اخرى امام فن عربى ناضج، و قد خرج من العراق، او على الأدق من سامرا الى شرق العالم الاسلامى و غربه، محمولا على ايدى العراقيين، او على ايدى فنانيين مسلمين و فدوا الى العراق لكى يتعلموا طراز الخلافه العباسيه على ايدى فناني العراق و صناعه(٣).

ان هذه الوحدات الزخرفيه النباتيه من الازهار و الاوراق و الفروع و البراعم التى رسمها الفنان العربى فى زخارف سامرا بعد ان حورها و احسن تنسيقها، و اسبغ عليها جمالها الفنى الذى تميزت به، اطلق عليها الاوربيون اسم الأرابسك خ Arabesque

١- ٠٩٢ : Creswell ,E.M .A .P

٢- الفن الاسلامى / ٣٩.

٣- العراق مهد الفن الاسلامى / ٢٦.

و يتضح من هذه التسميه ان هذه الزخارف عربيه اصلا. و قد توسع استعمال هذه الوحدات الزخرفيه، فنقشت على سقوف القاعات و الغرف، و على ابواب الجوامع و قبابها، و على المقرنصات و الدلايات. و لم يقتصر صنعها على الجص و الجبس، بل اتخذت ايضا على الحجر و الآجر و الخشب، كما رسمت على الطابوق المزجج القاشاني الذي غلفت به قباب الجوامع.

و هذه الزخارف النباتيه التي ولدت تحت سماء سامرا و تجلت خطوطها الاولى في الطراز الثالث من طراز الزخارف الجصيه، قد اخذت تنمو و تتقدم حتى وصلت ذروه جمالها في بعض مباني مدينه الموصل، لا سيما المحاريب الحجرية التي يحتفظ بها المتحف العراقي ببغداد(١). و يحتفظ المتحف العراقي بنماذج عديده لـزخارف سامرا الجصيه بمراحلها او طرزها الثلاث. فهناك لوحان من الجص من هذه الزخارف، و هما من النوع الأول، عثر على احدهما في قصر الجص الذي بناه المعتصم بالله في الجانب الغربي من سامرا، و عثر على اللوح الآخر في احد دور سامرا التي اجري التنقيب في اطلالها(٢). و ثلاثه الواح من الجص نقشت بزخارف هندسيه على طراز سامرا الثاني، و جزء من جدار فيه شباك مزين بالواح جصيه مزخرفه من الجانبين بنقوش هندسيه و نباتيه من الطراز المذكور(٣). و ثلاثه الواح من الجص مزخرفه بنقوش نباتيه و هندسيه، و هي من الطراز الثالث لـزخارف سامرا(٤).

و محراب من الجص مزخرف بنقوش و كتابات كوفيه وجد في احد

١- العراق مهد الفن الاسلامي / ٣٥.

٢- كنوز المتحف العراقي / ٤١٤.

٣- نفس المصدر / ٤١٧.

٤- نفس المصدر / ٤١٩.



القصور بسامرا(١). و لوحان من الرخام نقشاً بزخارف محفوره حفرا عميقا باشكال هندسيه بديعه وجدا فى سامرا(٢).

### الزخارف الخشبيه:

لم تكن القطع الخشبيه التى عثر عليها فى خلال الحفريات التى اجريت فى اطلال سامرا كثيره، بسبب سرعه تلف الخشب اذا ما تعرض للعوامل الجويه او لفعول الأرضيه. و لكنها رغم قلتها كانت متنوعه تنوعا كبيرا. فقد لوحظ ان بعضها سميكه و مزخرفه بطريقه الحفر او الخراط، و بعضها قليله السمك مزخرفه بطريقه النقش بالاصباغ، و قسما منها مزخرفه بطريقتى الحفر و النقش معا.

و اكثر ما عثر عليه من القطع الخشبيه حشوات للابواب، او اجزاء من زخارف سقفيه، و كانت الالوان الغالبه فى زخرفتها اللون الأحمر و الازرق و الالبيض، و قد استخدم اللون الأصفر احيانا(٣). اما اشكال النقوش التى رسمت باللوان مختلفه على الخشب فتغلب عليها الرسوم الهندسيه المؤلفه من خطوط منكسره و مثلثات متتاليه او سلسله من الدوائر، مما يؤلف زخارف معقده جميله، و قد استخدمت فى بعض النقوش عناصر نباتيه و حيوانيه(٤).

لقد ابتكر الفنان العربى فى خلال القرن الثالث، اى فى عهد سامرا، طريقه جديده فى الحفر هى طريقه الحفر المائل او المشطوف، و ابتكر اسلوبا زخرفيا يناسبها. و مع ان طريقه الحفر المائل استخدمت فى حفر الزخارف الجصيه على نطاق واسع الا انه

١- نفس المصدر / ٤١٨.

٢- نفس المصدر / ٤١٩.

٣- حفريات سامراء / ٢ / ١٤ - ١٥.

٤- نفس المصدر / ١٥.

يرجح ان اول ظهورها كان على الخشب(١). و يحتفظ متحف المترو بوليان بامريكا من هذا الاسلوب الزخرفى الجديد بمصراعى باب و حشوتين قد تكونان جزء من كنفى باب او من سقف منقوش، و قد عثر عليهما فى تكريت و يرجح انهما جاءا من سامرا، و تعتبر هاتان الحشوتان من اكمل امثله الحفر على الخشب فى سامرا. اما زخارف مصراعى الباب فموزعه- حسب الطريقه التقليديه- على اقسام مستطيله و مربعه داخل اطار خال من الزخرفه، و قد استخدمت فى زخارف الباب و فى الحشوتين الفروع النباتيه و اشكال الزهريات و قد جمعت بشكل بعيد عن الطبيعه(٢). و ان الالواح الخشبيه التى عثر عليها فى اطلال احد قصور سامرا الذى اجريت فيه التنقيبات تحتوى على رسوم قوامها موضوعات نباتيه وفق اسلوب زخارف سامرا الجصيه، و هى ملونه بالالوان المشار اليها آنفا، و تحدها خطوط باللون الاسود(٣).

و فى المتحف العراقى مجموعه من قطع الخشب المزخرف من حشوات الأبواب و مصاريعها، و كلها ذات زخارف بارزه من طراز القطع المائل، و وجد معظمها فى حفريات سامرا. منها لوحان من الخشب احدهما مزخرف بنقوش نباتيه دقيقه جدا، و الواح مزخرفه و ملونه. و قطعتان مزينتان بنقوش نباتيه محفوره(٤).

و قد دخل اسلوب زخرفه الخشب و نقشه الى مصر و اصبح شائعا فيها فى عهد الاماره الطولونيه. و فى المتحف الاسلامى فى

١- الفنون الاسلاميه / ٣٧.

٢- نفس المصدر / ١١٧- ١١٨.

٣- نفس المصدر / ٣٧ / ٣٨.

٤- كنوز المتحف العراقى / ٤١٩.

القاهره مجموعه من الأخشاب المزخرفه تعود الى العهد المذكور، و تشتمل على قطع من الابواب و السقوف و الافاريز، و قطع الاثاث المدهون بعضها بالالوان الزاهيه، كما يوجد منها بمتحف المترو بوليتان امثله اخرى جميله(١).

و لعل من احسن أمثله الخشب المحفور من عهد سامرا مما لا يزال محافظا على شكله الأصلي منبر جامع القيروان الذى جلبه الأمير الاغلبى ابو ابراهيم احمد بن محمد بن محمد من العراق(٢). و يتكون المنبر المذكور من صفوف من الحشوات المقسمه الى مستطيلات تزينها الزخارف الهندسيه المتشابهه و النباتات المجرده و التفريعات من ورق العنب. و نجد فى احدى الحشوات شجره نخيل مستمده من شجره الحياه الشرقيه، و هذه تنتهى بزوج من القرون تعلوها كيزان الصنوبر، و شكل كروى على جانبيه مراوح نخليه. و يتمثل فى هذه الزخارف اسلوب سامرا المجرد، و ذلك فى زخارف من فروع العنب تحمل اوراقا نباتيه، فى البعد عن الطبيعه، و كيزان صنوبر بدلا من عناقيد العنب. و بعض كيزان الصنوبر قريب من مظهره من الطبيعه، و بعضها الآخر ينتهى باشكال من انصاف المراوح النخليه، و هذه تغطيها اوراق نباتيه. و تزين مناطق اخرى من تلك الحشوات موضوعات مجرده تتكون من عدده تعبيرات مركبه يمكن اعتبارها من الاصول الفنيه لبعض العناصر الزخرفيه للاسلوبين الثانى و الثالث من زخارف سامرا الجصيه(٣).

١- الفنون الاسلاميه / ١١٨.

٢- هو الامير السادس من بنى الاغلب و قد امتدت امارته من سنه ٢٤٢ حتى سنه ٢٤٩ هـ.

٣- الفنون الاسلاميه / ١١٥-١١٦.

## الرسوم الحائطيه:

كان من المعتاد ان يغطى الجزء الأسفل من جدران الغرف الرئيسه فى القصور و فى كثير من البيوت بوزره من الجص او الطابوق المصقول الى ارتفاع متر واحد تقريبا، مع حشوات زخرفيه. اما بقيه الجدار فترين بالصور و الرسوم الحائطيه.

و من اطرف هذه الرسوم ما عثر عليه فى جناح الحریم، و تضم مناظر راقصات و موسيقيين، و طيوراً و حيوانات، تنحصر بين دوائر او تفریعات نباتيه(١).

و قد كشفت التنقيبات التى اجريت فى اطلال قصور سامرا عن رسوم حائطيه رسمت على عديد من جدران الأبهاء و القاعات و الغرف و الحمامات، و قد ابداع صانعوها فى رسمها و تلوينها.

و كانت بعض الرسوم باللوان المائيه تموه بالذهب، كما اشرنا الى ذلك فى تزيينات قصر بلكوارا و زخارفه. كما سبق ان اشرنا الى انه قد رسم على جدار احدى القاعات فى قصر المختار الذى بناه المتوكل على الله صوره رهبان الكنيسه و قائد صلاتهم. و تم العثور على بعض المساكن الخاصه و فى احد الحمامات. و اعظم هذه الرسوم اهميه هى التى وجدت فى قصر الخليفه، و بخاصه فى قسم الحریم منه. و فى هذه الرسوم فروع نباتيه تشغل الفراغات، و رسوم بشريه، و رسوم حيوانات(٢). و كانت الدرجات فى حمامات سامرا تزين بالصور بدلا من البلاط المختلف الالوان، و ذكر المسعودى ان الناس يصورون العنقاء فى الحمامات(٣).

١- نفس المصدر / ٣٧.

٢- فن التصوير عند العرب / ٤٢.

٣- الحضاره الاسلاميه ٢ / ١٨٥.

و لعل اروع الصور التي عثر عليها سليمه واضحه و قد احتفظت بالوانها و كانت تزين حائط احدى غرف قسم الحريم فى قصر الخليفه. و تعد هذه الصورة مثالا- نموذجيا لاسلوب سامرا فى الرسم المائى. و هى تمثل راقصتين كاملتى الملبس، تبدوان و كأنهما تتحركان احدهما نحو الاخرى و تمسكان بايديهما المتقاطعتين بكأسين تصبان فيهما الخمر بشكل متزن من وعائين يظهران خلف رأسيهما. و ان الاموانى الذهبية، و التيجان و الأ-حزمه، و اللاكى ء فى رأسيهما و فى آذانهما، و كذلك الألبسه الثقيله و الجذائل الطويله، كل هذه توضح بان تينك المطربتين تنتميان الى قصر الخليفه. و قد تجلت المهارة و الدقه و الابداع فى الرسم و فى التلوين، و جميعها تنطق بان المصور العراقى فى عصر سامرا قد بلغ درجه عاليه من النضوج(١).

و فى المتحف العراقى قطع جداريه من الجص عليها رسوم بالالوان المائيه بزخارف هندسيه و نباتيه و حيوانيه وجدت فى اطلال مختلفه من قصور سامرا(٢). و قطع من الخشب مصبوغه بالوان مختلفه عليها رسوم باشكال هندسيه متنوعه، وجدت فى حفائر سامرا(٣).

### الزخرفه بالفيسفساء:

عثر بين انقاض بعض الغرف فى دار الخليفه على كميه كبيره من الفصوص الزجاجيه: مكعبات صغيره من الزجاج الملون بينها

١- العراق مهد الفن الاسلامى / ٥٠، و فن التصوير عند العرب / ٤٢.

٢- كنوز المتحف العراقى / ٤١٧.

٣- نفس المصدر / ٤١٩.

الأخضر و الأسود و الأحمر و الأزرق و الذهبى، و كان البعض منها ملتصقا بقطع جصيه مما يستدل منه انها كانت تستعمل لتغطيه الجدران بزخارف من الفسيفساء. كما وجدت بين الأنقاض المذكوره كميه من القطع الصديه التى تختلف عن بعضها اختلافا بينا من حيث اشكالها و ابعادها، و كان بعض هذه القطع ملتصقا بقطع جصيه بين فصوص زجاجيه منتظمه، مما يدل على انها كانت تدخل فى تركيبات الفسيفساء الزخرفيه لتكسبها رونقا و جمالا خاصا. و وجدت كذلك قطع زجاجيه سوداء و حمراء مختلفه الأطوال و الأشكال مما يدل على انها كانت تتخذ لتطعيم جص الجدران و تكوين انطقه و اطارات للزخارف (١).

و فى المتحف العراقى كسر من القاشانى الملون او من نوع الفسيفساء وجدت فى اطلال سامراء، و اكثرها من دار الخليفه (٢).

١- حفريات سامراء ١٩٣١-١٩٣٩، ١٣/٢.

٢- كنوز المتحف العراقى / ٤١٤.

الباب الثاني خلفاء سامرا ١- الخلفاء و المبايعه و ولايه العهد

٢- المعتصم بالله

٣- الواثق بالله

٤- المتوكل على الله

٥- المنتصر بالله

٦- المستعين بالله

٧- المعتز بالله

٨- المهتدى بالله

٩- المعتمد على الله





## الباب الثانى خلفاء سامرا

### الفصل الأول الخلفه و المبايعه و ولايه العهد

#### ١- الخلفه:

#### اشاره

يتطلب فهم طبيعه عهد الخلفاء العباسيين فى سامرا، من حيث اسلوب الحكم الذى اتبع فى اداره شؤون الدوله العربيه المتراميه الأطراف. و طرق معالجه المشاكل الداخليه و الخارجيه التى واجهتها. معرفه نظام الخلفه و اسسه التى قام عليها و العوامل المختلفه التى اثرت فى تطوره، و لذا سنحاول فيما يلى ان نوضح ذلك مختصرا.

لقد تطور نظام الحكم العربى فى العهد العباسى عما كان عليه فى عهد الأمويين. و قد حصل هذا التطور بفعل عوامل متعدده أثرت فيه، لعل اهمها الاساس الدينى الذى بنى عليه العباسيون حقهم فى الخلفه. اذ انهم ثبتوا نظام الوراثه فى الحكم، و اعتبروا قرابتهم

من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأساس الشرعى لخلافتهم. و كان نهج العباسيين هذا تطورا تاريخيا طبيعيا للدولة العربيه لأنها لم تقتصر على البلاد العربيه وحدها، بل انها ضمت تحت لوانها اقواما عديده اعتنق اغلب ابنائها الدين الاسلامى و جعلوا ولاءهم له، و هو يدعو الى التوحيد بين الناس و يعتبرهم سواسيه و لا يفضل احدا على آخر الا بالتقوى. فقد جاء فى خطاب ابى العباس السفاح اول خلفاء بنى العباس، عند ما بويع بالخلافه قوله: «الحمد لله الذى اصطفى الاسلام لنفسه و كرمه و شرفه و عظمه، و اختاره لنا و ايده بنا و جعلنا اهله و كهفه و حصته .. و خصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم، و انتبنا من شجرته و اشتقنا من نبعته»(١).

كما انهم اكدوا على الأساس الدينى لحكمهم. و قد جاء فى خطبه داود بن على و هو عم السفاح قوله: «و رجع الحق الى نصابه فى اهل بيت نبيكم، اهل الرأفه بكم و الرحمه لكم و التعطف عليكم، الا و ان ذمه الله و ذمه رسوله و ذمه العباس لكم ان نسير فنحكم فى الخاصه و العامه منكم بكتاب الله و سنه رسوله»(٢). بحيث اصبحت الخلافه منصبا مقدسا يستلزم الولاء و الطاعه و النصره(٣). و انها خلافه عن صاحب الشريعه مع حراسه الدين و سياسه الدنيا(٤).

و ولايه عامه على كافه الأمه، و القيام بامورها و النهوض باعبائها(٥). فكان الخليفه رأس الدوله و مصدر السلطات كلها، و هو المرجع الأخير لشؤون الرعيه الدينيه منها و الدنيويه.

١- خلاصه الذهب المسبوك / ٥٤ - ٥٥.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٣٥٠.

٣- الاحكام السلطانيه للماوردى / ٨.

٤- مقدمه ابن خلدون / ١٠٤.

٥- مآثر الانافه ٨ / ١.

اما الشروط التى يجب ان تتوفر فيمن يتولى الخلافة فان الماوردى يرى ان الشروط المعترفه سبعة، اولها: العدالة، و الثانى: العلم المؤدى الى الاجتهاد، و الثالث: سلامه الحواس، و الرابع سلامه الأعضاء، و الخامس الرأى المفضى الى سياسه الرعيه، و السادس. الشجاعه و النجده، و السابع: النسب و هو ان يكون من قریش(١).

و يرى ابو يعلى الحنبلى انها اربعة، احدها: ان يكون قرشيا من الصميم، و الثانى: ان يكون على صفه من يصلح ان يكون قاضيا، و الثالث: ان يكون قيما بأمر الحرب و السياسه و اقامه الحدود، و الرابع: ان يكون من افضلهم فى العلم و الدين: و قد روى عن الامام احمد بن حنبل ما يجيز اسقاط اعتبار العدالة و العلم و الفضل(٢).

و يتفق ابو يعلى مع الماوردى فى جواز ان يسمى خليفه من عقد له الامر، و ان يسمى رسول الله صلى الله عليه و سلم لأنه خلفه فى امته(٣).

و قد لخص ابن خلدون الشروط المذكوره باربعه هى: العلم و العدالة و الكفايه و سلامه الحواس و الأعضاء مما يؤثر فى الرأى و العمل، و اختلف فى شرط خامس و هو النسب القرشى، و اذا ما تقرر ان نصب الخليفه واجب فهو من فروض الكفايه، و يتعين على اهل الحل و العقد نصبه، و يجب على الجميع اطاعته(٤).

١- الاحكام لسلطانيه للماوردى / ٤.

٢- الاحكام السلطانيه لابي يعلى / ٤.

٣- الاحكام السلطانيه / ١٢، و الاحكام السلطانيه للحنبلى / ١١.

٤- مقدمه ابن خلدون / ١٠٥.

اما واجبات الخليفة فهي عشر، احدها: حفظ الدين على اصوله المستقره، و الثانى: تنفيذ الاحكام بين المتنازعين حتى تعم النصفه. و الثالث: حمايه البيضة و الذب عن الحريم، و الرابع:

اقامه الحدود لتصان محارم الله عن الانتهاك، و الخامس تحصين الثغور بالعهده و العدد، و السادس: جهاد من عائد الاسلام بعد الدعوه حتى يسلم او يدخل فى الذمه، و السابع: جبايه الفىء و الصدقات على ما اوجبه الشرع، و الثامن: تقدير العطايا و ما يستحق فى بيت المال من غير سرف و لا تقتير، و التاسع: استكفاء الامناء و تقليد النصحاء فيما يفوضه اليهم من الأعمال و بكل اليهم من الأموال، و العاشر: ان يباشر بنفسه مشارفه الأمور و تصفح الأحوال لينهض بسياسه الأمه. و اذا ما قام الخليفة بهذه الواجبات فقد وجب له على الأمه حقان: هما الطاعه و النصره، ما لم يتغير حاله من جرح فى عدالته او نقص فى بدته(١).

و كان للاستعانه بالعناصر غير العربيه فى الحكم فى عهد العباسيين أثر مهم فى تطور نظام الحكم. فقد تأثر العرب بالانظمه الاداريه التى كانت قائمه فى البلاد المفتوحه، و اقتبسوا بعض التقاليد التى اضفت على الخلافه مزيدا من الهيبة و الاحترام.

### ضعف الخلافه:

ادى تعاظم نفوذ الأتراك فى عهد سامرا الى اضعاف شأن الخلافه و الخلفاء. فقد بدأ نفوذ قوادهم يظهر واضحا و يتسع منذ عهد الواثق بالله. اذ انه توسع فى تكريمهم، حتى تسنى لهم ان يستبدوا بالحكم دون الخلفاء بشكل سافر خلال المده التى امتدت بين اغتيال المتوكل على الله و استخلاف المعتمد على الله. اذ تميزت

١- الاحكام السلطانيه للماوردي / ١٣-١٤، الاحكام السلطانيه للحنبلبي / ١١-١٢.

هذه المدة باستبداً القاده الاتراك بالخلفاء، فكانوا يختارون من يريدونه للخلافه و يجبرونه على التنازل عند ما يختلفون معه.

و الواقع ان تدخلهم فى اختيار الخلفاء بدأت بوادره عند ما توفى الواثق بالله، الذى لم يعهد لأحد بالخلافه من بعده، احتجوا بعدم لياقه ابنه للخلافه و قالوا انه غلام امرد لا تجوز معه الصلاه(١).

دلاله على صغر سنه. فاختروا اخا الواثق بالله جعفر بن المعتصم بالله الذى لقب بالمتوكل على الله. و كان اول من بايعه القائدان التركيان وصيف و سيما الدمشقى(٢). و قد شجعهم هذا التدخل فى اختيار الخليفه على الاستمرار فى التدخل بشؤون الدوله طيله عهده الذى قضاه فى صراع مستمر ضد تدخلهم و محاولتهم السيطرة على السلطه، ذلك الصراع الذى انتهى باغتياله على ايديهم.

و قد تكون ازاحه الوزير القدير محمد بن عبد الملك الزيات عن مسرح الحكم حينما قتله المتوكل على الله فى مطلع استخلافه، قد افقدت الخليفه ظهيرا على درجه كبيره من الحنكه و الدهاء مما لم يتوفر فيمن استوزرهم بعده، بحيث يستطيعون كبح جماح اولئك القاده المتعطين للسلطه و الثروه و الجاه.

و بعد ان استطاع القواد الاتراك اغتيال المتوكل على الله استفحل نفوذهم بحيث غدوا اصحاب السلطه الفعلية فى الدوله العرييه. و سوف نرى فى فصول قادمه مراحل الصراع بين الخلفاء و هؤلاء القاده و مظاهره و ما ترتب عليه من النتائج من جراء تدخلهم فى سياسه الدوله و فى اختيارهم الخلفاء. «فكان الخليفه فى يدهم كالأسير ان شاءوا ابقوه و ان شاءوا خلعه و ان شاءوا

١- الطبرى ٩ / ١٥٤.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٤.

قتلوه (١) وذلك حسبما تمليه عليهم رغباتهم، و بما يؤمن مصالحتهم. وقد استمر هذا الوضع حتى استخلف المعتمد على الله حينما استطاع اخوه ابو احمد الموفق ايقافهم عند حدهم، و استعادته سلطه الخلافه الى حين.

## ٢- المبايعه و ولايه العهد:

عند ما توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم انتخب المسلمون ابا بكر الصديق دون ان يكون هناك نص بذلك اوامر من الرسول صلى الله عليه و سلم. و عند ما انتخبوه عاهدوه على السمع و الطاعه بما فيه رضاء الله سبحانه و تعالى، و عاهدهم هو من جانبه على ان يعمل بموجب كتاب الله و سنه نبيه. و كان التعاهد المتبادل بين الخليفه و الأمه هو ما قصد به «البيعه او «المبيعه» لأنه يشبه ما يفعله البائع و المشتري عند عقد صفقه بينهما، اذ انهما يتصافحان بايديهما دلالة على اتمام معامله البيع. و كما ان عمليه البيع تستلزم الوفاء فان المبايعه توجب الوفاء بها. اما من الناحيه الشرعيه فان البيعه اتفاق تعاقدى بين جانبيين الأول هو المرشح و يؤلف ركن الايجاب، و الآخر هو الشخص المختار و يؤلف ركن القبول. و يشترط على من يبايع ان يظل مخلصا لأوامر الله، و هذا يعنى ان الحاكم اذا لم يظل متمسكا بهذه الأوامر فان لمن بايعوه الحق فى التحلل من التزاماتهم. على ان الأثر الملزم للبيعه شخصى و يستمر مدى الحياه، و لذا فان الجزاء الدنيوى لنكث البيعه هو القتل (٢).

١- الفخرى / ٢٢٠.

٢- دائره المعارف الاسلاميه / ٤٣- ٤٤.

ان البيعه على رأى ابن خلدون «هى العهد على الطاعه، كأن المبايع يعاهد اميره على ان يسلم له النظر فى امر نفسه و امور المسلمين لا ينازعه فى شىء من ذلك، و يطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط و المكروه. و كانوا اذا بايعوا الأمير و عقدوا ايديهم فى يده تأييدا للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع و المشتري، فسمى بيعه، و صارت البيعه مصافحه بالأيدى»<sup>(١)</sup>.

و من المعتاد ان تتم مبايعه الخليفه على مرحلتين او اكثر.

و المرحله الاولى هى ما اصطلح على تسميتها «البيعه الخاصه» و فيها يشترك عدد محدود من كبار رجال الدوله و الحاشيه، ثم تعقبها «البيعه العامه» و تتم بمرحله واحده او اكثر. و قد تؤخذ البيعه احيانا بموجب عهد مكتوب، تتم المبايعه وفق ما جاء فيه. و ذلك تأكيدا لأثبات الحق الشرعى للخليفه المبايع له.

و يتضمن هذا العهد المبايعه بالخلافه، و التعهد بالطاعه و الامتثال لأوامر الخليفه و عدم عصيانه، و اليمين الكفيله بالالتزام بذلك.

كما جاء فى كتب بيعه بعض خلفاء سامرا<sup>(٢)</sup>.

قد تطورت طريقه اختيار الخليفه على يد ابى بكر الصديق (رض)، اذ انه اختار من يخلفه فى الأمر عند مماته. و بذلك اصبح من حق الخليفه القائم ان يختار من يخلفه و على الأمه ان تعاهده على طاعته. و هذا ما سمي بولايه العهد. يقول الماوردى «ان انعقاد الخلافه بعهد من الخليفه السابق امر انعقد الاجماع على جوازه، و تم الاتفاق على صحته»<sup>(٣)</sup>. و يقول ابن خلدون «لما كانت الامامه هى النظر فى مصالح الأمه لدينهم

١- مقدمه ابن خلدون / ١١٤.

٢- يلاحظ مثلا كتاب بيعه المنتصر بالله، الطبرى ٩ / ٢٣٧ - ٢٣٩، و كتاب بيعه المعتر بالله، نفس المصدر / ٢٨٤ - ٢٨٦.

٣- الاحكام السلطانيه / ٧.

و دنياهم، و الأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته، و تبع ذلك ان ينظر لهم بعد مماته و يقيم لهم من يتولى امورهم كما كان هو يتولاها، و يثقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا فيما قبل. و قد عرف ذلك من الشرع باجماع الامه على جوازه و انعقاده»(١).

و فحوى هذين القولين ان الخليفه، و هو المسؤول عن شؤون الامه الدينيه و الدنيويه، يجوز له شرعا ان يعين من يخلفه في منصبه بحيث يطمئن الى قيام من عهد اليه بواجبات الخلافه في حفظ بيضه الدين و رعايه مصالح الامه. و اذا ما عين الخليفه احدا لولايه العهد بعده، و جب على الامه الاعتراف به و الخضوع لسلطته، و يتمثل هذا الاعتراف بمبايعته.

و اذا اراد الخليفه ان يعهد لاحد من بعده فعليه ان يجهد رأيه في الأحق بها و الاقوم بشروطها. فاذا تعين له الاجتهاد في واحد جاز ان ينفرد بتفويض العهد له ان لم يكن ولدا او والدا. اما اذا كان ولي العهد ولدا او والدا فقد رأى بعض الفقهاء وجوب مشاوره اهل الأختيار، و اجاز البعض للخليفه الانفراد بتفويض العهد له. و اذ عهد الخليفه الى من يصح العهد له على الشروط المعتمره فيه فليس للخليفه الموكى عزل من عهد اليه ما لم يتغير حاله. كما لا يجوز لأهل الاختيار عزل من بايعوه اذا لم يتغير حاله. اما اذا عهد الخليفه الى اثنين او اكثر و رتب الخلافه فيهم، فقال من بعده فلان، فان مات فالخليفه بعد موته فلان، فان مات فالخليفه بعده فلان، جاز له ذلك و كانت الخلافه منتقله الى الثالثه على ما رتبها. و اذا مات الخليفه و الثالثه احياء كانت الخلافه بعده حسب ترتيبه. اما اذا مات الاول في حياه الخليفه صارت



الخلافة بعده للثاني، و اذا مات الاول و الثاني فى حياه الخليفه فالخلافة بعده للثالث. لأنه قد استقر العهد لكل واحد من الثلاثة. و لو مات الخليفه و الثالثه من اولياء عهده احياء، و افضت الخلافة الى الاول منهم و اراد ان يعدل بها الى غير الاثنين مما يختاره لها، فمن الفقهاء من منعه من ذلك الا ان يستنزل عنها مستحقها طوعاً (١).

من الواضح ان اغلب الاحكام المشار اليها بشأن ولايه العهد نظريه بحته، لأن الخلفاء لم يكونوا يتقيدون بها الا بقدر ما يؤمن من رغباتهم و يلائم اهواءهم، اما تجربه العهد لأكثر من واحد فقد فشلت عمليا لما تثيره من خلافات و منازعات بين من عهد اليهم. و هناك من الخلفاء من يتزمت بعظم المسؤوليه تجاه الأمه فلا يريد ان يتحمل و زر من يخلفه، فلا يعهد لأحد من بعده، انما يترك ذلك لاختيار الأمه بعد وفاته. فان الواثق بالله لم يعهد لاحد من بعده لأنه لم يرد ان يتحمل المسؤوليه حيا و ميتاً (٢).

- 
- ١- يلاحظ كتاب تنازل كل من المعتز و المؤيد عن ولايه العهد- الطبرى ٩/ ٢٤٦، و ان المعتز لما خلع اخاه المؤيد من ولايه عهده اخذ منه رقعته بخطه بخلع نفسه، نفس المصدر/ ٣٦٢.
  - ٢- تاريخ يعقوبى ٢/ ٤٨٣.



## الفصل الثانى المعتصم بالله ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد

### ١- وصيه المأمون:

عند ما مرض المأمون و هو فى بلاد الروم فى سنه ٢١٨ هـ و اشتدت به علته احضر ابنه العباس و جمعا من القضاة و الفقهاء و القواد و الكتاب و اوصى بحضرتهم. و فيما يلى بعض ما جاء فى وصيته: «هذا ما اشهد عليه عبد الله بن هارون. و بعد ان استغفر و استرحم لنفسه .. ثم طلب الى اخيه ابى اسحاق ان يدنو منه، و قال له: ادن منى و اتعظ بما ترى، و خذ بسيره اخيك فى القرآن، و اعمل فى الخلافه اذا طوقكها الله عمل المرید لله .. و لا تغل امر الرعيه، الرعيه الرعيه، العوام العوام، فان الملك بهم، و بتعهدك المسلمين و المنفعه لهم، الله الله فيهم .. و لا ينهين اليك امر فيه صلاح للمسلمين و منفعه لهم الا قدمته و آثرته على غيره عن هواك، و خذ من اقويائهم لضعفائهم، و لا تحمل عليهم فى شىء، و انصف بعضهم من بعض بالحق بينهم .. و عجل الرحله عنى و القدم الى دار ملكك بالعراق .. و الخرميه فاغزهم ذا حزامه و صرامه

و جلد، و اكنفه بالاموال و السلاح و الجنود من الفرسان و الرجاله، فان طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من انصارك و اوليائك ..

ثم دعا به ثانيه، حين اشتد به الوجع، و قال له: يا ابا اسحاق عليك عهد الله و ميثاقه .. لتقومن بحق الله في عباده و لتوثرن طاعته على معصيته اذ انا انقلها من غيرك اليك .. فانظر من كنت تسمعنى اقدمه على لساني فاضعف له التقدمه، عبد الله بن طاهر ..

و اسحاق بن ابراهيم .. و عبد الوهاب عليك به من بين اهلك فقدمه عليهم .. و ابو عبد الله بن ابي دواد فلا يفارقك و اشركه في المشوره في كل امرك .. و لا تتخذن بعدى وزيراً .. فقد علمت ما نكبنى به يحيى بن اكرم في معاملته الناس و خبث سيرته ..<sup>(١)</sup>.

كما سبق ان نفذت كتب المأمون الى عماله في البلدان، و كان في اولها: من عبد الله المأمون امير المؤمنين و اخيه الخليفه من بعده ابي اسحاق بن امير المؤمنين الرشيد. و يقول الطبرى ان ذلك لم يكتبه المأمون، بل كتب استنادا الى امره بعد ان افاق من غشيه اصابته في مرضه انه اذا حدث به حدث الموت في مرضه هذا فالخليفه من بعده ابو اسحاق بن امير المؤمنين الرشيد، فكتب الكتب بالصيغه المذكوره<sup>(٢)</sup>.

و يتضح من هذا ان المأمون عند ما احس بدنو اجله اوصى اخاه ابا اسحاق بحضور العباس بن المأمون و جمع من القواد و القضاة و الكتاب، بما يلتزم به اذا ما طوقه الله بالخلافه، و هو لم يعهد له بها صراحه. و يبدو ان مؤيدى ابي اسحاق تنبهوا الى ذلك فكتبوا الى العمال في البلدان على لسان المأمون بان الخليفه من بعده هو اخوه ابو اسحاق. و انهم كتبوا بذلك استنادا الى امر المأمون بانه اذا ما توفى في مرضه فالخليفه من بعده ابو اسحاق.

١- كامل النص في الطبرى ٨ / ٦٤٧ - ٦٥٠.

٢- الطبرى ٨ / ٦٤٥ - ٦٤٦.

فكانت هذه الملاحظات سببا في ان مبايعه ابى اسحاق لقيت معارضه من العباس بن المأمون و مؤيديه من القواد، مما سبب بعض المشاكل للمعتصم بالله فيما بعد.

و من الجدير بالذكر ان نشير الى ان الخليفه هارون الرشيد عند ما عهد بالخلافه الى ابنائه الثلاثه، جعل للمأمون عند ما يتولى الخلافه اثبات القاسم او خلعه. فقد نص في كتاب العهد على «اذا افضت الخلافه الى عبد الله بن امير المؤمنين فالأمر اليه فى امضاء ما جعله امير المؤمنين من العهد للقاسم بعده او صرف ذلك عنه الى من رأى من ولده و اخوته»<sup>(١)</sup>. و بينما اعتاد الخلفاء ان يعزلوا اخوتهم من ولايه العهد استثنارا بها لأبنائهم فان المأمون نقلها من اخيه القاسم، و لكن ليس لابنه العباس، و انما يعهد بها الى اخيه الآخر ابى اسحاق، رغم ان العباس كان مؤهلا لمنصب الخلافه بعد ابيه، فقد كان شجاعا محببا الى الجنود. و لم يوضح المأمون سبب اختياره اخيه ابى اسحاق و تفضيله على ابنه. و يقول ابن دحيه ان المأمون نص على خلافه المعتصم دون اولاده لرؤيا رآها من النبي صلى الله عليه و سلم<sup>(٢)</sup>. على اننا نرى ان الروح العسكريه التى كان يتميز بها ابو اسحاق هى التى جعلت المأمون يفضل على ابنه، بالنظر لما كان يهدد الدوله العربيه من الأخطار، لا سيما تمرد الخرميه التى كانت تستهدف القضاء على الدوله، و خطر الروم الذى ما زال يهدد الثغور العربيه. اضافه الى ان ابا اسحاق كان مقربا الى اخيه المأمون، و قد ولاه الشام و مصر منذ سنه ٢١٤ هـ، و استصحبه معه فى حملته الأخيره على بلاد الروم.

١- نفس المصدر / ٢٨٠ - ٢٨١.

٢- النبراس / ٦٣.

## ٢- مبايعه المعتصم بالله:

تجمع المصادر التي تذكر مبايعه ابي اسحاق بالخلافه اثر وفاه اخيه المأمون في يوم الخميس لاثنتي عشره بقيت من شهر رجب سنه ٢١٨ هـ على ان قسما من الجند و القواد الذين كانوا في حمله المأمون، كانوا ميالين الى مبايعه العباس دونه، و انهم طلبوا نقل الخلافه الى ابن المأمون. فقد اشار ابن قتيبه الى ذلك بقوله «فاراد الناس ان يبايعوا العباس، فأبى و سلم الى ابي اسحاق الأمر، فتوجه ابو اسحاق نحو بغداد مسرعا خوفا على نفسه من جماعه من القواد كانوا هموا به»<sup>(١)</sup>. و يقول اليعقوبى «و امتنع بعض القواد من البيعه لمكان العباس من المأمون، فخرج اليهم العباس من مضر به فكلهم بكلام استحمقوه فيه فشتموه و بايعوا لأبى اسحاق. و انصرف المعتصم يريد العراق»<sup>(٢)</sup>. و جاء في الطبرى ان الناس كانوا قد اشفقوا من منازعه العباس بن المأمون له في الخلافه، و ان الجند شغبوا لما بويع له، و طلبوا العباس و نادوه باسم الخلافه، فارسل ابو اسحاق الى العباس فجاء و بايعه و اخبر الجند انه بايع عمه و سلم اليه الخلافه فسكنوا<sup>(٣)</sup>. اما الملاسعودى فيذكر انه كان بين ابي اسحاق و العباس بن المأمون في ذلك الوقت تنازع في المجلس، ثم انقاد العباس الى بيعته<sup>(٤)</sup>. و يقول مؤلف كتاب العيون و الحداثق بما يشبه ما اورده الطبرى من شغب الجند على المعتصم بالله و مناداتهم العباس باسم الخلافه فارسل اليه فجاء و بايعه و خرج الى الجند و اخبرهم بانه بايع عمه و سلم اليه الخلافه فسكتوا، و سار المعتصم بالله الى بغداد مسرعا خوفا على نفسه من

١- المعارف / ٣٩٢.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧١.

٣- الطبرى ٨ / ٦٦٧.

٤- مروج الذهب ٤ / ٤٦.

القواد و كانوا هموا به(١). و كذلك يقول مسكويه ان الناس شغبوا على المعتصم و طلبوا العباس و نادوا باسم الخلافة، فارسل ابو اسحاق الى العباس فاحضره. فبايعه و خرج الى الجند و قال لهم قد بايعت عمى و سلمت الخلافة اليه فسكنوا(٢). اما ابن الأثير فيقول و لما بويع له شغب الجند و نادوا باسم العباس، فارسل اليه المعتصم فاحضره فبايعه، ثم خرج الى الجند فقال لهم ما هذا الحب البارء، قد بايعت عمى فسكنوا(٣). و ينفرد ابو حنيفه الدينورى بالقول ان المأمون كان قد بايع لابنه العباس بولايه العهد من بعده، و لما مات المأمون جمع اخوه ابو اسحاق محمد بن هارون اليه و جوه القواد و الجند و دعاهم الى بيعته فبايعوه، فسار من طرسوس حتى وافى مدينه السلام، و خلع العباس بن المأمون و غلبه عليها(٤). و هو قول يدحضه ما اتفق عليه من سبقه من المؤرخين الذين اشرنا اليهم.

يستنتج مما جاء فى هذه الروايات التى تتفق فى فحواها ان العباس بن المأمون كان يطمح الى تولى الخلافة بعد ابيه، و له من يؤيده من القواد و الجند و ان هؤلاء كانوا مطمئنين الى انه سيتولاها بعد موت ابيه. و لما قيل ان المأمون قد عهد لأخيه ابى اسحاق فقد اشفقوا من قيام النزاع بين العم و ابن اخيه، و هذا ما حدث فعلا.

و يبدو ان القواد و الجند قد انقسموا الى فئتين، احدهما تناصر ابا اسحاق و تحتج بأن المأمون قد عهد اليه بالخلافة فى وصيته، و تناصر الاخرى العباس. اما لأنها كانت تراه اصلح للخلافة بالنسبة لمصالحها، او انها كانت تدعى ان المأمون قد عهد اليه بها من بعده، كما ذكر الدينورى، و لهذا اخذت تطعن بما جاء فى

١- العيون و الحدائق ٣ / ٣٨٠.

٢- تجارب الامم ٦ / ٤٧٠.

٣- الكامل ٦ / ٤٣٩.

٤- الاخبار الطوال / ٣٣٧ - ٣٣٨.

وصيه المأمون من عهد بالخلافه الى اخيه دون ابنه. و يظهر ان المواليين للمعتصم بالله قد ارغموا العباس على مبايعه عمه، و ان يعلن ذلك على مؤيديه و يطلب اليهم الاقتداء به، فبايع مؤيدوه المعتصم بالله على مريض و بعد مناقشه حاده مع العباس. مما جعل المعتصم بالله يشك بولائهم و يخاف انتفاضتهم عليه، فاسرع فى العوده الى بغداد مستصحبا معه العباس كى لا ينفرد به المعارضون فيغيروا من رأيه فينقاد الى طلبهم، فيقوم النزاع بينهما ثانية.

و يلاحظ ان الجيش يتدخل لأول مره فى امر مبايعه الخليفه و ينقسم على نفسه بشأنها. و كان هذا التدخل مبادره خطيره صارت لها نتائج بعيده الأثر على الدوله العربيه. على ان هذه الفئه التى عارضت مبايعه المعتصم بالله، ظلت، رغم مبايعتها، تتحين الفرصه المناسبه لامتناع العباس بمبايعته و الوثوب بعمه.

عاد المعتصم بالله الى بغداد، و يصف الخطيب البغدادي دخوله المدينه بقوله «و دخل بغداد على بغله كميته بسرج مكشوف، و عليه قلنسوه لاطئه و سيف بمعاليق، فأخذ على باب الشام حتى عبر الجسر، ثم دخل من باب الرصافه(١). و كان دخوله اليها يوم السبت مستهل شهر رمضان سنه ٢١٨هـ(٢). و يقول اليعقوبى انه دخل بغداد و على جنده الديباج المذهب(٣).

و عند ما تمت البيعه للمعتصم بالله، وقف على بن يحيى المنجم بين يديه و مدحه بعد ان رثى المأمون، بقوله(٤):

أخنى على الملك المأمون كلكله عندى جنايته يا معشر الناس

١- تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٧.

٢- الطبرى ٨/ ٦٦٧، و تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٧١، و شذرات الذهب ٢/ ١٢٢.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٧١.

٤- معجم الادباء ٥/ ٤٦٥.



أختى على الملك المأمون كلكله فصار رهنا لأحجار و ارماس

قد كان ينهد ركن الدين حين ثوى و يترك الناس فوضى بلا راس

حتى تداركهم بالله معتصم خير الخلائف من اولاد عباس

و جعل المعتصم بالله نقش خاتمه، على ما جاء فى كتاب العيون و الحدائق «اللّه ثقه محمد بن الرشيد و به يؤمن»<sup>(١)</sup>. و فى العقد الفريد «اللّه ثقه ابى اسحاق بن الرشيد و به يؤمن»<sup>(٢)</sup>. الا- ان السيوطى يقول نقلا عن الصولى ان نقش خاتمه كان «الحمد لله الذى ليس كمثلته شىء»<sup>(٣)</sup> و احسبه نقله عن المسعودى الذى يقول انه كان «الحمد لله الذى ليس كمثلته شىء و هو خالق كل شىء»<sup>(٤)</sup>. و قد يدل تعدد نقش الخاتم على ان المعتصم بالله كان يستبدله بين حين و آخر.

و أمر المعتصم بالله عند مبايعته برد المقاصير فى مساجد الجماعة<sup>(٥)</sup>. مما يستدل منه انه كان يخشى الفئه التى عارضت بيعته. و قد سبق للمأمون ان امر بنزعها باعتبارها سنه احدثها معاويه بن ابى سفيان<sup>(٦)</sup>.

١- العيون و الحدائق ٣ / ٤١٠.

٢- العقد الفريد ٥ / ١٢١.

٣- تاريخ الخلفاء / ٣٣٧.

٤- التنبيه و الاشراف / ٣٠٨.

٥- البدء و التاريخ ٦ / ١١٤.

٦- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٦٨.

## ٣- صفاته و سيرته:

هو ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد، و عند ما استخلف لقب بالمعتصم بالله و هو اول خليفه اضيف الى لقبه اسم الله تعالى (١). و امه من مولدات الكوفه، و ذكر عن الفضل بن مروان انه قال ان ام المعتصم بالله تسمى مارده و هي صفديه الأصل و كان ابوها نشأ بالسواد (٢). و كانت مارده احظى نساء الرشيد لديه، و قد اهدتها اليه زوجته زبيده ضمن عشر جوار عند ما تحقق لها انه لم يكن يتعشق المغنيه دنانير، و انما يحب سماعها فقط (٣).

اما صفات المعتصم بالله الجسميه، فيكاد يجمع الذين و صفوه من المؤرخين على انه كان ابيض مشربا بحمره، اصهب اللحيه طويلها، حسن العينين مربع القامه (٤). و يقول المسعودي انه لم يشب (٥). و يقال انه كان شديد البدن عظيم القوه، يحمل الف رطل و يمشى بها خطوات (٦). و انه حمل ذات مره بابا من حديد فيه سبعمائه و خمسون رطلا و فوقه عكام فيه مائتان و خمسون رطلا، و كان يسمى ما بين اصبعيه المقطره لشدتهمما (٧). و يلوى عمود الحديد حتى يصير طوقا، و يشد على الدينار باصبعه فيمحو كتابته (٨). و يروى عن احمد بن ابى دواد،

- 
- ١- المختصر فى اخبار البشر ٤ / ٣٥، و مآثر الانافه ١ / ٤٣ و ٤١٧.
  - ٢- الطبرى ٩ / ١٢٣.
  - ٣- الأغاني ١٨ / ٦٧.
  - ٤- الطبرى ٩ / ١١٩، و تجارب الامم ٦ / ٥٢٧، و العيون و الحقائق ٣ / ٤٠٩.
  - ٥- التنبيه و الاشراف / ٣٠٧.
  - ٦- العيون و الحقائق ٣ / ٤٠٩.
  - ٧- العقد الفريد ٥ / ١٢١، و العكام هو العدل. و المقطره خشبه فيها خروق على رجل المحبوس يقيد بها.
  - ٨- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٢.

و كان مقربا جدا من المعتصم بالله انه قال: كان المعتصم بالله يخرج ساعده الى و يقول يا ابا عبد الله عض ساعدي باكثر قوتك، فاذا هو لا تعمل فيه الأسنه فضلا عن الاسنان(١).

و وصف المعتصم بالله بحسن السيره و استقامه الطريقه(٢).

الا انه كان كثير اللهو مسرفا على نفسه(٣). كما كان سديد الرأي موصوفا بالشجاعه(٤). و ما رؤى اشد تيقظا فى حرب منه، فانه لما ادخل عليه مازيار بن قارن، و كان شديد الغضب عليه، قيل له ان لا- يعجل عليه فان عنده اموالا- جمه، فانشد قول ابى تمام(٥):-

ان الاسود اسود الغاب همتها يوم الكريهه فى المسلوب لا السلب

و عرف عنه كان قاسيا سريع الغضب، و اذا غضب لا يبالي من قتل و ماذا فعل(٦). الا ان استماعه الى نصيح قاضى قضااته ابن ابى داود ساعده على تجنب كثير من المظالم. و كان يتشدد فى سلوك ابناء الاسره العباسيه، و لما بلغه ان اخاه ابا على بن الرشيد كان يتردد على بعض الاديره و معه القيان و يقضى اياما فى القصف و التهتك أمر اسحاق بن ابراهيم صاحب الشرطه على تأديبه اياه، و امره ان لا يرخص لأمير من اهل بيته فى ذلك(٧).

و كان المعتصم بالله فصيحاً رغم جهله القراءه و الكتابه الا قليلا. يقول الخطيب البغدادي انه كان يكتب كتابا ضعيفا و يقرأ

١- تاريخ الخلفاء / ٣٣٤.

٢- مروج الذهب ٤ / ٤٧ و ٤٤.

٣- العبر ١ / ٤٠٠.

٤- الفخرى / ٢٠٩.

٥- تذكرة ابن حمدون / ١٠٥.

٦- الكامل ٦ / ٥٢٦ و العبر ١ / ٤٠٢ و جاء فيه انه كانت له نفس سبعيه.

٧- الديارات / ٣٤-٣٥.

قراءه ضعيفه(١). و ذلك لأنه كان فى صغره يكره الدراره.

و يروى ان اباه سأله يوما عن وصيف صغير له، فأجابته بأنه مات و استراح من الكتاب، فقال الرشيد: أو بلغ منك الكتاب هذا المبلغ، و الله لا حضرته ابداء، و وجهه الى الباديه فتعلم الفصاحه(٢). و ذكر القلقشندى ما يشبه هذا فيقول ان سبب ذلك هو ان المعتصم بالله رأى جنازه بعض الخدم فقال: ليتنى مثل هذا حتى اتخلص من الكتاب، فقال له ابوه: و الله لاعذبنك بشىء تختار عليه الموت و منعه من الكتاب(٣). و قد استفاد من الباديه فصاحه اللسان الى جانب الفروسية، فكان اذا تكلم بلغ ما اراد و زاد عليه(٤).

و يذكر اليعقوبى بعض الامور التى كان المعتصم بالله اول من اتخذها من الخلفاء، و اقتدى به الناس. فقد لبس الثياب الضيقه الأكمام فضيق الناس اكمام ثيابهم، و لبس الخفاف الكبار فقلدوه بلبسها، و كان اول من لبس شاشيه مربعه فلبسها الناس ايضا تشبها به فنسبت اليه فقيل «الشاش المعتصميه»، كما كان اول خليفه ركب السروج المكشوفه فتشبه الناس به(٥). و يذكر المسعودى عنه ما يشبه هذا(٦). و لم يكن المعتصم بالله يمس الطيب الا قليلا، و كان يذهب فى ذلك الى تقويه بدنه و اعانته على الشدائد، و اما فى حروبه فكان من دنا منه وجد رائحه صداً

١- تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٣.

٢- العقد الفريد ٢ / ٤٤٠، و تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٣.

٣- مآثر الانافه ١ / ٢١٨.

٤- تاريخ الخلفاء / ٣٣٧.

٥- مشاكلة الناس لزمانهم / ٣١ - ٣٢.

٦- مروج الذهب ٤ / ٣١٩.

السلاح و الحديد من جسمه(١). و انه كان يكره رائحه الغاليه و لا يستطيع الصبر عليها(٢).

و اشتهر المعتصم بالله بالسخاء فى بذل المال، و كانت اعطيائه للشعراء و المغنين و فيره. و عند ما كان يستخفه الطرب فى مجالس الغناء لا تقتصر اعطيائه و خلعه على المغنين و حدهم بل يشمل بذلك جميع الحاضرين(٣). و دخل يوما دار خاقان عرطوج فرأى ابنه الفتح و هو صغير فمازحه و سأله: ايهما احسن دارى ام داركم؟

فقال الفتح: يا سيدى، دارنا اذا كنت فيها احسن. فقال المعتصم بالله: لا- ابرح و الله حتى انشر عليه مائه الف درهم، و فعل ذلك(٤).

و اهدى قفلا من الذهب فيه ألف مثقال الى الكعبه المشرفه، و قد حمله الى مكه فى سنه ٢١٩ هـ و قد مؤلف من طاهر بن عبد الله و محمد بن ابراهيم و ابن فرج الرخجى، و كان من الذهب الخالص، و عند ما ارادوا نزع القفل القديم لوضع القفل الذهبى مكانه احتج حجاب الكعبه على انتزاع القفل القديم و أصروا على بقاءه لأنه يعود الى عهد الرسول صلى الله عليه و سلم، فوافق الوفد على ان يقفل على البيت الحرام بقفلين، القفل القديم و القفل الذى قدموا به، الا ان الحجاب و فدوا على الخليفه محتجين على رفع القفل القديم، لأنه قفل رسول الله صلى الله عليه و سلم، فافتنع بوجهه نظرهم و امر برفع القفل الذهبى الذى كان بعث به و ان يكتفى بالقفل الأول فقط، و اجاز الحجاب بأن وهبهم القفل الذهبى(٥).

١- التاج / ١٥٥.

٢- رسوم دار الخلافه / ٣٢.

٣- الاغانى / ٥ / ٣٢٩.

٤- معجم الادباء / ٦ / ١١٧.

٥- الذخائر و التحف / ٣٦، و المعرفه و التاريخ / ١ / ٢٠٣.

و كان المعتصم بالله يبحث عن احوال الناس غايه البحث و يتطلب فى الاطلاع على امورهم(١). فقد وقع ببغداد حريق كبير عقيب انتقاله الى عاصمته الجديده سامرا، عرف بحريق الجمل، و لما بلغه الخبر اعطى احمد بن ابى دواد خمسه الاف الف درهم و طلب اليه ان يعوض المتضررين من الناس عما اصابهم من جراء الحريق(٢). و استخرج منه احمد بن ابى دواد لأهل الشاش، و هى من بلدان ما وراء النهر، الفى الف درهم لكبرى نهر اندفن فى صدر الاسلام فأضر ذلك بالمزارعين هناك، فساعدتهم هبه المعتصم بالله على احياء النهر(٣). و كانت مدينه الرمله تسقى من آبار نظمت فيها قنوات للمياه، ينفق عليها الخلفاء من باب البر و الاحسان، فأمر المعتصم بالله ان يعتبر ما تحتاجه من اموال لا- دامتها و ضمان الماء للناس من النفقات العامه، فادخلت فى سجل النفقات بحيث صارت نفقتها جاريه يقوم بها العمال سنويا(٤). مما يؤمن استمرار تدفق المياه فى القنوات. كما كانت بئر زمزم فى مكه المكرمه مكشوفه الأقبه صغيره على موضع البئر فى ركنها الذى يلى باب الصفا. فغيرها محمد بن فرج الرخجى فى سنه ٢٢٠ هـ بأمر المعتصم بالله، و انفق عليها مالا- جزيلًا فسقف البئر كلها بالساج المذهب من الداخل، و جعل عليها من ظهرها الفسيفساء، و اشرع لها جناحا صغيرا جعل فيه سلاسل تحمل قناديل للاضاءه(٥).

١- آثار الاول / ٨٦.

٢- تفصيل الخبر فى نشوار المحاضره ١٨٧ / ٦، و فى اخبار بطارقه كرسى الشرق لمارى بن سليمان / ٧٧.

٣- الطبرى ٩ / ١٢١.

٤- مختصر البلدان / ١٠٢.

٥- الاعلاق النفيسه / ٤٣، و المعرفه و التاريخ / ٢٠٤ / ١.

## ٤- الخليفة المثلث:

أولع قدامى المؤرخين بوصف الخليفة المعتصم بالله بالمثلث، و ذلك لما فيه من نسبة لرقم الثمانية، من عمره و تسلسله بين اخوانه و خلافته و عدد اولاده. و قد جمع صاحب العيون و الحدائق هذه النسب بقوله، «هو المثلث من اثنتى عشره وجهه، فهو الثامن من ولد العباس، و الثامن من الخلفاء، و كانت مده خلافته ثمان سنين و ثمانية أشهر، و توفى و له ثمان و اربعون سنه، و ولد فى شعبان و هو الشهر الثامن، و خلف ثمانية ذكور و ثمانى بنات، و غزا ثمانى غزوات، و خلف ثمانمائه الف دينار عينا و ثمانية الف الف درهم ورقاً(١). و يظهر انه نسى جهه، كما ان بعض ما ذكره لا يتفق و الحقيقه، فان المعتصم بالله لم يكن الثامن من ولد العباس، و انما السابع منهم الا- انه الثامن من خلفائهم، و انه لم يخلف هذا العدد من البنين و البنات، فقد خلف من الذكور ستة فقط هم: هارون و جعفر و محمد و احمد و على و العباس(٢).

و ما ذكره الطبرى و ابن الأثير فى هذا الباب لا يتعدى ما اورده صاحب العيون و الحدائق(٣). الا ان ابا المحاسن يضيف الى ذلك:

و من الخيول ثمانين الف رأس، و من الجمال ثمانين الف جمل و بغل و دابه، و ثمانين الف خيمه، و ثمانية الآلاف عبد و قيل ثمانية عشر الفاً، و ثمانية الاف جاريه، و عمر من القصور ثمانية(٤).

و يضيف جلال الدين السيوطى الى ما ذكره من سبقه من المؤرخين:

و ملك ثمانى عشره و مولده ثمان و سبعون، و طالعه العقرب و هو ثامن برج، و قتل ثمانية اعداء، و مات لثمان بقين من ربيع الأول(٥). و غير خاف ان بعض ما ذكره يجانب الواقع.

١- العيون و الحدائق ٣ / ٤٠٩، و جاء فى التنبية و الاشراف / ٣٠٧، و العبر ١ / ٤٠١ و الفخرى / ٢٠٩ انه خلف ثمانية الف الف دينار.

٢- تاريخ اليعقوبى ٩ / ١١٩، و الكامل ٦ / ٥٢٤.

٣- الطبرى ٩ / ١١٩، و الكامل ٦ / ٥٢٤.

٤- النجوم الزاهره ٢ / ٢٥١، و احسبه نقل ذلك من العبر ١ / ٤٠١ الذى يضيف: و وقف فى خدمته ثمانية ملوك.

٥- تاريخ للخلفاء / ٣٣٤.

اما المسعودى فيضيف الى ما ذكره صاحب العيون و الحدائق ثمانية فتوح عظام منها اسر بابك، و المازيار بن قارن، و اسره البوارج، و هى مراكب هنديه و الظفر برؤسائها و ابطال مقاتلتها، و اخلاؤه الزط من البطائح، و قتله جعفر بن مهرجش الكردي، هزيمته تيوفيل ملك الروم و فتح عموريه (١). كذلك عدد له ابن دحيه ثمانية فتوح عظام و اعتبر الفتح الثامن قتله الأفسين لما و اطا بابك الخرمي (٢). و لكن ابن الفقيه يقول: و للمعتصم بالله ست فتوح عظام جليله هى: قتل مازيار، و اسر بابك و قتله، و فتح عموريه، و استباحه الزط حيث اجث اصلهم، و قتله جعفر الكردي، و ما كان من شق الهند على يد عمر بن النعتل (٣).

و حتى الشعراء لم يستغنوا عن هذه الصفه فى مدحه او هجائه. فقد جاء فى احدى مدائح ابى تمام للمعتصم بالله قوله (٤):

بالقائم الثامن المستخلف اعتدلت قواعد الملك ممتدا لها الطول

بيمن معتصم بالله لا اود بالملك مذ ضم قطريه و لا خلل

١- مختصر كتاب البلدان / ٥٢-٥٣.

٢- النبراس / ٧٣.

٣- مختصر كتاب البلدان / ٥٢-٥٣.

٤- القصيده فى ديوان ابى تمام ٣ / ٥-٢٠.



و هجاه دعبل الخزاعي منكرًا عليه تسلسله بين خلفاء بني العباس (١) بقوله:

ملوك بني العباس في الكتب سبعه لم تأتتا في ثامن منهم الكتب

كذلك اهل الكهف في الكهف سبعهغدها ثوا فيه و ثامنهم كلب

من الغريب حقا ان تكون للمعتصم بالله هذه العلاقه برقم الثمانيه، بحيث انها لفتت انظار من ارخوا له او كتبوا عنه. و ان كان قسم مما ذكره غير دقيق و لا يخلو من المبالغه، بل يجانب الحقيقه احيانا. فان يعقوبى و هو اقدم من ذكرنا من المؤرخين يقول ان عمره تسع و اربعون سنه، و انه خلف من المذكور سته، ذكرناهم آنفا، كما انه من المتفق عليه انه توفى لثمانى عشره ليله مضت من ربيع الأول، و ان هناك اختلافا في سنه ميلاده، مما يجعل نسبه الثمانيه الى هذه الامور غير صحيحه. اما ما ذكره عن تركته من الاموال و المتاع و الجوارى و العبيد و الدواب فان اقله من باب التخمين، و لا يخلو من المبالغه. كما ان اعتبار المسعودى و ابن دحيه و ابن الفقيه ما اشاروا اليه من انتصارات المعتصم بالله فتوحات عظام، مبالغ فيه ايضا. فاذا كان اسر بابك و القضاء على الخرميه، و غزو بلاد الروم و فتح عموريه، فتحين عظيمين حقا تما على عهد المعتصم بالله، فان الانتصارات الاخرى

---

١- تاريخ الخلفاء / ٣٣٥، و ديوان دعبل الخزاعي / ٥١-٥٣ و فيه كامل القصيده.

التي ذكرت لا- تعدو ان تكون مجرد اخماد حركات تمرد داخلية او حملات غزو اعتيادية او لرد عدوان، مما لا يتطلب سوى حركات عسكريه موضعيه ضيقه النطاق، محدوده النتائج، و من ثم فانها لم تكن فتوحات عظيمه.

ان الفتح العظيم فى الهند كما وصفه ابن الفقيه بانه شق الهند و ظفر بمراكبها و رؤسائها و ابطال مقاتلتها، لم يحظ باهتمام المؤرخين. اذ انهم لا يذكرون عنه الا القليل. و يظهر مما ذكره ان حملة من المراكب الهندية غلبت على جزء من ساحل الخليج العربى الشرقى و عمان و نواحي البصره، اى انها توغلت فى الخليج العربى حتى نواحي البصره. فوجه المعتصم بالله القائد عمر بن الفضل الذى استطاع ان يقطع على الحملة خط الرجعه و يأسر افرادها(١). مما شجع الحملة العربيه على تغزو قسما من السواحل الغربيه للهند. و ليس من الواضح ما اذا كانت الحملة المذكوره من المراكب الهندية عسكريه منظمه تبغى الفتح و الاستيلاء، ام انها كانت تحمل عددا من المهاجرين الى السواحل المذكوره، كما سبق ان هاجرت اقوام من الزط الى جنوبى العراق، و ان كان سير الحوادث يؤيد الافتراض الثانى.

و يذكر خليفه بن خياط ما يدل على ان السواحل الغربيه للهند كانت هدفا لغزوات يشنها الجيش العربى و المطوعه فى عهد المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله. فقد جاء فى حوادث سنه (٢٢٦ هـ) ان احمد بن عبد الله بن الحسن قد غزا بحر البصره، و عند ما عزل احمد المذكور و عين بدلا عنه احمد بن رباح ارسل ابراهيم بن هاشم لغزو البحر المشار اليه فى سنتى ٢٢٨ هـ و ٢٢٩ هـ، و كذلك قام بغزوه فى سنه ٢٣٠ هـ و بلغ ادنى بلاد

سرشت فاحرق قراها و اصاب سببا. كما يذكر في اخبار السنه ٢٣١ هـ ان مراكب المطوعه في بحر البصره كسرت في المنطقه الواقعه بين جنابه و سينيز و اصاب فيها ناس من المطوعه(١).

و يشير البلاذرى عند بحثه فتوح السند ان حمله من الجيش العربى وصلت في عهد الخليفه المهدي الى الحدود الهنديه الشماليه الغربيه، و افتتحت بعض المدن. و ان هذه الفتوحات استمرت في عهد الخليفه المأمون، اذ كان الفضل بن ماهان قد غلب على بعض مدن السند و بعث الى الخليفه بفيل، و دعا له في مسجد جامع بناه هناك(٢). و لما مات الفضل قام ابنه مقامه فغزا المدن المجاوره. ثم غلب عليه اخوه ماهان بن الفضل و كتب الى الخليفه المعتصم بالله و اهدى اليه ساجا لم ير مثله عظما و طولاً(٣).

و كان المأمون قد عين موسى بن يحيى على المناطق المفتوحه في السند، و عند ما مات استخلف ابنه عمران بن موسى، فأقره الخليفه المعتصم بالله على ولايته. و قد تغلب عمران على القيقان و اغلبهم من الزط، و بنى مدينه سماها البيضاء و اتخذه عسكريا لجنده. ثم استولى على مدينه قنديل، و هى مدينه جليله جنوبي القيقان.

و عند ما وقعت العصبيه بين النزاريه و اليمانيه مال عمران الى اليمانيه فوثب عليه عمر بن عبد العزيز الهبارى و قتله غيله(٤).

١- تاريخ خليفه بن خياط ٢ / ٥١٨ - ٥٢٠، و خبابه و سينيز من موانى الساحل الشرقى للخليج العربى.

٢- فتوح البلدان / ٤٣٢.

٣- نفس المصدر / ٤٣٣.

٤- فتوح البلدان / ٤٣٢.

و واضح ان ما اشرنا اليه من فتح بلاد السند لا يمكن اعتباره من الفتوحات العظيمه.

على ان من عجيب احوال المعتصم بالله، كما يقول صاحب الذهب المسبوك، ان اياه هارون الرشيد جعل ولايه العهد فى ثلاثه من اولاده: محمد الأمين و عبد الله المأمون، و القاسم المؤمن، و لم يعينه معهم، فلم يكن من نسلهم خليفه، و ساق الله تعالى الخلافه اليه و الى عقبه(١). و يقال ان الرشيد حجب الخلافه عنه لكونه قليل التعلم(٢).

#### ٥- وفاته:

تكاد المصادر تتفق على ان وفاه المعتصم بالله كانت فى يوم الخميس لثمانى عشره مضت من ربيع الأول من سنه ٢٢٧ هـ(٣).

و قد اشار الشاعر مروان بن ابى الجنوب الى ذلك بقوله(٤):

ابو اسحاق مات ضحى فمتناو امسينا بهارون حيننا

لئن جاء الخميس بما كر هنالقد جاء الخميس بما هوننا

اما سبب وفاته فقد ذكر انه احتجم فى اول يوم من المحرم، و اعتل عندها. و يقول القفطى ان ابن ماسويه الطيب الذى تولى

١- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٢.

٢- تاريخ الخلفاء / ٢٩١.

٣- الطبرى ٩ / ١١٠، و العيون و الحقائق ٣ / ٤٠٩، و مروج الذهب ٤ / ٦٥، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٧٨، و الكامل ٦ / ٥٢٤.

٤- الطبرى ٩ / ١٢٠.

الاشراف على صحه المعتصم بالله بعد موت طبيبه الخاص سلمويه بن بنان، قد خالف طريقه سلمويه فى فصد المعتصم بالله، اذ يقول: كان المعتصم قويا و كان سلمويه يفصده فى السنه مرتين، و يسقيه عقب كل فصد دواء، فلما باشره يوحنا بن ماسويه اراد عكس ما كان يفعله سلمويه، فسقاه الدواء قبل الفصد، فلما شرب الدواء حمى دمه و حم، و ما زال جسمه ينقص حتى مات (١).

و عند ما اشتدت علته و حضرته الوفاه جعل يقول: ذهبت الحيل ليست حيله، و قيل انه جعل يقول: أؤخذ من بين هذا الخلق (٢).

و حكى عنه انه قال: لو علمت ان عمري قصير ما فعلت ما فعلته، يعنى قتل العباس بن المأمون (٣). و يذكر السيوطى عدده عبارات اخرى رويت عن المعتصم بالله لما احتضر، فيقول انه قال «حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغته» (٤)، و قيل انه قال: اللهم انك تعلم انى اخافك من قبلى و لا- اخافك من قبلك، و ارجوك من قبلك و لا ارجوك من قبلى (٥). و يقول ابن الطقطقى انه لما مرض مرضته التى مات فيها نزل فى سفينه و معه زمام الزامر فجعل يمر على قصوره و بساتينه بشاطىء دجله، و طلب الى زمام ان يزمر له هذا اللحن: (٦)

يا منزلا لم تبل اطلاله الخ .. و قد سبق ان اشرنا الى ذلك فى فصل آخر. و كانت وفاته فى سر من رأى و بها دفن فى قصره

١- تاريخ الحكماء / ١٢٠.

٢- الطبرى ٩ / ١١٩.

٣- العيون و الحقائق ٣ / ٤٠٩.

٤- سوره الانعام- الآيه: ٤٤.

٥- تاريخ الخلفاء / ٣٣٦.

٦- العخرى / ٢١٢.

المعروف بالجوسق على دجله. و قد صلى عليه قاضى القضاة احمد بن ابى دواد، و كان المعتصم بالله اوصاه بالصلاه عليه(١).

و هناك اختلاف فى تاريخ مولد المعتصم بالله، فيذكر الطبرى ان مولده كان فى شعبان من سنه ١٨٠ هـ، ثم يستدرک فيقول:

و قيل فى سنه ١٧٩ هـ(٢). و يؤيد كل من المسعودى و الخطيب البغدادى التاريخ الذى ذكره الطبرى اولاً، و يضيف المسعودى ان مولده كان فى قصر الخلد ببغداد(٣). اما السيوطى فيذكر انه قد ولد فى سنه ١٧٨ هـ(٤). و قد ترتب على هذا الاختلاف، اختلاف فى مقدار عمره. فيقول الطبرى ان عمره كان ستا و اربعين سنه و سبعة اشهر و ثمانيه عشر يوماً، او سبعا و اربعين سنه و شهرين و ثمانيه عشر يوماً. و يرى كل الخطيب و مسكويه و مؤلف كتاب العيون و الحداثق ان عمره كان ثمانى و اربعين سنه.

اما اليعقوبى فيقول ان سنه كانت ٤٩ سنه. و يقول الذهبى انه توفى عن سبع و اربعين سنه. بينما يرى الدينورى انه بلغ من العمر تسعا و ثلاثين سنه، و هو واهم و لا شك. و يرى المسعودى انه مات عن ٤٨ سنه و قيل: ٤٦ سنه(٥). و كانت مده خلافته ثمانى

١- الاخبار الطوال / ٣٤٢.

٢- الطبرى ١١٩ / ٩.

٣- مروج الذهب ٤ / ٦٤، و تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٢.

٤- تاريخ الخلفاء / ٣٣٣.

٥- الطبرى ١١٩ / ٩، و تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٢، و تجارب الامم ٦ / ٥٢٧ و العيون و الحداثق ٣ / ٤٠٩، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٨، و

العبر ١ / ٤٠١

سنوات و ثمانيه اشهر، وقال وزيره محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه و يهنى ء ابنه الواثق بالله(١):

قد قلت اذ غيبوك و اصطفقت عليك أيد بالترب و الطين

اذهب فنعم الحفيظ كنت على الدنيا و نعيم الظهير للدين

لا جبر الله امه فقدت مثلك الا بمثل هارون

---

١- الطبرى ٩ / ١١٩. و الاخبار الطوال / ٣٤٢، و مروج الذهب ٤ / ٦٣ - ٦٤.





## الفصل الثالث الواثق بالله ابو جعفر هارون بن المعتصم بالله

### ١- مبايعته:

مات المعتصم بالله و لم يكن قد عهد لابنه هارون بالخلافه.

الا- ان هارون كان اكبر اخوته الستة، و ان المعتصم بالله لما خرج الى القاطول فى سنه ٢٢٠ هـ للبحث عن موقع يبنى فيه مدينه لجنده الاتراك، استخلفه ببغداد(١). و لما خرج فى سنه ٢٢٣ هـ فى حملته على بلاد الروم دفع خاتمه اليه و اقامه مقام نفسه و استكتب له سليمان بن محمد بن عبد الملك الزيات(٢). و قد اعتبر بعض المؤرخين ذلك اشاره الى عهد المعتصم بالله بالخلافه الى هارون.

و يقول السيوطى انه ولى الخلافه بعهد من ابيه(٣). و قد خلت المصادر الأوليه عن اشاره واضحه الى ذلك.

---

١- الكامل ٤٥٢ / ٦

٢- النجوم الزاهره ٢٣٨ / ٢

٣- تاريخ الخلفاء / ٣٤٠

بويح هارون فى سامرا غداه وفاه ابيه فى يوم الخميس التاسع عشر من ربيع الأول سنة ٢٢٧ هـ و لقب بالوائق بالله.

فتوجه اسحاق بن ابراهيم نائب الخليفة ببغداد، من فوره الى بغداد فوصلها قبل طلوع الفجر، و اتخذ ما رآه ضروريا من اجراءات المبايعه، فاحضر القواد و الوجوه و اخذ عليهم البيعه للوائق بالله (١).

و يفهم مما جاء فى تاريخ بغداد و خلاصه الذهب المسبوك ان اسحاق بن ابراهيم كان ببغداد و جاءه نعى المعتصم بالله فى اليوم الثانى من وفاته، اى فى يوم الجمعة، فلم يظهر النبأ، و خطب فى ذلك اليوم على منابر بغداد للمعتصم بالله و هو ميت (٢). و فى اليوم التالى طلب اسحاق الى الامراء الهاشميين و القواد و الاعيان الحضور الى دار الولاية، فلما اجتمعوا نعى اليهم المعتصم بالله و اخذ عليهم البيعه لهارون الواثق بالله، فتمت بذلك مبايعته (٣).

و نقش الواثق بالله على خاتمه عند ما اصبح خليفه «الله ثقه الواثق» (٤). و يقال انه نقش عليه «محمد رسول الله»، و انه كان له ختم آخر نقش عليه «الواثق بالله» (٥).

١- تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٧٩.

٢- تاريخ بغداد ١٤ / ١٦، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٤.

٣- جاء فى الطبرى ٩ / ١٢٣ انه بويح يوم الاربعاء لثمان خلون من ربيع الاول، الا انه سبق ان ذكر فى ص: ١١٨ ان المعتصم بالله توفى يوم الخميس الثانى عشر من ربيع الاول.

٤- التنبيه و الاشراف / ٣٢٣، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٤.

٥- العقد الفريد ٥ / ١٢٢.

لقد استطاع المعتصم بالله ان يقضى على ثوره بابك الخرمى التى كانت قد استفحل امرها و شغلت خلفاء بغداد ما يقرب من خمسه عشر عاما، و ان يشنت شمل قبائل الزط التى عاثت فى البلاد فسادا، و ان يكسر شوكة الدوله البيزنطيه و يهدد القسطنطينيه بفتحه عموريه و كثير من الحصون الروميه، و يقضى على حركه الأفشين و المازيار الانفصاليه. و بذلك هيا لابنه الواثق بالله عهدا من الهدوء و الاستقرار نعمت به ارجاء الدوله العرييه طيله حكمه، سوى بعض حركات التمرد الموضعيه. و كان من المنتظر ان يستأنف الواثق بالله غزو بلاد الروم و يقضى على الدوله البيزنطيه المرهقه و التى بان ضعفها عند ما هاجمها ابوه. الا انه كان بطبيعته فنانا يعشق الشعر و الموسيقى و الغناء، و يميل الى الآداب و العلوم و المناقشه فى المجالس العلميه و الادبيه، و يؤثر حياه الدعه و الهدوء. فانصرف الى اللهو و الشعر و الغناء و المجالس، و ساعد على ازدهار الحاله الاقتصاديه.

اما من الناحيه السياسيه فقد انتهج خطه عمه المأمون فى سياسه التسامح و اللين مع العلويين، و الدفاع عن حريه الرأى و مناصره المعتزله، الا انه فى الناحيه العسكريه اتبع سياسه ابيه فى الاعتماد على الجند الاتراك الذين ازداد نفوذهم على عهد، و توسع سلطانهم و تدخلهم فى شؤون الدوله. مما كان له اثر مهم فى اضعاف الخلافه خاصه و الدوله العرييه بصوره عامه. اذ انصرف هؤلاء الى العمل على تطمين مصالحهم و تأمين ارزاق جندهم غير مبالين بمصلحه الخلافه و الدوله، بل انهم استغلوهما لتحقيق غاياتهم. و سنشير الى نتائج هذه السياسه و تأثيرها فى الفصل الخاص بالنزاع بين الخلفاء و الجند الاتراك.

و مع كل ما تقدم يمكن القول ان ايام الواثق بالله التي دامت خمس سنوات و نصف السنه، كانت عهد سلام و هدوء لا يشوبها سوى تعسفه بأمر المحنه و امتحان الناس بخلق القرآن، و بعض الاضطرابات الداخليه التي سرعان ما كان يقضى عليها.

## ٢- صفاته و سيرته:

ولد الواثق بالله بطريق مكه(١)، لعشر بقين من شعبان سنه ١٩٦ هـ(٢). و مما يؤيد صحه تاريخ مولده هذا ان المسعودى يقول ان عمره كان يوم بويج بالخلافه احدى و ثلاثين سنه و بضعه أشهر(٣). و امه ام ولد روميه اسمها قراطيس(٤). و قد توفيت و هى فى طريقها الى مكه فى اوائل ذى القعدة من اولى سنى حكمه، و دفنت فى الكوفه فى دار داود بن عيسى(٥).

يتقارب المؤرخون فى وصف الواثق بالله بأنه كان ابيض اللون تعلوه صفره جميلا، قائم العين اليسرى و فيها نكته بياض. الا ان المسعودى و ابا المحاسن يقولان ان نكته البياض فى عينه الاثنتين.

و ينفرد صاحب الذهب المسبوك بان النكته فى عينه اليمنى. كما ينفرد المسعودى بانه كانت تعلوه حمرة(٦)، بدل الصفرة.

١- الطبرى ٩ / ١٥١ و الكامل ٧ / ٣٠.

٢- العقد الفريد ٥ / ١٢٢، و تاريخ الخلفاء / ٣٤٠.

٣- مروج الذهب ٤ / ٦٥.

٤- الطبرى ٩ / ١٢٣، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٣.

٥- الطبرى ٩ / ١٢٣.

٦- التنبية و الاشراف / ٣١٣، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٥، و العبر ١ / ٤١٢، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٤، و تاريخ الخلفاء / ٣٤٢، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٦٣.

و عرف عن الواثق بالله انه كان يتشبه بعمه المأمون فى كثير من اخلاقه. و يقول ابن الطقطقى انه كان يتشبه بالمأمون فى حركاته و سكناته(١). و يعلل صاحب خلاصه الذهب المسبوك ذلك بأن المأمون هو الذى رباه فتقبل افعاله(٢). اى انه تأثر به و اقتدى بافعاله. و يكاد يجمع من كتب عنه من المؤرخين القدامى انه كان من افاضل خلفاء بنى العباس، كثير المعروف، واسع العطاء، سهل الانقياد، محببا الى الرعيه(٣). دخل عليه مؤدبه هارون بن زياد يوما فأكرمه و اظهر من بره به ما يلفت النظر، فقيل له: من هذا يا امير المؤمنين الذى اكرمته كثيرا؟ قال: هذا اول من فتق لسانى بذكر الله و ادنانى من رحمه الله عز و جل(٤).

و كتب اليه محمد بن حماد بيتين من الشعر هما(٥):

جذبت دواعى النفس عن طلب الغنى و قلت لها عفى عن الطلب النزر

فأن امير المؤمنين بكفه مدار رحى الارزاق دائبه تجرى

فوقع الواثق بالله: جذبك نفسك عن امتهانها دعا الى صونك بسعه فضلى عليك، فخذ ما طلبت هنيئا.

١- الفخرى / ٢١٥.

٢- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٤.

٣- مروج الذهب ٤ / ٣١٩، و الفخرى / ٢١٧، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٦٣.

٤- تاريخ بغداد ١٤ / ١٧.

٥- نفس المصدر.

و لعل ابرز ما اتصف به الواثق بالله من الاخلاق الحميده انه كان واسع الحلم كثير التسامح. فلم يكن فى الخلفاء احد احلم منه و لا- أصبر على اذى(١). و هناك اخبار تدل على سعه حلمه و ميله الى التسامح. فقد كان يعجبه سماع المغنى ابى حشيشه الطنبورى، فوجد المسدود المغنى عليه من جراء ذلك. فهجاه فى بيتين من الشعر كتبهما فى رقعه كانت معه، و كان كتب على رقعه اخرى حاجه يريد ان يرفعها اليه، فأخطأ و ناوله رقعه الشعر بدلا عنها، فقرأها الواثق بالله و كان فيها:

من المسدود فى الانف الى المسدود فى العين

انا طبل له شق فىا طبلا بشقين

فعلم انها فيه، فقال للمسدود: خلطت بين الورقتين، فهات الاخرى و خذ هذه، و احترس من مثل هذا، و لم يزد على ذلك شيئا(٢). و عند ما غضب الواثق بالله على المغنى المذكور و نفاه الى عمان، ثم عفا عنه و كتب فى اعادته الى سامرا، نصحه بان لا يعاود ممازحه خليفه و ان اذن له، و قال له: فليس كل احد يحضره حلمه كما حضرني فيك(٣).

و بلغ من تسامحه ان ابنه مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين فى الشام، لما دخلت عليه و استعطفته امر برد اموالها

١- الاغانى ٢٠ / ٢٩٠، و الهفوات النادره / ١٨.

٢- الاغانى ٢٠ / ٢٩١، و الهفوات النادره / ١٨ - ١٩.

٣- الاغانى ٢٠ / ٢٩٠.

عليها و بالغ في الاحسان اليها(١). و كان ابن الزيات قد امر بحبس احد كبار الكتاب هو سليمان بن وهب في خلافه الواثق بالله، و كان سليما آيسا من الفرج. فوردت عليه رقعه من اخيه الحسن بن وهب تخفف من جزعه و توصيه بالصبر، فاجاب بما يدل على التفاؤل. فوعدت الرقعتان بيد الواثق بالله، فأمر باطلاق سليمان و قال: و الله لا تركت في حبسى من يرجو الفرج و لا سيما من خير منى، فاطلقه على كره من ابن الزيات(٢).

و عرف عن الواثق بالله شدة رعايته لافراد عائلته من العباسيين، و ابناء عمومته من العلويين فكان بارا بهم لا يرد طلباتهم، و يعاونهم في حل مشاكلهم. على ان رعايته هذه لم تقتصر على ذوى قرباه، بل شملت رعاياه كافة. فقد كان واسع المعروف، متفقدًا شؤون الرعيه(٣). يتفقد احوال الناس و لا يبخل بمساعدتهم ماليا، و العمل على ما فيه صلاحهم. اذ كان حسن التفكير في صلاح الرعيه، كما يقول صاحب خلاصه الذهب المسبوك(٤). يقول اليعقوبى: فرق الواثق بالله اموالا جمه بمكه و المدينه و سائر البلدان، و على الهاشميين و سائر قریش، و الناس كافة، و قسم في بغداد قسما كبيره مره بعد اخرى، على اهل البيوتات و عامه الناس(٥).

و قال الواثق بالله يوما لقاضى قضاته، و قد ضجر بكثرة حوائجه: لقد اخليت بيوت الاموال بطلباتك للائذين بك

١- المستطرف ١ / ١٨٩.

٢- الفرج بعد الشده ١ / ١٨٦ - ١٨٨.

٣- مروج الذهب ٤ / ٦٦.

٤- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٤.

٥- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٣.

و المتوصلين اليك. فقال: يا امير المؤمنين، نتائج شكرها متصل بك، و ذخائر اجرها مكتوب لك، و مالي من ذلك الا عشق الآلسن لخلود المدح فيك. فقال: يا ابا عبد الله، و الله لا منعتك ما يزيد في عشقك و تقوى به منتك، و امر فاخرج اليه ثلاثون الف دينار يصرفها في الزوار(١).

اننا قد نستنكر بمفاهيمنا الحاليه مثل هذا الموقف من الخليفه، و هو رئيس الدوله الاعلى و المسؤول شرعا عن امور رعيته كافه، و نرى توجيه قاضى قضاته اياه من باب الاستعطف و التوسل. الا اننا اذا اخذنا مقياس عصر الواثق بالله بنظر الاعتبار و علمنا ان اموال بيت المال هي صافى ايرادات الدوله بعد ان حسمت منها النفقات المحليه فى كل ولايه و اقليم بحيث لا يترتب على بيت المال من النفقات سوى نفقات الخليفه على بلاطه و حرسه و حاشيته و آل بيته، و ما ينفقه على مجالسه و ملاهيته. و لذلك فان اطلاق بعض الاموال لاسعاف المحتاجين و مساعدته المعوزين انما يعتبر تبرعا من الخليفه و معونه منه.

و ان انفاقه بعض الاموال فى هذه الاغراض دليل على مدى عنايته بشؤون الامه. اذ كان باستطاعته انفاقها على ملذاته الخاصه كشاء الجوارى و تشييد القصور المترفه، و منح مادحيه من الشعراء، و امثال ذلك.

و كان الواثق بالله اديبا فنانا مولعا بالشعر و الغناء و التلحين، متتبعا اخبار الأولين، و سنشير الى شعره و اهتمامه بالغناء عند الكلام على مجالسه العلميه و الادبيه و الغنائيه.



جاء فى كتاب التاج عند الكلام على امارات الخلفاء لجلسائهم بالانصراف، ان الواثق بالله كان اذا اراد ان يصرف جلساءه و سماره تئاب و مس عارضيه(١). و عند ذكر عادات الخلفاء فى الشرب و اللباس، اشار الى ان الواثق بالله ربما ادمن على الشرب و تابعه، غير انه لم يكن يشرب فى ليله الجمعه و لا فى يومها(٢).

و هو بذلك يشبه ابا المعتمض بالله، و ربما كان يقلده فى مواعيد شربه. و كان الواثق بالله اذا شرب و سكر رقد فى موضعه الذى سكر فيه، و من سكر من ندمائه ترك فى مكانه و لم يخرج(٣).

و يظهر ان الواثق بالله كان مثل ابيه ايضا فى عنايته بلبسه، فهو لا يلبس القميص الا لبسه واحده، الا اذا كان نادرا غريبا.

او كان معجبا به(٤). و كان شديد العنايه بالعطر و بخاصه عطر الغاليه، اذ كان يحفظها ليتقدم عهدا فيجود نوعها و تركو رائحتها(٥).

### ٣- رجال الدوله فى عهد الواثق بالله:

يذكر المسعودى فى مطلع بحثه عن خلافه الواثق بالله خبرا يرويه عن الشاعر ابى تمام الطائى. خلاصه ما جاء فيه(٦): ان ابا تمام كان قصد سر من رأى فى اول يوم خلافه الواثق بالله، فلقى اعرابى قريبا منها. فاستطلع ابو تمام منه عما يعرف عن الخليفه و عاصمته و رجال دولته البارزين و عن عسكره. فاجاب الاعرابى

١- التاج / ١٢٠.

٢- نفس المصدر / ١٥٣.

٣- العقد الفريد ٦ / ٦٠، و المستطرف ٢ / ١٥٥.

٤- التاج / ١٥٤.

٥- نشوار المحاضره ١ / ٢٨٩.

٦- مفصل الخبر فى مروج الذهب ٤ / ٦٦ - ٦٨.

واصفا الواثق بالله و رجاله كلا بما هو مشهور عنه، و ادعى بسعه معرفته بعاصمه الخلافة، و علاقته المتيه باهلها و عسكرها.

و ينتهى الخبر بشهاده الاعرابى بأن ابا تمام اشعر اهل زمانه.

و يظهر ان هذا هو بيت القصيد من الخبر.

و يلاحظ ان المسعودى يؤيد صحه ما اشتمل عليه الخبر من صفات و نعوت اسبغها الاعرابى على الخليفه و على رجال عهده الأ انه يشكك فى صحه روايته. فهو يرى ان كان ما رواه ابو تمام صحيحا فان الاعرابى قد احسن الوصف، و ان كان ابو تمام هو الذى صنع الخبر و عزاه الى هذا الاعرابى فانه مقصر فى نظمه لأنه دون منزلته الأديبه. و لما كان من الصعب، ان لم يكن من المستحيل على شخص بدوى بعيد عن حياه المدن و عن الاتصال بالخليفه و رجال دولته، ان يلم بمثل هذه التفصيلات عنهم و عن اعمالهم و عن اراء الناس فيهم. و لذلك فهو يرجح ان ابا تمام وضع هذا الخبر، فعمد الى وصف الخليفه و رجاله بطريق الروايه عن غيره، ليكون بمنأى عن غضب و نقمه من وصفهم بسوء.

لقد وصف الخليفه بأنه وثق بالله فكفاه اشجى العاصيه، و عدل فى الرعيه، و رغب عن كل ذى جنايه. و قال عن احمد بن ابى دواد انه هضبه لا- ترام و جبل لا يضام، تشحذ له المدى و تنصب له الجبال حتى اذا قبل هلكك، وثب و ثبه الذئب و ختل ختله الضب. و ابن ابى دواد هذا هو قاضى القضاة. و كان المأمون قد اكتشف فيه سعه العلم وحده الذكاء و نضح الرأى، و قد غدا فى عهد المعتصم بالله الرجل الأول فى الدوله بعد الخليفه، و احتفظ بمركزه المرموق فى ايام الواثق بالله. و يظهر الخبر انه كانت تحاك ضد ابن ابى دواد كثير من المكائد فيتغلب عليها.

وقال عن الوزير محمد بن عبد الملك الزييات انه وسع الدانى شره و وصل الى البعيد ضره، له فى كل يوم صريع لا يرى فيه أثر ناب ولا مخلب. لقد كان ابن الزييات سياسيا ماهرا و اداريا قديرا، الا انه كان حقودا قاسيا لا يرحم، اذا رأى أثر نعمه على احد سعى لازالتها و نكبه صاحبها و هذا ما يؤكده الخبر.

اما عن عمر الرخجى فقال انه ضخم نهم، استعذب الدم، ينصبه القوم ترسا للوغى. و كان الرخجى هذا من كبار الكتاب، كتب للمأمون. و تولى فى عهد الواثق بالله ديوان النفقات، و كان نهما سىء السيره، مما اضطر الخليفه ان يعين رقبيا على اعماله.

و قال عنه القاضى ابن ابى دواد: ما صحب السلطان أرجل و لا اخبث من عمر بن فرج الرخجى(١).

و وصف الفضل بن مروان بأنه رجل نبش بعد ما قبر، ليس تعد له حياه فى الأحياء، و عليه خفقه الموتى. و هو يصفه بعد خروجه من السجن ذليلا، اذ كان المعتصم بالله قد اقصاه عن الوزارة و استصفى امواله و امر بسجنه.

و هكذا يستمر فى وصف ابى الوزير احمد بن خالد، و الأخوين سليمان و الحسن ابنى وهب، و ابراهيم بن رباح، و احمد بن الخصيب، و هم من كبار الكتاب و رؤساء الدواوين. و مهما كان الأمر فان هذا الخبر تضمن امرين مهمين، اولهما انه يعرفنا برجال الدوله البارزين فى عهد الواثق بالله، و ثانيهما انه يصف كلا منهما بما يراه الناس فيه من صفات حسنه او سيئه، و الواقع انه، كما يقول المسعودى، قد احسن فى وصفهم.

## ٤- مصادره الكتاب:

و مما له علاقه بشؤون الرعيه المبادره الاصلاحيه التى قام بها الخليفه الواثق بالله بمحاسبه كبار الكتاب فى الدوله و تابعيهم على ما احرزوه من اموال لا تتناسب مقاديرها و مصادر ايرادهم المشروعه، فقد لاحظ ان اكثر المتنفذين من الموظفين كانوا يستغلون مراكزهم فى حيازه الأموال و جمع الثروات بطرق غير مشروعه كالسرقة و الرشوه. فحاول ان يحد من تعسفهم الناس و يمنعهم من استغلال وظائفهم. و ليس من الواضح ما اذا كان الغرض من مصادره الكتاب و حبسهم اصلاح الجهاز الادارى و المالى، منع الرشوه، و ايقاف استغلال النفوذ، ام مجرد احتواء الخليفه على اموال الآخرين ممن اتهموا بالاستغلال. و مهما كان الأمر فان مبادره الخليفه الى محاسبه كبار موظفيه و الضرب على ايدي المفسدين منهم بهذه الشده لا بد و انها كان لها أثر فى اصلاح جهاز الدوله المالى و الادارى، و تخفيف و طأه موظفيه على الرعيه.

على انه يجب ان لا يغرب عن البال ان تكون هذه المصادره بنفس الوقت عاملا يحفز الموظفين المصادره اموالهم على تعويضها عند ما تسنح لهم الفرصه بنفس اساليبهم السابقه، بل و باساليب قد قد تكون اشد منها تعسفا و جورا.

و كان السبب المباشر لغضب الواثق بالله على الكتاب انه سأل ندماء ذات ليله عن سبب نكبه البرامكه. فقال احدهم ان الخليفه هارون الرشيد اشترى جاريه بمائه الف دينار. فاستكثر وزيره يحيى بن خالد هذا المبلغ و اخبر الرشيد انه لا يقدر على هذا المال، فغضب و قال لا بد منه. فارسل يحيى المبلغ بالدراهم ليستكثره الرشيد. و بالفعل امر الرشيد برد الجاريه، الا انه

او عز بحفظ المال بيت مال خاص به. ثم اخذ في البحث عن الاموال فوجد ان البرامكه قد فرطوا بها. و كان اعتاد ان يحضر مجلس الرشيد احد الندماء يعرف بابى العود، فأمر له الخليفه يوما بثلاثين الف درهم، فمأطله يحيى. فاحتال ابو العود فى تحريض الرشيد عليه، و قد شاع انه قد تغير على البرامكه، فانشده ذات ليله قول عمر بن ابى ربيعه:

و عدت هند و ما كانت تعديليت هندا انجزتنا ما تعد

و استبدت مره واحدهانما العاجز من لا يستبد

فلما علم يحيى بذلك حاول ان يسترضى ابا العود باعطائه المبلغ الذى امر له الرشيد به، و اضاف اليه عشرين الف درهم من عنده. الا ان الرشيد جد فى امر البرامكه حتى أخذهم(١).

فقال الواثق بالله: صدق و الله جدى انما العاجز من لا يستبد. و اخذ فى ذكر الخيانه و ما يستحقه اصحابها. و لم يمض غير اسبوع واحد حتى امر بحبس عدد من الكتاب و ضربهم، و الزمهم اموالا كثيره قارب مجموعها الفى الف دينار، سوى ما ما اخذه من العمال بسبب عمالاتهم. و جاء فى الطبرى انه اخذ من احمد بن اسرائيل ثمانين الف دينار و امر بضربه، فضرب فيما قيل نحو من الف سوط. و اخذ من سليمان بن وهب اربعمائه

١- مفصل الخبر فى الطبرى ٩/ ١٢٦-١٢٧، و تجارب الامم ٦/ ٥٢٧-٥٢٨، و الكامل ٧/ ١٠-١١.

الف دينار و من الحسن بن وهب اربعة عشر الف دينار، و اخذ من احمد بن الخصيب و كتابه الف الف دينار، و من ابراهيم بن رباح و كتابه مائه الف دينار، و من نجاح بن سلمه ستين الف دينار، و من ابي الوزير مائه الف دينار و اربعين الف دينار(١). و ذكر مثل ذلك مسكويه و ابن الأثير، سوى ان مسكويه ذكر ان مجموع ما صودر من الحسن بن وهب و ابي الوزير هو مائتا الف دينار، اى بزياده سته و اربعين الف دينار. عما ذكره الطبرى و ابن الأثير(٢).

اما اليعقوبى فيقول عن هذه المصادر ان الواثق بالله رفع اليه ان احمد بن الخصيب قد حاز اموالا عظيمه فسخط عليه و قبض امواله و اموال اخيه ابراهيم و عذبا و عذبت امهما، كما ان الواثق بالله سخط على ابراهيم بن رباح الذى ولاه ديوان الضياع، و امر بقبض ضياعه و امواله(٣). و لم يذكر المبالغ التى صودرت منهم.

و قيل ان الذى دفع الواثق بالله الى القبض على احمد بن الخصيب و سليمان بن وهب و مصادرتهما انه غنى ذات ليله هذا الصوت:

من الناس انسانان دينى عليهما ملتان لو شاءا لقد قضيانى

خليلى اما ام عمرو فمتهما و اما عن الاخرى فلا تسلانى

١- الطبرى ٩ / ١٢٥.

٢- تجارب الامم ٦ / ٥٢٨، و الكامل ٧ / ١٠.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨١.

فدعا خادما لأبيه المعتصم بالله، وقال له: انى سمعت ابى يتمثل بهذين البيتين و ينظر اليك، فمن اللذان كان يعنى بهما؟

فاخبره الخادم ان اباه وقف على خيانه احمد بن الخصيب و سليمان بن وهب بمبلغ من المال، و كان يبغى الايقاع بهما. فبادر الواصل بالله الى القبض عليهما(١).

كما قيل ان الوزير بن الزيات هو الذى حرض الواصل بالله على نكبتهما(٢). اذ كان قد صنع شعرا اوصله اليه على انه لبعض الشعراء و فيه اتهام ابن الخصيب و ابن وهب بالخيانة فى الاموال. و جاء فيه:

و ليت اربعة امر العباد معاو كلهم حاطب فى جبل محتبل

هذا سليمان قد ملكت راحته مشارق الأرض من سهل و من جبل

خلافه قد حواها و حده فمضت احكامه فى دماء القوم و النقل

و ابن الخصيب الذى ملكت راحته خلافه الشام و الغازين و القتل

فنيلى مصر فبحر الشام قد جريابما اراد من الاموال و الحلل

١- الاغانى ٢٠ / ٢٦٨.

٢- نفس المصدر / ٢٦٩.

حوى سليمان ما كان الأمين حوى من الخلافه و التبليغ بالأمل

و احمد بن الخصيب فى امارته كالقاسم بن الرشيد الجامع السيل

و فى آخر الشعر تحريض على الفتك بهما، كما فتك هارون الرشيد بالبرامكه بعد ان اساءوا استعمال سلطتهم، اذ جاء فيه:

سميت باسم الرشيد المرتضى فيه قس الامور التى تنجى من الزلل

عش فيهم ما عاثت يداه معالى البرامك بالتهديم للقلل

فلما وصل الشعر الى الواثق بالله غاظه ما جاء فيه و بلغ منه، فأمر بالقبض عليهما. و كان سليمان بن وهب كاتب القائد التركى ايتاخ، و ابن الخصيب كاتب القائد اشناس. و كانا هذان القائدان التركيان قد شددا قبضتهما على شؤون الدوله مما فسح المجال لكاتبتهما استغلال مركزيهما فى احتواء الأموال بمختلف الأساليب. و مما يدل على ان الشعر المذكور من صنع ابن الزيات ان ابراهيم بن العباس الذى تصدى لهجائه و تتبع سقطاته، قال عند ما قبض على الكاتبين المذكورين، يخاطبه (١).

ايها ابا جعفر و للدهر كرات و عما يريب متسع



ارسلت ليثا على فرائسه و انت منها فانظر متى تقع

لكنه قوته و فيك له و قد نقضت اقواته شع

و لما هجا على بن الجهم الوزيران ابن الزيات بقصيدته التي كان مطلعها:

لعائن الله موفرات مصبحات مهجرات

هم الواثق بالله بالفتك بوزيره، الا ان اسحاق الموصلى الذى كان مقربا جدا من الخليفة شفع له، اذ قال للواثق بالله: أمثل ابن الزيات على خدمته و كفايته يفعل به هذا، و ماجنى و ما خانك، و انما ذلك على خونه اخذت ما اختانوه، و هذا هو ذنبه(١). فمحا بذلك ما كان فى نفس الخليفة على وزيره.

و يظهر أن حبس الكتاب و مصادرتهم قوبلت بالرضا من الناس، فقد قال أحمد بن فتن(٢).

نزلت بالخائنين سنهسنه للناس ممتحنه

سوغت ذا النصح بغيته و ازالته دوله الخونه

و ترى اهل العفاف بهاوهم فى دوله حسنه

و قد تولى حبس الكتاب و مصادرتهم صاحب حرس الخليفة الأمير اسحاق بن يحيى(٣). و يفهم من خبر اورده بن الطقطقى ان

١- نفس المصدر / ٢٧٢.

٢- نفس المصدر / ٢٧١.

٣- الطبرى ٩ / ١٢٥، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٥٦.

عددا منهم لبث في السجن مطالبا بالأموال طيله عهد الواثق بالله.

و هم ابن المدبر و سليمان بن وهب و احمد بن اسرائيل. فلما جاءهم نبأ موت الواثق بالله هربوا من السجن ليلا(١). الا ان الطبرى يقول ان الواثق بالله لما امر بحبس سليمان بن وهب و اخذه بمائتى الف دينار ادى منها مائه الف و سأل ان يؤخذ بالباقي عشرين شهرا فاجابه الخليفة الى طلبه و امر بتخليه سبيله و رده الى كتابه ايتاخ(٢). علما انه سبقت الاشاره الى ان سليمان بن وهب قد اخذ منه اربعمائه الف دينار، مما يرجح انه قد صودر اكثر من مره.

و تعتبر مصادره الكتاب من مظاهر حكم الواثق بالله البارزه، و يظهر انه اتخذها وسيله لمعاقبه الكتاب و العمال. الا انها اصبحت من بعده في عهد اخيه المتوكل على الله، مصدرا مهما من مصادر ايرادات بيت المال.

#### ٥- وفاه الواثق بالله:

توفى الواثق بالله بالقصر الهارونى فى سامرا يوم الاربعاء لست ليال بقين من ذى الحجه من سنة ٢٣٢ هـ. و يتفق معظم المؤرخين على ان سبب وفاته اصابته بعله الاستسقاء، و انه عند ما اشتدت علته حفر له فى الأرض حفير كالتنور ثم سخن بالحطب الطرفاء و صير فيه مرارا، فوجد لذلك راحه. و طلب فى اليوم التالى زياده

١- الفخرى / ٢٢٥-٢٢٦.

٢- الطبرى ١٤٥ / ٩، و الكامل ٢٩ / ٧. و الكامل ٢٩ / ٧.

تسخينه و قعد فيه اكثر من اليوم الأول فحمى عليه، و حمل عنه في محفه فمات على اثر ذلك(١).

و عند ما اشتد المرض على الواثق بالله، وصل خبر مرضه الى مكه قبل موسم الحج، فوجه و اليها الى سامرا بماء زمزم و خلوق من خلوق الكعبه(٢). و ذلك لاستخدامها في غسل الخليفه و تجهيزه عند وفاته. و كان الواثق بالله امر قاضى القضاة احمد بن ابى دواد ان يصلى بالناس يوم الأضحى، فصلى بهم يوم العيد، لأنه لم يقدر على الحضور الى المصلى لشده علته، و قد دعا ابن ابى دواد للخليفه فقال: اللهم اشفه مما ابتليته(٣).

و جاء فى الطبرى انه لما اعتل الواثق بالله علته التى مات فيها أمر باحضار المنجمين فاحضروا، و كان ممن حضر الحسن بن سهل و الفضل بن اسحاق الهاشمى، و اسماعيل بن نوبخت، و محمد بن موسى الخوارزمى، و عامه من ينظر فى النجوم. فنظروا فى علته و نجمه و مولده فقالوا: يعيش دهرا طويلا، و قدروا له خمسين سنه مستقبله، فلم يلبث الا عشره ايام حتى مات(٤).

و قيل انه لما احتضر جعل يردد هذين البيتين:

الموت فيه جميع الناس مشترك لا سوقه منهم تبقى و لا ملك

ما ضر اهل قليل فى تفاقرهم و ليس يغنى عن الاملاك ما ملكوا

١- الطبرى ٩ / ١٥٠، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٣، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٥

٢- المعرفه و التاريخ ١ / ٢٠٩.

٣- مروج الذهب ٤ / ٨٤.

٤- الطبرى ٩ / ١٥١.

و امر بالبسط فطويت، و الصق خده بالأرض، و جعل يقول:

يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه، يكررها الى ان مات(١).

و كان يقول فى علتة: لوددت انى اقلت العثره، و انى حمال احمل على رأسى. و قيل له فى البيعه لابنه، فقال: لا يرانى الله اتقلدها حيا و ميتا(٢).

و حضر عند وفاته جماعه من الهاشميين، و محمد بن عبد الملك الزيات، و احمد بن ابى دواد، و عمر بن فرج الرخجى، فلم يشعروا بموته حتى ضرب بوجهه المحنه(٣). و يقال انه لما سجدى عند وفاته و شغل المجتمعون حوله بأمر بيعه خلفه، تسلل جرد من البستان و أكل احدى عينيه(٤).

و مات الواثق بالله و مجموع ما فى بيت المال من العين خمسة آلاف الف دينار و من الورق خمسة عشر الف الف درهم(٥).

و خلف من الاولاد الذكور خمسة هم: محمد الذى تولى الخلافة بعد المعتز بالله و لقب بالمهتدى بالله، و ابراهيم ابو اسحاق، و محمد ابو اسحاق، و ابو القاسم عبد الله الذى التحق بابن الليث الصفار لما قتل اخوه المهتدى بالله، و ابو العباس احمد و كان عالما فاضلا، و من البنات اثنتان هما: العباسه و قد تزوجها المستعين بالله، و عائشه و تزوجها المستعين بالله ايضا لما ماتت اختها(٦).

١- الكامل ٧ / ٢٩، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٥٥، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٦٣.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٣.

٣- الكامل ٧ / ٣٠، و تاريخ بغداد ١٤ / ٢٠، و نشوار المحاضره ٢ / ٧٣-٧٤.

٤- الكامل ٧ / ٣٠، و تاريخ بغداد ١٤ / ٢٠، و نشوار المحاضره ٢ / ٧٣-٧٤.

٥- الذخائر و التحف / ٢١٨.

٦- العقد الفريد ٥ / ١٢٢، و الذهب المسبوك / ٢٢٥، و الكامل / ٣١، و العقد الفريد ٥ / ١٢٢، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٥.

و قد اختلف المؤرخون فى عمره عند وفاته، اذ يذكر اليعقوبى انه توفى و عمره اربع و ثلاثون سنه، و يتردد المسعودى فيذكر مره ان عمره اربع و ثلاثون سنه، و مره اخرى سبع و ثلاثون سنه و سته اشهر، و يفعل مثله الطبرى و ابن الأثير فيقولان كان عمره اثنتين و ثلاثين سنه و قيل ستا و ثلاثين سنه، و احتسبه ابن عبد ربه ستا و ثلاثين سنه و اربعه اشهر و ايام، و اعتبره مسكويه ستا و ثلاثين سنه، و يقول ابن دحيه انه توفى و له اثنتان و اربعون سنه(١).

و لا شك فى ان هذا الاختلاف ناشىء عن اختلافهم فى تاريخ مولده.

و قد سبق ان اشرنا الى ان ابن عبد ربه و السيوطى يذكر ان مولده كان لعشر بقين من شعبان من سنه ١٩٦ و يؤيد الخطيب البغدادى سنه ميلاده المذكوره(٢). و اذا ما اخذنا هذا التاريخ اساسا للاحتساب كان عمره ستا و ثلاثين سنه و اربعه اشهر و اياما، و هو ما ذكره ابن عبد ربه. على ان الخطيب البغدادى يروى عن احمد بن الواثق بالله انه قال: بلغ ابى ثمانيا و ثلاثين سنه(٣). و قد دفن الواثق بالله بسامرا، و كان اخوه جعفر قد صلى عليه عند دفنه(٤).

اما مده خلافته فقد اتفق المؤرخان اليعقوبى و المسعودى، و الاديب ابن عبد ربه على انها كانت خمس سنوات و تسعه اشهر و ثلاثه عشر يوما(٥). و يقرب منهم الطبرى و ابن الأثير اللذان

١- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٨٣، و مروج الذهب ٤/ ٦٥، و الطبرى ٩/ ١٥١، و النبراس ٧٥/ ٧٥.

٢- تاريخ بغداد ١٤/ ١٦.

٣- نفس المصدر ٢٠/ ٢٠.

٤- تاريخ بغداد ١٤/ ٢١، و العقد الفريد ٥/ ١٢٢.

٥- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٨٣، و مروج الذهب ٤/ ٦٥، و العقد الفريد ٥/ ١٢٢.

يتفقان معهم فى عدد السنوات و الأشهر و يختلفان فى عدد الايام فاحتسبها خمسها ايام بدلا من ثلاثه عشر(١). و جاء فى تجارب الأمم ان مده خلافته خمس سنوات- اما ابو المحاسن، و هو شديد الاهتمام باحتساب هذه التواريخ، فقد احتسب مده خلافته خمس سنوات و سته اشهر(٢).

و نظرا لاتفاق المؤرخين المذكورين فى تاريخ مبايعه الواصل بالله بالخلافه و تاريخ وفاته، فقد كان من الطبيعى ان يتفقوا فى مده خلافته. و لا ندرى ما اذا كانت الفروق بين ما ذكره نتيجة و هم او خطأ حسابى. لأن المده بين تاريخ مبايعته و تاريخ وفاته هى خمس سنوات و تسعه اشهر و خمسها ايام، و هى المده التى ذكرها الطبرى و ابن الأثير.

و كان الواصل بالله نوى اداء فريضه الحج فى موسم السنه ٢٣١ هـ، و استعد لذلك، و وجه عمر بن فرج الرخجى الى اصلاح الطريق، فاخبره ان الماء قليل فى هذا الموسم، فلم يخرج فى تلك السنه(٣). و مرض فى السنه التالىه فى موسم الحج فعاقه ذلك عن الخروج، و ادركته الوفاه فى اواخر ذى الحجه من السنه نفسها.

---

١- الطبرى ٩ / ١٥١، و الكامل ٧ / ٣١.

٢- النجوم الزاهره ٢ / ٢٦٢.

٣- الطبرى ٩ / ١٤٠.

## الفصل الرابع المتوكل على الله ابو الفضل جعفر بن المعتصم بالله

### ١- مبايعته:

توفى الواثق بالله و لم يكن قد عهد لأحد بعده بالخلافه. و كان قد قيل له فى البيعه لابنه، فقال: لا يرانى الله اتقلدها حيا و ميتا(١). و كان ابنه محمد صغير السن، كما ان علاقته باخيه جعفر لم تكن وديه، و لم يكن يتوسم فيه الكفايه لمنصب الخلافه.

و يبدو ان اختلاف امهات الاخوين كان سبب النفرة و التباغض بينهما لأن ابناء العلات- اى ابناء الرجل من نسوه شتى يختلفون و يتباغضون عاده. و قد اذل الواثق اخاه فى عهد خلافته، مما ملأ نفس جعفر حقدا على اخيه و على رجاله.

عند ما مات الواثق بالله حضر رجال الدوله الى دار الخلافه، و على راسهم الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، و قاضى القضاة

---

١- تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٨٣.

احمد بن ابى دواد، و ابو الوزير احمد بن خالد، و كبار القواء الاتراك ايتاخ و وصيف و بغا الكبير و غيرهم. فعزموا على مبايعه محمد بن الواثق بالله، فأوه لا يزال صبيا صغيرا. و قد اعترض القائد وصيف بانه صغير لا تجوز معه الصلاه(١). فتناظر الحاضرون فيمن يولونه الخلافه، و ذكروا عده اسماء من امراء بنى العباس. ثم اتفقوا على مبايعه جعفر اخى الواثق بالله. فلما احضروه استقبله قاضى القضاة و البسه الطويله و عممه و قبله بين عينيه و سلم عليه بالخلافه. فبايعه الحاضرون(٢). و اول من بايعه القائدان وصيف و سيما المعروف بالدمشقى(٣).

و روى المتوكل على الله نفسه كيف تمت مبايعته، قال ما خلاصته: احتجمت فى اليوم الذى توفى فيه الواثق بالله و انا لا اعلم بوفاة، فقالت لى امى امضى الى اخيك وعده فى مرضه. فذهبت لزيارته و دخلت الدار و جلست بحيث كنت اجلس، فسمعت حركه غير اعتياديه، فنظرت من ثقب الباب فرأيت محمد عبد الملك الزيات و ايتاخ و معهما محمد بن الواثق يلبسانه الرصافيه، و لما بدت كبيره عليه، قال احدهما: نعمه، ثم قال فما نفعل بجعفر، فقال محمد بن عبد الملك: نقتله بالثور، و قال ايتاخ: بل ندعه فى الماء البارد حتى يموت و لا يبين عليه اثر القتل. فغشى على لما سمعته من عزمهما فى امرى. ثم لم يلبث ان حضر احمد بن ابى دواد فدخل و تكلم معهما كلاما لم اسمعه لما كنت فيه من خوف

١- الطبرى ٩/ ١٥٤، و تجارب الامم ٦/ ٥٣٦.

٢- نفس المصدرين السابقين.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٨٤.



و ضعف. ثم نودى على فدخلت عليهم وجلا خائفًا، الا ان ابن ابي دواد لقيني فقبل يدي و قادننى الى السرير و قال لى: اصعد الى المكان فقد اهلك الله تعالى له. فلما صعدت و جلست سلم على بالخلافه. و سلم على بها محمد و ايتاخ ايضا. و اخذ ابن ابي دواد عليهما البيعه لى، و ادخل القواد و الموال على مراتبهم يسلمون و يبائعون. ثم علمت فيما بعد ان محمد بن عبد الملك و ايتاخ كانا قد اتفقا على ما سمعته منهما، و وكلا باب الحجره من يمنع دخول قاضى القضاء اليهما حتى يفرغا من تدبيرهما. فلما حضر القاضى هابه الموكلون بالباب ففسحوا له فدخل. فلما علم انصرفهما عن ابن الواثق بالله لصغر سنه، تداول معهما فيمن يبائعون، و ذكروا بعض الاسماء، و لما ورد اسمى قال ابن ابي دواد لهما: اصفقا على يدي فصفقا، ثم ارسلوا الى فكان من الأمر ما كان. و بقى ما قاله محمد بن عبد الملك و ايتاخ فى نفسى فقتلتها بما اعترما قتلى به، فقتلت ابن الزيات بالتور، و ايتاخ بالماء البارد(١).

و لقب جعفر فى اليوم التالى بالمتوكل على الله. و قد اراد ابن الزيات ان يلقيه بالمنتصر، فقال ابن ابي دواد: لقد رأيت لقبًا موافقًا هو المتوكل على الله. فوافق الخليفه عليه و امر ان يكتب به الى مختلف الولايات(٢). و كانت نسخه الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، أمر- ابقاك الله- امير المؤمنين اطال الله بقاءه ان يكون الرسم الذى يجرى به ذكره على اعواد منابره و فى كتبه الى قضاته و كتابه و عماله و اصحاب دواوينه و غيرهم من سائر من تجرى المكتبه بينه و بينه «من عبد الله جعفر الامام المتوكل على الله امير

١- كامل الروايه فى الهفوات النادره / ٣٦٢-٣٦٥.

٢- الطبرى ٩ / ١٥٥، و الكامل ٧ / ٣٤.

المؤمنين» فأريك في العمل بذلك و اعلامى بوصول كتابى اليك موفقا ان شاء الله»(١).

و هناك روايه تقول ان سبب هذا اللقب ان المتوكل على الله رأى فى منامه قبل ان يستخلف كأن سكرًا ينزل عليه من السماء مكتوبا عليه «جعفر المتوكل على الله»، فقص ذلك على اصحابه، ففسروه بانه سينال الخلافه(٢). و اذا صح هذا الخبر فان حلم المتوكل على الله كان انعكاسا لما يحز فى نفسه من الحجر و الحرمان و ما يقاسيه من سوء معامله اخيه الواثق بالله الذى يرفل فى نعمه الخلافه و قوه السلطان، مما جعله يتمنى فى قراره نفسه ان يكون خليفه مكان اخيه و له لقب الخلافه مثله. او ان يكون الخير موضوعا اصلا للايحاء بان المتوكل على الله كان موعودا بهذا اللقب الذى هو جدير به.

كان عمر المتوكل على الله يوم بويج ستا و عشرين سنه، لأنه قد ولد بقم الصلح فى شوال من سنه ٢٠٦ هـ(٣). الا ان الخطيب البغدادي يقول سمع المتوكل على الله يقول: ميلادى سنه ٢٠٧ هـ(٤).

و عند ما تمت البيعه للمتوكل على الله امر للاتراك برزق اربعه اشهر، و للجنند و الهاشميين ارزاق ثمانيه اشهر(٥)، و للمغاربه برزق ثلاثه اشهر فأبو ان يقبضوا فارسوا فارسل اليهم من كان منكم مملوكا

١- الطبرى ٩ / ١٥٥، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٦.

٢- الطبرى ٩ / ١٥٥، و الكامل ٧ / ٣٤.

٣- الطبرى ٩ / ١٥٥، و مروج الذهب ٤ / ٨٥ و فيه سبع و عشرون سنه، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٦.

٤- الطبرى ٩ / ٢٣٠، و تاريخ بغداد ٧ / ١٦٦.

٥- الطبرى ٩ / ١٥٥، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٤، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٦.

فليمض الى القاضى احمد بن ابى دواد حتى يبيعه و من كان حرا صيرناه اسوه بالجنند، فرضوا بذلك، ثم اجرؤا مجرى الأتراك(١).

و نقش على خاتمه عباره «جعفر على الله يتوكل»(٢).

## ٢- صفاته و سيرته:

هو ابو الفضل جعفر بن المعتصم بالله، و امه ام ولد خوارزميه تركيه يقال لها شجاع، و كان من سراوات النساء سخاء و كرما(٣).  
و يقال انها كانت خيره كثيره الرغبه فى عمل الخير و خلفت من العين خمسہ الآف الف و خمسين الف دينار و من الجوهر ما قيمته الف الف دينار(٤). و قد توفيت فى المتوكلية فى ربيع الآخر من سنه ٢٤٧ هـ، و صلى عليها حفيدها محمد المنتصر، و دفنت عند المسجد الجامع(٥).

اما صفاته الجسميه فقد وصف بانه كان اسمر رقيق البشره يضرب الى الصفرة خفيف العارضين كبير العينين و سيما مهيبا، و كان الى القصر اقرب(٦).

و عند ما تولى المتوكل على الله نهى عن الجدل و المناظره و ابطال المحنه. و قد ذكرنا ما قام به فى هذا الباب بشىء من التوسع فى

١- الطبرى ٩ / ١٥٥.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣١٤، و الذهب المسبوك / ٢٢٥ و فيه «على الله توكلت»

٣- تاريخ بغداد ٧ / ١٦٦.

٤- شذرات الذهب ٢ / ١١٧.

٥- الطبرى ٩ / ٢٣٤، و مروج الذهب ٤ / ١١٨.

٦- الطبرى ٩ / ٢٣٠، و التنبيه و الاشراف / ٣١٣-٣١٤، و تاريخ بغداد ٧ / ١٧٢، و تجارب الامم ٦ / ٥٥٧.

موضوع المحنة. و قد ابدى كثيرا من لين الجانب و الاهتمام بشؤون الرعيه. قال لابراهيم بن المدبر و هو احد اصحاب الدواوين: اذا خرج اليك توقيعى بما فيه مصلحه للناس و رفق للرعيه فانفذه و لا تراجعنى فيه، و اذا خرج اليك بما فيه حيف على الرعيه فراجعنى، فأن قلبى بيد الله عز و جل(١). و قال يزيد المهلبى: قال لى المتوكل على الله يا مهلبى ان الخلفاء كانت تتصعب على الرعيه لتطيعها و انا لىن لهم ليحبونى و يطيعونى(٢). و مر المتوكل على الله يوما بزراع لا يزال اخضر لم يدرك وقت حصاده، فقال: استأذنى عبيد الله بن يحيى فى استفتاح الحراج وارى الزرع اخضر، فمن اين يعطى الناس الخراج؟ فقيل له ان هذا أضر بالناس فهم يقترضون و يتسلفون و ينجلون عن اراضيهم و قد كثرت شكاياتهم. و علم ان سبب ذلك هو المطالبه بالخراج فى ابان النيروز، و نظرا لمنع العرب كبس السنين باعتباره من النسيء الذى نهى الاسلام عنه، تقدم النيروز حتى صار يقع فى نيسان و الزرع اخضر، فطلب الى ابراهيم بن العباس ان يحسب الأيام بما يؤخر النيروز، ففعل ذلك(٣).

و يبدو ان المتوكل على الله اراد تغيير موعد جبايه الخراج بحيث يكون عند حصاد الزرع، الا انه قتل قبل ان يتم تدبير ذلك، و لم يحاول ان يتمه من جاء بعده من خلفاء سامرا حتى استخلف حفيده المعتضد بالله فأمر باصلاح التقويم بما اخر موعد الجبايه و حقق ما كان حاوله جده، اذ امر فى سنه ٢٨٢ هـ بالكتابه الى جميع العمال بترك افتتاح الخراج بالنيروز العجمى، و تأخير ذلك الى

١- تذكره ابن حمدون / ١٠٥.

٢- تاريخ الخلفاء / ٣٥٢.

٣- الاثار الباقية / ٣٢، و الخطط المقريزيه / ١ / ٢٧٥.

اليوم الحادى عشر من حزيران، و سمي ذلك بالنيروز المعتضدى(١).

لقد وصف المتوكل على الله بالكرم الزائد الذى يصل الى حد التبذير، حتى قيل: ما اعطى خليفه شاعرا ما اعطى المتوكل على الله(٢). فقد انشده على بن الجهم شعره الذى مطلعاه:

هى النفس ما حملتها تتحمل و للدهر ايام تجور و تعدل

و فى يد المتوكل جوهرتان فأعطاه التى فى يمينه، فاطرق ابن الجهم متفكرا فى شىء يقوله ليأخذ التى فى يساره، ففطن و قال:

مالك متفكرا، انما تفكر فيما تأخذ به الأخرى، خذها لا بورك لك فيها(٣). و لكثرة ما انفق المتوكل على الله ايام خلافته، قال المسعودى: «و قد قيل انه لم تكن النفقات فى عصر من الأعصار و لا وقت من الأوقات مثلها فى ايام المتوكل على الله ... مع كثره الموالى و الجند و الشاكريه و درور العطاء لهم، و جليل ما كانوا يقبضون من الجوائز و الهبات»(٤). و قد انفق على اعداء ابنه المعتز سته و ثمانين الف الف درهم(٥). و وصفت ايامه بانها كانت حسنه فاخره كثيره الخير(٦). و انها «كانت احسن ايام و انضرها من استقامه الملك و شمول الناس بالأمن و العدل»(٧).

١- الطبرى ٣٩ / ١٠، و الكامل ٧ / ٤٦٩.

٢- تاريخ الخلفاء / ٣٥٠.

٣- العقد الفريد ١ / ٣٢١.

٤- مروج الذهب ٤ / ١٢٢.

٥- الديارات / ١٥٥.

٦- مشاكلة الناس لزمانهم / ٣٢.

٧- مروج الذهب ٤ / ٨٦.

و مما له علاقه بكثرة الانفاق فى عهد المتوكل على الله اهتمامه بالعمران و ولعه ببناء القصور. فقد بنى ما ينوف على خمسه عشر قصرا انفق فى بنائها مبالغ طائله. و قد احدث المتوكل على الله بناء لم يكن الناس يعرفونه، و هو المعروف بالحيرى نسبة الى مدينه الحيره، فبنى الناس جميعا بسامرا هذا البناء. و قد تكلمنا عن الماحوزه شمالى سامرا اعظم اعماله العمرانيه و كان يسميها المتوكلية. و كنا افردنا لها فصلا خاصا بعمرانها.

و كان المتوكل على الله قد حاول اكثر من مره، قبل ان يؤسس مدينه المتوكلية، ان ينتقل عن سامرا الى مدينه اخرى. و لا ندرى ما اذا كان بدافع الرغبه فى التحرر من نفوذ القواد الاتراك المعارضين له، او طلبا لجو يلائم صحته، او انه كان يريد ان تكون عاصمه تنسب اليه. و لعل ما يؤيد السبب الأخير بناؤه مدينه المتوكلية و انتقاله و دواوين الدوله اليها. و كان قبل ذلك اراد الانتقال الى اصبهان بعد ان سمع عن طيب هوائها، فبعث جماعه من المهندسين لتخطيط القصور له و لخواص اصحابه، الا ان اهلها فرعوا الى وصيف القائد و سألوه التلطف فى فسخ عزمه فاقنعه بانها لا تتسع له، و اذا ما سكنها ضاق الأمر على الناس فى الميره، مما اثناه عن عزمه، فخرج الى دمشق لأنه قيل له ان هواءها مقارب لهواء اصبهان(١).

عزم المتوكل على الله على المقام بدمشق لما وصف له من فضائلها و طيبها، فأمر بالبناء فيها و نقل الدواوين اليها، الا انه تركها بعد اقام فيها شهرين و بضعه ايام فعاد الى سامرا محتجا ببرد هواء دمشق

و ثقل مائها و كثره رياحها(١). و هناك رأى يقول انه ترك دمشق لأن مناوئيه من الاتراك دبروا فيها وقيعه تستهدف قتله(٢).

الى جانب هذه النواحي الايجابية من سيره المتوكل على الله و سلوكه كخليفه هناك نواح سلبية ضرب فيها امثله سيئه من تصرفاته. فقد اشتد على العلويين. كما اساء الى اهل الذمه و لا سيما النصارى منهم، فحدد نوع لباسهم و ركوبهم و نهى عن الاستعانه بهم فى اعمال الدوله و دواوينها. و اوامر اخرى اتخذها بشأنهم بكتاب وجهه الى الولايات لمعاملتهم بموجبه، و معاقبه من لا يلتزم بها. و من الممكن تفسير موقف المتوكل على الله من العلويين و من اهل الذمه، بعاملين اتصف بهما، اولهما تعصبه الدينى الشديد، و الآخر حسده للعلويين لما يتمتعون به و بخاصه أئمتهم، من ولاء مطلق من اعداد غفيره من الرعيه، و حسده النصارى لأنهم كانوا يعيشون حياه مرفهه نسبيا، و منهم معظم الأطباء المشهورين و كثير من الكتاب المتقدمين.

و قد عرف عن المتوكل على الله انه متقلب المزاج يرضى و يغضب بسرعه و لا تفه الأسباب. و كان يتشبه فى الغضب بخلق الجابره(٣). و انه حقود قاس فى غضبه، يحقد على من يسيء اليه، و يحسد كل ذى نعمه مهما كان نوعها. و من مظاهر حقه انه امر بقتل محمد بن عبد الملك الزيات الوزير الكفء بعد تعذيبه، لأن ابن الزيات لم يكن يحسن استقباله عند ما كان يراجعه فى ايام اخيه الواثق بالله. و موقف ابن الزيات هذا تجاهه ناشىء من ان

١- الطبرى ٩ / ٢١٠، و تجارب الامم ٦ / ٥٥٢.

٢- مروج الذهب ٤ / ١١٥ - ١١٦.

٣- شذرات الذهب ٢ / ١١٥.

الخليفه الواثق بالله كان لا يود اخاه، دائم الغضب عليه، و من الطبيعي ان يحذو وزيره حذوه و الا عرض نفسه لغضب الخليفه و نقمته. و سبق ان ذكرنا ان المتوكل على الله قد كان قد اضمر الشر لابن الزيات و للقائد ايتاخ لأنه اعتقد بانهما عارضا ترشيحه للخلافه و اتفقا على قتله.

و لم يسلم من سخط المتوكل على الله و غضبه قاضى القضاء احمد ابن ابى دواد صاحب الفضل الأول فى توليه الخلافه، و الذى كان شديد العطف عليه ايام اخيه الواثق بالله، و كثيرا ما كان يلتمس الخليفه ليحسن معاملته اخيه و يرضى عنه. فقد امر فى سنه ٢٣٧ هـ بمصادره ضياعه، و حبس ابنه ابا الوليد محمدا مع مصادره امواله و اموال اخيه، رغم ان ابن دواد كان طريح الفراش و قد اصيب بالفالج منذ سنه ٢٣٣ هـ. و ليس هناك من سبب واضح لسخطه عليه و على اولاده. و يستبعد ان يكون السبب هو ان ابن ابى دواد من المعتزله و قد تزعم قضيه المحنه، لأن سخط المتوكل على الله جاء بعد ابطال المحنه ببضعه سنوات. مما يجعلنا نميل الى انه كان يحسده لما صار اليه من مكانه مرموقه فى الدوله، و انه كان موضع ثقته ابيه المعتصم بالله و اخيه الواثق بالله و احترامهما، كما انه نال بمواقفه النبيله احترام الناس و تقديرهم.

و امر المتوكل على الله بمصادره عدد من الوزراء و كبار الكتاب، و يبدو ان الدافع الرئيس لذلك هو رغبته فى احتواء اموالهم لسد نفقاته الواسعه (١).

و لعل ضخامه اموال رجال الدوله و كتابها و كثره املاكهم و تعدد



ضياعهم وسعه انفاقهم، مما لفت نظر المتوكل على الله بانها جمعت بطرق غير مشروعته فاراد عقوبتهم بمصادرتها منهم بحجج مختلفه.

و لم يكن احد ممن سلف من خلفاء بنى العباس قد اظهر فى مجلسه العبث و الهزل، و المضاحك، حتى جاء المتوكل على الله فكان اول خليفه اظهر ذلك، حتى ذاعت هذه الامور فى الناس و جروا فيها(١). فكان يجمع السماجه- و هم الممثلون الهزليون- بين يديه فيحاكون حركات بعض الناس و يمثلونهم فى اصواتهم، و يأتون بحركات مضحكه عنهم تؤنس(٢). فكان السابق الى ذلك و المحدث له فاتبعه فيه اغلب خواصه و اكثر رعيته(٣).

### ٣- ولايه العهد:

لعل ما حدث اثر وفاه الواثق بالله من خلاف حول اختيار خليفه له، لأنه لم يعهد لأحد من بعده، قد دفع المتوكل على الله الى ان ينظم ولايه العهد فى حياته. فعقد فى سنه ٢٣٥ هـ البيعه لثلاثه من ابناؤه هم محمد و سماه المنتصر، و ابو عبد الله- و يختلف فى اسمه فيقال محمد او الزبير او طلحه- و لقبه المعتر، و ابراهيم و لقبه المؤيد. و عقد لكل منهم لوائين احدهما اسود و هو لواء ولايه العهد و الآخر ابيض و هو لواء العمل. و ضم الى كل واحد منهم عددا من الولايات، فاقطع المنتصر افريقيه و المغرب و جميع الثغور و بعض الولايات الشرقيه. و اقطع المعتر خراسان و طبرستان و الرى و ارمينيه و اذربيجان. اما المؤيد فقد اقطعه جند دمشق و جند فلسطين. كما جعل لكل منهما كاتباً خاصاً، فجعل احمد بن

١- مشاكلة الناس لزمانهم / ٣٢.

٢- الديارات / ٣٩.

٣- مروج الذهب / ٤ / ٨٦.

الخصيب كاتباً للمنتصر، و احمد بن اسرائيل كاتباً للمعتز، و محمد بن علي المعروف كاتباً للمؤيد(١). و احضر المتوكل على الله القضاء و وجوه الناس من البلدان الى سامرا لبيعه و لاه العهد، و بعث خواصه الى الأمصار ليأخذوا البيعه لهم، و وزع الجوائز، و اعطى الجند ارزاق عشره اشهر(٢). و كتب بولايه العهد كتابا مفصلا باربع نسخ و قعها الشهود بحضرتة و امر ان تحفظ نسخه منها في خزانته، و عند كل واحد من اولياء العهد نسخه(٣).

سار المتوكل على الله في امر ولايه العهد على نهج جده هارون الرشيد الذي عهد لأبنائه الأمين و المأمون و المؤمن بكتاب موثق اودعه في البيت الحرام سنه ١٨٦ هـ و جعلهم متعاقبين في تولي الخلافة(٤). و لم يتعظ بما نشب من الخلاف بين الأمين و المأمون و ما ترتب عليه من نتائج خطيره و كيف ان المأمون عهد بالخلافه من بعده لأخيه ابى اسحاق دون القاسم المؤمن الذي نص عليه عهد الرشيد. كما يلاحظ ان كتاب المتوكل على الله تجاهل بقيه ابنائه، و كان فيهم طلحه الملقب بالموفق الذي اثبتت الحوادث فيما بعد انه اكفأ اولاده و اقدرهم.

#### ٤- مؤامره قتله:

انتهت حياه المتوكل على الله بعد حكم دام خمسہ عشر عاما، و هو اول خليفه يقتل في سامرا. و يمكن حصر الأسباب التي ادت

١- الطبرى ٩ / ١٧٥-١٧٦، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٨٧، و الكامل ٧ / ٤٩-٥٠.

٢- تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٨٧، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٨٦.

٣- نص الكتاب في الطبرى ٩ / ١٧٦-١٨٠.

٤- الطبرى ٨ / ٢٧٨، و مروج الذهب ٣ / ٣٦٤، و الكامل ٦ / ١٧٣.

الى قتله بسببين رئيسيين اولهما سوء علاقته بابنه الكبير و ولى عهده محمد المنتصر، و ثانيهما سياسته تجاه الاتراك المتغلبين على شؤون الدوله.

كنا ذكرنا ان المتوكل على الله عقد فى سنه ٢٣٥ هـ لثلاثه من بنيه و هم محمد المنتصر و المعتر و المؤيد. و رغم انه قدم المنتصر على اخويه فى ولايه العهد فانه كان اكثر ميلا الى المعتر بتأثير امه قبيحه التى كان المتوكل على الله يفضلها على نساءه، و عند ما وزع امارات ولايات الدوله و اقاليمها خص المعتر بالمهمه منها. ثم اضاف اليه فى سنه ٢٤٠ هـ خزن الاموال فى جميع الولايات و دور الضرب اسمه على الدراهم(١). فكان ذلك من حملته ما آثار حفيظه المنتصر على ابيه. و اخذ المتوكل على الله ينتقص من شأن المنتصر و يعبث به و يأمر بصفعه، و قال له مره لقد سميتك المنتصر فسماك الناس لحمقك المنتظر، ثم صرت الآن المستعجل.

و جاهر فى احد مجالسه بخلعه من ولايه العهد. و يقال انه عزم على ان يفتك به، و يقتل و صيفا و بغا(٢).

اما علاقته المتوكل على الله بقاده الاتراك فقد كانت مشوبه بالحذر و عدم الثقه. لأنهم قد صارت اليهم رياسه معظم المراكز الحيويه فى الدوله(٣). فأن ايتاخ بقى فى عهده محتفظا بمراتبه فى الجيش و اداره الاموال و البريد و الحجاب و شؤون دار

١- الطبرى ٩ / ١٧٦، و الكامل ٧ / ٥٠.

٢- الطبرى ٩ / ٢٢٥، و الكامل ٧ / ٩٧ و ١٠٤.

٣- التنبيه و الاشراف / ٣١٣. بدلا من الجيش، و يظهر انه الاصح، لان الطبرى سبق ان قال فى ص:

الخلافة(١). و لذلك فان ايعاز المتوكل على الله بقتله في سنة ٢٣٥ هـ و محاوله الفتك بوصيف و بغا، يدل على عزمه اضعاف شأنهم و سلطانهم. الا ان هذه السياسه جعلت القواد ينقمون عليه، و اخذوا يستغلون سوء علاقته بابنه المنتصر، و يحرضون الأخير على الفتك بابيه و تولى الخلافة مكانه، و سبق لهم ان قرروا قتله عند ما انتقل الى دمشق(٢).

و كان بغا الصغير قد استوحش من المتوكل على الله و مال الى المنتصر الذي كان يعمل على اجتذاب القواد الاتراك اليه و استمالتهم، فلا يبعد المتوكل على الله احدا منهم الا و استماله اليه، و كان اوتامش غلام الواثق بالله يعاونه في ذلك(٣).

و هكذا كان المتوكل على الله و المواليون له و على رأسهم الوزير عبد الله بن يحيى، و الفتح بن خاقان، يسعون للفتك بالمنتصر و وصيف و بغا و غيرهما من قادة الاتراك. كما واعد المنتصر القواد الاتراك و على رأسهم وصيف على قتل الخليفه. فكان السبق لتدبير الاتراك. و كان السبب المباشر لقتله انه كان امر بانتزاع ضياع وصيف باصبهان و الجبل و اقطاعها للفتح بن خاقان(٤). فلما بلغ ذلك وصيفا ثارت ثائرتة و استعجل جماعته في التخلص من الخليفه. فهياً بغا الصغير باغر التركي و آخرين من

- 
- ١- الطبرى ١٦٧ / ٩، و الكامل ٤٣ / ٧، و تجارب الامم ٥٤٢ / ٦ و فيه الحبس ١٦٦، و كان من اراد المعتصم و الواثق قتله، فعند ايتاخ يقتل و بيده يحبس.
  - ٢- مروج الذهب ١١٥ / ٤.
  - ٣- مروج الذهب ١٢١ / ٤.
  - ٤- الطبرى ٢٢٢ / ٩، و تجارب الامم ٥٥٤ / ٦.

الجند الاتراك ممن يثق بهم، فاقترحوا مجلس المتوكل على الله وقتلوه، وقتلوا معه الفتح بن خاقان.

و حمل بغا الصغير الخبر الى المنتصر الذى ارسل الى وصيف ان الفتح بن خاقان قد قتل ابى فقتلته، و امره ان يذيع ذلك فى اصحابه. و حضر القواد الموالون للمنتصر و اصحابهم و بايعوه بالخلافه. و عند ما حضر الناس من القواد و الكتاب و الوجوه و الجند صباح اليوم التالى الى الجعفرىه للبيعه العامه، قرأ عليهم احمد بن الخصيب كتابا يخبر فيه عن المنتصر ان الفتح بن خاقان قتل المتوكل على الله فقتله به، فبايع الحاضرون(١).

و يقال ان خبر التآمر على المتوكل على الله كان قد بلغ مسامع عبيد الله بن يحيى فشاور الفتح بن خاقان فى احاطه الخليفه بما يدبر له، و اتفقا على كتمان الأمر عنه لما رأيا من سروره فى ذلك اليوم و كرها ان ينغصا عليه سروره، و انهما واثقان بانه لا يستطيع احد ان يتجاسر على مثل هذا العمل(٢). الا ان مما يضعف هذا القول ان سير الوقائع يدل على انهما لم يكونا يعلمان شيئا عن المؤامره، اذ لو علما بها لاتخذوا من وسائل الحيطه ما يستلزم لحمايه مجلس الخليفه و تشديد حراسته و افشال المؤامره.

و يروى ان المتوكل على الله رأى قبيل وفاته حلما تشاءم منه، اذ رأى كان دابه تكلمه، فسأل جلساءه عن تفسيره ففسره له احدهم بشىء آخر، ثم قال لبعض من حضر: لقد حان رحيله،

١- الطبرى ٩/ ٢٣٤، و تجارب الامم ٦/ ٥٥٧.

٢- الطبرى ٩/ ٢٢٨، و تجارب الامم ٦/ ٥٥٦.

لقوله تعالى «و اذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابه من الأرض تكلمهم»<sup>(١)</sup>.

و هناك شبه اتفاق فى اليوم الذى قتل فيه و هو ليله الاربعاء لأربع خلون من شوال، و قيل ليله الخميس<sup>(٢)</sup>. اما مده خلافته فقد كانت اربع عشره سنه و عشره اشهر و بضعه ايام<sup>(٣)</sup>. و يقال انه لم يكن المتوكل على الله يوما اشد سرورا منه فى اليوم الذى قتل فيه، فلقد اصبح فى هذا اليوم نشيطا فرحا مسرورا، و قال:

كأنى اجد حركه الدم، فاحتجم فى ذلك اليوم، و احضر الندماء و الملهين، فاشتد سروره و كثر فرحه<sup>(٤)</sup>. و عند دفنه لف هو و الفتح بن خاقان فى بساط و دفنا بدمائهما من غير تغسيل فى قبر واحد<sup>(٥)</sup>. و كان دفنه فى قصره المعروف بالجعفرى<sup>(٦)</sup>.

١- شذرات الذهب ٢ / ١١٦. و الآيه رقم (٨٢) من سوره النمل.

٢- الطبرى ٩ / ٢٣٠، و مروج الذهب ٤ / ١١٨، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٩٢، و الكامل ٧ / ١٠٠.

٣- الطبرى ٩ / ٢٣٠، و مروج الذهب ٤ / ٨٥، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٩٢، و الكامل ٧ / ١٠٠.

٤- مروج الذهب ٤ / ١٢١.

٥- النجوم الزاهره ٢ / ٣٢٤.

٦- تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٩٢.

## الفصل الخامس المنتصر بالله ابو جعفر محمد بن جعفر المتوكل على الله

### ١- مبايعته:

سبق ان ذكرنا ان الخليفه المتوكل على الله كان قد عقد البيعه بولايه العهد لثلاثه من بنيه، اولهم محمد و سماه المنتصر، و اقطعه اجزاء معينه من المملكه. كما اشرنا الى انه غضب عليه مؤخرا للاسباب التى ذكرناها، بحيث اخذ المتوكل على الله يجاهر ببغضه لابنه المنتصر، و قد اشهد جماعه الحاضرين فى مجلسه على خلعه من ولايه العهد(١). مما دفع المنتصر الى الاتفاق مع عدد من قادة الاثراك الناقمين على ابيه، على العمل للفتك به و التخلص منه. و عند ما اتم المتامرون قتل المتوكل على الله خرجوا الى المنتصر بالله و سلموا عليه بالخلافه. و بادروا الى اخذ البيعه من الحاضرين الآخرين.

و قد تمت بيعه المنتصر بالله على دفعتين، الاولى فى ليله الاربعاء- ليله مقتل ابيه- و الثانى فى صباح اليوم التالى لأربع خلون من شوال و قيل لثلاث خلون منه(١). و كان قد بايعه ليله الاربعاء القواد و غيرهم من المتآمرين حالما تم القضاء على المتوكل على الله، و منهم بعلون و باغر و هارون بن صوارتكين و بعا الشرابى و واجن و عدد من اولاد وصيف، و هم الذين تولوا عمليه اقتحام مجلس الخليفه و الاجهاز عليه، و كذلك وصيف و اصحابه الذين حضروا بعد نجاح العمليه، كما حضر المعتز و المؤيد، و اخبرا بان اباهما شرق بكأس شربه و مات لساعته، فبايعا اخاهما المنتصر(٢). و كانت هذه المبايعه الخاصه للمنتصر.

اما فى بيعه صباح الاربعاء، و هى البيعه العامه، فقد حضر الى الجعفرى القواد و الكتاب و الوجوه و الجند و غيرهم. فقرأ عليهم احمد بن الخصيب الذى اتخذه المنتصر وزيراً، كتاباً يخبر فيه عن المنتصر بالله ان الفتح بن خاقان قتل اباه المتوكل على الله فقتله به، فبايع الحاضرون. و كان عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل على الله من المبايعين فى هذا اليوم. و لما شاع الخبر غداه اليوم التالى فى اهل سامرا بمقتل المتوكل على الله، ظهرت بعض الأصوات المعارضه لمبايعه المنتصر بالله. فقد تجمع قسم من الجند و الناس بباب العامه و ازدحموا محتجين و مستنكرين مما اضطر الخليفه الجديد ان يوعز الى فريق من الجند فتولوا دفع الناس و تفريق جمعهم بعد ان قتل منهم بضعة انفار(٣). و كان

١- الطبرى ٩/ ٢٣٤، و تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٩٣، و مروج الذهب ٤/ ١٢٩.

٢- الطبرى ٩/ ٢٢٧- ٢٢٨ و ٢٣٦، و الكامل ٧/ ١٠٣- ١٠٤.

٣- الطبرى ٩/ ٢٣٩، و الكامل ٧/ ١٠٥.



قد عرض جمع من الجند على الوزير عبيد الله بن يحيى ان يثوروا بالمنتصر بالله و يقتلوه و اتباعه، فرفض ذلك لأنه رأى ان البيعه قد تمت و لا سيما و ان المعتز قد بايع اخاه(١).

و بالنظر لهذه الظروف التى احاطت ببيعه المنتصر بالله فقد اراد مؤيدوه اثبات حقه الشرعى فى الخلافه بموجب عهد مكتوب تمت المبايعه وفق ما جاء فيه. و فيما يلى اهم ما جاء فى كتاب البيعه التى اخذت له(٢):

بسم الله الرحمن الرحيم. تبايعون عبد الله المنتصر بالله امير المؤمنين ببيعه طوع و اعتقاد و رضا و رغبه باخلاص .. على ان محمدا الامام المنتصر بالله عبد الله و خليفته المفترض عليكم طاعته و مناصحته و الوفاء بحقه و عقده .. و على السمع له .. و الوقوف عند كل ما يأمر به .. و على انكم اولياء اوليائه و اعداء اعدائه من خاص و عام .. و تتمسكون ببيعته بوفاء العقد و ذمه العهد ..

و على ان لا- تسعوا فى نقض شىء مما اكده الله عليكم .. و على ان لا تبدلوا و لا يرجع منكم راجع عن نيته .. اذ كان الذين يبايعون منكم امير المؤمنين انما يبايعون الله .. عليكم بذلك ربما أكدت هذه البيعه فى اعناقكم ... ان تسمعوا ما اخذ عليكم فى هذه البيعه و لا تبدلوا، و ان تطيعوا و لا تعصوا .. و ان تتمسكوا بما عاهدتم عليه .. لا يقبل الله منكم فى هذه البيعه الا الوفاء بها ... فمن نكث منكم .. فكل ما يملك كل واحد ممن خان فى ذلك بشىء نقض عهده من مال او عقار او سائمه او زرع او ضرع صدقه على المساكين .. و كل مملوك يملكه الى ثلاثين سنه

١- الطبرى ٩ / ٢٢٩، تجارب الامم ٦ / ٢٥٧.

٢- نص كتاب البيعه فى الطبرى ٩ / ٢٣٧ - ٢٣٩.

من ذكر او انثى احرارا لوجه الله، و نساؤه فى يوم يلزمه الحنث و من يتزوجه بعدهن الى ثلاثين سنه طوالق البته .. و عليه المشى الى بيت الله الحرام ثلاثين حجه، لا- يقبل الله منه الا- الوفاء بها، و هو برى ء من الله و رسوله، و الله و رسوله بريئان منه .. و الله عليكم بذلك شهيد و كفى بالله شهيدا:

و بعد ان تمت البيعه للمنتصر بالله امر باعطاء الجند ارزاق عشره اشهر(١).

## ٢- صفاته و سيرته:

اسمه محمد و كنيته ابو جعفر و قيل ابو عبد الله و قيل ابو العباس(٢). و لقبه ابوه المنتصر بالله حينما عقد له البيعه بولاية العهد. و امه ام ولد روميه اسمها حبشيه، و كانت تحبه كثيرا، و قد حزنت عليه حزنا شديدا لما مات و طلبت ان يبني له قبر ظاهر مشهود. و يقال انه اول خليفه عباسى عرف قبره(٣).

اى انه اول من بنى له قبر مشهود من خلفاء سامرا.

اقام المنتصر بالله بعد توليه الخلافه بالجعفرية ثم تحول عنها بعد عشره ايام، بعياله و قواده و جنده الى سامرا(٤). و سنأتى على تفصيل ذلك فى الفصل الخاص بتأسيس مدينه الجعفرية.

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩٣.

٢- تاريخ بغداد ٢ / ١١٩، و الكامل ٧ / ١١٤، و فيه اسمه احمد، و يرجح ان ذلك خطأ مطبعى.

٣- الطبرى ٩ / ٣٥٤، و مروج الذهب ٤ / ١٣٤، و تجارب الامم ٦ / ٥٦١، و تاريخ بغداد ٢ / ١٢١.

٤- الطبرى ٩ / ٢٣٤، و مروج الذهب ٤ / ١٣٠، و فيه انه تحول بعد سبعة ايام.

اما وصف المنتصر بالله فتتفق المصادر على انه كان اسمر حسن الوجه، قصير القامه جسيما، عظيم البطن، ضخم الهامه، أعين اقنى، و على عينه اليمنى اثر اصابه من وقعته في صغره(١).

و قد وصف المسعودى اخلاقه وصفا دقيقا شاملا بقوله «و كان المنتصر واسع الاحتمال، راسخ العقل، كثير المعروف، راغبا فى الخير، سخيا، اديبا، عفيفا. و كان يأخذ نفسه بمكارم الاخلاق، و كثره الانصاف، و حسن المعاشره، بما لم يسبقه خليفه الى مثله»(٢). و قيل عنه انه كان الى جانب ذلك فاتكا سفاكا للدم(٣). و مع ان المسعودى يتفق بوصفه اخلاق المنتصر بالله مع من وصفها من المؤرخين الا انه يتهمه بالبخل فيقول «كان ذا شهامه و معرفه و امساك للمال، و حفظ له حتى انكر الناس عليه شده البخل و شده المنع»(٤). و مما يؤيد هذا ما رواه الطبرى عن بنان بن عمرو المغنى و كان من اخص الناس بالمنتصر بالله، و هو خليفه، ان يهبنى ثوب ديباج، فقال لى: أو خير لك من الثوب الديدباج؟ قلت ما هو؟ قال: تتمارض حتى اعودك، فانه سيهدى لك اكثر من الثوب الديدباج. الا انه مات فى تلك السنه و لم يصل شىء الى بنان(٥). لا شك فى ان هذ الخبر ينطوى على شىء من خله الامساك فى المنتصر بالله، اذ لم تجد

١- التنبيه و الاشراف / ٣١٤، و تاريخ بغداد ٢ / ١١٩ - ١٢٠، و الكامل ٧ / ١١٥، و الذهب المسبوك / ٢٢٧.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٣٤ - ١٣٥.

٣- الكامل ٧ / ١١٦.

٤- التنبيه و الاشراف / ٣١٤.

٥- الطبرى ٩ / ٢٥٥.

نفسه بثوب ديباج لاقرب المغنين له، و حاول ان يعوضه بما يهديه اليه الآخرون عند مرضه. و قد يكون اراد بهذا ان يظهر اكرامه له بعيادته عند مرضه و ان يجعل الآخرين يكرمونه ايضا، و هذا ما يتفق مع اخلاق المنتصر بالله و صفاته.

الا- انه يقابل هذا ان المسعودى نفسه يروى خبرين يدلان على كرم المنتصر بالله فقد روى عن على بن يحيى المنجم، و كان نديما لعدد من الخلفاء، انه احب ان يشتري ضيعه مجاوره لضيعة و لم يزل يبذل جهده لدى مالكها حتى اجابه الى بيعها.

الا- انه لم يكن يملك قيمتها حينذاك، مما اقلقه من ان تفوته فرصه تحقيق امنيته. و عند ما حضر مجلس المنتصر بالله لاحظ الخليفه ما ظهر على نديمه من قلق و انشغال بال. فلما علم منه السبب استفسر عن قيمه الضيعة و ما مقدار ما يعوزه لشرائها.

فلما عاد ابن المنجم الى بيته رأى ان الخليفه كان قد ارسل المبلغ الذى يعينه على شراء الضيعة، و يقول انه لما بكر الى المنتصر بالله فى اليوم التالى لم يذكر عن الأمر شيئا(١).

و روى ايضا ان المنتصر بالله لما كان اميرا، بعث احد رجاله و اسمه سعيد بن محمد الصغير الى مصر فى بعض اموره. فعشق سعيد جاريه التقى بها هناك الا انه عجز عن شرائها. فلما علم المنتصر بالله بشده ولعه بها كتب الى عامل مصر فى ابتياعها و حملها الى سامرا، دون ان يعلم سعيد بشىء من ذلك. فلما وصلت الجاريه اهداها اليه(٢). يستدل من هذين الخبرين ان المنتصر بالله لم يكن بخيلا شديد المنع، بل انه كان مدبرا غير

١- مروج الذهب ٤ / ١٣٧ - ١٣٨.

٢- نفس المصدر / ١٤١ - ١٤٢.

مسرف، و ان كرمه من النوع الذى لا يريد صاحبه ان يتفاخر به.

و لعل اعطيته الى المغنين و مادحيه من الشعراء تدل على جوده و كرمه. و كان من نتيجته تدبيره فى الانفاق انه عند ما توفى كان فى بيت المال الف الف دينار، ففرق المستعين بالله الجميع فى الجند(١).

لقد اشتهر عن المنتصر بالله انه كان عادلا منصفا بحيث مالت اليه قلوب الناس من الخاصه و العامه، مع شدة تهيبها منه(٢).

و من اقواله الداله على سماحته و علو همته، ما رواه وزيره احمد بن الخصيب انه قال حين عفا عن الشارى التائر: ان لذه العفو اعذب من لذه التشفى، و اقبح افعال المقتدر الانتقام(٣). و من اقواله ايضا: و الله ما عز ذو باطل و لو طلع القمر من جبينه، و لا ذل ذو حق و لو صفق العالم عليه(٤). و من مظاهر انصاف المنتصر بالله انه صالح اخوته و اخواته على تركه ابية من الفرش و الرقيق و الدواب بمبلغ اربعة و عشرين الف الف درهم، و انه اشهد عليهم بذلك(٥).

كان المنتصر بالله قد نقش على خاتمه عند ما بويع بالخلافه «محمد بالله ينتصر»(٦). و يظهر مما جاء فى العقد الفريد ان

١- النجوم الزاهره ٢/ ٣٢٨، و الذخائر و التحف / ٢٢٠ و فيه الف الف درهم.

٢- مروج الذهب ٤/ ١٣٧، و تاريخ الخلفاء / ٣٥٧.

٣- مروج الذهب ٤/ ١٧٧، و البصائر و الذخائر ٢/ ٥٢٧ و جاء فيه كما يلى: لذه العفو احبب من لذه التشفى يلحقها الندم.

٤- الكامل ٧/ ١١٦، و تاريخ بغداد ٢/ ١٢٠، و فيه: و لو اطبق بدلا من و لو اصفق. و الذهب المسبوك / ٢٧٧ و فيه: ما ذل ذو حق و ان اطبق الناس عليه و ما عز ذو باطل و لو طلع القمر بين عينيه.

٥- الذخائر و التحف / ٢٢٠.

٦- التنبيه و الاشراف / ٣١٤.

خاتمين آخرين، نقش على احدهما «يؤتى الحذر من مأمنه» و على الآخر «انا من آل محمد، و الله ولى محمد»<sup>(١)</sup>. و قد يكون اتخذ الخاتم الأخير ليدل على ولائه لآل البيت و حبه للعلويين و عطفه عليهم. على ان الخطيب البغدادي يذكر ان نقش خاتمه كان «محمد رسول الله» و ان له ختما آخر نقش عليه «المنتصر بالله»<sup>(٢)</sup>.

### ٣- ولاية العهد:

بعد ان استتب الامر للمنتصر بالله اخذ الوزير احمد بن الخصيب يحذر القواد الذين تأمروا على اغتيال المتوكل على الله من انتقام ابناؤه الآخرين اذا ما تولى احدهم الخلافة، و لا سيما المعترز ولى العهد و المؤيد الذي كان يليه فى ولاية العهد. مما جعلهم يتوجسون خيفة منهما، و يرون ان سلامتهم و امنهم رهينان بابعادهما عن تولى الخلافة. و قد سبق ان ذكرنا ان المتوكل على الله قد اخذ العهد لاولاده الثلاثة بكتب كتبها و شروط اشراطها، و خصص لكل منهم جزء من اقاليم الدولة، و جعل محمد المنتصر ولى عهده و بعده المعترز ثم يليه المؤيد. و اخذت البيعة بهذا على الناس. و لذا عمل ابن الخصيب و القواد الاتراك على خلع الاخوين من ولاية العهد ليأمنوا انتقامهما لأبيهما، و الحوا على المنتصر بالله فى الأمر و زينوا له ان يولى ابنه عبد الوهاب العهد من بعده.

١- العقد الفريد ٥/ ١٢٣.

٢- تاريخ بغداد ٢/ ١٢٠.

و كان المتتصر بالله، رغم تظاهره بحب اخويه و التودد لهما، يحقد عليهما لأن اباه كان يحسن معاملتهما و يفضلهما عليه و بخاصه المعتز، و لذلك فقد استجاب للطلب. و امر بالطلب الى اخويه ان يخلعا نفسيهما من ولايه العهد. فوافق المؤيد و تردد المعتز غاضبا، الا ان اخاه استطاع ان يقنعه حينما وضعه امام امر لا مفر منه، اذ قال له «هذا الامر قتل اباك فليتة لا يقتلك، اخلعه و يلك، فوالله لئن كان في سابق علم الله ان تلى لتلين»<sup>(١)</sup>.

فاجاب بالموافقه ايضا. و كتب كل منهما كتابا يخلع فيه نفسه من ولايه العهد و يحل الناس منها، بموجب صيغته املاها عليهما كاتب الخليفه.

و لما دخل الاخوان على اخيهما الخليفه ليعلماه بموافقتهما على التنازل عن ولايه العهد رحب بهما و اظهر لهما انه قام بذلك حرصا على حياتهما و ليس طمعا في نقل ولايه العهد الى ابنه، اذ قال «أترياني خلعتكما طمعا في ان اعيش حتى يكبر ولدى و اباع له، و الله ما طمعت في ذلك ساعه قط، و اذا لم يكن في ذلك طمع، فوالله لا ين يليها بنو ابي احب الى من ان يليها بنو عمى، و لكن هؤلاء- و اوما الى سائر الموالى ممن هو قائم و قاعد- الحوا علىّ في خلعتكما، فخفت ان لم افعل ان يعترضكما بعضهم بحديده، فيأتى عليكما. فما ترياني صانعا، أقتله؟ فوالله ما تفى دماؤهم كلهم بدم بعضكم، فكانت اجابتهم الى ما سألوا اسهل علىّ»<sup>(٢)</sup>.

١- الطبرى ٩ / ٢٤٥.

٢- الطبرى ٩ / ٢٤٥ - ٢٤٦.

و عند ما حضرا للتنازل، كان اعوان المنتصر بالله قد احضروا الامراء من بنى هاشم، و كبار القواد، و رؤوساء الدواوين، و القضاة، و صاحب الشرطه، و وجوه الحرس و غيرهم، ليشهدوا خلع المعتز و المؤيد نفسيهما. و كانت صيغه الكتاب بالتنازل الذى املى عليهما هي (١) «بسم الله الرحمن الرحيم: ان امير المؤمنين المتوكل على الله رضى الله عنه قلدى هذا الأمر و بايع لى و انا صغير من غير ارادتى و محبتى، فلما فهمت امورى علمت أنى لا- اقوم بما قلدى، و لا اصلح لخلافه المسلمين. فمن كانت بيعتى فى عنقه فهو من نقضها فى حلّ، و قد احللتكم منها، و ابرأتكم من ايمانكم، و لا عهد لى فى رقابكم، و انتم براء من ذلك».

و قرأ الرقاع الوزير احمد بن الخصيب. ثم قام كل واحد منهما و قال للحاضرين: هذه رقعتى، و هذا قولى، فأشهدوا علىّ، و قد ابرأتكم من ايمانكم و حللتكم منها (٢).

و أمر الخليفة ان يكتب الى خليفته ببغداد محمد بن عبد الله بن طاهر يعلمه بتنازل اخويه عن ولايه العهد التى عقدها ابوهما لهما من بعده، و امره ان يكتب بذلك الى جميع العمال و يوعز اليهم بالعمل بموجه، و هو كتاب مطول جاء فيه (٣) «اما بعد ..

و قد علمت ما حضرت من رفع ابى عبد الله و ابراهيم ابنى امير المؤمنين المتوكل على الله الى امير المؤمنين رقعتين بخطوطهما، يذكران ان فيهما ... انهما قد خلعا انفسهما من ولايه العهد و خرجا منها، و جعللا كل من لهما عليه بيعه و يمين ... فى حل

١- نفس المصدر / ٢٤٦.

٢- نفس المصدر / ٢٤٦ - ٢٤٧.

٣- نفس المصدر / ٢٤٧ - ٢٥٠.



وسعه من بيعتهم و ايمانهم، ليخلفوهما كما خلعا انفسهما ..

و يسألان امير المؤمنين ان يظهر ما فعلاه و ينشره .. و ان امير المؤمنين وقف على صدقهما فيما ذكرا و رفعها .. و رأى امير المؤمنين ان يجمع فى اجابتهما الى نشر ما فعلاه و اظهاره .. و أمر أمير المؤمنين بانشاء الكتب بذلك الى جميع العمال ليتقدموا فى العمل بحسب ما فيها، و يخلعوا ابا عبد الله و ابراهيم من ولايه العهد .. فاعلم ذلك و اكتب الى عمالك بنسخه كتاب أمير المؤمنين هذا اليك و اوعز اليهم فى العمل على حسبه».

و من الواضح ان عهد التنازل و كتاب الخليفه قد أعدا بصيغه شملت تنازلهما عن ولايه العهد و ما كان ترتب لهما من حقوق و امتيازات بموجبها. و قد صيغا بلغه متينه واضح لا تخلو من تكرار و تأكيد النقاط المهمه، و تتضمن من المواثيق ما يؤمن الغايه منها. كما تضمن الكتاب تأكيداً على سلطه الخليفه المطلقه. و بتنازل ابني المتوكل على الله عن حقوقهما فى ولايه العهد حقق القواد الاتراك مكسبا جديدا فى السيطرة على شؤون الخلافه. و كما استطاعوا التخلص من المتوكل على الله استطاعوا ازاحه من لا يرغبون به من ابناؤه عن ولايه العهد. و بذلك ضمنوا سيطرتهم على تعيين الخليفه الذى سيعقب المنتصر بالله عند وفاته.

#### ٤- وفاه المنتصر بالله:

هناك عدّه روايات قيلت عن سبب وفاه الخليفه المنتصر بالله، يستتج منها ان وفاته لم تكن طبيعیه. فقد قال بعضهم انه

اصابته الذبيحة فى حلقة (١). وقيل ان علتة كانت من ورم فى معدته ثم تصعد الى فؤاده فمات (٢). وقال آخرون انه وجد حراره فدعا ببعض من يتطبب له و امره بفصده، ففصده بمبضع مسموم فكانت فيه منيته (٣). و ذكر انه وجد عله فى رأسه فقطر طبيبه ابن الطيفورى دهنًا فى اذنه فورم رأسه، و عوجل فمات (٤). كما ذكر سبب آخر لموته هو ان المنتصر بالله ضربته الريح، فقد لعب كره الصولجان و انصرف من الميدان و هو عرق فدخل الحمام، و لما خرج منه نام فى البادهنج فضربه الهواء و ركبتة حمى عاليه. و لما عاتبه وزيره ابن الخصيب على ذلك، اجابه بالا- يخاف عليه من الموت، لأنه رأى فى منامه امس من اخبره بأنه سيعيش خمسًا و عشرين سنه، و ذلك يعنى انه سيبقى فى الخلافه هذه المده (٥). و يبدو انه فسر حلمه كما كان يحلو له و يتمناه. غير ان الطبرى يذكر هذا الحلم بشكل آخر خلاصته ان المنتصر بالله رأى فى منامه أنه صعد درجا حتى انتهى الى خمس و عشرين مرقاه منه، فقيل له: قف فهذا آخر عمرك (٦).

على ان روايه موته بالسم يؤكدها اكثر من ذكروا اسباب وفاته من المؤرخين (٧). و هم يعزون ذلك الى القواد الاتراك

- 
- ١- الطبرى ٩ / ٢٥١، و تاريخ بغداد ٢ / ١٢١، و تجارب الامم ٦ / ٥٦٠، و تاريخ الاسلام ١ / ١٠٩ و فيه انه مات بالخوانيق.
  - ٢- نفس المصادر.
  - ٣- نفس المصادر.
  - ٤- الطبرى ٩ / ٢٥٢، و تجارب الامم ٦ / ٥٦١، و الكامل ٧ / ١١٤.
  - ٥- مروج الذهب ٤ / ١٣٣. و البادهنج هو المنفذ الذى يدخل منه الهواء الى الغرفه.
  - ٦- الطبرى ٩ / ٢٥٣.
  - ٧- الطبرى ٩ / ٢٥٢، و مروج الذهب ٤ / ١٣٤، و تجارب الامم ٦ / ٥٦٠، و تاريخ بغداد ٢ / ١٢١، و الكامل ٧ / ١١٥.

الذين اخذوا يتوجسون منه. و يظهر ان المنتصر بالله اخذ يشعر بالندم و تأنيب الضمير لمساهمته فى مؤامره قتل ابيه. لا سيما و ان الأمر انتشر بين الناس عامتهم و خاصتهم بأنه قاتل ابيه، و ان مده حياته لا تطول اكثر من سته اشهر بعد ابيه، و هى المده التى عاشها شيرويه الفارسى قاتل ابيه. و هناك قصه تروى عن بساط كان مفروشا فى احد الأروقه فى القصر، و عليه صوره فرس عليه راكب و على رأسه تاج، و حول الصوره كتابه بالفارسيه، لفتت نظر المنتصر بالله، فترجمت له. فاذا هى صوره شيرويه قاتل ابيه ابرويز الملك و انه عاش بعده سته اشهر، فلما سمع ذلك تغير وجهه و قام من مجلسه(١). و يظهر من روايه المسعودى للخبر ان البساط المذكور كان تحت المتوكل على الله ليله اغتياله، و عليه آثار من الدماء(٢). و لعل ذلك كان مبعث تشاؤم المنتصر بالله و تغير وجهه.

لا شك فى ان الشعور بالذنب او الندم هو ضريبه الجريمه.

و كلما اعتقد المجرم بعظم جرمه و فداحه ما ارتكبه من اثم ازداد هذا الشعور، فيعيش صاحبه فى جو خائق من الخوف و القلق، مما يسبب له آلاما نفسيه مبرحه، و توترا عصيبا مستمرا. و قد كثرت نتيجه لوضع المنتصر بالله النفسى احلامه التى كانت انعكاسا لشعوره بالأثم و ندمه على فعلته. و كان لهذا الوضع النفسى السىء الذى صار اليه المنتصر بالله رد فعل شديد تمثل بحنقه الزائد على القواد الاتراك و بخاصه اولئك الذين قتلوا ابا.

١- تفصيل قصه البساط فى: مروج الذهب ٤ / ١٣٠-١٣١، و نشوار المحاضر ٥ / ١٨٣-١٨٤ و فيه ان صاحب الصوره هو شيرويه

بن كسرى هرمرز.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٣١.

فلما شعر اولئك القواد بتغير شعور المنتصر بالله تجاههم اخذوا يتحينون الفرصه للتنكيل به و التخلص منه قبل ان يبدهم.

فجعلوا لخدام له ثلاثين الف دينار على ان يحتال فى سمه، و جعلوا لأبن طيفور الطيب الذى كان يشرف على شؤون الخليفه الصحيه، جملة من المال للغرض نفسه (١). فاتفق الطيب و الخادم على ان يدسوا له السم فى كمثراه ناضجه قدمت للمنتصر بالله، اذ كان يحب الكمثرى و يكثر من اكلها اذا قدمت له مع الفاكهه.

فلما اكلها وجد حراره فعالجه ابن طيفور بالحجامه و الفصد، و كانت الاتهما مسمومه فكان فى ذلك موته (٢). و يقال ان ابن طيفور القى المبضع المسموم بين مباحه الاخرى، ثم انه بعد مده وجد حراره فدعا تلميذا له ليفصده، فنظر فى المباح فلم يجد أحد من ذلك المبضع و لا اجود، ففصده به فمات (٣).

و يرجح ان فى هذا الخبر مبالغه لأن المبضع المسموم قد نفذ سمه باستخدامه فى المره الاولى، و قد يكون هذا القسم من روايه سم المنتصر بالله بالفصد، قد اضيف بغرض التأكيد على ان المبضع الذى استخدم فى فصده كان مسموما.

ان تعدد الاسباب التى ذكرت لموت المنتصر بالله، يبدو و كأنها اشيعت للتغطيه على سبب موته الحقيقى. و هو ان الطيب المتوطىء مع القواد الأتراك قد سمه بالسم المعروف آنذاك و هو الزرنيخ. و كان قد استغل اصابته بالبرد الشديد- و ربما كان

---

١- الطبرى ٢٥٢ / ٩ - ٢٥٣، و فوات الوفيات ٣٧٢ / ٢، و تاريخ الاسلام ١ / ١٠٩. و فى المصدرين الاخيرين ان الاتراك جعلوا للطيب ثلاثين الف دينار.

٢- الطبرى ٢٥٣ / ٩، و الكامل ١١٤ / ٧، و شذرات الذهب ١١٩ / ٢.

٣- الطبرى ٢٥٣ / ٩، و تجارب الامم ٥٦٠ - ٥٦١، و الكامل ١١٤ / ٧.

قد اصيب بذات الرئه- و بقاءه فى الفراش قرابه عشره ايام، فاخذ يعطيه جرعات منه يوميا مع الدواء الذى كان يسقيه اياه.

و لما قارب جسم المنتصر بالله ان يستوفى من كميه الزرنيخ ما يكفى لقتله اظهر الطيب ان ما وضعه من السم فى الكمثرى سيؤدى الى موته.

اما تاريخ وفاته فتكاد تتفق المصادر على انه توفى يوم الأحد لخمس خلون من ربيع الآخر سنه ٢٤٨ هـ (١). و كانت وفاته بالقصر المحدث بسامرا (٢). و يقال انه لما حضرته الوفاة قال: (٣).

فما فرحت نفسى بدنيا أخذتهاو لكن الى الرب الكريم أصير

و جاء ذلك فى فوات الوفيات كما يأتى: (٤).

فما متعت نفسى بدنيا احبتهاو لكن الى الرب الكريم اصير

و ما كان ما قدمته رأى فلتهو لكن بفتياها اشار مشير

و هو يشير بهذا الى ندمه و طلبه المغفره، و الى الفتوى التى حصل عليها من بعض الفقهاء عند ما استفتاهم فى قتل ابيه من غير

١- الطبرى ٩ / ٢٥١، و مروج الذهب ٤ / ١٤٤، و تاريخ بغداد ٢ / ١٢١، و الكامل ٧ / ١١٤ و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٣ و فيه انه توفى يوم السبت لاربع خلون من ربيع الآخر.

٢- الطبرى ٩ / ٢٥٤.

٣- نفس المصدر / ٢٥١.

٤- فوات الوفيات ٢ / ٣٧٣.

ان يسميه، و حكى عنه امورا قبيحه(١). لم تفصح عنها المصادر التى اطلعنا عليها.

و قد اختلف المؤرخون فى مقدار عمر المنتصر بالله عند وفاته. فان كلا من الطبرى و يعقوبى و الخطيب البغدادى و مسكويه و المسعودى و ابن الأثير يرون انه توفى و عمره خمس و عشرون سنه و سته اشهر(٢). الا ان الطبرى و الخطيب البغدادى يستدركان و يقولان: بل كان عمره اربعا و عشرين سنه(٣). كما ان المسعودى يذكر فى كتابه التنبيه و الاشراف انه توفى و عمره ثمان و عشرون سنه(٤). و يقول ابن عبد ربه ان عمره كان ستا و عشرون سنه الا ثلاثه اشهر(٥). اما الذهبى فيرى انه توفى و عمره ست و عشرون سنه(٦).

و يعود سبب الاختلاف فى مقدار عمر المنتصر بالله الى عدم التثبت من تاريخ ميلاده. فان الخطيب يقول ان مولده كان فى ربيع الآخر من سنه ٢٢٢ هـ(٧). بينما يرى ابن عبد ربه انه ولد فى ربيع الاول من السنه المذكوره(٨). اما صاحب خلاصه الذهب المسبوك فيقول انه ولد فى سنه ٢٢٤ هـ(٩).

- 
- ١- الطبرى ٢٥٢ / ٩، و تجارب الامم ٥٦١ / ٦.
  - ٢- الطبرى ٢٥٣ / ٩، و تاريخ يعقوبى ٤٩٣ / ٢، و تاريخ بغداد ١١٩ / ٢، و تجارب الامم ٥٦١ / ٦، و مروج الذهب ١٢٩ / ٤، و الكامل ١١٥ / ٧.
  - ٣- الطبرى ٢٥٣ / ٩، و تاريخ بغداد ١٢٠ / ٢.
  - ٤- التنبيه و الاشراف / ٣١٤.
  - ٥- العقد الفريد ١٢٣ / ٥.
  - ٦- العبر ٤٥٣ / ١.
  - ٧- تاريخ بغداد ١١٩ / ٢.
  - ٨- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٧.
  - ٩- العقد الفريد ١٢٣ / ٥.

و رزق المنتصر بالله من الولد عليا و عبد الوهاب و عبد الله و احمد(١). و كانت مده خلافته سته اشهر(٢). و قد صلى عليه عند دفنه احمد بن محمد بن المعتصم بالله الذى تولى الخلافة بعده و لقب بالمستعين بالله. و دفن بسامرا بقبر ظاهر مشهود كما سبق ان اشرنا(٣) و كانت ولادته بسامرا كذلك(٤).

### ٥- المنتصر بالله و الاحلام:

مما يلفت النظر فى مده خلافة المنتصر بالله كثره الأحلام التى رآها هو بنفسه و رواها لحاشيته و المقربين اليه، و التى رآها اشخاص آخرون، و بعضهم مما كانت له علاقه بهم. و كلها تدور حول عمره و مده خلافته. اذ بالاضافه الى الحلم الذى سبق ان ذكرناه، فان المنتصر بالله انتبه ذات يوم من نومه و هو يبكى و ينتحب. فسأله نديمه و صاحبه عبد الله بن البازيار عما يبكيه، فقال: رأيت فى نومي كأن المتوكل على الله قد جاءنى و قال لى و يلك يا محمد قتلتنى و ظلمتنى و غبتنى فى خلافتى، و الله لا تمتعت بها الا اياما يسيره، ثم مصيرك الى النار. فانتبهت مذعورا لا املك عيني و لا جزعى. فقال له ابن البازيار مخففا عنه: هذه رؤيا و هى تصدق و تكذب، بل يعمرك الله و يسرك، ادع بالنبيذ و خذ فى اللهو و لا تعبا بها(٥).

١- العقد الفريد ٥/ ١٢٣.

٢- الطبرى ٩/ ٢٥٣-٢٥٤، و تاريخ يعقوبى ٢/ ٤٩٣، و مروج الذهب ٤/ ١٢٩ و تجارب الامم ٦/ ٥٦١.

٣- الطبرى ٩/ ٢٥٤، و مروج الذهب ٤/ ١٣٤، و تجارب الامم ٦/ ٥٦١، و الكامل ٧/ ١١.

٤- الطبرى ٩/ ٢٥٣، و الكامل ٧/ ١١٥، و خلاصه الذهب المسبوك/ ٢٢٧.

٥- الطبرى ٩/ ٢٥٢، و الكامل ٧/ ١١٥.

و ذكر عن احمد بن صالح صاحب المصلى انه قال: كان لابي مؤذن فرآه بعض اهلنا فى المنام كأنه أذن أذانا لبعض الصلوات، ثم دنا من بيت فيه المنتصر بالله فنادى يا محمد ان ربك بالمرصاد(١). وقال عبد الملك بن سليمان بن ابى جعفر: رأيت فى منامى المتوكل على الله و الفتح بن خاقان و قد احاطت بهما نار، و قد جاء المنتصر بالله فاستأذن عليهما، فممنع من الوصول اليهما، ثم اقبل المتوكل على الله على فقال لى يا عبد الملك قل لمحمد بالكأس الذى سقيتنا تشرب، فلما اصبحت غدوت على المنتصر بالله فوجوته محموما، فواظبت على عيادته فمات من ذلك المرض، و سمعته يقول فى مرضه عجلنا فعوجلنا(٢).

و كان وزير المنتصر احمد بن الخصيب غضب على احد عماله و قرر ان يصادره، فعلم ابن ذلك العامل ما ازمع عليه الوزير، فاراد ان يخبر اياه بذلك ليتخذ الحيطة. فزاره بعض كتاب الديوان و جلس عنده. يقول ابن العامل: و شغلت عن جليسى فاتكأ على الوساده و غفا، ثم انتبه مرعوبا و قال انه رأى رؤيا عجيبة، فقد رأى الوزير ابن الخصيب واقفا يقول: يموت الخليفه المنتصر بالله الى ثلاثه ايام. فقلت له: ان الخليفه فى الميدان يلعب بالصولجان و هذه الرؤيا ضرب من الأوهام. فما استتما كلامهما حتى دخل عليهما داخل يقول: ان الخليفه انصرف من الميدان و هو عرق فدخل الحمام و نام فى البادهنج فضربه الهواء، و ركبته حمى هائله(٣).

١- الطبرى ٩ / ٢٥٥.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٣٤.

٣- نفس المصدر / ١٣٣.



و يقال ان احد الكتاب رأى فى المنام فى الليله التى استخلف فيها المنتصر بالله كأن قائلاً يقول(١):

هذا الامام المنتصر و الملك الحادى عشر

فأمره اذا أمر كالسيف ما لاقى بتر

و طرفه اذا نظر كالدهر فى خير و شر

لا- غرابه فى حدوث الأحلام التى أشرنا اليها اذا ما نظرنا اليها على ضوء علم النفس الحديث. فأن الأفكار و الذكريات المؤلمه التى لا- يقوى الانسان على تحملها، اما لتألمه منها او لنفرته عنها، تتجمع بتأثير قوه نفسيه خفيه فى غياهب لا شعوره، و ذلك ما يدعى بالكبت. و ان بعض الرغبات و الأمنى التى يعلل الفرد بها نفسه و يتمناها فى يقظته، ثم يكتبها لسبب ما، فان الأحلام تتولى غالبا تحقيقها بالتعبير عنها بشكل صريح مكشوف، او بصوره رمزيه مقنعه تحتاج الى التفسير و التأويل. و هناك نوع من الاحلام ينبىء عن حوادث مقبله. و تقوم مثل هذه الاحلام على توقع الشخص لا شعوريا بحدوث امر معين، فيظهر له فى الحلم ما توقعه.

اما مجتمع سامرا الذى هزته حادثه اشتراك المنتصر بالله فى مؤامره اغتيال ابيه، و توليه الخلافه بعده، ثم شيوع قصه البساط و صوره الملك قاتل ابيه و موته بعده بسته اشهر، فقد شغلته هذه الأفكار. يقول الطبرى «و لم ازل اسمع الناس حين

افضت اليه الخلافه من لدن ولى الى ان مات يقولون: انما مده حياته سته اشهر، مده شيرويه: بن كسرى قاتل ابيه، مستفيضا ذلك على السن العامه و الخاصه»(١). بحيث كان الناس يلهجون بذلك فى مجالسهم و هم يتوقعون او يتمنون للمنتصر بالله ما اصاب شيرويه من قصر عمره و عدم تمتعه بالملك بعد ابيه، فكانوا يترقبون موته قريبا.

و بالنظر لفداحه الجرم الذى ارتكبه المنتصر بالله بحق ابيه، فان الناس كانوا يعتقدون ان الله تعالى له بالمرصاد، و ان مصيره سيكون الى النار. فكانت الاحلام التى رآها بعضهم هى انعكاسات لهذه الخواطر و الافكار و التمنيات التى يحاولون جهدهم ان يكتبوها خوفا من السلطه.

## الفصل السادس المستعين بالله ابو العباس احمد بن محمد بن المعتصم بالله

### ١- مبايعته:

بعد ان ارغم المنتصر بالله اخويه على التنازل عن ولايه العهد حاول القواد الاتراك ان يقنعوه بان يعهد الى ابنه عبد الوهاب. الا انه لم تتح له الفرصه ليعهد الى احد من بعده اذ ادركته المنيه بعد فتره وجيزه من تنازل اخويه (١). و عند وفاه المنتصر بالله اجتمع كبار القواد الاتراك: بغا الكبير و بغا الصغير و اوتامش و عدد من رجال الدوله و على رأسهم احمد بن الخصيب وزير الخليفه المتوفى، فى القصر الهارونى لاختيار خليفه. فاستحلف القواد الحاضرون من الاتراك و المغاربه على ان يرضوا بمن يرضى به بغا الكبير و بغا

---

١- تنازل المعتز و المؤيد لسبع بقين من صفر سنه ٢٤٨، و مات المنتصر لاربع خلون من ربيع الآخر- اى بعد اربعين يوما. الطبرى ٢٤٦ /٩ و ٢٥١ على التوالي.

الصغير و اوتامش(١). و كان ذلك بتدبير من الوزير لتأمين استمرار السلطه بيد قتله المتوكل على الله. و قد حرص هؤلاء على ان لا يتولى الخلايفه احد ابنائه. فاشار احمد بن الخصيبي على القواد الثلاثه بان يبايعوا ابا العباس احمد بن محمد بن المعتصم بالله(٢). فلما حضر ليبايعوه، قال: استعين بالله، فلقب بعد مبايعته بالمستعين بالله(٣). و قد برروا اختياره بانهم حرصوا على ان لا تخرج الخلايفه من ولد مولا هم المعتصم بالله(٤). و كانت تلك هي البيعه الخاصه للمستعين بالله.

و لما حضر المستعين بالله صباح اليوم التالي دار العامه، و قد لبس زي الخلايفه لمبايعته البيعه العامه، حضر القواد و كثير من بنى العباس و الطالبين و غيرهم. و يظهر ان اختيار ابي العباس لقي معارضه من بعض القواد فحرضوا عددا من الجنود و الفرسان فجاءوا الى الدار لبيدوا معارضتهم و تبعهم كثير من العامه، فشهروا السلاح و نادوا بمبايعه المعتز بالله، فشد عليهم المغاربه و الاشروسنيه الذين بايعوا المستعين بالله، و تمكنوا بواسطه بغا الصغير و جماعته من الأتراك من القضاء على هذه الحركه التي استمرت ثلاثه ايام و وقع فيها قتلى من الطرفين. و كان المواليون للمستعين بالله قد اخذوا له البيعه ممن حضروا الدار في ذلك اليوم(٥). و يقول

---

١- الطبرى ٩ / ٢٥٦.

٢- الطبرى ٩ / ٢٥٦، و تاريخ اليعقوبى ٨ / ٤٩٤ و النبراس / ٨٦ و جاء فيه ان احمد هو ابن محمد المعتصم بالله، و هو و اهم فى ذلك.

٣- تاريخ بغداد ٥ / ٨٤، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٨.

٤- الطبرى ٩ / ٢٥٦.

٥- نفس المصدر / ٢٥٧.

اليقوبى «و فرق المستعين فى الناس اموالا كثيره، و استقامت اموره»(١).

## ٢- صفاته و سيرته:

ولد المستعين بالله يوم الثلاثاء السابع من رجب سنة ٢٢١هـ (٢)، و امه جاريه صقلييه اسمها مخارق(٣). و كان المستعين بالله اطلق يدها و لم يمنعها من شىء تريده، فكانت شديد الاسراف، تحتجز أكثر الاموال التى تحمل الى بيت المال، و قد وجد فى خزائنها عند ما خلع الاتراك ابنها ما قيمته الف الف دينار(٤).

و عاشت بعد قتل ابنها مده.

اما صفات المستعين بالله الجسميه فقد كان ربعه خفيف العارضين، حسن الوجه، و بوجهه أثر جدرى، يلثغ فى السين نحو التاء(٥).

و يضيف المسعودى انه كان مسمنا اسود اللحيه(٦). اما عن سلوكه و سياسته فقد تفاوتت فيهما اراء المؤرخين، اذ وصفه المسعودى بانه كان شديد الخوف على نفسه فاداه خوفه و قله أمنه الى الهرب من دار ملكه فاديرت الأمور عنه(٧). الا انه قال عنه فى مكان آخر انه كان حسن المعرفه بأيام الناس و اخبارهم لهجا باخبار الماضين(٨).

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩٤.

٢- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٨، و تاريخ الخلفاء / ٣٥٨.

٣- مروج الذهب ٤ / ١٤٤، و تاريخ بغداد ٥ / ٨٤.

٤- الذخائر و التحف / ٢٣٨.

٥- تاريخ بغداد ٥ / ٨٥، و شذرات الذهب ٢ / ١٢٦، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٨، و تاريخ الخلفاء / ٣٥٨.

٦- التنبيه و الاشراف / ٣١٥.

٧- نفس المصدر.

٨- مروج الذهب ٤ / ١٥٦.

و بينما يصفه ابن الطقطقى بانه كان مستضعفا فى رأيه و عقله و تدبيره، و كانت ايامه كثيره الفتن، و دولته شديده الاضطراب، و لم يكن فيه من الخصال المحموده سوى انه كان كريما و هويا(١)، يقول عنه الاربلى انه كان سديد الرأى حسن التدبير(٢). و يقول السيوطى انه كان خيرا فاضلا، اديبا بليغا، و هو اول من احدث لبس الاكمام الواسعه فجعل عرضها نحو ثلاثه أشبار، و صغر القلانس و كانت قبله طوالا(٣). و يقول عنه الذهبى انه كان مسرفا فى تبدير الخزائن و الذخائر(٤). و جاء عنه فى فوات الوفيات انه كان خاملا يرتزق بالنسخ، فلما جاءته الخلافه من حيث لا يحتسب قال:

جاء لطف الله بالأمر الذى لا ارتجيه فعلى ان اقضى حق الله فيه

و يروى اعداء البيت الثانى: ان اقضى حق الشرب فيه(٥).

يمكن ان يستنتج مما قاله المؤرخون بشأنه انه كان ضعيفا خائر العزم، مستسلما سهل القيادة. فقد استوزر اول امره احمد بن الخصيب، الا ان انقياده للقواد الاتراك اضطره الى ان يستوزر القائد التركى اوتامش، و هو ابن اخت بعا الكبير. و كان المتولى لامور اوتامش كاتبه شجاع بن القاسم الذى يقول عنه الحصرى «انه امى لا يقرأ و لا يكتب و لا يفهم، و انما علم علامات يكتبها فى

١- الفخرى.

٢- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٩.

٣- تاريخ الخلفاء / ٣٥٩.

٤- شذرات الذهب / ٢ / ١٢٦.

٥- فوات الوفيات / ١ / ١٢٦.

التوقيع»(١). و يظهر ان اوتامش كان جشعا لا- يهمله من الوزاره غير احتواء الاموال «فعمد الى ما فى بيوت الاموال من الاموال فأكتسحها»(٢).

و كان من اول اعمال المستعين بالله بعد ان تمت له الخلافه انه ابتاع فى جمادى الأولى سنة ٢٤٨ هـ من المعتز و المؤيد جميع ما كان لهما من الدور و القصور و الضياع و الفرش و الامتعه و غير ذلك بعشرين الف دينار، و اشهد عليهما بذلك القضاء و الشهود العدول، و يقال ان قيمه ما ابتاعه من المعتز عشره الاف الف دينار، و من ابراهيم المؤيد ثلاثه الاف الف دينار(٣). و كأنه بهذا قد صادرهما بطريقه مشروعه بشرائها بذلك الثمن البخس. ثم حبسهما فى الجوسق و وكل بهما.

و عقد المستعين بالله فى سنة ٢٤٩ هـ لأبنة العباس على مكه و المدينه المنوره و البصره و الكوفه، و عزم على ان يعهد اليه بولايه العهد، و لكنه اخر ذلك لصغر سنه. فقال الشاعر ابو على البصير قصيده يستعجله البيعه بولايه العهد لابنه رغم صغر سنه يقول فيها(٤):

بك الله احاط الدين و انتاش اهله من الموقف الدحض الذى مثله يردى

فول ابنك العباس عهدك انه له موضع، و اكتب الى الناس بالعهد

١- جمع الجواهر / ١٧٢-١٧٣.

٢- الطبرى ٩ / ٢٤٣.

٣- نفس المصدر / ٢٥٩.

٤- مروح الذهب ٤ / ١٥٤.

فان خلفته السن فالعقل بالغ به رتبه الشيخ الموفق للرشد

و قد كان يحيى اوتى العلم قبله صبيا، و عيسى كلم الناس فى المههد

و عند ما اشتد الخلاف بين المستعين بالله و بعض قواد الاتراك، و انقسم القواد المذكورون على انفسهم انحاز الخليفه الى وصيف و بغا و انحدر معهما الى مدينه السلام و ليس له معهما امر و لا نهى(١). و فى مدينه السلام اسلم امره الى اميرها محمد بن عبد الله الذى وقف الى جانبه فى محاربه جيش سامرا، و لكنه ما لبث ان تخلى عنه و فرض عليه ان يخلع نفسه من الخلافه(٢). و قد شرحنا ذلك فى الفصل الخاص بالحرب بين سامرا و بغداد.

### ٣- قتله:

لقد اتينا على تفصيلات الخلاف الذى نسب بين المستعين بالله و بعض القواد الاتراك مما اضطره الى الانحذار الى بغداد، ثم مبايعه القواد فى سامرا للمعتز بالله، مما ترتب عليه وجود خليفتين فى آن واحد، و قيام الحرب بينهما، و انتهائها بخلع المستعين بالله نفسه من الخلافه و مبايعته للمعتز بالله، و ذلك فى الفصل الخاص بالنزاع بين خلفاء سامرا و الاتراك.

١- نفس المصدر / ١٤٥.

٢- الطبرى ٩ / ٣٤٤.



كان المستعين بالله نقل اثر تنازله عن الخلافة الى قصر الحسن بن سهل بالمحرم<sup>(١)</sup>، مع عياله و ولده و جواريه. و وكل بهم سعيد بن رجاء الحضارى فى اصحابه. و منع من الخروج الى مكة حسبا كان قد اشترط عند ما خلع نفسه. فاختر ان ينزل البصره فلم يسمح له كذلك. فأحدر الى واسط فاقام هناك بضعه اشهر محبوبا و قد وكل به القائد التركى احمد بن طولون. الا ان القواد الاتراك الذين كانوا بايعوا المعتز بالله خافوا ان يستميل المستعين بالله بعض القواد و الجند فيكيد لهم و للمعتز بالله، و قد افصحوا عن مخاوفهم لام المعتز بالله فاضطربت خوفا على ابنها، فاتفقت معهم على وجوب التخلص من الخليفة المخلوع. و لما تقرر قتله كتب المعتز بالله الى محمد بن عبد الله يأمره بتسليم المستعين الى سيما الخادم، فكتب محمد الى الموكلين به بواسطة بتسليمه الى سيما. فاخرجه احمد بن طولون الى القاطول و سلمه الى سعيد بن صالح، المعروف بسعيد الحاجب، الذى كلف بقتله، و احتز رأسه. و هناك عدده روايات عن الطرق التى اتبعت فى قتله. اذ يقال انه ادخله منزله و عذبه حتى مات<sup>(٢)</sup>. و يقال ان سعيد ركب مع المستعين بالله فى زورق و معه عدده حتى حاذى به فم دجيل فشد فى رجله حجرا و القاه فى الماء ٢٨. و ذكر ان سعيدا كلف به رجلا- من الاتراك يقتله، فسأله المستعين بالله ان يمهل حتى يصلى ركعتين، و كانت عليه جبه، فسأل سعيد التركى الموكل بقتله ان يأخذها منه قبل قتله،

١- الطبرى ٩ / ٣٤٠، و مروج الذهب ٤ / ١٦٣-١٦٤ و فيه انه احدر الى دار الحسن بن وهب ببغداد.

٢- الطبرى ٩ / ٣٦٣، و تاريخ بغداد ٥ / ٨٥، و الكامل ٧ / ١٧٣، و شذرات الذهب ٢ / ١٢٥.

ففعّل ذلك، فلما سجد في الركعة الثانية قتله و أخذ رأسه (١).

و ذكر الطبري الى جانب الروايات المذكوره روايات اخرى (٢).

و انفرد صاحب خلاصه الذهب المسبوك بالقول بان الذي قتله هو بعا و حمل رأسه الى الخليفه المعتز بالله (٣).

و جىء بالرأس الى المعتز بالله، و كان يلعب الشطرنج مع بعض اصحابه، فقبل له: هذا رأس المخلوع، فقال ضعوه هناك. و بعد ان فرغ من لعبه دعا به فنظر اليه ثم امر بدفنه. و امر لقاتله سعيد الحاجب بخمسين الف درهم و ولاه معونه البصره (٤). و هناك روايه اخرى عن عرض رأس المستعين بالله على المعتز بالله في مجلس غنائته (٥).

كان المستعين بالله قد قتل في الثالث من شوال سنة ٢٥٢ هـ (٦). و قد اختلف في عمره، فيقول المسعودي انه خمس و ثلاثون سنة، و يقول الخطيب البغدادي انه اربع و عشرون سنة (٧). و يلاحظ التفاوت الكبير بينهما. اما السيوطي فيذكر ان عمره كان احدى و ثلاثين سنة، و يقول الابلي انه مات عن ثلاثين سنة (٨). الا- انه لما كان الطبري و ابن الأثير و السيوطي يتفقون على انه كان في الثامنة

١- الطبري ٣٦٤ / ٩، و شذرات الذهب ١٢٥ / ٢.

٢- الطبري ٣٦٣ - ٣٦٤ / ٩.

٣- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٩.

٤- الطبري ٣٦٤ / ٩، و الكامل ١٧٣ / ٧.

٥- الديارات / ١٧٠.

٦- الطبري ٣٦٣ / ٩، و مروج الذهب ١٤٤ / ٤.

٧- مروج الذهب ١٤٤ / ٤، و تاريخ بغداد ٨٥ / ٥.

٨- تاريخ الخلفاء / ٣٥٩، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٩.

و العشرين عند ما بويع بالخلافه(١)، و ان مده خلافته ثلاث سنوات و تسعه اشهر فان عمره يكون في حدود احدى و ثلاثين سنه. و هذا يتفق مع سنه مولده في ٢٢١ هـ التي سبقت الاشاره اليها. و كانت المده بين خلعه و قتله تسعه اشهر كان معتقلا فيها(٢).

---

١- الطبرى ٢٥٦ /٩، و الكامل ١١٧ /٧، و تاريخ الخلفاء / ٣٥٨.

٢- شذرات الذهب /٢ /١٢٥.



## الفصل السابع المعتر بالله ابو عبد الله المعتر بالله بن جعفر المتوكل على الله

### ١- مبايعته:

عند ما عاد القواد الا-تراك الذين ذهبوا الى بغداد لمقابله المستعين بالله و اقناعه بالعوده الى سامرا، و قد يسوا من عودته، حرضوا اصحابهم على خلعته من الخلافه، و اجمعوا على مبايعه المعتر بن المتوكل على الله بدلا عنه. و كان المستعين بالله عند ما انحدر الى بغداد قد حبس المعتر و اخاه المؤيد فى الجوسق و اوكل بهما رجلا من الاتراك مع عدد من الاعوان(١). فاخرجوهما و بايعوا المعتر بالله و عينوا المؤيد وليا للعهد من بعده، و قد اختلفت المصادر فى تاريخ مبايعته، الا انها لا تتعدى عن النصف الأول من المحرم سنه ٢٥١ هـ(٢). فأمر المعتر بالله للجند برزق عشره اشهر،

١- الطبرى ٢٨٤ / ٩.

٢- مروج الذهب ٢٥١ / ٤، الاربعاء لاحدى عشره ليله خلت من المحرم، و تاريخ بغداد ١٢٢ / ٢: الاربعاء لثلاث عشره خلت من المحرم، و النبراس / ٨٨: يوم السبت لست خلون من المحرم.

فلم يتوفر المال الكافي لذلك، فاعطوا ارزاق شهرين فقط. و من الجدير بالذكر ان المستعين بالله كان خلف في بيت المال بسامرا نحو من خمسمائه الف دينار، و كان في بيت مال امه ما قيمته الف الف دينار، و في بيت مال ابنه العباس ما قيمته ستمائه الف دينار(١).

و قد اخذت البيعه للمعتز بالله كتابه، و فيما يلي خلاصتها(٢): «بسم الله الرحمن الرحيم، تباعون عبد الله الامام المعتز بالله امير المؤمنين بيعه طوع و اعتقاد .. لا مكرهين و لا مجبرين بل مقرين عالمين بما في هذه البيعه و تأكيدها من تقوى الله و ايثار طاعته .. على ان ابا عبد الله المعتز بالله عبد الله و خليفته المفترض عليكم طاعته و نصحيته ..

في السر و العلانيه .. متمسكين ببيعته بوفاء العقد و ذمه العهد ..

و بولايه عهد المسلمين لابراهيم المؤيد بالله اخى امير المؤمنين، و على الا تسعوا في نقض شىء مما اكد عليكم .. و على الا تبدلوا و لا- تغيروا، و لا- يرجع منكم راجع عن بيعته .. فمن نكث منكم مما بايع امير المؤمنين و ولى عهد المسلمين .. فكل ما يملكك من مال و عقار او سائمه او زرع او ضرع صدقه على المساكين .. و كل مملوك يملكه اليوم و الى ثلاثين سنه ذكر و انثى، احرار لوجه الله، و نساؤه يوم يلزمه فيه الحنث و من يتزوج بعدهن الى ثلاثين سنه طوالق طلاق الحرج، لا يقبل الله منه الا الوفاء بها .. و الله عليكم بذلك شهيد».

١- الطبرى ٩/ ٢٨٤، و الكامل ٧/ ١٤٣.

٢- نص كتاب البيعه فى الطبرى ٩/ ٢٨٤-٢٨٦.

و مما يدعو الى الاستغراب ان القواد الاتراك الذين تأمروا على المتوكل على الله اختاروا المعتر بالله للخلافه و عينوا اخاه المؤيد لولايه العهد، بعد ان كانوا استبعدوا اولاد المتوكل على الله عند ما اختاروا المستعين بالله بعد وفاه المنتصر بالله. و قد يكون سبب ذلك انهم شعروا بانهم اقوى من الخليفه الذى اختاروه و بوسعهم التخلص منه متى ما ارادوا ذلك.

و ركب المعتر بالله من غد ذلك اليوم الى دار العامه فاخذت له البيعه العامه على الناس، و خلع على اخيه المؤيد، و عقد له عقدين اسود و ابيض، فكان الأسود لولايه العهد بعده، و الأبيض لولايه الحرمين. و بعث الكتب بذلك الى سائر الأمصار(١). و عند ما خلع المستعين بالله نفسه من الخلافه لثلاث خلون من المحرم سنه ٢٥٢ هـ و بايع للمعتر بالله(٢)، استقرت الخلافه للأخير فى جميع ارجاء الدوله العربيه.

## ٢- صفاته و سيرته:

تقاربت المصادر التاريخيه التى وصفت المعتر بالله فى انه كان جميل الوجه لم ير فى الخلفاء مثله جمالا، ابيض مشربا بحمره، اسود الشعر كثيفه، ادعج العينين، و كان حسن الجسم طويل القامه(٣). و يقول عنه المسعودى انه كان يؤثر المملذات و يعدم

١- مروج الذهب ١٤ / ١٦٢ - ١٦٣.

٢- الطبرى ٩ / ٣٤٥، و مروج الذهب ١٤ / ١٦٣.

٣- الطبرى ٩ / ٣٩٠، و التنبيه و الاشراف / ٣١٦، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٠.

الرأى و تدبره امه قبيحه، و قد غلب على امره، و قهر سلطانه، و كانت الكتب تخرج باسم صالح من وصيف كأنه مرسوم بالوزاره لقلبته على الأمور(١). و يرى ابن الطقطقى ان المعتر بالله لم يكن بسيرته و عقله بأس، الا ان الاتراك كانوا قد استولوا، منذ قتل المتوكل على الله، على المملكه، و استضعفوا الخلفاء، فكان الخليفه فى يدهم كالاسير ان شاءوا ابقوه و ان شاءوا خلعوه و ان شاءوا قتلوه(٢). الا ان ابن دحيه يقول عنه انه كان فيه ادب و كفايه و لكن ذلك لم ينفعه لأديار امره و لقرب قرناء السوء منه(٣).

و وصف المعتر بالله بانه كان سمح الأخلاق، واسع الصدر، له ادب و فهم، و كان يقول شعرا صالحا، و هو اول خليفه احدث الركوب بعليه الذهب، و كان الخلفاء قبله يركبون بالحليه الخفيفه من الفضة(٤). و قد جعل نقش خاتمه «المعتر بالله» كما يقول المسعودى، و «محمد رسول الله» كما جاء فى خلاصه الذهب المسبوك(٥). و يظهر مما يذكره الخطيب البغدادي انه كان له ختمان، احدهما كما ذكر المسعودى و الآخر كما جاء فى خلاصه الذهب المسبوك(٦).

١- التنبيه و الاشراف / ٣١٦-٣١٧.

٢- الفخرى / ٢٢٠.

٣- النبراس / ٨٨.

٤- مروج الذهب / ٤ / ١٨٠، و تاريخ الخلفاء / ٣٥٩.

٥- التنبيه و الاشراف / ٣١٧، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٠.

٦- تاريخ بغداد / ٢ / ١٢٤.



ولد المعتز بالله في يوم الخميس السادس عشر من ربيع الاول سنة ٢٣٢ هـ (١). و كان مولده بسامرا (٢). و امه قبيحه و هي ام ولد روميه (٣)، و كانت الزوجه المفضله عند المتوكل على الله. و قد اختلف في اسمه، فقد ورد في المعارف و في مروج الذهب «الزبير» و جاء في الكامل و النبراس «الزبير و يقال طلحه» (٤).

### ٣- خلع المؤيد من ولايه العهد:

نص عهد بيعه المعتز بالله على ان تكون ولايه العهد من بعده لأخيه ابراهيم المؤيد. و كان ذلك احياء للعهد الذي وضعه المتوكل على الله. و كانت العلاقه بين الاخوين وديه، و استمرت كذلك حتى بلغ المعتز بالله ان عامل ارمينيه العلاء بن احمد بعث الى المؤيد بخمسه الاف دينار، فحاذر من اتصال اخيه ببعض القواد و العمال، و العمل ضده. فبعث الى اخويه المؤيد و ابي احمد طلحه- و هما شقيقان لأم و اب- فحبسهما في الجوسق، و قيد المؤيد و وضعه في حجره ضيقه (٥). ثم علم ان جماعه من القواد الاتراك يريدون اخراجه من السجن، و رغم عدم تحققه من ذلك، فقد امر بضربه.

١- تاريخ بغداد ٢/ ١٢٢، و تاريخ الخلفاء / ٣٥٩، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٠ و فيه انه ولد في سنة ٢٣٣ هـ.

٢- الطبرى ٩ / ٣٩٠، و تاريخ بغداد ٢ / ١٢١.

٣- مروج الذهب ٤ / ١٦٦.

٤- المعارف / ٣٩٤، و مروج الذهب ٤ / ١٦٦، و الكامل ٧ / ٤٩، و النبراس / ٨٨.

٥- الطبرى ٩ / ٣٦١.

و اخذت منه رقعه بخطه يخلع نفسه من ولايه العهد(١). ثم ما لبث المؤيد ان مات فى الحبس.

خشى المعتز بالله ان يتهم بقتل اخيه، فدعا بلقضاء و الفقهاء و الشهود فأخرج اليهم ابراهيم المؤيد ميتا لا أثر به و لا جرح، و حملة الى امه اسحاق على حمار و حمل معه كفن و حنوط، و امر بدفنه.

و يقال سبب موته انه ادرج فى لحاف مسموم و شد طرفاه حتى مات فيه(٢). كما يقال انه اقعد فى حجر من ثلج و نضدت عليه حجره الثلج فماد بردا(٣). و يظهر ان موت المؤيد لم يكن طبيعيا، و قد مات باحدى وسائل التعذيب المعروفه آنذاك بعد ان قرر المعتز بالله التخلص منه.

و قال الشاعر مروان بن ابى الجنوب قصيده فى مدح المعتز و امر المؤيد، جاء فيها(٤):

انت الذى يمسك الدنيا اذا اضطربت يا ممسك الدين و الدنيا اذا اضطربا

ما كنت اول رأس خانه ذنب و الرأس كنت و كان الناكث الذنبا

لو كان تم له ما كان دبره لأصبح الملك و الاسلام قد ذهب

١- الطبرى ٩ / ٣٦٢، و مروج الذهب ٤ / ١٧٦.

٢- الطبرى ٩ / ٣٦٢، و مروج الذهب ٤ / ١٧٦.

٣- الطبرى ٩ / ٣٦٢.

٤- الطبرى ٩ / ٣٦٤ - ٣٦٥.

اراد يهلك دنيانا و يعطبهاو قد اراد هلاك الدين و العطا

لما اراد و ثوبا من سفاهته امسى عليه امام العدل قد وثبا

لقد رماك بسهم لم يصبك به و من رماك عليه سهمه انقلبا

لقد رعيت له ما كان من سبب فما رعى لك احسانا و لا سببا

و كنت اكثر برا من ابيه به و لم تكن بأخ فى البر، كنت أبا

و كان قرب سرير الملك مجلسه فقد تباعد منه بعد ما اقتربا

و ذل بعد تماديه و نخوته كالحوت اصبح عنه الماء قد نضبا

و قد فسخت عن الأعناق بيعته فلا خطيب له يدعوا اذا اختطبا

أمست قطيعه ابراهيم قد قطعت جبل الصفاء و جبل الود فانقضبا

و يستنتج مما جاء فى هذه الآيات ان المؤيد حاول الوثوب باخيه المعتر بالله، رغم انه كان برا به، و قد احسن اليه و قربه حتى

صار موضع احترام الجميع. الا انه تجاهل ذلك و تنكر له، و اخذ

يعمل ضد اخيه. هذا اذا لم يكن الشاعر قد حابى الخليفه و قال ما يرضيه.

#### ٤- خلع المعتز بالله و قتله:

لم يلبث القواد الاتراك ان اختلفوا مع المعتز بالله، لا سيما عند ما عجز عن تدبير الاموال لهم و لارزاق جندهم، فقرروا خلعه و التخلص منه. و قد ذكرنا هذا بشىء من التفصيل فى البحث الخاص بالخلفاء و القواد الاتراك. فقبضوا عليه و اجبروه على ان يخلع نفسه من الخلافة. و كانوا اتفقوا على ان يبائعوا محمد بن الواثق بالله الا- ان محمدا امتنع عن قبول البيعه له ما لم يخلع المعتز بالله نفسه امامه، فاحضر المعتز بالله فتنازل امام محمد و تمت البيعه للخليفه الجديد الذى لقب بالمهتدى بالله.

و قد حبس المعتز بالله، و كان القواد الاتراك قرورا قتله.

فقتل فى محبسه بعد بضعه ايام(١). و هناك عدده روايات عن كيفية قتله. فيقال انه منع عنه الطعام و الشراب ثلثه ايام، ثم ادخلوه سردابا و جصصوه عليه فاصبح ميتا(٢). و يقال انهم ادخلوه الى الحمام حتى عاين الموت و هو يطلب الماء فيمنع عنه، ثم اعطوه ماء مثلجا فشربه و سقط ميتا(٣). و يقال انه ادخل الحمام فاغلق عليه حتى مات(٤). و كانت وفاته فى الثانى من شعبان

١- مروج الذهب ١٧٨ / ٤، و تاريخ يعقوبى ٥٠٤ / ٢.

٢- الطبرى ٣٩٠ / ٩، و الكامل ١٩٦ / ٧، و تاريخ ابن خلدون ٥٠٤ / ٢.

٣- العبر ٩ / ٢.

٤- النبراس / ٨٨.

سنة ٢٥٥ هـ (١). و لما مات اشهدوا على موته بنى هاشم و القواد بانه صحيح لا اثر فيه. فدفن مع المنتصر بالله في ناحيه قصر الصوامع (٢). اى انه دفن في قبر ظاهر مشهود كقبر المنتصر بالله و في نفس المكان.

و كان مدته خلافته من يوم بويج له بسامرا الى ان خلع اربع سنين و ستة اشهر و ثلاثه و عشرين يوما ٢٩. اما مدتها منذ ان تمت بيعته ببغداد فكانت ثلاث سنوات و سبعة اشهر (٣). و كان عمره عند وفاته اربعا و عشرين سنة (٤).

١- تاريخ بغداد ١٢٦ / ٢، و تاريخ اليعقوبى ٥٠٤ / ٢ و فيه انه توفى لثلاث بقين من رجب.

٢- الطبرى ٣٩٠ / ٩، و تاريخ بغداد ١٢٥ - ١٢٦، و جاء فيه: و يقال انه دفن بموضع يقال له السميدع.

٣- مروج الذهب ١٦٦ / ٤ و تاريخ اليعقوبى ٥٠٤ / ٢، و النبراس ٨٨ / و تاريخ بغداد ١٢٦ / ٢، و فيه تنقص المدته ثلاثه ايام.

٤- الطبرى ٣٩٠ / ٩، و مروج الذهب ١٦٦ / ٤، و الكامل ١٩٦ / ٧.



## الفصل الثامن المهتدى بالله محمد بن الوائى بالله

### ١- مبايعته:

بعد ان قرر الاتراك خلع المعتز بالله اجتمعت كلمتهم على ان ليس فى اولاد الخلفاء افضل ولا اعقل من محمد بن الوائى بالله (١).

كانوا عند ما حبسوا المعتز بالله بعثوا الى مدينه السلام لاحضار محمد، و كان المعتز بالله قد نفاه اليها و اعتقله فيها. و يقال ان سبب نفيه انه كان يكثر التردد على المعتز بالله و كان هذا يستمع الى اقواله فى امور كثيره، و فيما يمضيه و يبديه. و كان كثيرا ما يعارض قبيحه ام المعتز بالله فيما تأمر و تنهى، فضاقت به ذرعا و لم تزل بابنها حتى امر باحذاره الى مدينه السلام على كره منه (٢) فلما جىء به الى سامرا عرض عليه الاتراك ان يبائعوه بالخلافه فابى حتى خلع المعتز بالله نفسه امامه و اعترف بعجزه عن القيام بمهام

١- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٥٠٥.

٢- المحاسن و المساوى ء / ٥٣٩.

الخلافة، ثم بايعه، فتبعه القواد الاتراك و الحاضرون و سمي المهتدى بالله. و كان ذلك فى يوم الاربعاء ليلته بقيت من رجب سنة ٢٥٥ هـ (١).

و عند ما ورد كتاب المهتدى بالله الى مدينه السلام بالبيعه له هاج من فيها من الجند و خرج معهم العامه و هجموا على دار سليمان بن عبد الله صاحب الشرطه، و هتفوا باسم ابى احمد الموفق بن المتوكل على الله الذى كان حينذاك منفيا فى مدينه السلام، و نادوا بالبيعه له. فحدثت بالمدينه فتنه قتل فيها كثيرون، و غرق فى دجله قوم و جرح آخرون. و يقول الطبرى «حتى وجه الى اهل بغداد بمال رضوا و وقعت بيعته الخاصه ببغداد للمهتدى يوم الخميس لسبع ليال خلون من شعبان، و دعى له يوم الجمعة لثمان خلون منه» (٢).

و مدحه الشاعر البحرى مشيدا بورعه و عدله بقصيده منها: (٣)

بارك الله للخليفه فى الملك الذى حازه له المقدار

رتبه من خلافه الله قد طالت بها رقبه له و انتظار

طلبته فقرا اليه، و ما كان به ساعه اليها افتقار

١- الطبرى ٩ / ٣٩١ و مروج الذهب ٤ / ١٨٢ و تاريخ يعقوبى ٢ / ٥٠٥ و فيه

٢- الطبرى ٩ / ٣٩٣. ان بيعته كانت قبل ذلك بيوم واحد. و تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٨.

٣- القصيده فى ديوان البحرى ٢ / ٨٥٢ - ٨٥٦.



أخذ الاولياء اذ بايعوه بيدى مخبت عليه الوقار  
و تجلى للناظرين أبى فيه عن جانب القبيح ازورار  
و ارتنا السجاد سيماطويل الليل فى وجهه لها آثار  
ولديه تحت السكينه و الأخبات سطو على العدا و اقتدار  
زاد فى بهجه الخلافه نورافهو شمس للناس، و هى نهار  
و اجار الدنيا من الخوف و الحيف، فهل يشكر المجير المجار

## ٢- صفاته و سيرته:

ولد المهتدى بالله بالقاطول فى سنه ٢١٨ هـ و قيل ٢١٩ هـ و نشأ بسامرا(١). و كان عمره عند ما بويع له سبعا و ثلاثين سنه، و قيل تسعا و ثلاثين(٢). و امه ام ولد روميه يقال لها قرب(٣). و قد توفيت قبل ان يبايع له. و كان قد تزوجها المستعين بالله، و لما قتل صير المعتر بالله مع الحرم فى قصر الرصافه. و قال المهتدى يوما لجماعه من القواد الاتراك: اما انا ليس لى ام احتاج لها الى غله عشره الاف دينار فى كل سنه لجواريتها و خدمها و المتصلين بها، و ما اريد لنفسى و ولدى الا القوت(٤). و هو يعرض بهذا بام المستعين بالله

١- تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٨، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣١.

٢- مروج الذهب ٤/ ١٨٢.

٣- الطبرى ٩/ ٣٩١، و مروج الذهب ٤/ ١٨٢، و تاريخ الخلفاء / ٣٦١ و يسميها ورده.

٤- الطبرى ٩/ ٣٩٦.

و أم المعتر بالله اللتين عرفتا باحتواء الاموال و الاسراف فى الانفاق و الامعان فى حياه الترف.

اتفق الطبرى و المسعودى على وصف المهتدى بالله بانه كان رحب الجبهه اجلح، جهم الوجه، اشهل عظيم البطن، عريض المنكبين، قصير القامه، طويل اللحيه(١). و يقول الخطيب البغدادى انه كان اسمر رقيقا، حسن اللحيه، اشيب، حسن العينين(٢).

و قد اختلف المهتدى عن اسلافه من خلفاء بنى العباس فى سلوكه و سياسته فى الحكم. اذ كان، كما يقول الخطيب البغدادى، من احسن الخلفاء مذهباً و اجلهم طريقه، و اظهرهم و رعا، و اكثرهم عباده(٣). و يضيف السيوطى انه كان عادلاً قوياً فى امر الله، و بطلاً شجاعاً، و لم يزل صائماً منذ ان ولى الخلافه الى ان قتل(٤).

و كان يحاول ان يكون فى بنى العباس مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى اميه، و كان يقول انه غار على بنى هاشم فاخذ نفسه بهذه السيره. و قد وجد له سفظ فيه جبه صوف و كساء، و كان يلبس ذلك فى الليل و يصلى فيه(٥).

امر المهتدى بالله باخراج القيان و المغنين من حضره الخلافه سامرا و نفيهم الى بغداد، و امر بقتل السباع التى كانت بدار

١- نفس المصدر / ٤٦٩، و التنبيه و الاشراف / ٣١٨.

٢- تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٨.

٣- نفس المصدر، و الكامل ٧ / ٢٣٣.

٤- تاريخ الخلفاء / ٣٦١.

٥- تاريخ بغداد ٣ / ٣٥٠، و الكامل ٧ / ٢٣٤، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٠.

الخلافة و طرد الكلاب(١). و اطرح الملاهي، و حرم الغناء و الشراب(٢). و امر ان يحد شارب الخمر كائنا من كان. فابغضه الجند و اهل الفساد بسبب ذلك(٣). و مع الموظفين و العمال عن الظلم و التعدي(٤). و ذكر المسعودي اجراءات اخرى اتخذها المهتدي بالله تقشفا و ورعا، فقد قلل من اللباس و الفرش و المطعم و المشرب. و امر باخراج آنيه الذهب و الفضة من الخزائن فكسرت و ضربت دنانير و دراهم، و عمد الى الصور التي كانت في المجالس فمحيته، و ذبح الكباش التي كان يناطح بها بين يدي الخلفاء، و الديوك، و قتل السباع المحبوسه، و رفع بسط الديباج و كل فرش لم ترد الشريعة باباحتها، و كانت الخلفاء قبله تنفق على موائدها في كل يوم عشرة الاف درهم، فزال ذلك و جعل لمائدته و سائر مؤونته في كل يوم مائه درهم(٥).

و كان المهتدي بالله رد المظالم و جلس للعامه يستمع الى شكاواهم و يفصل بينهم(٦). و بنى قبه لها اربعة ابواب سماها قبه المظالم، و كان اذا جلس فيها للنظر في المظالم امر بان توضع مواقد الفحم في الاروقه عند اشتداد البرد، و اذ دخل المتظلم أمر بان يدفأ و يجلس ليسكن روعه و يثوب اليه عقله و يتذكر حجته، ثم يدنيه

١- الطبري ٩ / ٤٠٦، و الكامل ٧ / ٢٠٣.

٢- الطبري ٩ / ٤٠٦، و الكامل ٧ / ٢٣٥، و الفخرى / ٢٢٣، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٠.

٣- خلاصه الذهب المسبوك.

٤- الكامل ٧ / ٢٣٤، و الفخرى / ٢٢٣.

٥- مروج الذهب ٤ / ١٨٩ - ١٩٠.

٦- الطبري ٩ / ٤٠٦، و الكامل ٧ / ٢٠٣.

و يسمع منه(١). و كان هو آخر من جلس لرد المظالم من خلفاء بنى العباس(٢). كما كان شديد الاشراف على امور الدواوين و شؤون الخراج، و يحاسب كتاب الدواوين بنفسه(٣).

ان تقليص نفقات دار الخلافة عامه، و نفقات الخليفة بصوره خاصه، و تشديد الرقابه على دواوين الدوله و امور الجبايه، كانت اهم ما قام به المهتدي بالله، فى مده حكمه القصيره. و يبدو انه كان يهدف الى اصلاح النظام المالى الذى كان قائما آنذاك، بتنظيم جبايه الايرادات، و اوجه الانفاق. الا انه لم يستطع ان يحقق من ذلك سوى شىء يسير لسوء الجهاز الادارى من جهه و لا نشغاله فى الصراع الذى نشب بينه و بين القواد الأتراك، من جهه اخرى.

لقد كان لتزمت المهتدي بالله رد فعل سىء عليه، فقد ثقلت و طأته على الناس عامه و خاصه، فاستطالوا خلافته، و سئموا ايامه، و عملوا الحيله عليه حتى قتلوه(٤). و يعزو صاحب خلاصه الذهب المسبوك اتفاق الامراء الاتراك على محاربتة و خلعه لما كان نهاهم عن جميع المنكرات، و منعهم عن تعاطى المحرمات(٥). و مع ما فى هذا القول من المغالاه فهو لا يخلو من الحقيقه. و قد قال له احد القواد الاتراك فى احدى مناقشاته معهم: أتريد ان تحمل الناس على سيره عظيمه لم يعرفوها؟ قال: اريد ان احملهم على سيره الرسول صلى الله عليه و سلم و اهل بيته و الخلفاء الراشدين، فقال

١- المحاسن و المساوى ء / ٥٤٠.

٢- الاحكام السلطانيه / ٦٤.

٣- تاريخ بغداد ٣ / ٣٥٠.

٤- مروج الذهب ٤ / ١٨٣.

٥- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٢.

له: ان الرسول صلى الله عليه و سلم كان مع قوم قد زهدوا فى الدنيا و رغبوا فى الآخرة، و انت انما رجالك ما بين تركى و خزرى و فرغانى و مغربى، و غير ذلك من انواع الأعاجم لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم، و انما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا، فكيف تحملهم على ما ذكرت(١)؟ و شبيه بهذا ما يقوله المسعودى من ان المهتدى بالله «صاحب اقواما لا تجوز عندهم اخلاق الدين و لا يريدون الا امر الدنيا»(٢). و الواقع ان المهتدى بالله لم يجد له ناصرا عند ما اصطدم بمخالفيه من الأتراك.

و يعزو ابن دحيه ما واجه المهتدى بالله من المصاعب الى الرجال الذين تولوا شؤون الدوله على عهده، فيقول: و لم يوفق فى الوزير و الحاجب و القاضى، لأن وزيره جعفر بن محمود الاسكافى، و حاجبه صالح بن وصيف، و قاضيه الحسن بن محمد بن ابى الشوارب، يحبون الدنيا و يشربون اليها، فكانوا اعانه على سفك دمه(٣).

### ٣- خلع و قتله:

تروى المصادر عدده روايات عن اسباب الخلاف الذى نشب بين الخليفه المهتدى بالله و بين القواد الأتراك. و مهما اختلفت تلك الروايات فانها تتفق فى ان السبب الرئيس هو الشك القائم بين الخليفه و كبار القواد مما ادى الى صراع شديد بين الجانبين انتهى

١- مروج الذهب / ٤ / ١٨٣.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣١٨.

٣- النبراس / ٨٩.

بالقضاء على خلفه المهتدى بالله وحياته. فقد ضاق الخليفة المتمتت ذرعا بتسلط اولئك القاده على شؤون الدوله و استشارهم بمواردها و اموالها، و حاول ان يستغل نغمه الجند على قوادهم و شكواهم منهم، و بعض الخلافات القائمه بين القواد انفسهم، و يعمل للقضاء على بعضهم لأضعاف شوكتهم بصوره عامه. الا ان عمله فى هذا كانت تنقصه الحكمه و التدبير، و كانت محاولاته مكشوفه. فلما ادرك الاتراك نيه المهتدى بالله نحوهم و عزمه على فل جمعهم و اضعاف شأنهم، و حدوا كلمتهم ففضوا على احد زملائهم هو القائد صالح بن وصيف الذى كان يظاهر الخليفه، و من ثم هاجموا الخليفه نفسه. فقصدوا دار الخلافه فى منتصف شهر رجب سنه ٢٥٦ هـ، و انضم اليهم الجند الاتراك الذين كانوا اعلنوا ولاءهم للخليفه، فبقى معه عدد قليل من مناصريه، فجرح و اضطر الى الهرب من الدار، ثم يلبث ان استسلم لاعدائه، فحبسوه فى الجوسق.

اجتمع القواد الاتراك و طلبوا اليه ان يخلع نفسه من الخلافه فأبى. الا انهم اختاروا احمد بن المتوكل على الله و بايعوه بالخلافه، و لقب بالمعتمد على الله. ثم اخرجوا المهتدى بالله من حبسه ميتا و ادعوا بأنه مات متأثرا بجراحه. و يقال انه لما ابى ان يخلع نفسه خلعوا اصابع يديه و رجله من كفيه و قدميه حتى و رموا و عذبه فمات (١). و يروى المسعودى انهم طعنوه بالخناجر و كان اول من جرحه ابن عم لبايكباك طعنه فى اوداجه و انكب عليه فالتقم الجرح و الدم يفور منه، و اقبل يمص الدم حتى ارتوى منه، و كان هذا

التركي سكرانا، فلما تركه كان المهتدي بالله قد مات (١). و يؤيد ابن دحيه انه قتل بخنجر (٢). و يروى انهم داسوا خصيته فمات (٣). و يظهر من روايه اليعقوبي انه يؤيد موته من جراحه اذ يقول «فحملوه على دوابه و جراحاته تنطف دما، فدعوه الى ان يخلع نفسه فأبى، و مات بعد يومين (٤).

و يظهر ان طائفه من الاتراك ندموا على قتلهم المهتدي بالله، فداروا به ينوحون و يبكون عليه لما تبين لهم من نسكه و زهده (٥).

كان عمر المهتدي بالله عند وفاته ثمانيه و ثلاثين عاما حسبما ذكره الطبري، الا ان الخطيب البغدادي و الاربلي يقولان انه مات عن سبعة و ثلاثين عاما و اربعة اشهر و عشره ايام. اما المسعودي فيقول انه كان له من العمر اربعون عاما (٦). و اذ ما كان تاريخ ميلاده الذي سبق ان ذكرناه صحيحا فان ما ذكره الخطيب البغدادي و الاربلي هو العمر الصحيح للمهتدي بالله.

اما مده خلافته فقد بلغت احدى عشر شهرا و سبعة عشر يوما او ثمانيه عشر، كما يقول اليعقوبي و المسعودي و الخطيب.

١- مروج الذهب ١٨٦ / ٤.

٢- النبراس / ٨٩.

٣- الكامل ٢٣٠ / ٧.

٤- تاريخ اليعقوبي ٥٠٦ / ٢.

٥- مروج الذهب ١٨٦ / ٤.

٦- الطبري ٤٦٩ / ٩، و تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٨، و خلاصه الذهب المسبوك /

البغدادى(١). غير ان الطبرى يزيد على ذلك بضعه ايام(٢).

و نظرا لثبوت تاريخ مبايعته بالخلافه و يوم وفاته، فان المده التى ذكر اليعقوبى و المسعودى و الخطيب اقرب الى الصواب.

---

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٥٠٦، و التنبيه و الاشراف / ٣١٨، و تاريخ بغداد ٢٣٢، و التنبيه و الاشراف / ٣١٨. ٣ / ٣٥١.

٢- الطبرى ٩ / ٤٦٩.



## الفصل التاسع المعتمد على الله ابو العباس احمد بن المتوكل على الله

### ١- مبايعته:

لم يستطع القواد الا-تراك ان يرغموا الخليفة المهتدى بالله على، ان يخلع نفسه من الخلافة رغم الاساليب القاسية التي اتبعوها معه، فمات وهو الخليفة الشرعي. الا انهم كانوا قد اخرجوا احمد بن المتوكل على الله من حبسه فى الجوسق و بايعوه، و لقب بالمعتمد على الله. و يظهر انهم بعد ان خاضوا صراعا عنيفا مع المهتدى بالله حتى تخلصوا منه، حرصوا على ان يختاروا للخلافه من يتوسمون فيه ضعف الشخصية و سهوله الانقياد، ليكون طوع ارادتهم. فاختاروا احمد بن المتوكل على الله رغم انهم اخذوا على انفسهم الا يفسحوا المجال لأحد من ولد المتوكل على الله ان يصل الى منصب الخلافة.

و قد بويح المعتمد على الله فى يوم الثلاثاء لارباع عشر بقيت من رجب سنه ٢٥٦هـ (١) و كان عمره خمسا و عشرين سنه (٢). و كان قد ولد فى سنه ٢٢٩هـ (٣) و اذا صح تاريخ مولده هذا فان عمره يجب ان يكون قريبا من سبع و عشرين سنه. و كان احمد المعتمد على الله يسمى ابن فتيان نسبه الى امه، و هى ام ولد روميه اسمها فتيان (٤).

## ٢- صفاته و سيرته:

تفاوت المؤرخون فى ذكر اوصاف المعتمد على الله. و يقول المسعودى انه كان حسن الجسم، كبير العينين، طويلًا- جسيما، طويل اللحية، عظيم الهامه (٥). و يقول الاربلى انه كان اسمر رشيقا خفيف اللحية (٦). و يضيف الذهبى على ذلك انه كان مدور الوجه، مليح العينين، صغير اللحية و قد اسرع اليه الشيب (٧).

اما ما ورد عن اخلاقه و سلوكه فان المسعودى يقول انه كان مشغوبا بالطرب، و الغالب عليه المعاقرة و محبه انواع اللهو، و انه اهمل امور الرعيه و تشاغل بلهوه و لذاته حتى اشفى الملك على

١- الطبرى ٩/ ٤٧٤، و المعارف / ٣٩٤، و مروج الذهب ٤/ ١٩٨.

٢- مروج الذهب ٤/ ١٩٨.

٣- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٣، و تاريخ الخلفاء ٣٦٣.

٤- المعارف / ٣٩١، و الطبرى ٩/ ٤٧٤، و تاريخ بغداد ٤/ ٦١، و مروج الذهب ٤/ ١٩٨ و يقول انها كوفيه.

٥- التنبيه و الاشراف / ٣٢٠.

٦- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٣.

٧- شذرات الذهب ٢/ ١٧٣.

الذهاب (١). و يؤيده فى ذلك مؤرخون آخرون. اذ يقول التنوخى عنه انه مع سماحه اخلاقه و كثره جوده و سخائه كان شديد العربده على ندمائه اذا سكر، و لا يكاد يسلم له من العربده مجلس الا فى الأقل (٢). و يقول الذهبى انه كان منهمكا على اللهو و اللذات، يسكر و يعربد (٣). و يقول السيوطى انه انهمك فى اللهو و اللذات و اشتغل عن الرعيه فكرهه الناس و احبوا اخاه طلحه (٤). على انه من جهه اخرى كان حليما لطيفا، من الرأفه و الرحمه على غايه (٥). و انه كان من اسمح آل العباس، و كان يمثل بينه و بين المستعين بالله و يقال: ما ولى اسمح منهما، كما كان جيد التدبير، فهما بالامور، فلما قوض امره و غلب على رأيه، نقصت حاله عند الناس (٦). و يقال انه كان يحب الاطراء و المديح، فاذا عمل جميلا اكثر من ذكره و تبجح به و ان كان صغيرا (٧).

و قد اشرنا فى الفصل الخاص بمجالس الخلفاء الى بعض مظاهر اسرافه، مما جعل اخاه الموفق يمنع عنه المال لحاجه الدوله الى الاموال لتوفير نفقات الحروب الداخليه، لا سيما حرب الزنج التى اضطرتها على الاقتراض من التجار (٨).

١- مروج الذهب ٢٢٠ / ٤ و التنبيه و الاشراف / ٢١٨.

٢- الفرج بعد الشده ٢ / ٢٤٣.

٣- شذرات الذهب ٢ / ١٧٤.

٤- تاريخ الخلفاء / ٣٦٣.

٥- تاريخ الخلفاء ٢ / ١٧٤.

٦- الديارات / ١٠٢.

٧- الفرج بعد الشده ٢ / ٢٤٨.

٨- تاريخ بغداد ٣ / ٢٠٦، و نشوار المحاضر.

## ٣- استئثار الموفق بالسلطة:

كانت خلافه المعتمد على الله عجيبه الوضع، كما يقول ابن الطقطقى، فقد كان هو و اخوه طلحه الملقب بالموفق كالشريكين فى الخلافه، للمعتمد على الله الخطيه و السكه و التسميه بامرہ المؤمنین، و لأخيه طلحه الأمر و النهى و قود الجيش و محاربه الاعداء و مرابطه الثغور و ترتيب الوزاره و الامراء(١). و يقول المسعودى ان اخاه ابا احمد الموفق قد غلب على امره و تدبير ملكه و سياسه سلطانه، و سيره كالمحجور عليه، لا امر له و لا نهى، و ان الموفق قام بذلك احسن قيام رغم ما كان يلقى من اعتراض الاتراك و شغبهم و سوء طاعتهم(٢). و كذلك يقول ابن الأثير ان المعتمد على الله كان فى خلافته محكوما عليه، قد تحكم فيه اخوه ابو احمد الموفق و ضيق عليه(٣).

و مما يلفت النظر ان ابا جعفر الطبرى و احمد بن واضح اليعقوبى، و هما من قدامى المؤرخين و قد عاصرا احداث عهد سامرا، لم يشيرا الى تسلط الموفق على شؤون الخلافه فى عهد اخيه المعتمد على الله، و لم يذكر شيئا عن ذلك. و يعتبر المسعودى اقدم من اشار الى تلك العلاقه بين الخليفه و اخيه، من المؤرخين.

ان من يدقق سيره المعتمد على الله و اعماله طيله مده خلافته التى قاربت ربع قرن يستنتج انه كان احد اثنين: اما انه كان يزهد

١- الفخرى / ٢٢٦-٢٢٧.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣١٨-٣١٩ و مروج الذهب / ٤ / ٢١١.

٣- الكامل / ٧ / ٤٥٥.

السلطه بطبيعته، و يميل الى اللهو و الملذات، و قد أمن جانب اخيه فترك له كل سلطاتها ليمارسها فى تسير شؤون الدوله، بحيث غدا المعتمد على الله محجورا عليه، فلم يستطع مجابهه اخيه، فاضطر الى ان ينفس عن قهره و غلبته بالانصراف الى اللهو و الاغراق فى الملذات. الا- ان ممارسه المعتمد على الله سلطاته كخليفه بين حين و آخر، كتعيين الوزراء و الولاة و القضاء، و توجيه بعض الامور، و قياده بعض الحملات العسكريه، و الاهتمام بالقضاء على الثورات، و تشييد قصر المعشوق و غيره، يجعلنا نميل الى الرأى الأول.

و الواقع ان المعتمد على الله كان يمارس سلطانه فى تعيين الوزراء و الولاة و القواد منذ توليه الخلافه. فقد استوزر عبيد الله بن يحيى عند ما افضت اليه الخلافه(١). و لما مات عبيد الله استوزر الحسن بن مجلد(٢). ثم عزله و استوزر سليمان بن وهب(٣).

و قلد القائد التركى اماجور ولايه دمشق و اعمالها فى سنه ٢٥٦ هـ(٤). و لما ظهر على بن زيد بالكوفه وجه القائد كيجور الى محاربتة(٥). و وجه القائد موسى بن بغا، و هو كبير القواد الاتراك، الى الرى لحرب الحسن بن زيد الطالبى(٦). و سير فى سنه ٢٥٧ هـ احمد المولد الى البصره لحرب صاحب الزنج(٧). و عقد

١- تاريخ اليعقوبى ٥٠٧ / ٢، و مروج الذهب ١٩٩ / ٤.

٢- مروج الذهب ١٩٩ / ٤.

٣- الفخرى / ٢٢٨.

٤- الكامل ٢٣٨ / ٧.

٥- نفس المصدر / ٢٣٩.

٦- الطبرى ٤٧٤ / ٩، و الكامل ٢٤٠ / ٧.

٧- الطبرى ٤٨٨ / ٩، و الكامل ٢٤٦ / ٧.

فى سنه ٢٥٨ هـ لأخيه الموفق على عدد من الولايات و خلع عليه، و على مفلح القائد، و سيرهما الى حرب الزنج(١). ثم اتبعهما بالقائد موسى بن بعا فى السنه التاليه(٢). و عين فى سنه ٢٦٠ هـ اساتكين من كبار قواد الاتراك واليا على الموصل(٣). و عين فى السنه التاليه محمد بن عمر بن على الطائى واليا على اذربيجان(٤). كما انه خرج فى سنه ٢٦٢ هـ على رأس الجيش لحرب يعقوب بن الليث الصفار لما أصر على القدوم بجيشه الى سامرا(٥).

يستدل مما ذكرنا ان الموفق لم يبعد اخاه عن ممارسه سلطاته الا بعد عدده سنوات من توليه الخلافه. و ذلك بعد ان اظهر كفايه عسكريه و سياسيه فى حربيه صاحب الزنج، و فى رده ابن الصفار عن العراق، مما اكسبه محبه الناس و احترام القواد. و اذا كانت الحوادث الجسمام، او ما نسميه بالازمات، تظهر قابليات الرجال و تكشف عن معادنتهم، فقد اظهر الموفق فى الحروب التى قادها مهاره و حزمًا. اضافته الى ما كان يتمتع به من خلق هادى ء رصين، و صفات انسانيه. اذ كان شديد الرعايه لجنده و بخاصه الجرحى منهم، و يتفقد ابناء الشهداء، و كانت رعايته تشمل جرحى الأعداء ايضا(٦). و بذلك استطاع ان يفرض احترامه على القواد و الولاه،

١- الطبرى ٩/ ٤٩٠، و الكامل ٧/ ٢٥٩.

٢- الكامل ٧/ ٢٥٩.

٣- نفس المصدر / ٢٦٩.

٤- نفس المصدر / ٢٨٨.

٥- الطبرى ٩/ ٥١٦، و مروج الذهب ٤/ ٢٠٠، و الكامل ٧/ ٢٩٠.

٦- الطبرى ٩/ ٦٠٣ و ٦٠٨، و الكامل ٧/ ٣٦٥-٣٦٦.

و رجال الدوله فى سامرا. مما اتاح له ان يفرض سلطاته على الخليفه نفسه بحيث لم يترك له بعد سنه ٢٦٨ هـ من الخلافه غير اسمها، و لم يعد ينفذ له توقيع لا فى قليل و لا فى كثير. و غدا الحكم كله للموفق، و الاموال تجبى اليه، مما اضجر المعتمد على الله بحيث انه حاول الهرب و الالتجاء الى احمد بن طولون فى مصر، فاعيد الى سامرا مرغما.

و مما يؤيد ما ذهبنا اليه ما ذكره ابن دحيه من ان ايام المعتمد على الله كانت مضطربه الاحوال مختله التدبير، كثيره العزل و التوليه بتدبير الموالى و غلبتهم عليه(١). اى ان اضطراب احواله و اختلال ادارته فى اول امره كان بسبب تأثير القواد الاتراك عليه.

و يستنتج مما اورده الحصرى ان امر المعتمد على الله كان، قبل تمكن الموفق، فى يد القواد الاتراك(٢). و الواقع انه اضطرب بعد ما بويج بالخلافه ان يصفح كبير قوادهم موسى بن بغا، فعند ما كان موسى يخرج من سامرا كان المعتمد على الله يشيعه(٣). كما انه ولاه قياده الجيش الذى وجهه لقتال صاحب الزنج فى سنه ٢٥٩ هـ و شيعه بنفسه و خلع عليه(٤). و لما عهد بولايه العهد لابنه جعفر ضم اليه موسى بن بغا فال اليه حكم الولايات التى جعلت لجعفر، نيابه عنه(٥). فقد ادرك المعتمد على الله ان بقاءه رهين برضاء القواد الاتراك، و لا بد من مصانعتهم و تلييه طلباتهم، كى يضمن

١- النبراس / ٨٩.

٢- جمع الجواهر / ١٥٨.

٣- الطبرى ٩ / ٤٧٤.

٤- نفس المصدر / ٥٠٤.

٥- الطبرى ٩ / ٥١٤.

ولاءهم و عدم و ثوبهم به. و لما لمس فى اخيه الموفق قوه شخصيته و قدرته على السيطره حاول ان يضمن بواسطته سلامته و بقاءه على عرش الخلافه. الا ان طموح الموفق و ضعف شخصيه المعتمد على الله، جعلت الموفق يسيطر على كل شىء. و مما زاد فى نفوذ الموفق انغماس المعتمد على الله فى اللهو و الملذات، فغلبه على امره و تدبير ملكه و سياسه سلطانه. فقام بالملك احسن قيام و قمع من قرب من الاعداء و استصلح من نأى منهم(١). و قد خطب للموفق على المنابر، و كان يقال بالخطبه: اللهم اصلح الأمير الناصر لدين الله ابا احمد الموفق ولى عهد المسلمين اخا امير المؤمنين(٢).

و على هذا نستطيع ان نقول ان تصرفات المعتمد على الله و موقفه من الأحداث يدلان على انه لم يكن ينقصه الذكاء او الكفايه، الا انه كما يبرر، كان ضعيف الشخصيه خاملا، و فيه ميل شديد الى اللهو و التمتع و الابتعاد عن تحمل المسؤوليه. و هذا يفسر لنا التناقض الواضح فى سيرته كخليفه له السلطه العليا فى الدوله، فقد وصف بالسخاء و الكرم على حاشيته و ندمائه، و بحبه مجالس اللهو و الطرب و عدم انقطاعه عنها. الا انه بنفس الوقت يتدمر من انه لا يملك التصرف بامور الدوله او حتى باموره الخاصه.

#### ٤- ولايه العهد:

قرر المعتمد على الله فى خلال النصف الاول من شوال سنه ٢٦١ هـ ان ينظم امر ولايه العهد بالخلافه من بعده بين ابنه جعفر، و اخيه ابى احمد الموفق طلحه. فولى ابنه العهد بعده و سماه

١- التنبيه و الاشراف / ٣١٨، و الديارات / ١٠١ - ١٠٢.

٢- النبراس / ٨٩ - ٩٠.



المفوض، و ولاية المغرب و افريقيه و عددا آخر من الولايات، و ضم اليه القائد موسى بن بغا. و ولى اخاه العهد بعد جعفر، و ولاية المشرق و ولايات اخرى و ضم اليه القائد مسرور البلخي. و عقد لكل منهما لواءين اسود و ابيض. و اشترط ان حدث به حدث الموت و جعفر لم يكمل للأمر، ان يكون الأمر لأبى احمد ثم لجعفر.

و اخذت البيعه بذلك على الناس (١). و بعث بنسخه من كتاب العهد مع القاضى الحسن بن محمد بن ابى الشوارب ليعلقه فى الكعبة (٢). و ذلك توثيقا للعهد و ضمانا بعدم الخروج على ما جاء فى الكتاب المذكور.

و لما مات الموفق فى شهر صفر سنة ٢٧٨ هـ بايع القواد و الغلمان ابنه ابا العباس احمد بولاية العهد بعد المفوض، و لقب بالمعتضد بالله، فاخرج ابو العباس العطاء للجند، و خطب يوم الجمعة التالى للمعتضد على الله ثم للمفوض ثم لأبى العباس المعتضد (٣). و فى السنة التالى خلع جعفر و بويع للمعتضد بولاية العهد بعد المعتضد على الله. و هناك روايتان عن كيفية خلع الأول و مبايعه الثانى. الراويه الاولى هى التى يذكرها الطبرى اذ يقول ان جعفر المفوض خلع من ولاية العهد فى اواخر المحرم سنة ٢٧٩ هـ و بويع للمعتضد، و انشئت عن المعتضد كتب الى العمال و الولاة بأن أمير المؤمنين قد ولاة العهد و جعل اليه ما كان الموفق يليه من الأمر و النهى و الولاية و العزل، و خطب يوم الجمعة للمعتضد بولاية العهد (٤). و يفهم من هذا ان المعتضد هو الذى

١- الطبرى ٩/ ٥١٤، و الكامل ٧/ ٢٧٧-٢٧٨.

٢- الطبرى ٩/ ٥١٤.

٣- الطبرى ١٠/ ٢٢، و الكامل ٧/ ٤٤٤، و المختصر فى اخبار البشر ٢/ ٥٥

٤- الطبرى ١٠/ ٢٨.

خلع جعفر المفوض من ولايه العهد و الزم المعتمد على الله بان يعهد بها اليه.(١) و هذا ما يؤيد ذلك الذهبى ايضا بقوله «ان المعتمد على الله نقض ما كان لناصر دين الله الموفق لولده احمد، فاستبد بالأمر و استخف بعمه و لم يرجع اليه فى شىء .. و متى لم تخلع ابنك جعفرا من الخلافه طائعا، خلعتة كارها، فخلع المعتمد ابنه و جعل العهد لابن اخيه احمد المذكور»(٢). اى ان المعتمد على الله فعل ذلك مكرها.

اما الروايه الثانيه، فيذكر ابن الاثير ان المعتمد على الله جلس فى المحرم سنه ٢٧٩ هـ للقواد و القضاء و وجوه الناس و اعلمهم انه خلع ابنه المفوض الى الله جعفرا من ولايه العهد و جعلها للمعتضد بالله ابى العباس احمد بن الموفق، و شهدوا على المفوض أنه تبرأ من العهد و اسقط اسمه من السكه و الخطبه و الطراز، و خطب للمعتضد، و كان ذلك يوما مشهودا، فقال يحيى بن على يهنىء المعتضد(٣):

ليهنك عقد انت فيه المقدم حباك به رب بفضلك اعلم

فان كنت قد اصبحت و الى عهدنا فانت غدا فينا الامام المعظم

و لا زال من ولاك فينا مبلغامناه، و من عاداك يشجى و يرغم

١- مروج الذهب ٤ / ٢٢٩.

٢- شذرات الذهب ٢ / ١٧٣.

٣- الكامل ٧ / ٤٥٢.

و كان عمود الدين فيه تأودفعاذ بهذا العهد و هو مقوم

و اصبح وجه الملك جذلان ضاحكايضى ء لنا منه الذى كان يظلم

فدونك فاشدد عقد ما قد حويته فانك دون الناس فينا المحكم

و يؤيد ابو الفداء روايه ابن الأثير اذ يقول: و فى سنه ٢٧٩ هـ خلع المعتمد ابنه جعفر المفوض من ولايه العهد و جعل ابن اخيه الموفق ولى العهد بعده(١). الا ان السيوطى يأخذ موقفا وسطا بين الروايتين المذكورتين، فيقول: و فى اوائل سنه ٢٧٩ هـ ضعف امر المعتمد على الله جدا لتمكن ابي العباس احمد بن الموفق من الامور و طاعه الجيش له، فجلس مجلس عاما و اشهد فيه على نفسه انه خلع ولده المفوض من ولايه العهد و بايع لأبى العباس و لقبه المعتضد(٢).

#### ٥- وفاه المعتمد على الله:

تكاد تجمع المصادر على ان المعتمد على الله توفى ليله الاثنين لاحدى عشره بقيت من رجب سنه ٢٧٩ هـ(٣). و كان سبب وفاته انه شرب على الشط فى القصر الحسنى شرابا كثيرا و تعشى فأكثر

١- المختصر فى اخبار البشر ٢ / ٥٥.

٢- تاريخ الخلفاء / ٣٦٧.

٣- الطبرى ١٠ / ٢٩، و مروج الذهب ٤ / ٢٢٩، و الكامل ٧ / ٤٥٥، و الذهب المسبوك / ٢٣٤، و فيه انه توفى ليله الاثنين الخامس عشر من رجب.

من الأكل، فمات ليلاً(١). و ذكر المسعودى تفصيلات عن موته جاء فيها انه تناول مع اثنين من ندمائه رؤوس حملان، فتهاً احدهم فى الليل، و مات الآخر قبل الصباح، اما المعتمد على الله فاصبح ميتا. ثم يقول: و ذكر ان سبب وفاته انه سقى نوعا من السم فى الشراب الذى كانوا يشربونه يقال له البيش، يحمل من بلاد الهند و جبال الترك و التبت. و جاء فيه ايضا ان القاضى اسماعيل بن حماد أدخل على المعتضد و سلم عليه بالخلافه، و حضر معه الشهود العدول، و اشرفوا على المعتمد على الله، و معهم غلام المعتضد يقول: هل ترون به بأس او اثر، لقد مات فجأه، و قتلتة مداومته لشرب النبيذ. فنظروا اليه فاذا ليس به من أثر. و حمل الى سامرا فدفن فيها(٢).

و يشبه هذا ما ذكره الذهبى من ان المعتمد على الله قد سم فى رؤوس جداء اكلها، ثم يستدرك و يقول انه نام فغم فى بساط، و قيل سم فى كأس الشراب(٣).

و اورد ابن دحيه اسبابا اخرى قيلت فى موت المعتمد على الله اضافته الى السم. قيل انه رمى فى رصاص مذاب فمات، و قيل انه مات فى حفرة من ريش مشى عليها فسقط فيها فمات غما(٤) و روى السيوطى ان المعتمد على الله مات فجاءه، و قيل انه سم، و قيل بل نام فغم فى بساط(٥). و وردت فى كتاب «مختصر كتاب

١- الطبرى ١٠ / ٢٩، و الكامل ٧ / ٤٥٥، و المختصر فى اخبار البشر ٢ / ٥٦.

٢- مروج الذهب ٤ / ٢٢٩ - ٢٣٠.

٣- شذرات الذهب ٢ / ١٧٣.

٤- النبراس / ٩٠.

٥- تاريخ الخلفاء / ٣٦٧.

البلدان» اشاره يفهم منها انه قتل، اذ يقول «و كان المعتضد بالله كتب الى عمرو بن الليث الصفار و امره بمواقفه رافع لما بلغه من ميل رافع الى محمد بن زيد و انكاره قتل المعتمد و جلوس المعتضد»<sup>(١)</sup>. اى ان رافعا يتهم المعتضد بقتل المعتمد ليجلس مكانه.

و يبدو ان السبب الذى ذكره الطبرى و نقله عنه من جاء بعد من المؤرخين، و هو الشرب الكثير و الأكل الكثير قد اودى بحياه المعتمد على الله و نديميه. و هناك احتمال بان الطعام الذى اكلوا منه قد تسرب اليه الفساد فتسموا به فماتوا. اما ما اورده الآخرون عن قتله بالسم بوضعه فى الطعام او فى الشراب، او قتله بالوسائل التى ذكرت فأمر يشك فى صحته. لأن المعتمد على الله كان ضعيفا يسير طوع اراده اخيه الموفق الذى غلب على اموره، و لما توفى حل ابنه احمد مكانه و اصبح وليا للعهد و لم يتغير موقف المعتمد على الله منه اذ بقى مستسلما، منصرفا الى حياته التى اعتادها، بحيث كان المعتضد الخليفه الفعلى، فلم يكن و الحاله هذه ما يستدعى التخلص منه و اللجوء الى قتله.

و هناك اختلاف فى عمر المعتمد على الله عند وفاته. فقد قيل انه توفى عن ثمان و اربعين سنه<sup>(٢)</sup>. و قيل ان عمره كان خمسين سنه<sup>(٣)</sup>. او خمسين سنه و سته اشهر<sup>(٤)</sup>. و اذا ما اعتبرنا ان

١- مختصر كتاب البلدان / ٣١٢.

٢- مروج للذهب / ٤ / ١٩٨.

٣- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٤، و النبراس / ٩٠، و العبر / ٢ / ٦١.

٤- الكامل / ٧ / ٤٥٥، و المختصر فى اخبار البشر / ٢ / ٥٦، و تاريخ الخلفاء / ٣٦٧.

مولده كان فى سنة ٢٢٩ هـ كما سبق ان اشرنا، فان عمره لا يمكن ان يكون اقل من خمسين سنة.

و يكاد يجمع المؤرخون على ان مده خلافه المعتمد على الله كانت ثلاثا و عشرين سنة. الا ان ابن الاثير يضيف على ذلك ستة اشهر. بينما يعتبرها الطبرى ثلاثا و عشرين سنة و ستة ايام، و تبعه فى ذلك الاربلى. و لما كان تاريخ مبايعه المعتمد على الله و تاريخ وفاته معروفين، فان ما ذكره الطبرى اقرب الى الصواب.

## الباب الثالث مؤسسات الدوله العربيه فى عهد سامرا

### اشاره

١- وزراء سامرا

٢- الكتاب

٣- القضاء فى عهد سامرا





## الفصل الأول وزراء سامرا

### إشارة

سنعرض فيما يلي ملخصاً بسيره من تولى منصب الوزارة في خلفاء سامرا، ممن كان لهم دور بارز في إدارة شؤون البلاد، و نتعرف من خلال سيرهم على علاقاتهم بالخلفاء و أساليبهم في الإدارة، و ما تركوه من آثار في حياة الدولة العربية خلال عملهم.

### ١- الفضل بن مروان:

عند ما وصل المعتصم بالله إلى بغداد و تمت مبايعته بالخلافة استوزر كاتبه ابا العباس الفضل بن مروان بن ما سرخس، و هو نصراني الأصل من اهل البردان(١). على الرغم من ان اخاه المأمون كان قد اوصاه بالا يتخذ وزيراً لأن تجربته في استيزار يحيى بن اكنم لم تكن مرضيه له. الا ان منصب الوزير بما طراً عليه من ظروف في عهد خلفاء بنى العباس الذين سبقوا المعتصم بالله كان قد استقر و ثبت، و اصبح من اركان الدولة العربية. و لهذا فقد عهد المعتصم بالله به الى كاتبه الذى كان يعتمد عليه كثيراً.

كان الفضل في اول امره يكتب ليحيى الجرمقاني كاتب المعتصم بالله عند ما كان اميرا، فلما مات الجرمقاني حل محله. و قد اعجب المعتصم بالله به و استصحبه معه الى الشام و مصر، فاحتوى على كثير من الاموال، و لما صحب ابو اسحاق اخاه الخليفه المأمون في حملته الاخيريه على بلاد الروم، عاد الفضل الى بغداد. و كان يتولى تدبير امور ابي اسحاق نيابه عنه و يكتب على لسانه بما يريد.

و عند ما بلغه خبر موت المأمون و مبايعه المعتصم بالله بالخلافه، و خلاف بعض القواد عليه و مناداتهم بخلافه العباس بن المأمون، قام بدور بارز في اخذ البيعه للمعتصم بالله ببغداد، و ضبط الامور فيها. و لما قدم المعتصم بالله عرف له فضله و جهوده، فاستوزره و خلع عليه، و اسلم مقاليد الامور اليه. و قد استطاع الفضل ان يحل من قلب الخليفه المحل الذي لم يصل اليه احد، و تمكن منه و استقل بالأمور. فغلب على امره حتى لم يبق للمعتصم بالله معه يد(١). حتى قيل ان المعتصم بالله صار خليفه و صار الفضل بن مروان صاحب الخلافه و صارت الدواوين كلها تحت يديه(٢). الا ان الفضل كان قليل العلم، ضحل المعرفه، رغم جوده كتابته.

و يصفه ابن الطقطقي بأنه كان عاميا لا علم عنده و لا معرفه، و كان ردىء السيره جهولا بالامور(٣). و يقول ابن الاثير عنه انه كان شرس الاخلاق، ضيق العطف، كره اللقاء بخيلا(٤). و لكنه كان، كما يظهر حسن المعرفه بخدمه الخلفاء(٥).

١- مآثر الانافه / ١ / ٢٢٠.

٢- الطبرى / ٩ / ١٩.

٣- الفخرى / ٢١٢.

٤- الكامل / ٦ / ٤٥٤.

٥- الفهرست / ١٩٠، و وفيات الاعيان / ٣ / ٢١٣، و شذرات الذهب / ٢ / ١٢٢

لقد استغل الفضل بن مروان ثقة المعتصم بالله به و اعتماده عليه. و يروى التنوخي خبرا فيه دلالة على تسلط الكتاب و استغلالهم نفوذهم فى حيازه الأموال. فعندما ندب الخليفة المأمون اخاه ابا اسحاق الى مصر لقمع الثورة التى قامت فيها سنه (٢١٤ هـ) استصحب معه كاتبه الفضل بن مروان. و قد اشخص الفضل معه احد كتابه هو ابن عبدون الانبارى ليساعده فى عمله. و يقول ابن عبدون انه كسب فى ليله واحده مائه الف دينار. و ذلك ان القتل لما استشرى فى اهل مصر تقدم عدد كبير من رؤساء البلد الى الفضل يسألونه الأمان لهم، فحول كاتبه ان يجيبهم الى ما التمسوا. فكتب هذا فى الامان لمائه رجل منهم. فبعث بعضهم اليه مبالغ من المال بحيث اجتمع له فى تلك الليله ذلك المبلغ (١). لا شك فى ان المبلغ الذى احتجزه الكاتب الصغير لنفسه جزء مما حصل عليه ابن مروان نفسه. و كان من واجب ابي اسحاق، و هو قائد الحمله لاختماد الثورة، ان يصدر عفوا عاما بعد قضائه على رؤوس الفتنة، فيعيد الأمن و الأطمئنان الى نفوس الناس، و لا- يترك مجالا- لهذا الكاتب و امثاله فى استغلالهم. الا ان استحواذ كاتبه الفضل بن مروان عليه جعله يترك الأمر لتدبيره مما اتاح له فرصه الانتهاب.

و قد بلغ من جشع الفضل انه اخذ يسرق الخليفه. فكان يخالفه فى بعض ما يأمر به من المنح و الاعطيات. فكان المعتصم بالله يأمره باعطاء المغنى و الملهى، فلا ينفذ الفضل ذلك (٢). و اخذ يحجب ما كان يحتاج اليه من الاموال فى مهام اموره. فقال ابراهيم الهفتى للمعتصم بالله، و هو احد جلسائه المقربين اليه: مالك من الخلافه

١- الفرج بعد الشده ٣/ ٨٦ و كامل القصه ٨٢-٨٦.

٢- الطبرى ٩/ ١٩.

الا- الاسم، و الله ما يجاوز امرك اذنيك(١). و كان المعتصم بالله امر له بمبلغ من المال فلم يعطه الفضل شيئاً. و ذكر القاضي احمد بن ابى دواد انه كثيرا ما رأى المعتصم بالله يطلب الى الفضل ان يحمل اليه مبلغا من المال، فيرد بعدم توفره، او بعدم استطاعته توفيره. فنصح الفضل الا- يرد الخليفة و لا يمتنع عن اجابه طلباته من المال جهدا امكانه، و حتى فى حاله عدم وجود المال حقيقه، فعليه الا يرد الخليفة باجوبه غليظه، بل يعلله بأن سيعمل على توفيره له. الا ان الفضل امعن فى نهجه، مما اثقل على المعتصم بالله(٢).

و اثار غضبه عليه. ففرض اول الأمر رقبه ماليه عليه، فعين احمد بن عمار لتدقيق النفقات الخاصه، و عين نصر بن منصور ليدقق اعماله فى الخراج و فى الاعمال الاخرى. و كان نصر يتولى آنذاك ديوان الخاتم و النفقات و الأزقه(٣). و امر الفضل بان يرفع اليه تقريرا عما وصله من الاموال و اوجه انفاقها.

و لما فرغ الفضل بن مروان فى اعداد الحساب لم يناظره فيه المعتصم بالله، بل امر بحبسه. ثم نفاه الى قريه السن فى طريق الموصل. و قيل انه حبسه خمس اشهر ثم اطلقه و الزمه بيته(٤).

و ذلك بعد ان صادر امواله و اموال اهل بيته. كما بطش بجماعه من اصحابه و استصفى اموالهم، و قد تولى المصادر اسحاق بن ابراهيم نائب الخليفه ببغداد و صاحب شرطته(٥). و يقال انه اخذ من بيته الف الف دينار، و اخذ اثاثا و فرشاً و آنيه قلدرت قيمتها

١- العيون و الحدائق ٣ / ٣٨٤.

٢- الطبرى ٩٠ / ٢١.

٣- معجم الادباء ٥ / ٣١٨ - ٣١٩.

٤- شذرات الذهب ٢ / ١٢٢.

٥- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٢.

بالف الف دينار كذلك(١). و يقول مؤلف كتاب «العيون و الحدائق فى اخبار الحقائق» انه اخذ منه من الاموال ما لا يحصى حتى ان المعتصم بالله قال: ما كنت اعلم ان فى الدنيا من له مثل هذا المال(٢). و هناك من يقول انه اخذ منه عشره الاف الف دينار(٣).

و قال المعتصم بالله لما قبض على الفضل بن مروان انه عصى الله فى طاعتي فسلطتى عليه(٤). ان ذلك دليل على استغلال الفضل و بطشه بالناس. و بلغ من تدمر الناس و شكواهم منه انه جلس يوما لقضاء اشغال الناس، فرفعت اليه قصص العامه، فرأى فى جملتها رقعته كتب عليها(٥):

تفرغت يا فضل بن مروان فقبلك كان الفضل و الفضل و الفضل

ثلاثه املاك مضوا لسيلهم ابادتهم الأقياد و الحبس و القتل

و انك قد اصبحت فى الناس ظالماستودى كما اودى الثلاثه من قبل

١- وفيات الاعيان ٣/ ٢١٤، و شذرات الذهب ٢/ ١٢٢.

٢- العيون و الحدائق ٣/ ٣٨٤.

٣- العبر ١/ ٣٧٩.

٤- وفيات الاعيان ٣/ ٢١٤.

٥- نفس المصدر/ ٢١٣، و يريد بالفضول الثلاثه: الفضل بن يحيى البرمكى، و الفضل بن سهل، و الفضل بن الربيع. و الفخرى/ ٢١٢ و قد اقتصر على البيتين الاوليين، و جاء عجز البيت الثانى: ابادهم التقييد و الاسر و القتل. و يقول ان هذه الايات للهيشم بن فراس السامى. و معجم الادباء ٢/ ١٢٦ و عجز البيت الثانى فيه: ابادهم الموت المشتت و القتل.

و روى صاحب الهفوات النادره هذا الخبر على الشكل التالى:

تظلم اعرابى الى الفضل بن مروان من بعض عماله، فصرف وجهه عنه و انتهره، فوقف متحيرا واجما، ثم قال: أ يأستنى من عدلك فاسمع منى واصغ ما بدا لك، ثم انشده الأبيات المذكوره، مع تغيير فى بعض الالفاظ. فتغير وجه الفضل و امتقع لونه و بان غضبه و غيظه، و تصبر، و لم يرد على الاعرابى، و لا امر بانصافه، و لم يكن بين ذلك و بين القبض عليه الا ايام يسيره(١).

و قال الفضل عن اسباب مصادرتة: ما فى الارض اجهل من وزير يطلب الخليفه منه مالا و هو فى ولايته فيعطيه اياه، فانه يطمعه فى نعمته، و انما يدفع النكبه مده ثم تحدث و قد ذهب المال.

فمن ذلك ان المعتصم بالله لما خرج لغزو الروم، و انا وزيره، استخلفنى على سر من رأى، فلما عاد طمع فى فقال لى: قد وردت و المال نزر و الجيش مستحق فاحتل لى مائه الف دينار من مالك و جاهك، ففعلت. فلما مضى شهر طلب منى على هذا السبيل خمسين الف دينار، ففعلت. فطلب منى فى الدفعه الثالثه بمثل هذا الوجه ثلاثين الف دينار، فوعده بها و دافعته اياما ثم حماتها اليه. فبلغنى انه قال لأبنة هارون: هذا النبطى ابن النبطيه اخذ مالى جمله، و هو ذا يتصدق على تفاريق(٢).

و قد شمت الناس بالفضل بن مروان لما نكب، و قال فيه بعضهم(٣):

١- الهفوات النادره / ٢٥٦-٢٥٧.

٢- نشوار المحاضره ٨ / ٤٨.

٣- الكامل ٦ / ٤٥٤.

لييك على الفضل بن مروان نفسه فليس له باك من الناس يعرف

لقد صحب الدنيا منوعا لخيرهاو فارقها و هو الظلوم المعنف

الى النار فليذهب و من كان مثله على أى شىء فالتنا منه نأسف

و من المأثور عن الفضل بن مروان انه كان يقول: لا- تتعرض لعدوك و هو مقبل فأن اقباله يعينه عليك، و لا تتعرض له و هو مدبر فان ادباره يكفيك امره(١). و قد عفى عنه الخليفة المعتصم بالله بعد مده و اطلق سراحه من الحبس. فخدم جماعه من الخلفاء بعده حتى مات فى سنة (٢٥٠ هـ) فى ايام المستعين بالله، و قد جاوز التسعين سنة من عمره. و للفضل كتاب جمع فيه من الاخبار التى علم بها، و المشاهد التى رآها، سماه «ديوان الرسائل»(٢).

و لم يحفظ لنا المؤرخون من اعماله و اخباره الا التزر اليسير.

منها ان الخليفة المهدي بن المنصور كان قد امر بأن يجعل يوم الخميس عطلة لموظفى الديوان يستريحون فيه و ينظرون فى امورهم، و يوم الجمعة للصلاه، اى الى ان ولى الفضل بن مروان الوزاره للمعتصم بالله فزال ذلك و الزم الموظفين بالدوام يوم الخميس(٣).

---

١- وفيات الاعيان ٣/ ٢١٤.

٢- الفهرست / ١٩٠.

٣- الوزراء و الكتاب / ١٦٦.

و عند ما قبض على الفضل اشار البحتري الى ذلك ببضعه ابيات وجهها اليه(١):

لا تعجبن فما للدهر من عجب و لا من الله من حصن و لا هرب

يا فضل لا تجز عن مما رميت به من خاصم الدهر جائاه على الركب

كم من كريم نشا فى بيت مملكها تارك مكتثا بالهم و الكرب

اوليته منك اذلالا و منقصهو خاب منك و من ذى العرش لم يخب

ما تشتفى فعله ابكيت ناظرها حتى تراك على عود من الغرب

و ظاهر من هذه الابيات ان الشاعر يبكت الفضل و يلومه على سوء معاملته الناس، و ان ما اصابه انما كان نتيجة افعاله، فلا داعى لأن يتعجب مما آل اليه مصيره.

و لما قبض المعتصم بالله على الفضل، قعد للعامه فوجد قصته فيها(٢):

يا فضل لا تجز عن مما بليت به من خاصم الدهر جائاه على الركب

---

١- ديوان البحتري ١ / ٣٥٨.

٢- محاضرات الادباء ١ / ٨٦.



خنت الامام و هذا الخلق قاطبهو جرت حتى اتى المقدار فى الكتب

جمعت شتى و قد اديتها جملاً أنت اخسر من حماله الحطب

و كان الشاعر الهجاء دعبل الخزاعى قد نصح الفضل بن مروان و حذره من مغبه اعماله بايات من الشعر طريقه هي (١):

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل و قلت فسير مقاله فى الفضل

الا ان فى الفضل بن سهل لعبرهان اعتبر الفضل بن مروان بالفضل

و فى ابن الربيع الفضل للفضل زاجرا اذا ازدرج الفضل بن مروان بالفضل

و للفضل فى الفضل بن يحيى مواعظا اذا تعظ الفضل بن مروان بالفضل

اذا ذكروا يوما و قد صرت رابعاً كرت بقدر السعى منك الى الفضل

فابق جميلاً من حيث تفز به و لا تدع الاحسان و الاخذ بالفضل

فانك قد اصبحت للملك قيماو صرت مكان الفضل و الفضل و الفضل

و لم أر ابياتا من الشعر قبلها جميع قوافيها على الفضل و الفضل

و ليس لها عيب اذا هي أنشدت سوى ان نصحي الفضل كان من الفضل

فبعث اليه الفضل بدنانير و قال له: قد قبلت نصحك، فأكفني خيرك و شرك. و ابيات دعبل على بسطاتها و طرفتها لا تخلو من الانتقاد و التعريض، الى جانب ما تضمنته من النصح و التحذير.

قد ادرك الفضل ما قصد اليه الشاعر الهجاء.

و قد اصبحت نكبه الفضل بن مروان مما يضرب به المثل، فقد قال احد الشعراء(١):

يكفيك من غير الايام ما صنعت حوادث الدهر بالفضل بن مروان

## ٢- محمد بن عبد الملك الزيات::

لما غضب الخليفة المعتصم بالله على كاتبه و وزيره الفضل بن مروان و أمر بمصادرته و حبسه، استوزر احمد بن عمار البصرى.

و كان ابن عمار هذا رجلا موسرا من اهل المزار- و هى قصبه ميسان بين البصره و واسط(٢)- و كان طحانا، فانتقل الى البصره

---

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٢.

٢- معجم البلدان ٥ / ٨٨.

و اشترى بها املاكا فكثر ماله، ثم انتقل الى بغداد فاتسع حاله.

و قالوا انه كان يخرج من الصدقه فى كل يوم مائه دينار(١).

و عند ما كان الفضل بن مروان فى خدمه المعتصم بالله كان يصف له بن عمار بالامانه، فلما طرد الفضل استوزر الخليفه ابن عمار لأمانته(٢). و قيل ان لم يكن وزيرا بل كان كاتبا خاصا للمعتصم بالله عند ما غضب على الفضل بن مروان صير مكانه محمد بن عبد الملك الزيات(٣).

و يظهر ان المعتصم بالله استخدم احمد بن عمار لما عرفه من امانته وسعه حاله لكى يأمن استغلاله منصبه فى ارهاق الناس و احتواء الاموال، كما فعل ابن مروان. الا ان احمد بن عمار كان جاهلا باعمال الوزاره و مهامها. و فيه قال بعض شعراء عصره(٤):

سبحان ربى الخالق البارى صرت وزيرا يا ابن عمار

و كنت طحانا على بغله غير دكان و لا دار

كفرت بالمقدار ان لم تكن قد جزت فى ذا كل مقدار

---

١- الفخرى / ٢١٣.

٢- نفس المصدر. ( ٣٢ ) التنبيه و الاشراف / ٣٠٨.

٣- الطبرى ٩ / ٢٠ و ٢٢، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٨٤، و تاريخ ابن

٤- الفخرى / ٢١٣. خلدون ٣ / ٥٤٨ و العبر ١ / ٣٧٩.

و قد لبث فى الوزاره مده يسيره ثم اعفى منها.

فأستأذن الخليفه بان يسمح له بالخروج الى الحج و المجاوره، فأذن له المعتصم بالله و وصله بعشره الاف دينار. و دفع اليه عشرين الف دينار ليصرفها فى اهل الحرمين من الهاشميين و القرشيين و الأنصار. فقال: و اذا تقدم غيرهم ممن يستحق فماذا اعطيهم؟ فاعطاه خمسه الاف اخرى. و حج ابن عمار و فرق المال كله مع العشره الاف التى كانت له، و جاور سنه ثم انصرف. فكان الناس هناك يضربون المثل بذلك العام، و يقولون ما رأينا مثل عام ابن عمار(١).

اشرنا آنفا الى ان المعتصم بالله اعجب بسعه اطلاع محمد بن عبد الملك الزيات و وفره معلوماته فاتخذته وزيراً بدلاً من ابن عمار.

الا ان روايه صاحب الهفوات النادره، ان صحت، تدحض ذلك و ترجح احتمال ان ابن عمار هو الذى رشح صاحبه و صديقه ابن الزيات للخليفه ليوليه الوزاره، لما يعرفه عنه من غزاره العلم، و الأمانه. و كان جد محمد بن عبد الملك الزيات ابان بن حمزه قرويا من اهل جبل و هى قريه من اعمال بغداد تحت المدائن(٢).

و كان يجلب الزيت الى بغداد، فنسب اليه و لقب بالزيات. و يظهر ان اباه عند ما انتقل الى بغداد عمل فى التجاره فصار من اغنياء التجار، بحيث ان ابراهيم بن المهدي عند ما بايعه اهل بغداد بالخلافه و احتاج الى المال اقترض من عدد من التجار، كان عبد الملك الزيات احدهم.

١- ثمار القلوب / ٢٠٤.

٢- معجم البلدان ٢ / ٢٠٢. و يقول ابو الفرج ان اسم القريه جبل و هى مقابله لقريه دسكره غربى بغداد. الاغانى ٢٣ / ٤٦.

نشأ محمد ببغداد و انصرف الى طلب العلم و المعرفة فاصبح اديبا اريبا، عالما، فى النحو، بليغا فى اللغة. حتى ان ابا عثمان المازنى لما قدم ببغداد فى ايام المعتصم بالله، كان اذا اختلف جلساؤه فيما يقع فيه الشك من علم النحو، يقول لهم عليكم بمحمد فاعرفوا جوابه. و كانت اجوبه محمد مصيبه دائما يرتضيها ابو عثمان(١). و قد وصفه ابن الطقطقى بحده الذكاء و انه «برع فى كل شىء حتى صار نادره و قته عقلا- و فهما و ذكاء و كتابه و شعرا و خبره بأداب الرياسه و قواعد الملوک»(٢). و قال عنه الخطيب البغدادي انه كان اديبا فاضلا عالما بالنحو و اللغة(٣). و قال عنه ابن خلكان مثل ذلك و اضاف انه كان من اهل الأدب الظاهر و الفضل الباهر(٤). و يروى انه لما تولى الوزاره اشترط الا يلبس القباء، و ان يلبس الدراعه و يتقلد عليها سيفا بحمائل، فأجيب الى طلبه(٥).

لقد نهض ابن الزيات باعباء الوزاره على احسن وجه بحيث حاز ثقه الخليفه و رضاه. و يقول ابن الطقطقى انه نهض بالوزاره نهوضا لم يكن لمن تقدمه من اضرابه، الا- انه يقول ايضا انه كان جبارا متكبرا، فظا غليظ القلب، خشن الجانب، مبغضا الى الخلق(٦). لقد كان ابن الزيات فى الواقع وزيرا حازما و اداريا

١- تاريخ بغداد ٢ / ٣٤٢، و وفیات الاعيان ٤ / ١٨٢.

٢- الفخرى / ٢١٣.

٣- تاريخ بغداد ٢ / ٣٤٢.

٤- وفیات الاعيان ٤ / ١٨٢.

٥- الاغانى ٢٣ / ٥٢.

٦- الفخرى / ٢١٣.

قديرا. عرف بالشده و الصرامه. و قد اناط به المعتصم بالله مسؤوليه جميع ما بناه فى سر من رأى فى كلا جانبيها الشرقى و الغربى(١). و بلغ من قوه نفوذه انه كان يعقد للولاه، فقد عقد لاسحاق بن ابى خميصته على اليمامه و البحرين و طريق مكه ممايلى البصره، فى دار الخلافه. و لم يذكر ان احدا من الوزراء قام بذلك غيره(٢). و قد وصفه كاتبه احمد ابن اسرائيل بقوله: كان ابن الزيات قليل الخير، لا يرعى ذماما و لا يوجب حرمه، و لا يحب ان يصطنع احدا(٣). و روى ابو الفرج بعض الاخبار الداله على لؤم ابن الزيات و حقه و حسده. فقد مر ذات يوم بدار ابراهيم بن فرأى فيه قبه مشيده، فساءه ان يرى مظاهر الجاه و الثراء عليه، فقال:

اما القباب فقد اراها شيدت و عسى امور بعد ذاك تكون

عبد عرت منه خلائق جهله اذ راح من الثراء و هو سمين

فما كانت الا ايام حتى اوقع بابن رباح و نكبه(٤). و من مظاهر لؤمه ايضا انه كان له جار، فلما بلغ ابن الزيات ما بلغ، شخص اليه ذلك الجار يطلب اقاله عثرته. فقال: قد علمت حالك، فانصرف وعد الى فى غد. فولى الرجل، فلما صار غير بعيد منه

١- الطبرى ٩ / ٢٠.

٢- الطبرى ٩ / ١٤٠.

٣- الفرج بعد الشده ٣ / ٢٧٥.

٤- الاغانى ٢٣ / ٧٢.

دعا به و قال له: و الله مالك عندي شىء. ثم اقبل على بعض من كان بين يديه فقال: انما رددته و آيسسته بخلا عليه بفسحة الأمل بقيه يومه(١). و ذلك منتهى اللؤم و البخل على الآخرين و بخاصه ذوى الحاجه منهم.

ى انه مع رغم قسوه ابن الزيات و حقه و صرامته، فقد كان لا يخلو من العدل و الانصاف فى معامله الآخرين احيانا. فقد جلس يوما للمظالم فتقدم اليه رجل ادعى بأنه مظلوم و ان الوزير نفسه قد ظلمه. فسأله عن امره، فأوضح له ان وكيله قد اغتصب ضيعه له، و هو لا يزال يدفع خراجها لثلاثا يفقد ملكيتها، بحيث اصبح(٢) و كيل الوزير يأخذ غلتها، و يؤدى صاحبها خراجها، و ان ما لم يسمع فى الظلم مثله. فسأله لما تأخر فى شكواه، فأجاب بأن خوفه من سطوته و قوه حجته منعه من التقدم بالشكوى. فقال ابن الزيات:

ان ذلك يحتاج الى بينه و شهود و اشياء. قال الرجل: أيؤمننى الوزير من غضبه حتى اجيب؟ قال: قد امنتك. قال: البينه هم الشهود و اذا شهدوا فليس يحتاج معهم الى شىء، و ما قولك و اشياء الا للتعجيز. فضحك محمد(٣) قال: صدقت. ثم وقع له برد ضيعته، و ان يطلق له كر حنطه و كر شعير و مائه دينار يستعين بها على عماره ضيعته، و صيره من اصحابه(٤).

نستدل من هذا الخبر على عنت الحكام و سوء تصرف و كلائهم فى اغتصاب اموال الآخرين، او التمتع بغلاتها و خيراتها، و حرمان

١- جمع الجواهر فى الملح و النوادر / ٣٠٠.

٢- الاغانى ٢٣ / ٤٧-٤٨، و الهفوات النادره / ٣٨٩-٣٩٠.

٣- العقد الفريد ٣ / ٢١٣.

٤- عيون الانباء / ٢٨٤.

اصحابها الشرعيين من ذلك. و اذا ما انصف ابن الزيات احد هؤلاء المغتصبه اموالهم لأنه تجراً فاشتكى منه اليه، فان هناك عديد من امثاله ممن لا تصل شكواهم الى مسؤول.

يقول ابن عبد ربه ان محمد بن عبد الملك كان يأنس باهل البلاده و يستوحش من اهل الذكاء. فسئل عن ذلك، فقال: مؤونه التحفظ شديد(١). و هذا يلقي ضوءاً على جانب من شخصيته، هو رغبته في التميز على الآخرين، و ذلك لا يتاح له الا اذا كانوا دونه كفايه و ذكاء. كما ان ذلك يعفيه من التحفظ في اقواله و افعاله امامهم لأنهم لا يملكون قدره الاعتراض عليه او مناقشته، و انهم لا ينتبهون الى ما يهدف اليه من بعض اعماله و تصرفاته.

كان ابن الزيات مولعاً بالآداب و العلوم الى جانب كفايته الاداريه و السياسيه. و قد شجع نقل الكتب اليونانيه الى العربيه و قد انفق على ذلك مبالغ كبيره. يقول ابن ابي اصيبه ان عطاءه للنقله و النساخ يقارب الفى دينار في كل شهر، و ان بعض الكتب نقلت باسمه، و قام بذلك كبار الأطباء و المترجمين مثل يوحنا بن ماسويه و سلمويه بن بنان و اسرائيل بن زكريا الطيفورى(٢).

و ذكر صاحب الفهرست ان حنين بن اسحاق نقل لمحمد بن عبد الملك الزيات الى العربي كتاب الصوت و هو اربع مقالات(٣). و يمكن ان نستنتج مما كان ينفقه على المترجمين و ما كان يهديه اليه بعض المؤلفين انه كانت له بسامرا خزانه كتب كبيره تضم مجلدات من الكتب الموضوعه و المترجمه في مختلف الفنون و العلوم.

١- الفهرست / ٤١٨.

٢- معجم الادباء ٦ / ٧٥.

٣- نفس المصدر / ٨٥-٨٦.



كما كان ابن الزيات يرفعى الادباء و الشعراء. و كان عمرو بن بحر الجاحظ كبير ادباء عصره ملازما له مختصا به. و قد انحرف بسببه عن قاضى القضاء احمد بن ابى دواد، للخصومه التى كانت بين ابن الزيات و ابن ابى دواد. و قد اهدى الجاحظ كتابه «الحيوان» الى ابن الزيات فمنحه خمسة الاف دينار(١). و قال الجاحظ: اردت الخروج الى محمد بن عبد الملك ففكرت شىء اهديه اليه فلم اجد اشرف من كتاب سيبويه، و قلت له اردت ان اهديك شيئا ففكرت فاذا كل شىء عندك، فلم أر اشرف من هذا الكتاب و قد اشتريته من ميراث القراء. قال: و الله ما اهديت الى شيئا احب الى منه(٢).

لقد جمع ابن الزيات بين النثر و الشعر، فكان شاعرا مجيدا لا يقاس به احد من الكتاب. قال الصولى: كنا نقول لم يل الوزاره اشعر من أحمد بن يوسف حتى ولى محمد بن عبد الملك فكان اشعر منه(٣). و من رقيق شعره قوله:

سماعا يا عباد الله منى و كفوا عن ملاحظه الملاح

فأن الحب آخره المنايا و اوله بهيج بالمزاح

و قالوا: دع مراقبه الثريا و نم فالليل مسود الجناح

١- الاوراق / ٢٠٦.

٢- لاغانى ٢٣ / ٤٦-٤٧.

٣- ديوان البحترى ١ / ٦٣٢-٦٣٨.

فقلت: و هل افاق القلب حتى افرق بين ليلي و الصباح

و قد افرد ابو الفرج فصلا في كتابه لابن الزيات باعتباره ادبيا شاعرا و روى له عددا من المقاطع الشعرية(١).

و مدح ابن الزيات عدد من شعراء عصره و على رأسهم البحترى، فقد مدحه بقصيده يصف فيها بلاغته و عزمه و كفايته، جاء فيها(٢):

في نظام من البلاغه ماشك امرؤ انه نظام فريد

و معان لو فضلتها القوافي هجنت شعر جرول و لبيد

حزن مستعمل الكلام اختبارا و تجنبن ظلمه التعقيد

و ركن اللفظ القريب فادركن به غايه المراد البعيد

و ارى الناس مجمعين على فضلك من بين سيد و مسود

عرف العالمون فضلك بالعلم و قال الجهال بالتقليد

---

١- ديوان ابى تمام ١ / ٢٣٩ - ٢٥٩.

٢- نشوار المحاضره ٨ / ٩١.

صارم العزم حاضر الحزم سارى الفكر ثبت المقام صلب العود

دق فهما وجل حلما فأرضى الله فينا و الواثق بن الرشيد

قد تلقيت كل يوم جديديا ابا جعفر بمجد جديد

و اذ استطرفت سياده قوم بنت بالسؤدد الطريف التليد

و مدحه ابو تمام الطائي بقصيده منها(١):

و عاذل هاج باللؤم مأربه باتت عليها هموم النفس تصطخب

لما اطال ارتجال العذل قلت له الحزم يثنى خطوب الدهر لا الخطب

لم يجتمع قط فى مصر و لا طرف محمد بن ابى مروان و النوب

لى من ابى جعفر آخيه سبب ان تبق يطلب الى معروفى السبب

صحت فيما يتمارى من تأملها من فرط نائله فى انها نسب

لن يكرم الظفر المعطى و ان اخذت به الرغائب حتى يكرم الطلب

ردء الخلافه فى الجلى اذا نزلت و قيم الملك لا الوانى و لا النصب

لقى اليك عرى الأمر الامام فقدشد العتاج من السلطان و الكرب

يعشو اليك وضوء الرأى قائده خليفه انما آراؤه شهب

و قد بقى محمد بن عبد الملك الزيات محتفظا بمركزه فى الوزاره طيله ايام الخليفه المعتصم بالله، و فى ايام ابنه الواثق بالله و بعض ايام المتوكل على الله. و قال الفضل بن مروان: لا نعلم وزيرا و زر و زاره واحده بلا حرف لثلاثه خلفاء منسقين غير محمد بن عبد الملك(١). و يؤيد ابو الفرج ذلك بقوله: انه و زر ثلاث دفعات و هو اول من تولى ذلك(٢).

و كان من اول اعمال الواثق بالله عند ما تولى الخلافه انه اتخذ وزير ابيه وزيرا له، لما كان يتوسمه فيه من الدرايه و الكفايه، و عمق المعرفه وسعه الاطلاع، رغم انه كان ينقم عليه امورا كثيره قاساها منه عند ما كان اميرا. بحيث انه قال يوما لخادمه: قد تم على من هذا الكلب كل مكروه، فاذا افضت الى الخلافه فقتلنى ان لم اقتله(٣). و يقول ابن الطقطقى ان الواثق كتب بخطه كتابا و حلف فيه ليقتلن ابن الزيات(٤). الا انه عند ما آلت اليه الخلافه

١- نشوار المحاضره ٨ / ١٩.

٢- الفخرى / ٢١٤.

٣- نفس المصدر، و نشوار المحاضره ٨ / ١٧ - ١٩.

٤- وفيات الاعيان ٤ / ١٨٦.

و حضر الدار جميع الكتاب، لم يرق له ما كتبه عن موت ابيه و توليه الخلافة، فاضطر ان يطلب الى ابن الزيات ان يكتب ذلك. فكتب كتابا نال استحسان الواثق بالله بحيث امر بتحرير الكتب الى جميع الجهات بموجبه(١). و اقره في الوزاره لأنه لم يجد من يقوم مقامه من حيث درايته و حسن سياسته الى سعه اطلاعه و معرفته بتدبير الأمور. و فوض اليه ملكه و صار لا يصدر الا عن رأيه. و يروى انه قال ان عن المال و الفديه عن اليمين عوض، و ليس عن الملك و ابن الزيات عوض(٢). و انه قال: و الله ما يمنعني من الوفاء بيمينى الا النفاسه على ان يخلو الملك من امثاله(٣). و لذلك فانه لم يستوزر غيره طيله حياته. على الرغم من ان ابن الزيات كان كما يقول اليعقوبى بشىء من التحامل عليه: شديد القسوه، قليل الرحمه، جباها للناس، كثير الاستخفاف بهم، و لا معروف عنده(٤).

و عند ما بويع للمتوكل على الله بالخلافه استمر محمد بن عبد الملك الزيات فى الوزاره، الا ان المتوكل على الله كان يعقد عليه بعض الامور. و قد سبق ان اشرنا الى ما كان يحمله من حقد على ابن الزيات و القائد التركى ايتاخ. لانهما كانا عارضا ترشيحه للخلافه و اقترحا قتله للتخلص منه. اضافه الى ان ابن الزيات كان يسيء معاملته فى عهد اخيه الواثق بالله. لذا كان من المتوقع ان يتخلص الخليفه من ابن الزيات الا انه تمهل قليلا قبل ان يقدم على ذلك. و يقول ابو الفرج انه «خشى ان نكبه عاجلا ان يستتر اسبابه فتفوته بغيته فيه، فاستوزره و خلع عليه. و جعل ابن ابى

١- جمع الجواهر فى الملح و النوادر/ ٣٠٣-٣٠٤.

٢- و فيات الاعيان ١٨٦/٤.

٣- جمع الجواهر فى الملح و النوادر/ ٣٠٣-٣٠٤.

٤- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٨٤.

دواد يغريه به و يجد لذلك عنده موقعا و استماعا»(١). حتى اذا كان يوم الاربعاء لسبع خلون من صفر من سنه (٢٣٣ هـ) عزم المتوكل على الله على الفتك به. فأمر كبير قواده و حاجبه ايتاخ ان يقبض على ابن الزيات و يعذبه. فقبض عليه و اودعه السجن.

و وجه اثنين من وجوه اصحابه هما يزيد بن عبد الله الحلواني و هرثمه شارباميان الى داره و اخذا جميع ما فيه(٢).

و كان الخليفه قد وجه راشدا المغربى الى بغداد لقبض ما لأبن الزيات فيها من الاموال، و امر ابا الوزير احمد بن خالد بقبض ضياعه و ضياع اهل بيته حيثما كانت. و اجر ابن الزيات على ان يوكل العباس بن احمد كاتب القائد عجيف بن عنسه ببيع ما يملكه. فكانت قيمه ما قبض له تسعين الف دينار، و قيل مائه الف دينار(٣).

و قيد ابن الزيات فى سجنه بأمر الخليفه، فامتنع عن الطعام، و كان شديد الجزع كثير البكاء قليل الكلام. و كان ابن الزيات قد اتخذ للمصادررين و المغضوب عليهم تنورا من الخشب فيه مسامير اطرافها الى داخل التنور، يعذبهم فيه. فأمر المتوكل على الله بادخاله فى ذلك التنور فبقى فيه اياما فمات(٤). و هناك اختلاف فى سبب موته، فقد قيل انه ضرب فمات و هو يضرب، و قيل انه مات بغير

١- الاغانى ٢٣ / ٧٢ - ٧٣.

٢- الطبرى ٩ / ١٥٨.

٣- نفس المصدر / ١٥٨ و ١٦١ و الاغانى ٢٣ / ٧٤.

٤- نفس المصدر / ١٥٩، و الكامل ٧ / ٣٧، و مروج الذهب ٤ / ٨٨ و فيه كان التنور من الحديد، و كذلك جاء فى الاغانى ٢٣ / ٧٤.

ضرب، و يفهم مما ذكره مسكويه انه مات من جراء تعذيبه فى التنور(١).

و يقول المسعودى ان ابن الزيات لما ادخل التنور طلب دواه و بطاقة فكتب الى الخليفه:

هى السبيل فمن يوم الى يوم كأنه ما تريك العين فى النوم

لا تجزعن رويدا انها دول دنيا تنقل من قوم الى قوم

الا ان المتوكل على الله لم يطلع على الرقعته فى يومها، فلما كان الغد قرأها فأمر باخراجه، فوجد ميتا(٢). و ذكر عن احد حراسه انه سمعه قبل موته يقول لنفسه: يا محمد لم تقنعك نعمه و الدواب الفره و الدار النظيفه و الكسوه الفاخره و انت فى عافيه، حتى طلبت الوزاره، ذق ما عملت بنفسك، ثم سكت عن ذلك، و كان لا يزيد على التشهد و ذكر الله، و كانت وفاته فى يوم الخميس لاحدى عشره ليله بقيت من ربيع الأول سنه ٢٣٣هـ(٣) بعد ان لبث فى الوزاره اربعة عشر عاما و بضعه اشهر. و يقول ابو الفرج ان المتوكل على الله «ندم على قتله و لم يجد منه عوضا» و كان يقول لأحمد بن ابى دواد «اطمعتنى فى باطل، و حملتنى على امر لم اجد منه عوضا»(٤).

١- الطبرى ٩ / ١٥٩، و الكامل ٧ / ٣٨، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٩.

٢- مروج الذهب ٤ / ٨٨.

٣- الطبرى ٩ / ١٦٠، و الكامل ٧ / ٣٨.

٤- الاغانى ٢٣ / ٧٣.

و قد رثاه صديقه و اقرب الناس اليه الحسن بن وهب بشعر كان يتنصل منه خوفا على حياته، جاء فيه (١):

يكاد القلب من جزع يطير اذا ما قيل قد قتل الوزير

أمير المؤمنين هدمت ركناعليه رحاكم كانت تدور

سيلى الملك من جزع عليه و يخرب حين تضطرب الامور

فمهلا يا بنى العباس مهلا فقد كويت بنعلكم الصدور

الى كم تنكبون الناس ظلما لكم فى كل ملحمة عقير

جزيتم ناصرا لكم المنايا و ليس كذلككم يجزى النصير

### ٣- احمد بن خالد:

ابو الوزير، من كتاب الدوله العربيه. و لما عزم المعتصم بالله على بناء مدينه سامرا كلف وزيره محمد بن عبد الملك الزيات و اثنين من الكتاب لشراء الارض التى قرر انشاء المدينه عليها،



كان احدهما احمد بن خالد (١). و يقول الطبرى ان المعتصم بالله بعث احمد بن خالد الى ناحيه موقع سامرا ليشتري له ارضا يبنى فيها مدينه، و امره ان يأخذ معه مائه الف دينار ليدفع قيمه ما يشتريه فقال احمد انه سيأخذ خمسه الاف دينار و كلما احتاج الى زياده بعث الى الخليفه يستزيده، فاتي الموضوع و اشترى ما كلفه به الخليفه (٢).

و ولى احمد بن خالد للخليفه المعتصم بالله خراج مصر فى سنه (٢٢٦ هـ) حينما قدم اليها يحمل معه كتاب ولايه القضاء لمحمد بن ابى الليث (٣). و يظهر انه عاد الى الكتابه فى ديوان الخلافه، اذ كان من جمله الكتاب الذين صادرهم الواثق بالله سنه (٢٢٩ هـ) فاخذ منه صلحا، اى دون ان يأمر بضربه، مائه و اربعين الف دينار (٤). و عند وفاه الواثق بالله كان احمد بن خالد من الحاضرين فى قصر الخلافه مع الوزير ابن الزيات و قاضى القضاء ابن ابى دواد و كبار القواد الاتراك، و شارك فى اختيار المتوكل على الله للخلافه (٥).

و عند ما كان المتوكل على الله مغضوبا عليه من اخيه الواثق بالله، و يلقي عننا من الوزير ابن الزيات و من عمر بن فرج الرخجى صاحب ديوان النفقات، كان ابو الوزير و هو زمام على عمر المذكور آنذاك يواسيه و يحسن معاملته (٦). مما كان له أثر حسن فى نفس المتوكل على الله، فاخذ عند استخلافه يعتمد عليه فى اداء بعض المهام. اذ وجهه لقبض ضياع ابن الزيات عند ما

١- كتاب البلدان / ٢٥٧-٢٥٨.

٢- الطبرى ٩ / ١٧.

٣- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٤٤٩.

٤- الطبرى ٩ / ١٢٥، و الكامل ٧ / ١٠، و تجارب الامم ٦ / ٥٢٨ و فيه انه اخذ منه مائتى الف دينار.

٥- الطبرى ٩ / ١٥٤، و الكامل ٧ / ٣٣، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٥.

٦- الطبرى ٩ / ١٥٧.

سخط عليه، كما اشرنا آنفا. ثم اناط به مهام الوزارة من غير ان يسميه بها. الا انه سرعان ما غضب عليه و امر في ذى الحجه من السنه نفسها بمحاسبتة و مصادرتة، و اخذ منه ستين الف دينار، و بدرنا من الدراهم و الحل، و من متاع مصر و بضائعها اثنين و ستين سقفا، و اثنين و ثلاثين غلاما، و فرشا كثيره(١). ثم ما لبث ان رضى عنه ثانيه، فولاه خراج مصر في سنه (٢٣٨ هـ) شريكا لعنيسه بن اسحاق الضبى(٢).

#### ٤- محمد بن الفضل الجرجاني:

ابو جعفر، كان يكتب للفضل بن مروان، و هو من جرجايا من اعمال النهروان الأسفل بين بغداد و واسط(٣). و كان شيخا ظريفا حسن الأدب. عالما بالغناء مشتتها به(٤). استكتبه الخليفه المتوكل على الله بعد ان صرف ابا الوزير احمد بن خالد من عمله في (٢٣٣ هـ)(٥). الا انه اضطر بعد مده الى عزله بعد ان كثرت السعايات به، و قال: قد ضجرت بالمشايخ اريد حدثا استوزره(٦).

و لما قتل القائد التركي اوتامش المتسلط على الوزارة في عهد الخليفه المستعين بالله، في سنه (٢٤٩ هـ) و اشتد الخلاف بين الخليفه

١- الطبرى ٩ / ١٦٢، و الكامل ٧ / ٢٩، و الفخرى / ٢١٦.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢٠٠.

٣- معجم البلدان ٢ / ١٢٣.

٤- الفخرى / ٢١٦.

٥- كتاب الطبرى ٩ / ٢٦٢.

٦- الفخرى / ٢١٦.

و الاتراك، اتخذ الخليفة محمد بن الفضل الجرجاني وزيراً (١).

الا انه لم يلبث ان توفي السنه التاليه (٢).

### ٥- عبيد الله بن يحيى بن خاقان:

كان المتوكل على الله قد صرف محمد بن الفضل الجرجاني من الوزاره فى سنه (٢٣٦ هـ) و استكتب عبيد الله بن يحيى بن خاقان.

و كان اول معرفه المتوكل على الله به، ان عبيد الله كان قد لازم الفضل بن مروان، و هو يتقلد ديوان الضياع، و يعاونه فى الامور الكتابيه. و صادف ان اهل ارمينيه طلبوا من الفضل ان يمضى لهم مقاطعه فى بلادهم فرفض رغم الحاحهم و لجوئهم الى كثير من اصحابه. فلجأوا الى عبيد الله بن يحيى فخاطب الفضل فى امرهم بما جعله يستجيب لطلبهم. فحمل القوم الى عبيد الله خمسه الاف دينار فردها و قال ما كنت لآخذ على معروف ثمننا. فلما خرجوا الى ارمينيه حملوا اليه فرش بيت ارمى جميلا جدا ببساط عظيم و مصليات و اتخاخ و مخاد و ستور، و كتبوا عليه اسمه و كنيته.

و كان المتوكل على الله حينذاك قد وكل بالطرق و امر الا يدخل شىء من الامتعه الا ان يعرض عليه. فلما عرضت عليه الهديه المذكوره استحسناها و سأل عن عبيد الله و علاقته باهل ارمينيه، و لما اطلع على خبره معهم امر بتسليم الفرش اليه، و قال هذا فتى يدل فعله على كبر همته (٣). و لما صرف المتوكل على الله محمد بن الفضل الجرجاني عن الوزاره لم يعين وزيراً و امر اصحاب الدواوين ان يعرضوا عليه اعمالهم، و جعل التوقيع للقائد التركى وصيف. ثم احتاج الى كاتب يكون بين يديه فأمر ان يطلب له حدث

١- الطبرى ٩/ ٢٦٤، و الكامل ٧/ ١٤٤، و الفخرى / ٢٢٠.

٢- الكامل ٧/ ١٣٥.

٣- نشوار المحاضره ٨/ ٥١-٥٣.

من اولاد الكتاب، فسموا له جماعه كان فيهم عبيد الله بن يحيى.

فلما ذكر اسمه تذكر المتوكل على الله حديث الفرش الارمنى، فاختره للكتابه(١).

و لم تزل منزله عبيد الله تتقدم لدى الخليفه حتى امر ان يخلع عليه و ان لا يعرض احد من اصحاب الدواين عليه شيئا، و ان يرفعوا اعمالهم الى عبيد الله ليتولى عرضها عليه. و اجرى عليه فى كل شهر عشره الاف درهم. و قوى امر عبيد الله فحذف اسم القائد وصيف من التوقيع و اثبت اسمه. ثم امر له الخليفه برزق الوزاره، ثم خوطب بها(٢). و لشده اعتماد المتوكل على الله على عبيد الله قلده كتابه ابنه المعتر و المؤيد و ضم اليهما بضعه عشر الف رجل و جعل تدبيرهم الى عبيد الله ايضا، فصار وزير امير(٣).

و قد ضم اليه توقيع ديوان العامه فى سنه (٢٤٥ هـ) فاستخلف ابن عمه يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان(٤).

كان عبيد الله من خيره الكتاب، حسن الخط و له معرفه بالحساب و الاستيفاء، و رغم انه كان فى تصرفاته بعض التخليط الا ان كرم نفسه و حسن اخلاقه، و نزاهته و عفته، غطت على عيوبه(٥). و قد اعجب به المتوكل على الله فرفعه و اعلى مرتبته و ولاه و امره ان يكتب: مولى امير المؤمنين، و ان يأمر كتاب الدواوين ان يوقعوا باسمه. فاستعفاه يحيى من ذلك. الا انه اخذ يولى العمال على الخراج و الضياع و البريد و المعادن، و يعين القضاء فى جميع انحاء الدوله. و قد سلك فى اعماله سيره حسنه

١- نفس المصدر / ٨٣.

٢- نفس المصدر.

٣- نشوار المحاضره ٨ / ١٥ - ١٦.

٤- الطبرى ٩ / ٢١٧.

٥- الفخرى / ٢١٦.

جعلته محمودا عند الناس (١). و من تعففه ان صاحب مصر حمل اليه مائتي الف دينار و ثلاثين سفظا من الثياب المصريه، فلما احضرت بين يديه، قال لو كيل صاحب مصر: لا و الله لا اقبلها و لا اثقل عليه بذلك، ثم فتح الأسفاط و اخذ منها منديلا لطيفا وضعه تحت فخذه، و امر بالمال فحمل الى خزانه الديوان (٢).

و قد وصفه ابو العيناء الأديب الشاعر للمتوكل على الله لما سأله عنه، بقوله: العبد لله و لك منقسم بين طاعته و خدمتك، يؤثر رضاك على كل فائده، و ما عادل بصلاح رعيتك كل لذه (٣).

و عند ما عزم المتوكل على الله بناء مدينه المتوكلية (الجعفرية) حاول نجاح بن سلمه، و كان على ديوان التوقيع و التتبع على العمال، أن يتقرب الى الخليفة بتحريضه على مصادره اموال عبيد الله بن يحيى و عدد من رؤوساء الدواوين، فعرض عليه ان يسمى له قوما يدفعهم اليه حتى يستخرج منهم اربعين الف الف درهم تساعد في نفقه بناء المدينه الجديده. فطلب اليه الخليفة ان يذكر اسماءهم. فرفع اليه نجاح رقعه يذكر فيها موسى بن عبد الملك صاحب ديوان الخراج، و الحسن بن مخلد صاحب ديوان التوقيع. و خليفته عيسى بن فرخان شاه، و عبيد الله بن يحيى و اخويه عبد الله و زكريا، و آخرين غيرهم، نحو من عشرين رجلا. فلما علم عبيد الله بذلك عمل على انقاذ الجماعه و تسفيه اقتراح نجاح لدى الخليفة. فأقنع نجاحا بان يعتذر للخليفة عما تقدم به، و كان عبيد الله اخذ بنفس الوقت رقعه من موسى و الحسن يتعهدان فيها باستخراج اموال نجاح بن سلمه اذا سلمه الخليفة اليهما، و ضمنا

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٨ - ٤٨٩.

٢- الفخرى / ٢١٦.

٣- الديارات / ٩٠.

تحصيل الفى الف دينار منه. فاقتنع المتوكل على الله باقتراح وزيره، و دفع نجاحا الى غريميه. فاخذاه و اولاده فاقروا بنحو مائه و اربعين الف دينار، سوى الغلات و الغروس و الضياع و غير ذلك. ثم امروا بضرب نجاح حتى مات. فأقر ابناؤه بعد الضرب بسبعين الف دينار اخرى سوى مالهما من الاملاك فأخذت جميعها منهم. كما اخذ بسببه قوم بسامرا و ببغداد و بمكه و بناحية السواد فحبسوا و صودروا(١).

كان عبيد الله مواليا للمتوكل حريصا على ارضائه. فلما رآه يبعد ابنه محمدا المنتصر و ينتقصه شايعه فى ذلك، و بدلا من ان يقرب بين الخليفه و ولى عهده و يعمل على ازاله ما بينهما من اسباب التباعد و الجفاء انتهج سياسه تزيد فى سخط ولى العهد على ابيه. فعند ما عزم المتوكل على الله على الصلاه آخر جمعه فى رمضان سنه (٢٤٧ هـ) و اراد الركوب للذهاب الى المسجد الجامع، قال له عبيد الله و الفتاح بن خاقان ان الناس اجتمعوا و كثروا، من بنى العباس و غيرهم، و اكثرهم متظلم و طالب حاجه، و قد يزعمون امير المؤمنين و هو يشكو ضيق الصدر و وعكه، و اقترحا عليه ان يعهد لأحد و لاه العهد بالصلاه بالناس. فأمر المتوكل على الله ابنه المنتصر بالصلاه. فلما نهض المنتصر ليركب للصلاه، قال للخليفه ان يأمر ابا عبد الله المعتز ليشرفه بذلك و قد ولد له ولد قبل ذلك بيوم. فأمر المعتز فذهب و صلى بالناس، مما اغضب المنتصر(٢).

و لما حل عيد الفطر امر المتوكل على الله ان يصلى المنتصر بالناس، قال له ان الناس يتطلعون الى رؤيه الخليفه، و لا نأمن ان هو لم يحضر الصلاه ان يرجف الناس بعلمته و يتكلمون بامره.

١- الطبرى ٩/ ٢١٤-٢١٧، و الكامل ٧/ ٨٨-٨٩، و تجارب الامم ٦/ ٥٥٤.

٢- الطبرى ٩/ ٢٢٢-٢٢٣.

فأمر بالتهيؤ للصلاه و خرج و صلى بالناس(١). فزاد ذلك فى غضب المنتصر و سخطه على ابيه و رجاله.

و عند ما قتل المتوكل على الله اجتمع الى عبيد الله جند الفرقة التى كانت تحت امرته و يتراوح عددهم بين خمسه الاف و عشره الاف، و قالوا له: انما كنت تصطنعنا لهذا اليوم فأمرنا بامرک و أذن لنا نمل على القوم ميله نقتل المنتصر و من معه من الاتراك و غيرهم. فأبى ذلك و قال: ليس فى هذا حيله و المعتز فى ايديهم(٢). و كان يميل الى المعتز فخاف ان هو تحرك ضد المنتصر و اتباعه ان يقتلوا المعتز. و يقول ابن الطقطقى ان الجند كانوا يحبون عبيد الله بن يحيى لحسن سيرته فيهم فلما قتل المتوكل على الله خاف عبيد الله على نفسه، فاجتمع الجند على بابه و قالوا له: انت احسنت الينا و اقل ما يجب علينا ان نحرسك فى مثل هذه الفتنة، و لازموا بابه و حفظوه(٣).

و لما بويع المنتصر الله بالخلافه بايعه عبيد الله بن يحيى و انصرف. و استوزر الخليفه الجديد احمد بن الخصيب احد كبار الكتاب. و ظل عبيد الله بعيدا عن وزاره فى عهد الخليفه المستعين بالله الذى لم يكن يرتاح اليه، فاغتنم فرصه خروجه الى الحج فبعث خلفه احد رجاله و امره بنفيه الى برقه(٤). و عند ما اضطر المستعين بالله على ترك سامرا و الالتجاء الى بغداد و تفويض امره الى نائبه فيها محمد بن طاهر بن عبد الله الذى وقف الى جانبه فى اول نزاعه مع الاتراك، لعب عبيد الله بن يحيى دورا فى تغيير موقف ابن طاهر من المستعين بالله، و قد قال له مره: ان هذا الذى

١- الطبرى ٩/ ٢٢٣، و الكامل ٧/ ٩٦.

٢- الطبرى ٩/ ٢٢٩، و الكامل ٧/ ٩٩- ١٠٠، و تجارب الامم ٦/ ٥٥٧.

٣- الفخرى ٢١٧.

٤- الطبرى ٩/ ٢٥٨، و الكامل ٧/ ١١٩، و تاريخ يعقوبى ٢/ ٤٩٥ و فيه انه نفاه الى مكه و قبل وصوله اليها بعث خلفه من نفاه الى برقه.

تنصره و تجد فى امره من اشد الناس نفاقا، و اخبثهم ديناً، و الله لقد امر وصيفاً و بغا بقتلك فاستعظما ذلك .. و لم يفعلاه. حتى صرفه عما كان عليه من الرأى فى نصره المستعين بالله. فقال محمد ابن طاهر: اخزى الله هذا لا يصلح لدين و لا دنيا(١).

و عند ما تولى المعتمد على الله الخلافه فى رجب سنه (٢٥٦ هـ) استوزر عبد الله بن يحيى(٢). و قد عرف عنه انه كان خبيراً باحوال الرعيه و كفوئاً بعمله ضابطاً للاموال. و لما دخل يعقوب ابن الليث الصفار مدينه نيسابور و قبض على اميرها محمد بن طاهر و اهل بيته، و ارسل رسله الى الخليفه يعلمه بذلك، قال الموفق و الوزير عبيد الله بن يحيى للرسل، ان امير المؤمنين لا يقر يعقوب على ما فعل و انه يأمره بالانصراف بالذى و لاه اياه، فانه ان فعل كان من الاولياء، و الا لم يكن له الا ما للمخالفين(٣).

و عند ما اشتد خلاف يعقوب بن الليث الصفار على الخلافه، و اظهر ما كان يخفيه من مطالعه، و توجه بجيشه نحو سامرا فى سنه (٢٦٢ هـ) خرج المعتمد على الله على رأس جيشه الذى قاده اخوه الموفق، و نزل بالسيب، كان الى جانبه وزيره عبيد الله بن يحيى(٤).

و فى سنه (٢٦٣ هـ) مات عبيد الله بن يحيى، اذ سقط عن دابته فى ميدان كره الصولجان من صدمه خادم له يقال له رشيق.

و ذلك فى يوم الجمعه لعشر خلون من ذى القعدة، فسال الدم من منخره و اذنه. و مات بعد سقوطه بثلاث ساعات، فصلى عليه ابو احمد الموفق و مشى فى جنازته(٥).

١- الطبرى ٩ / ٣٤٢.

٢- الطبرى ٩ / ٤٧٤، و الكامل ٧ / ٢٣٥.

٣- الطبرى ٩ / ٥٥٧، و الكامل ٧ / ٢٦٢.

٤- الطبرى ٩ / ٥١٧.

٥- الطبرى ٩ / ٥٣٢، و المنتظم ٥ / ٤٥.



## ٦- احمد بن الخصيب:

كان احمد بن الخصيب كاتباً للقائد التركي اشناس الذى كان يتولى اعمال الجزيره و الشامات و مصر و المغرب، و كان ابن الخصيب هو المدبر لشؤونه. و قد استصحبه اشناس فى حمله المعتصم بالله على بلاد الروم فى سنة (٢٢٣ هـ) و كلفه مع القائد محمد بن يوسف الثغرى بالتحقيق مع احمد الخليل فاخبرهما بما يعرفه عن مؤامره العباس بن المأمون و المشتركين بها و على الأخص الحارث السمرقندى داعيه العباس، مما ساعد على القضاء على المؤامره و هى فى مهدها(١).

و كان ابن الخصيب احد الكتاب الذين صادرهم الخليفه الواثق بالله، و اخذ منه و من كتابه و من اخيه ما مجموعه الف الف دينار(٢). و يقول اليعقوبى انه انتزعت منه و من اخيه الأموال بعد تعذيبهما و تعذيب امهما(٣).

و لما بويع للمنتصر بالله بالخلافه ابعد عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير ابيه عن الوزارة و جعل كاتبه احمد بن الخصيب وزيراً له. الا انه لم يكن موفقاً فى هذا الاختيار. اذ كان ابن الخصيب تنقصه الكفايه فى الاداره، و لا يعرف شيئاً عن شؤون الدوله. و مع مروءته كانت فيه حده و طيش(٤). و قد وصفه المسعودى بأنه قليل الخير كثير الشر شديد الجهل(٥). و لذلك

١- الطبرى ٩ / ١٧٥.

٢- نفس المصدر / ١٢٥، و الكامل ٧ / ١٠.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨١.

٤- الفخرى / ٢١٧، و الهفوات النادره / ٢٦١.

٥- مروج الذهب ٤ / ١٣٥.

ساءت الاحوال على عهده، كما ساءت سمعته بين الناس و كان كثيرا ما يرفس المتظلمين اليه و ذوى الحاجات اذا ازدحموا عليه، و قد يبصق عليهم و يشتم اعراضهم. فقد عرض له مره رجل من ارباب الحوائج و الح عليه حتى ضايقه و ضغط رجله فى الركاب، فاحتد عليه ابن الخصيب و اخرج رجله من الركاب و ركله فى صدره، فقال احمد بن ابى طاهر(١):

قل للخليفه يا ابن عم محمد اشكل وزيرك انه محلول

فلسانه للشتم فى اعراضنا و الرجل منه فى الصدور تجول

كم طالب لظلامه او حاجه متعرض لكلامه مركول

و قد اعتبر ابن عبد ربه ركل الوزير احد المتظلمين من سوء الأدب(٢). و اورد صاحب «الهفوات النادره» قصصا تدل على جهل ابن الخصيب المطبق، و حمقه الزائد و ضعف لغته و قله ادبه و تسرعه فى الأحكام(٣). و قال فيه ابو العيناء: لو تأمل احمد اخلاقه فاجتنبها لاستغنى عن الاداب يطلبها، و ذمه برسالة وضعها على السنه الرؤساء و القواد و الكتاب، يصف كل منهم مساوىء احمد بن الخصيب(٤). و قال عنه احد الشعراء عند ما اشتهرت

١- الهفوات النادره / ٢٦١.

٢- العقد الفريد / ١٠ / ٤.

٣- الهفوات النادره / ٢٦١ - ٢٦٦.

٤- جمع الجواهر فى الملح و النوادر / ٢٠٧ و ٢١٠.

حادثه ركله احد المتظلمين، يحرض الخليفه عليه و يتهمه بحيازه الأموال(١):

قل للخليفه يا ابن عم محمد اشكل وزيرك انه ركال

اشكله عن ركل ركل الرجال و ان تردمالا فعند وزيرك الاموال

و اعتبره ابن الجوزى من الحمقى المغفلين، و روى عنه قصه تدل على جهله و قله معرفته بالعرييه. فقد قرأ ابن رباح بحضره المنتصر كتاب الصدقات، و قال: فى كل ثلاثين بقره تبيع. فقال الخليفه: ما هو التبيع؟ فاجاب ابن الخصيب: البقره و زوجها(٢). و قد ادخل ابن عبد ربه احمد بن الخصيب فى قائمه من ادخلوا انفسهم فى الكتابه و لم يستحقوها، و انما لطحوا انفسهم بالكتابه و ما دانوها(٣). و مما يؤيد ضحاله ابن الخصيب اللغويه انه نظر يوما الى احد الكتاب، و كان فدما- اى غايظا سميئا- مضطرب الخلق، طويل العنقون، فقال: لأن يكون هذا فنطاس مركب اشبه من ان يكون كاتباً(٤).

و مع هذه الصفات السيئه التى كان عليها احمد بن الخصيب، فقد طالت مده خدمته للخلفاء. و يرجح انه مع مساوئه المذكوره

١- الهفوات النادره / ٢٦١، و الفخرى / ٢١٨، و ذكر البيت الثانى كالاتى: قد نال من اعراضنا بلسانه و لرجله عند الصدور مجال

٢- اخبار الحمقى و المغفلين / ٢٣٢.

٣- العقد الفريد / ١٧٠٤ - ١٧١.

٤- نفس المصدر / ١٧٢.

و نواحي الضعف الاخرى فيه، كان خدوما لهم لا- يخرج عن اوامرهم و نواهيهم. و قد فسر ابن الخصيب نفسه سبب اتصال خدمته للخلفاء بانه لم تكن في حياته لذه في بناء و لا فرش و لا غلمان و لا جوار و لا مفاخره بمروءه، و انما كانت لذته في العماره و التوفير مما جعلهم يستخدمونه(١). على انه يبدو انه كان الى جانب ذلك داهيه يجيد حبك المؤامرات. فقد لعب دورا بارزا في مبايعه المنتصر بالله اثر مقتل ابيه(٢). و لما نشب الخلاف بينه و بين القائد وصيف، استطاع ان يحرض الخليفه عليه و يقنعه بابعاده عن حاضره الخلافه، و خوفه منه، فارسله في حمله لغزو بلاد الروم(٣). و تولى ابن الخصيب كتابه الكتاب الذى وجهه الخليفه الى عامله في بغداد يطلب اليه ان يحث الناس على الخروج للجهاد فى سبيل الله و أن يوافوا عسكر و صيف فى ثغر ملطيه(٤).

كما استطاع ان يقنع القواد الذين تأمروا على قتل المتوكل على الله بارغام المنتصر بالله على خلع اخويه المعتر و المؤيد من ولايه العهد، و قد أخذ ابن الخصيب رقاعهما بالتنازل و تولى قراءتها على الذين حضروا للشهاده على تنازلهما(٥).

استمر ابن الخصيب فى منصب الوزاره طيله ايام المنتصر بالله، اذ لم يستطع الخليفه ان يستبدله، و لعل قصر مده خلافته لم يتح له فرصه كافيه لذلك.

١- نشوار المحاضره ٨ / ٤٩ - ٥٠.

٢- الطبرى ٩ / ٢٣٥.

٣- نفس المصدر / ٢٤٠.

٤- الطبرى ٩ / ٢٤١ - ٢٤٣ و الكامل ٧ / ١١١ - ١١٢.

٥- الطبرى ٩ / ٢٤٤ - ٢٤٦، و الكامل ٧ / ١١٢ - ١١٤.

و قد لعب احمد بن الخصيب دورا رئيسا فى اختيار الخليفه المستعين بالله بعد موت المنتصر بالله، فاستكتبه الخليفه الجديد، و عهد بامور الوزاره الى القائد اوتامش. و رغم خروج ابن الخصيب من الوزاره فقد ظل الى جانب الخليفه يستمتع بنفوذ كبير. و لما اراد الاتراك ان يقتلوا اخوى المنتصر بالله، المعتر و المؤيد، عند ما شغب الغوغاء و الشاكريه فى اوائل عهد المستعين بالله، و كانا محبوسين فى الجوسق بحراسه بغا الصغير، منعهم ابن الخصيب من ذلك و اقنعهم بان لا علاقه لهما بالذين شغبوا، فابقوهما محبوسين (١).

على ان الاتراك ما لبثوا ان غضبوا على ابن الخصيب فى جمادى الأولى من سنه (٢٤٨ هـ) فاستصفى الخليفه امواله و اموال ولده، و امر بنفيه الى اقریطش (٢)، و بقى مده فى منفاه ثم عاد الى سامرا، و قد توفى فى سنه (٢٦٥ هـ). (٣).

#### ٧- احمد بن اسرائيل:

ابو جعفر الانبارى، كان من حذاق الكتاب فى سامرا، و كان الخليفه الواثق بالله قد اتهمه مع آخرين من الكتاب بخيانه الواجب، فأمر بحبسه و الزمه تأديته ما خانته من الاموال. و دفعه الى صاحب الحرس يحيى بن معاذ و امره بضربه كل يوم عشره

١- الطبرى ٩ / ٢٥٩، و الكامل ٧ / ١١٩.

٢- نفس المصدرين السابقين.

٣- العبر ٢ / ٢٩ - ٣٠.

اسواط. و يقال انه ضربه نحو من الف سوط، و استخرج منه ثمانين الف دينار(١).

و قد استخلفه عبيد الله بن يحيى بن خاقان على ديوان الخراج، و كان ابن اسرائيل يتولى يومئذ الكتابه للامير المعتر بن المتوكل على الله(٢). و ظل محتفظا بعمله فى الديوان حتى ايام المستعين بالله، و قد التحق به لما انحدر الى بغداد اثر خلافه مع بعض قواد الاتراك فى سنه (٢٥١ هـ). و بعثه الخليفه فى وفد يحمل كتابا الى القائد الحسين بن اسماعيل عند ما هزم و جيشه امام جيش سامرا فى جمادى الآخره من السنه المذكوره، يلومه فيه على ضعفه و تخاذله(٣).

و يظهر ان ابن اسرائيل كان مقربا من المستعين بالله، فاراد مؤيدوا المعتر بالله ان يفرقوا بينهما باثاره شكوك الخليفه فى ولائه. فكلفوا رجلا يقف بباب الخليفه و يدعو للمعتر بالله بالنصر و التأييد. و لما قبض عليه ادعى بان احمد بن اسرائيل امره بذلك. فغضب الخليفه عليه، الا- انه ما لبث الحقيقه ان ظهرت و عرف امر الرجل(٤). على ان ابن اسرائيل ادرك ضعف مركز المستعين بالله و تزايد قوه المعتر بالله فانضم الى الجانب الذى كان يسعى للصلح مع الموفق قائد جيش المعتر بالله، و خرج الى معسكر الموفق مع عدد من رجال المستعين بالله باذن من محمد بن عبد الله بن طاهر امير بغداد حينذاك لمناظره ابى احمد الموفق فى الصلح بين

١- الطبرى ٩ / ١٢٥.

٢- الطبرى ٩ / ٢١٧.

٣- الطبرى ٩ / ٣٢٤.

٤- الفرج بعد الشده ٤ / ١٢٥.

الطرفين (١). كما ايد ابن اسرائيل عبيد الله بن يحيى فى صرف محمد بن عبد الله عن نصره المستعين بالله، و السعى لايقاف القتال بين المعتز بالله و المستعين بالله، و السعى للصالح (٢). ثم صار الى المعتز بالله فى سامرا فولاه البريد و وعده بالوزاره ان تم له النصر (٣).

و لما رأى المستعين بالله ضعف امره و خذلان ناصريه اجاب الى خلع نفسه من الخلافه و بايع للمعتز بالله. فانتهدت الحرب بين سامرا و بغداد، و استقر الأمر للمعتز بالله. فكافأ المعتز بالله ابن اسرائيل على انتصاره له و خذلانه المستعين بالله بأن استوزره و خلع عليه و وضع تاجا على رأسه (٤).

و كان القائدان التركيان وصيف و بغا اللذان التحقا بالمستعين بالله، لما رأيا ان الخلافه انتهت الى المعتز بالله، قررا المصير اليه فى سامرا، فوجه وصيف اخته سعاد الى المؤيد ليكلم اخاه المعتز بالله بالعفو عنه، و كان الموفق قد كلم المعتز بالله فى امر العفو عن بغا ايضا. فكتب الخليفه اليهما بالرضا عنهما. فتوجها الى سامرا.

و يبدو ان المعتز بالله لم يكن راغبا فى مجيئهما الى سامرا لأنه كتب الى امير بغداد محمد بن عبد الله ان يمنعهما من الخروج من بغداد (٥). و لما علم احمد بن اسرائيل بوصول القائدين المذكورين الى بغداد بكر فى زيارتهما قبل ان يحضرا دار

---

١- الطبرى ٩ / ٣٣٦.

٢- نفس المصدر / ٣٤١ - ٣٤٢.

٣- نفس المصدر / ٣٤٤.

٤- نفس المصدر / ٣٤٩.

٥- نفس المصدر / ٣٥٥.

الخلافة(١). و لعله كان يهدف من زيارته الترحب بهما ليكسب، تأييدهما له، بعد ان علم انهما اعيدا الى سابق مراتبهما و اعمالهما. و لما اشتد الخلاف بين الخليفة و القائد بغا، وقف احمد بن اسرائيل الى جانب الخليفة و صحبه الى كرخ سامرا ليلا للالتجاء الى القائد بايكباك و من معه ممن كانوا ضد بغا.

و كان بغا قد غامر بالخروج على الخليفة فانهى امره بالقتل و جىء برأسه الى المعتز بالله. فبعث الخليفة من ساعته الى احمد بن اسرائيل، و بعض رجال دولته، يبلغهم بذلك(٢).

و بالنظر لازدياد الجند الأتراك و ازدياد نفقاتهم فقد عجز الوزير ابن اسرائيل عن تأمين الأموال اللازمه لهم، فاستغل الاتراك تأخر ارزاقهم فهاجموا. و قد تزعم حركة تدمرهم القائد صالح بن وصيف، فقابل الخليفة بحضور الوزير و قال له: يا امير المؤمنين ليس للاتراك عطاء، و لا فى بيت المال مال، و قد ذهب ابن اسرائيل و اصحابه باموال الدنيا. فرد عليه احمد بن اسرائيل و اتهمه بالعصيان. فأمر صالح اتباعه فقبضوا على الوزير و اثنين من كبار الكتاب من مؤيديه هما الحسن بن مخلد، و هو كاتب قبيحه ام المعتز بالله، و ابو نوح عيسى بن ابراهيم، و كان كاتب الفتح بن خاقان، و قيدهم و اثقلوهم بالحديد. و رفض صالح طلب الخليفة و امه باطلاق سراح احمد بن اسرائيل. و لما لم يحصل الاتراك على شىء من المال منهم، وجه صالح فى قبض ضياعهم و دورهم، و ضياع ذويهم و اموالهم(٣).

١- نفس المصدر / ٣٥٦.

٢- الطبرى ٩ / ٣٧٩ - ٣٨٠.

٣- نفس المصدر / ٣٨٧ - ٣٨٨.



و عند ما تفاقم الخلاف بين الخليفة و الاتراك خلعه و قتلوه، و بايعوا لمحمد بن الواثق بالله بالخلافه و لقب بالمهتدى بالله.

و استمر صالح و اتباعه فى التشديد على الوزير و الكتاب حتى يوم الخميس لثلاث بقين من رمضان سنه (٢٥٥ هـ) فأخرج ابن اسرائيل الى باب العامه و ضرب خمسمائه سوط، ثم حمل على بغل من بغال السقائين منكس الرأس مكشوف الظهر، و حين وصلوا به خشبه بابك مات. فقال الخليفة لما بلغه ذلك اما عقوبه الا السوط و القتل، اما يكفى الحبس (١). و قد اختلف فيمن امر بضربه، فان الطبرى يقول ان صالح بن وصيف و كل بضربه حماد ابن محمد بن حماد بن دنقش، و يتفق معه ابن الأثير بان صالحا هو الذى امر بضربه (٢). بينما يقول المسعودى ان المهتدى بالله لما افضت اليه الخلافه اخرج احمد بن اسرائيل الى باب العامه بسامرا ف ضرب خمسمائه سوط فمات، و ذلك لامور كانت قد استحق عند المهتدى فيما يجب فى حكم الشريعة ان يفعل ذلك (٣).

كان احمد بن اسرائيل يعيد النظر، مرضيا فى عمله، و قد حاز ثقه الخلفاء الذين خدمهم و تقديرهم. و قد عرف بقوه حفظه و حده ذهنه، و قالوا انه كان يحفظ وجوه المال جميعها دخلا و خرجا. و ضاعت مره حسبه من الديوان فأوردها من خاطره، فلما وجدت كانت كما قال من غير زياده او نقيصه (٤).

١- نفس المصدر / ٣٩٨.

٢- نفس المصدر / ٣٩٧-٣٩٨، الكامل / ٧ / ٢٠١.

٣- مروج الذهب / ٤ / ١٨٧.

٤- الفخرى / ٢٢٢.

و ذكر الصابى خبرا يؤيد ذلك، فقد كان يلقى على الكتاب الطويل نظره سريعه فيستوعب ما فيه، و يأمر بما يجاب به (١).

#### ٨- سليمان بن وهب:

ابو ايوب سليمان بن وهب بن سعيد من بيت كتابه و انشاء، حزم اجداده عددا من الخلفاء الأمويين فى الشام، و بعض الخلفاء العباسيين فى بغداد. و كان ابوه وهب بن سعيد كاتباً للفضل بن سهل وزير المأمون، ثم كتب بعده للحسن بن سهل الذى قلده بعض الولايات فابدى كفايه فى الاداره (٢).

عمل سليمان فى الكتابه فى سن مبكره. فقد كتب للمأمون و هو ابن اربع عشره سنه، و كتب لايتاخ ثم لأشناس، و هما من كبار القواد الأتراك (٣). و يقول ابن الطقطقى انه من قريه واسط، و اصل اهله نصارى اسلموا و خدموا فى الدواوين، و يعتبر سليمان من كبار الكتاب و ذوى رأى منهم (٤). ثم كتب سليمان للخليفه المعتصم بالله، و قد بعثه ليحصى ما فى دار الأفشين عند ما حبسه (٥). و لما حبس الواثق بالله الكتاب و الزمهم اموالاً، امر بحبس سليمان بن وهب، و كان حينذاك يكتب لايتاخ، و الزمه بمائتى الف درهم- و قيل دينار- فقيد و البس مدرعه من مدارع الملاحين، فأدى مائه الف درهم و سأل ان يؤخذ

١- الوزراء / ٢١٣.

٢- وفيات الاعيان ١٤٥ / ٢.

٣- نفس المصدر.

٤- الفخرى / ٢٢٣.

٥- الطبرى ١١٤ / ٩.

بالباقى فى عشرين شهرا، فاجابه الخليفه الى ذلك و اخلى سيبله و رده الى كتابه ايتاخ(١). و يقال ان سليمان بن وهب بلغه ان الواثق بالله نظر الى احمد بن الخصيب الكاتب فأنشد:

من الناس انسان دينى عليهما ملياتان لو شاء لقد قضيانى

خليلى اما ام عمرو فانها و اما عن الاخرى فلا تسلانى

فقال: انا لله، احمد بن الخصيب ام عمرو، و اما الاخرى فانا. فنكبهما الخليفه بعد ايام(٢). و من شعر سليمان لما سجنه الواثق بالله قوله(٣):

نوائب الدهر ادبتنى و انما يوعظ الأريب

قد ذقت حلوا و ذقت مرا كذاك عيش الفتى ضروب

ما مر بؤس و لا نعيم الا ولى فيها نصيب

---

١- نفس المصدر / ١٢٨، و سبق ان ذكر فى ص: ١٢٥ انه اخذ منه اربعمائه الف دينار و كذا جاء فى تجارب الامم ٦ / ٥٢٧، و فى الكامل ٧ / ١٠.

٢- وفيات الاعيان ٢ / ١٤٧.

٣- الأغانى ٢٣ - ١٤٨.

و لما امر المتوكل على الله اسحاق بن ابراهيم بالقبض على ايتاخ و حبسه فى سنه (٢٣٥ هـ) حبس اسحاق كاتبه ايضا، و كان احدهما سليمان بن وهب (١). الا ان المتوكل على الله رضى عنه بعد ذلك فولاه ديوان الخراج (٢). ثم تولى الكتابه للقائد موسى بن بغا. و عند ما عاد معه الى سامرا من الجبل فى سنه (٢٥٥ هـ) استوزره المهتدى بالله و لقب بالوزير (٣).

و يلاحظ ان سليمان بن وهب لم يبد كفايه فى معالجه الخلاف الذى نشب بين الخليفه و القواد الاتراك. و كان بحكم علاقته بموسى بن بغا يميل الى جانب القواد المذكورين. و قد قتل المهتدى بالله و سليمان لا يزال وزيره.

كان المعتمد على الله قد استوزر الحسن بن مخلد اثر وفاه عبيد الله بن يحيى، و كانت علاقته الحسن بالقائد موسى بن بغا سيئه، فلما قدم موسى الى سامرا فى اوائل ذى الحجه سنه (٢٦٣ هـ) اختفى الحسن. فاستوزر المعتمد على الله مكانه سليمان ابن وهب، و ولى ابنه عبيد الله بن سليمان كتابه ابنه جعفر المفوض (٤). الا ان الخليفه سخط عليه فى السنه التاليه فحبسه و قيده و انتهب داره و دارى ابنيه وهب و ابراهيم، و اعاد استيزار الحسن بن مخلد، و ذلك فى اواخر ذى القعدة من سنه (٢٦٤ هـ) (٥). و يقول التنوخى ان المعتمد على الله طلب من

١- الطبرى ٩ / ١٦٩، و الكامل ٧ / ٤٦.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢٠٣ و ٥٠٨.

٣- الاغانى ٢٣ / ١٤٣.

٤- الطبرى ٩ / ٥٣٢، و الكامل ٧ / ٣١٠.

٥- الطبرى ٩ / ٥٤٠، و الكامل ٧ / ٣١٦.

وزيره سليمان مالا لنفقته على ان لا يعلم الجند بذلك، فدافعه سليمان، فقبض عليه و قال له: قد تقلدت منذ ايام المعتز الى الآن اعمالا متواليه منها الوزاره للمهتدى و ما نكبت و ما صودرت، و اريد منك خمسمائه الف دينار(١).

الا- ان الموفق جاء الى سامرا و اطلق سليمان من الحبس، و هرب الحسن بن مخلد فكتب الموفق فى قبض امواله(٢). الا انه سرعان ما أمر الموفق بحبس سليمان ثانيه و حبس معه ابنه عبيد الله، و وكل بحفظ داريهما، و قبض ضياعهما و اموالهما و اموال ذويهما و ضياعهم، ثم صولحا على مبلغ قدره تسعمائه الف دينار، فصيرا فى موضع يصل اليهما فيه من أحبا(٣). و يظهر ان سبب قبض الموفق على سليمان و ابنه عبيد الله، ان المعتمد على الله لما قبض على سليمان ذهب ابنه الى الموفق يلتمسه فى انقاذ ابيه فوعده بذلك، الا انه الح بطلبه، فاعتذر الموفق، فقال له سليمان: تخرج بمن معك فتنترعه قسرا، فقال الموفق: ان هذا يحتاج الى مال و رجال، فقال عبيد الله: على ذلك. و قال عبد الله ان الموفق اخذ يدافعى بعد ان رآنى بصورة من يملك المال و طاعه الرجال فى قتال خليفه، فراوغنى و بعث بصاعد بن مخلد الى المعتمد على الله يشير عليه باطلاق ابى فاطلقه. و لما عاد صاعد شرع الموفق فى القبض على سليمان و ابنه عبيد الله(٤).

١- نشوار المحاضره ٨ / ٩٦.

٢- الطبرى ٩ / ٥٤١.

٣- الطبرى ٩ / ٥٤٣- ٥٤٤، و الكامل ٧ / ٣٢٧.

٤- نشوار المحاضره ٨ / ٩٧.

و قيل ان الموفق نكب سليمان بن وهب و ابنه عبيد الله لكثرة اموالهما فقال ابن الرومي، و كان حاضرا(١)

ألم تر أن المال يتلف ربه اذا جم آتیه و سد طريقه

و من جاور الماء الغزير فجمه و سد مغيض الماء فهو غريقه

و لبث سليمان في حبس الموفق الى ان ادركته منيته، في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة بقيت من صفر من سنه (٢٧٢ هـ) (٢). و قد مدحه عدد من الشعراء. فمن محاسن قول ابي تمام فيه من قصيده قالها في مدحه(٣):

كل شعب كنتم فيه آل وهب فهو شعبي و شعب كل اديب

ان قلبي لكم لكالكبد الحري، و قلبي لغيركم كالقلوب

و قال البحتری في مدحه(٤).

كأن اراءه و الحزم يتبعها تريه كل خفي و هو اعلان

---

١- الاغانى ١٥٣ / ٢٣.

٢- الطبرى ٩ / ١٠ و الكامل ٧ / ٤١٠، و وفيات الاعيان ٢ / ١٤٦ و فيه قيل سنه ٢٧١.

٣- وفيات الاعيان ٢ / ١٤٦.

٤- نفس المصدر.

ما غاب عن عينيه فالقلب يكلؤه و ان تنم عينه فالقلب يقظان

و لما مات سليمان رثاه البحترى بقصيده منها(١):

هذا سليمان بن وهب بعد ما طالت مساعيه النجوم سموكا

و تنصف الدنيا يدبر امرها سبعين حولاً قد تمنن دكيكا

أغرّت به الاقدار بغت ملمهما كان رس حديثها مأفوكا

فكأنما خضد الحمام بيومه غصنا بمنغرق الرياح نهيكاً

---

١- ديوان البحترى ٣ / ١٥٧٩، السموك: الارتفاع، الدكيك: التام، رس الحديث: طرف منه، مأفول: مكذوب منغرق الرياح: مهبها.





## الفصل الثانى الكتاب

يعتبر الكتاب اعوان الوزراء، فقد كان لكل وزير كاتب او اكثر لمعاونته فى عمله. كما كان لرجال الدوله و كبار القواد و ولاه الأقاليم كتاب يستعينون بهم و قد تدرج بعض الكتاب الى منصب الوزاره. و كان هؤلاء الكتاب يمتازون بالثقافه العامه و الاطلاع الواسع على معارف عصرهم، بحيث انهم كانوا يمثلون صفوه المثقفين، و هم الذين يقومون بشؤون دواوين الدوله.

و من الواضح ان ما يجب ان يتقنه الكاتب و يلم به من المعارف، يختلف باختلاف عمله. فان كان كاتب خراج عليه ان يلم بالحساب و المساحه و الخراج و الفنون و الرتوق، و ان كان كاتب خراج عليه ان يلم بالحساب و المساحه و الخراج، و الفتوق و الرتوق، و ان كان كاتب احكام عليه ان يكون عالما بالحلال و الحرام و الاحتجاج و الاجماع و الأصول و الفروع، اى ان يكون متفقه فى الدين، اما اذا كان كاتب معونه فانه يحتاج الى ان يكون عالما بالقصاص و الحدود و الجراحات. و على كاتب الجيش ان يكون عالما بحلى الرجال و شيات الدواب و مداراه الأولياء- أى

الاتراك لأن غالبية الجيش منهم- و على معرفه بالنسب و الحساب.

و يحتاج كاتب الرسائل ان يكون عالما بالصدور و الفصول و الاطاله و الايجاز و ان يكون بلغيا حسن الخط بالنظر لطبيعته عمله (١).

ان الكاتب بصوره عامه و مهما كان عمله، يجب ان يكون اديبا ذا اطلاع واسع فى مختلف العلوم و الفنون المعروفه حينذاك.

اى ان يكون موسوعيا، بحيث يستطيع تحرير مختلف انواع الرسائل الرسميه، مما يتطلب منه مقدره فائقه فى اللغه من نحو و صرف و بلاغه و بيان، و ملما بالامور الفقهييه، و يحفظ كثيرا من الآيات القرآنيه الكريمه و الاحاديث النبويه الشريفه. كما يحفظ انماط مختلفه من الشعر و الامثال. و قد شرح النويرى ما كان يحتاج اليه الكاتب من المعارف نلخصه بما يأتى (٢):

١- حفظ كتاب الله تعالى و مداومه قراءته، و ملازمه درسه، و تدبير معانيه. ذاكرا له فى كل ما يرد عليه من الوقائع التى يحتاج فيها الى الاستشهاد به.

٢- الاستكثار من حفظ الاحاديث النبويه، و النظر فى معانيها وفقه ما لا بد من معرفته من احكامها. ليحتج بها فى مكان الحجه، و يستدل بموضع الدليل.

٣- قراءه ما يتفق له من كتب النحو التى يحصل بها المقصود من معرفته العرييه، و قراءه ما يتهيأ له من مختصرات اللغه، و حفظ خطب البلغاء.

١- الفرج بعد الشده ٣ / ٣٠٩.

٢- نهايه الأرب ٧ / ٣٠ - ٣٤.

٤- النظر فى ايام العرب و وقائعهم و حروبهم، و تسميه الايام التى كانت بينهم، و ما جرى فى ذلك من الاشعار، لما فى ذلك من العلم بما يستشهد به من واقعه او يوم مشهور.

٥- النظر فى التواريخ و معرفه اخبار الدول، لما فى ذلك من الاطلاع على سير الملوك و سياساتهم و وقائعهم و مكائدهم و حروبهم، و ما اتفق لهم من التجارب.

٦- حفظ اشعار العرب و مطالعه شروحها و استكشاف غوامضها، و التوفر على ما اختاره العلماء منها، كالحماسة و المفضليات و الأصمعيات، بما يساعد على الاستشهاد و وضعه فى مكانه.

٧- النظر فى رسائل المتقدمين و فى كتب الامثال الواردة عن العرب نظما و نثرا.

٨- النظر فى الأحكام السلطانية.

و ينسب الى عبد الحميد بن يحيى الكاتب كتابا موجها الى طائفة الكتاب (١). تضمن بيان اهميتهم فى المجتمع، و الصفات التى يجب ان يتحلوا بها، و ما يحتوجون اليه من انواع المعارف «فقد جاء فيه عن اهميتهم و الحاجه اليهم «حفظكم الله يا اهل هذه الصنعة ..

فان الله عز و جل جعل الناس بعد الأنبياء و المرسلين .. فجعلكم معشر الكتاب فى اشرفها صناعه، اهل الأدب و المروءه .. بكم ينتظم الملك، و تستقيم للملوك امورهم، و بتدبيركم و سياستكم

---

١- نص الكتاب فى « الوزراء و الكتاب / ٧٣ - ٧٩، و فى مقدمه ابن خلدون مع اختلاف كثير ١٣٥ - ١٣٦».

يصلح الله سلطانهم و تعمر بلادهم. يحتاج اليكم الملك في عظيم ملكه، و الوالى فى القدر السنى و الدنى من ولايته، لا يستغنى عنكم منهم احد، و لا يوجد كاف الا منكم. فموقعكم منهم موقع اسماعهم التى بها يسمعون، و ابصارهم التى بها يبصرون، و السنتم التى بها ينطقون و ايديهم التى بها يبطنون»<sup>(١)</sup>.

اما عن الصفات التى يتحلى بها الكاتب فقد قال: «فان الكاتب يحتاج من نفسه، و يحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمات اموره، الى ان يكون حليما فى موضع الحلم، مقداما فى موضع الاقدام، و محجما فى موضع الاحجام، لينا فى موضع اللين، شديدا فى موضع الشده. مؤثرا للعفاف و العدل و الانصاف، كتوما للاسرار، و فيا عند الشدائد. عالما بما يأتى و يذر و يضع الامور فى مواضعها. فقد نظر فى كل صنف من صنوف العلم فاحكمه، فان لم يحكمه شدا منه شدوا<sup>(٢)</sup>، يكتفى به. يكاد يعرف بغريزه عقله و حسن ادبه و فضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده، و عاقبه ما يصدر عنه قبل صدوره، فيعد لكل امر عدته و يهى ء لكل امر اهبتة»<sup>(٣)</sup>.

و اما ما يحتاج اليه الكاتب من المعارف، فقد جاء فيه:

«فنافسوا، معشر الكتاب، فى صنوف العلم و الأدب، و تفقهوا فى الدين. و ابدأوا بعلم كتاب الله عز و جل، و الفرائض، ثم العربيه فانها ثقاف السنتم، و اجيدوا الخط فانه حليه كتبكم، و ارووا

١- الوزراء و الكتاب / ٧٤.

٢- شدا بمعنى أخذ.

٣- الوزراء و الكتاب / ٧٤-٧٥.

الاشعار و اعرافوا غريبها و معانيها، و ايام العرب و العجم و احاديثها. و سيرها، فان ذلك معين لكم على ما تسمون اليه يهكمكم. و لا يضعفن نظركم فى الحساب فانه قوام كتاب الخراج منكم. و ارغبوا بانفسكم عن المطاعم سنيها و دنيها، و مساوى ء الأمور و محارها، فانها مذله للرقاب مفسده للكتاب»(١).

و يرى ابن المدبر(٢) ان الكاتب المستحق اسم الكتابه هو «من اذا حاول صنعه كتاب سالت على قلمه عيون الكلام من يبايعها، و ظهرت من معادنها، و بدرت من مواطنها، من غير استكراه و لا اغتصاب»(٣). و لكى يكون الكاتب بليغا فصيحا عليه ان يتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه، و من رسائل المتأخرين ما يرجع اليه، لتلقيح ذهنه و استخراج بلاغته. بالاضافه الى الاستعانه بنوادير كلام الناس و بالاشعار و الأخبار و السير(٤). و هو يرى أن على الكاتب ان يخاطب كلا على قدر ابهته و جلالته، فيجعل طبقات كلامه على ثمانية اقسام: اربعة منها للطبقة العلويه، و اربعة دونها. و الطبقة العلويه هى الخلافه التى اعلى الله شأنها عن مساواتها باحد من ابناء الدنيا فى التعظيم و التوقير و المخاطبه و الترسل. و الطبقة الثانيه الوزراء و الكتاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم و سنتهم، و يرتقون الفتوق بارائهم، و الثالثه

١- الوزراء و الكتاب / ٧٥.

٢- ابراهيم بن المدبر من مشاهير كتاب القرن الثالث و قد ولى رئاسه عدد من الدواوين فى عهد خلفاء سامراء، و له: «الرساله العذراء» فى ثقافه الكاتب و صفاته وزيه، و ادوات الكتابه و معرفته بها، و ما قيل فى الكتابه.

٣- الرساله العذراء / ٣٦.

٤- نفس المصدر / ٧.

امراء ثغورهم و قواد جيوشهم، و الرابعه القضاء فانهم و ان كان لهم تواضع العلماء و حليه الفضلاء فمعهم ابهه السلطه و هيبه الامراء (١). اما الطبقات الاخرى التى هى دون الطبقات آنفه الذكر فهى: الأولى الملوك الذين اوجبت نعمهم تعظيمهم فى الكتب، و الثانيه الوزراء و كتابهم و اتباعهم الذين بهم تفرع ابوابهم، و الثالثه العلماء الذين يجب توقييرهم فى الكتب لشرف العلم و علو درجه اهله. و الرابعه لأهل القدر و الجلاله و الظرف و العلم و الأدب، فانهم يضطرونك بحده اذهانهم و شده تمييزهم و انتقادهم، الى الاستقصاء عن نفسك فى مكاتبتهم (٢).

كما يوصى ابن المدبر الكاتب بالاهتمام بصدد كتابه، و ينصحه باختيار الألفاظ و المعارف بما يناسب الموضوع الذى يكتب فيه، و يبين له انسب الأوقات للكتابه، فيقول: «و ليكن فى صدر كتابك دليل واضح على مرادك، و افتتاح كلامك شاهد على مقصدك .. و لا تطيلن صدر كلامك اطاله تخرجه من حده، و لا تقصر به عن حقه» (٣). «و اذا حاولت صنعه رساله او انشاء كتاب فزن اللفظه قبل ان تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت ... وادر الالفاظ فى اماكنها، و اعرضها على معانيها، و قلبها على جميع وجوهها حتى تقع موقعها» (٤). «و ارتصد لكتابك فراغ قلبك و ساعه نشاطك، فتجد ما يمتنع عليك بالكد و التكلف. لأن سماحه النفس بمكنونها وجود الازهان بمخزوناتها،

١- نفس المصدر / ١٠.

٢- نفس المصدر / ١١.

٣- نفس المصدر / ٢٢.

٤- نفس المصدر / ٢٩.

انما هو مع الشهوه المفرطه فى الشىء، و المحبه الغالبه فيه، و الغضب الباعث فيه ذلك»(١).

و بالنظر لأهميه الكتاب و الحاجه اليهم فقد كونوا طبقه لها زيتها الخاص، و اشترطوا مواصفات معينه فيمن ينتسب اليها.

فقد اشترطوا فى صفات الكاتب «طول القامه، و صفر الهامه، و خفه اللهازم، و كثافه اللحيه، و صدق الحس، و لطف المذهب، و حلاوه الشمائل، و ملاحه الزى»(٢). حتى قال احدهم لابنائه:

تزيوا بزى الكتاب فان فيهم ادب الملوك و تواضع السوقه(٣).

و يرى النويرى ان من كمال صفات الكاتب ان يكون بهى الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المروءه، عطر الرائح، دقيق الذهن، صادق الحس، و حسن البيان، رقيق حواشى اللسان، حلو الاشاره، مليح الاستعاره(٤).

١- الرساله العذراء / ٣٠.

٢- نفس المصدر / ٨.

٣- نفس المصدر / ٩ و عيون الاخبار / ١ / ٤٦.

٤- نهايه الارب / ٧ / ١٢.





## الفصل الثالث القضاء فى عهد سامرا

### ١- مقدمه:

يعتبر القضاء من المناصب الدينيه الرئيسه فى الاسلام، لانه منصب الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى و قطعاً للتنازع، و ذلك بموجب الشريعه المستنده الى الكتاب و السنه (١).

و قد تطور هذا المنصب و استقرت اسسه فى العهود التى سبقت انتقال عاصمه الدوله العربيه الى سامرا من حيث الشروط التى يجب توفرها فيمن يتولاه، و الصلاحيات التى يمارسها، و الواجبات التى عليه ان يلتزم بها، و علاقته بالدوله. و قد اسهب الفقهاء فى بيان ذلك، و منهم القاضى ابو الحسن الماوردى و القاضى ابو يعلى الحنبلى. فقد عقد كل منهما فى كتابه «الأحكام السلطانيه» بابا خاصا بالقضاء و احكامه، و تناول كل منهما الموضوع من الناحيتين الفقهيه و الاداريه.

و هناك شروط معينه يجب ان تتوفر فيمن يعين للقضاء، و اهمها: الاسلام، و الحريه، و كمال العقل، و سلامه الحواس، و ان يكون اهلا للاجتهاد فيما يجوز له ان يقضى بين الناس (١).

و اهم واجبات القاضى ان يسوى فى الحكم بين القوى و الضعيف، و ان يعدل فى احكامه فلا يتبع هواه فى تقصير المحق او ممالاه المبطل (٢). و قد اتسعت سلطات القاضى فى خلال العهد العباسى الأول، فبعد ان كان ينظر فى القضايا المدنيه و الجنائيه اصبح ينظر فى قضايا اخرى تتعلق بالحقوق العامه كالنظر فى شؤون الاوقاف و التصرف بمواردها، و تنفيذ الوصايا، و النظر فى اموال المحجور عليهم من المجانين و اليتامى و اهل السفه، و تزويج الأيامى عند فقد الأولياء، و اقامه الحدود الدينيه على مستحقيها. و قد تضاف اليه احيانا الشرطه او المظالم او الحسبه او دار الضرب او بيت المال (٣).

و يعتبر الخليفه ابو جعفر المنصور اول من عين القضاء فى الأمصار، و كان تعيينهم قبل ذلك يتم محليا من قبل الولاة (٤). و كان القاضى يعين مشافهه او بالعهد كتابه. و كان عهد التعيين يتضمن تحديد منطقه عمل القاضى، و تعيين القضايا التى ينظر فيها. و قد اورد قدامه بن جعفر نسخه من عهد توليه احد القضاء، و هو يتضمن توجيهات الخليفه له حول عمله بما يؤمن العدل و تطبيق احكام الشريعه، و توجيهات اخرى (٥).

١- الاحكام السلطانيه للماوردى / ٥٤.

٢- نفس المصدر / ٥٩.

٣- مقدمه ابن خلدون / ١٢١.

٤- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٣٨٩.

٥- الخراج و صناعه الكتابه / ٣٩ - ٤٠.

و كان الخلفاء عند تعيين القضاة فى الولايات يتوخون الأنسجام بين الوالى و القاضى المعين، و ذلك ضمنا لعدم قيام النزاع بين السلطتين التنفيذيه و القضائيه.

و يعاون القاضى فى اداء مهمته اضافة الى الشهود و الى من يقوم بالتحرى عن عدالتهم و عدم ارتكابهم ما يمنع من قبول شهاداتهم، عدد من الموظفين يؤلفون معه ديوان القضاء. فكان هناك كاتب الاحكام الذى يجب ان يكون عارفا بعلوم الشريعة و حدودها و له خبره بالاقرار و الانكار، و دربه باحكام الوكالات و الشهود و طبقاتهم(١). و كاتب آخر يتولى عرض الدعاوى و الخصومات، و خازن يقوم بخزن اوراق القاضى و احضارها عند الطلب، و عدد من الحرس و الأعوان يتولون حمايه مجلس القضاء و تنفيذ الأحكام(٢).

و كان اللباس الرسمى للقاضى الطيلسان الاسود و العمامه السوداء(٣). اما رواتب القضاة فقد كانت زهيدة اول الأمر، فقد عين الخليفه المهدي المفضل بن فضاله قاضيا على مصر و اجرى عليه ثلاثين دينارا فى كل شهر(٤). ثم زيدت رواتبهم فبلغت فى ايام المتوكل على الله لبعض القضاة مائه و ثمانيه و ستين دينارا فى كل شهر(٥).

١- سلوك المالك / ١٥٩ - ١٦٠.

٢- كتاب الولاة و كتاب القضاء / ٥٧٤.

٣- كتاب الولاة و كتاب القضاء / ٥٢٢.

٤- نفس المصدر / ٣٧٧.

٥- نفس المصدر / ٥٠٧.

## ٢- قاضى القضاء:

## اشاره

انشىء فى العهد العباسى الاول منصب قاضى القضاء، اى رئيس القضاء، و كان يقيم فى حاضره الخلافه ليكون على مقربه من الخليفه الذى لا يستطيع الاستغناء عنه فى الامور و القضايا الفقيهيه و الشرعيه. و كان قاضى القضاء يولى من يراه لمنصب القضاء فى الأمصار و الأقاليم ممن تتوفر فيهم شروط القضاء و صفاته، بعد ان يستحصل موافقه الخليفه على ذلك. و يعتبر ابو يوسف يعقوب ابن ابراهيم صاحب كتاب الخراج و قاضى هارون الرشيد اول من اشغل هذا المنصب فى الدوله العربيه فى عهد العباسيين ببغداد.

اما فى عهد سامرا فقد تولى هذا المنصب سته من كبار الفقهاء هم على التوالى: احمد بن ابى دواد، و يحيى بن اكثم التميمى، و جعفر بن عبد الواحد الهاشمى، و جعفر البرجمى، و الحسن بن ابى الشوارب، و على بن ابى الشوارب، و فى الصفحات التاليه تعريف موجز بكل منهم.

## احمد بن ابى دواد:

ابو عبد الله احمد بن ابى دواد بن جرير بن مالك الأيادى.

اصله من قنسرين بين حلب و معره النعمان. و يقال ان اسم ابى دواد الفرّج، الا ان المأمون كان سأل احمد عن اسم ابيه فاجاب هو اسمه، و يؤيد الخطيب البغدادي ان كنيته اسمه (١). ولد

بالبصره و فيها نشأ، و نبغ في الفقه و علم الكلام. و هو احد القضاة المشهورين من المعتزله، و رأس محنه القول بخلق القرآن.

تلك الحركة التي شغلت الخلافة العباسية و العالم الاسلامي على عهد المأمون و المعتصم بالله و الواثق بالله و قسم من عهد المتوكل على الله. اذ حمل المعتصم بالله و ابنه الواثق من بعده الفقهاء و القضاة على الامتحان بذلك. كان ابن ابي دواد واسع الاطلاع على اخبار العرب و انسابهم، فصيح المنطق قوى الحجج. قال ابو العيناء:

ما رأيت رئيسا افصح قط و لا انطق من ابن ابي دواد(١). و هو اول من افتتح الكلام مع الخلفاء، اذ كانوا لا يبدأهم احد حتى يبدأوه(٢). و له شعر جيد، و من شعره قوله(٣):

ما انت بالسبب الضعيف و انما نجح الامور بقوه الأسباب

فاليوم حاجتنا اليك فانما يدعى الطيب لشده الأوصاب

اتصل ابن ابي دواد باربعة من خلفاء بني العباس: المأمون و المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله و المتوكل على الله. و كان مقربا اليهم محترما لديهم ما خلا فتره قصيره في اواخر ايامه على عهد المتوكل على الله. اتصل اول امره بالخليفة المأمون، قدمه اليه قاضيه يحيى بن اكنم، فاعجب به، حتى انه قال عنه: اذا استجلس

١- تاريخ بغداد ١٤٢ / ٤، و وفيات الاعيان ١ / ٦٣.

٢- وفيات الاعيان ١ / ٦٣.

٣- الفهرست / ٢٥٤، و تاريخ بغداد ١٤٣ / ٤.

الناس فاضلا فمثل احمد(١). وقد حاز ثقته فركن اليه. و عند ما اوصى الى اخيه ابى اسحاق جاء فى وصيته «و ابو عبد الله احمد ابن ابى دواد لا يفارقك و اشركه فى المشوره فى كل امرك»(٢).

و لما استخلف المعتصم بالله جعل ابن ابى دواد قاضى القضاة و مستشاره الخاص، و لم يكن يخرج عن رأيه. قال الحسين بن الضحاك الشاعر لبعض المتكلمين: ان ابن ابى دواد عندنا لا يحسن اللغه و عندكم لا يحسن الكلام و عند الفقهاء لا يحسن الفقه، و لكن عند المعتصم بالله يعرف هذا كله(٣). و مع ما فى هذا القول من التجنى و المبالغه بانكار معرفه ابن ابى دواد شيئا مما ذكره ابن الضحاك، فان تقدير المعتصم بالله له امر طبيعى اذا ما قورن علمه و معرفته بالفقه و علم الكلام بجهل المعتصم الله الذى كان اميا رغم فصاحته(٤). و الواقع ان وجوده الى جانب الخليفه عدل من مزاجه و حد من قسوته. لأن المعتصم بالله كان متسرعا عجولا، فاذا اسرع اليه الغضب هدأه ابن ابى دواد و اراه وجه التوءده و الأناه، فلا يسعه الا ان يسير فى سبيلهما. فصار لأحمد من الداله عليه و سمو المركز لديه، ما يستعين به على الخير و الصلاح. فكانت له معه مواقف جليله حاسمه معتمدا فيها على ثقته به و تأييده اياه فى كل ما يقول و يفعل.

و من هذه المواقف انقاذه ابى دلف القاسم بن عيسى العجلي عند ما حاول القائد التركى الأفشين اغتياله(٥). اذ ذهب ابن ابى

١- وفيات الاعيان ١ / ٦٤.

٢- الطبرى ٨ / ٦٤٩.

٣- وفيات الاعيان ١ / ٦٦ و الفرج بعد الشده ٢ / ٦٦ - ٧٥.

٤- العقد الفريد ٢ / ٤٤٠، و تاريخ الخلفاء / ٣٣٤.

٥- وفيات الاعيان ١ / ٦٤ - ٦٥.

دواد الى دار الافشين و استنفد ابا دلف باسم الخليفة الذى اقره على فعله، و عنف الافشين فيما كان عزم عليه. و يظهر ان الافشين كان يمهد للوثوب بان يتخلص من القواد العرب الموالين للخلافه العباسيه، و لا ريب ان هذا ما دفع ابن ابى دواد الى انقاذ ابى دلف و اقرار المعتصم بالله مبادرته.

و عند ما غضب الخليفة على محمد بن الجهم و امر بضرب عنقه، انقذه ابن ابى دواد بما ارضى المعتصم بالله ساعه غضبه، بحيث امر بحبس ابن الجهم حتى يحقق معه (١). و لما قرر المعتصم بالله معاقبه القائد خالد بن يزيد الشيبانى لجأ هذا الى ابن ابى دواد ليشفع له عند الخليفة، فكلمه فلم يجبه. و لما جلس الخليفة لمعاقبه خالد حضر ابن ابى دواد المجلس و جلس دون مكانه المعتاد، و وقف من الخليفة موقفا جعله يرضى عن خالد و يخلع عليه و يكرمه. فلما خرج خالد و عليه الخلع، و كان بعض اتباعه فى الخارج يتوقعون الأيقاع به، صاح احدهم: الحمد لله خلاصك يا سيد العرب. فقال خالد: اسكت، سيد العرب و الله ابن ابى دواد (٢).

و فى ثنايا مصادر التاريخ العربى بعض الأخبار مما يستدل منها على شده احترام المعتصم بالله قاضى قضاته ابن ابى دواد.

فقد جاء فى تاريخ بغداد ان احمد بن ابى دواد قال: عند ما كنا بعموريه قال لى المعتصم بالله ما تقول يا ابا عبد الله فى البسر؟

فقلت: يا امير المؤمنين نحن ببلاد الروم و البسر بالعراق. قال

١- نفس المصدر.

٢- وفيات الاعيان ١/ ٧٠-٧١، و الفرج بعد الشده ٢/ ٦٠-٦٢.

قد وجهت الى مدينة السلام فجاءوني بكباستين، و قد علمت انك تشتهييه. ثم قال يا ايتاخ هات احدى الكباستين. فجاء بكباسه بسر، فمد المعتصم بالله ذراعه و قبض عليها بيده، و قال: كل بحياتي عليك من يدي. فقلت: جعلني الله فداك يا امير المؤمنين، بل تضعها فأكل كما اريد: لا و الله الا من يدي. فوالله ما زال حاسرا ذراعه و مادا يده و انا اجتنى من العذق(١). و قال ابن ابى دواد انه ركب يوما مع المعتصم بالله فاتتهوا الى واد لا يعرف غور مائه، فقال الخليفة لرحال ابن ابى دواد: مكانك حتى اتقدم فاعرف غور الماء و اطلب قلته و اتبع انت سيرى. و تقدم رجل فدخل الوادى و جعل يطلب قله الماء، و تبعه المعتصم بالله فمره ينحرف عن يمينه و اخرى عن شماله و تاره يمضى لسننه، و نحن نتبع اثره حتى قطعنا الوادى(٢).

لقد كان ابن ابى دواد يمثل الروح العربيه الأصيله فى الكرم و الأيثار و النخوه، تلك الروح التى ساعدت العرب على الاحتفاظ بمقامهم فى الدوله فى عهد العباسيين، رغم سيطره الجند الاتراك و سلطان قوادهم. كما كان كريما جوادا، حتى قيل انه لم ير فى ابناء جنسه اكرم و لا انبل و لا اسخى(٣). و رآه اعرابى فقال: صفته شافيه للقلوب، و نصحيته جالبه للمنافع(٤).

و كان ابن ابى دواد يعزف عن مجالس اللهو و يكره سماع الموسيقى و الغناء. يروى عنه انه قال: كنت اعيب الغناء و انكر

١- تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٥.

٢- نفس المصدر.

٣- الفهرست / ٢٥٤.

٤- البصائر و الذخائر ١ / ١٣٣.



امر الطرب على الناس و ما يستفز الناس منه و يغلب على عقولهم، و اناظر المعتصم بالله في ذلك. حتى كان يوم خرج فيه المعتصم بالله الى الشماسيه في حراقه يشرب، و وجه في طلبى فصرت اليه.

فلما قربت منه سمعت غناء حيرنى و شغلنى عن كل شىء، فسقط سوطى من يدى، فالتفت الى غلامى اطلب منه سوطه، فقال لى:

قد سقط منى لصوت سمعته فشغلنى عن كل شىء، فاذا قصته قصتى. فلما دخلت على المعتصم بالله اخبرته بالأمر، فضحك و قال: هذا عمى ابراهيم بن المهدي كان يغينى:

ان هذا الطويل من آل حفص نشر المجد بعد ما كان ماتا

فان ثبت مما كنت تناظرنا عليه في ذم الغناء، سألته ان يعيده. ففعلت و امره باعاده غنائه. فبلغ بى الطرب حدا كبيرا بحيث رجعت عن رأى في الغناء منذ ذلك اليوم(١).

و قد عرف احمد بن ابى دواد بحبه الأدب و رعايه الادباء و الشعراء و اغداقه عليهم، و اعاله بعضهم بحيث انهم افتقدوه عند موته. و كان الجاحظ ملازما محمد بن عبد الملك الزيات خاصا به، و منحرفا عن ابن ابى دواد للخصومه التى كانت بين الاثنين. فلما قتل ابن الزيات جىء بالجاحظ مقيدا الى قاضى القضاة فانبه و عاتبه، الا انه سرعان ما عفا عنه و اطلق سراحه(٢). فنال الجاحظ بعد ذلك حظوه لديه عند ما اهدى اليه كتابه «البيان

١- الآغانى ١٠٦/١٠-١٠٧.

٢- معجم الادباء ٥٨/٦-٥٩، و الفرغ بعد الشده ١/٣٦١.

و التبين» فاعطاه خمسه الاف دينار. و لعل من المناسب ان ننقل نص كلمه الاهداء التى صدر بها الجاحظ الكتاب. يقوم امام الادباء: «حفظك الله و ابقاك و امتع بك، و جعل ما بينى و بينك من ود موصولا أبد الدهر. فقد عرفتك صديقا لا يشوب صداقته زيف من شوائب الدنيا. و عرفتك على تقادم العهد و تطاول الزمان، أختا ثابت الاخاء، و ثيق النفس، ليس كمن يدور بخلته بين الناس ملتصبا بها الغنم و باغيا بها النفع. فكان ذلك، ايدك الله، مما اكبرك فى عينى و اعظمك فى نفسى. و بسطنى ان اقدم اليك هذا الكتاب الخالد، لترى فيه، و لتعلم ايها السمي الكريم، أنى احفظ لك فى نفسى مثل ما تحفظ لى من وفاء، و اطوى لك صدرى مثل ما تطوى من ولاء»(١).

كما مدحه ببضعه ابيات من الشعر بمناسبات مختلفه، منها قوله(٢):

و عويص من الامور بهيم غامض الشخص مظلّم مستور

قد تسهلت ما توعر منه بلسان يزينه التحبير

مثل وشى البرود هلهله النسج و عند الحجاج در نثير

حسن الصمت و المقاطع امانطق القوم و الحديث يدور

١- البيان و التبين ٣/١.

٢- نفس المصدر/٢٢٣، و معجم الادباء ٥٩/٦ - ٦٠، مع تغيير طفيف.

ثم من يعد لحظه تورث اليسر و عرض مهذب موفور

و مدح بعض الشعراء القاضى بن ابي دواد، و على رأسهم ابو تمام الطائي الذي امتدحه بقصائده في مناسبات مختلفه قال في احدى قصائده في مدحه (١):

يا ابا عبد الله أوريت زنادفي يدي كان دائم الاصلاح

انت جبت الظلام عن سبل الآمال اذ ضل كل هاد و حاد

كادت المكرمات تنهد لو لأنها أيدت بحى اباد

و قال في قصيده اخرى يمدحه بها (٢):

لقد انست مساوى ء كل دهرمحاسن احمد بن ابي دواد

متى تحلل به تحلل جنابارضيعا للسوارى و الغوادى

توشح نعمه الأيام فيه و تقسم فيه ارزاق العباد

و ما اشتبهت طريق المجد الاهداك لقبه المعروف هاد

---

١- القصيده في ديوان ابي تمام ١ / ٣٥٦ - ٣٦٨.

٢- القصيده في ديوان ابي تمام ١ / ٣٦٩ - ٣٨٢.

و ما سافرت فى الآفاق الاو من جدواك راحلتى و زادى

و عند ما ولى احمد ابن ابى دواد ديوان المظالم مدحه ابو تمام بقصيده انطوى قسم منها على بعض الحكم، و مطلعها(١).

ألم يأن بأن تروى الظماء الحوائم و أن ينظم الشمل المشتت ناظم

و يقول فيها:

ينال الفتى من عيشه و هو جاهل و يكدى الفتى فى دهر و هو عالم

و لو كانت الارزاق تجرى على الحجاهلكن اذن من جهلهن البهائم

الى ان يقول:

الى احمد المحمود رامت بنا السرى نواعب فى عرض الفلا و رواسم

الى سالم الاخلاق من كل عائب و ليس مال على الجود سالم

له من ايااد قمه المجد حيثما سمت و لها منه البنا و الدعائم

---

١- القصيده فى ديوان ابى تمام ١٧٦ /٣ - ١٨٣.

ثم ينتهي بقوله:

إذا أنت لم تحفظه لم يك بدعهو لا عجا أن ضيعته الأعاجم

فقد هز عطفيه القريض توقعالعدلك مذ صارت اليك المظالم

و لو لا خلال سنها الشعر ما درى بغاه الندى من اين توتى المكارم

كما مدح الشاعر ابو حفصه مروان بن ابى الجنوب ابن ابى دواد بقوله(١):

لقد حازت نزار كل مجدو مكرمه على رغم الاعادى

فقل للفاخرين على نزارو منهم خندف و بنو اباد

رسول الله و الخلفاء مناو منا احمد ابن ابى دواد

و ليس كمثلهم فى غير قومى بموجود الى يوم التنادى

و لما اصابته العله البارده- الفالج و عجز عن الكلام قال ابن ابى الجنوب فيه(٢):

---

١- وفيات الاعيان ١ / ٦٩.

٢- تاريخ بغداد ٤ / ١٥٠.

لسان احمد سيف مسه طبع من عله، فجلالها عنه جاليها

ماضر احمد باقى عله درست و الله يذهب عنه رسم باقيها

موسى بن عمران لم ينقص نبوته ضعف اللسان به قد كان يمضيها

قد كان موسى على علات منطقته رسائل الله تأتية يؤديها

و قد هجا ابن ابى دواد شعراء آخرون، و على رأسهم البحترى الذى كان ينقم عليه انه رأس المحنه بالقول بخلق القرآن، و لذا فقد هجاه و هجا كتابه بعده قصائد. فقد قال يهجوهُ(١):

يا احمد بن ابى دوادو الحادثات بكل ناد

ماذا رأيت اذا انتسبت الى اباد فى اباد

و هجاه بقصيده اخرى عند ما رفع المتوكل على الله المحنه، باعتبار ان ابن ابى دواد هو المسؤول عن قيامها، و سنأتى على بعض ابياتها فيما بعد.

و هجا الشاعر هفان المهزومى ابن ابى دواد عند ما سمع مدح مروان بن ابى الجنوب فيه، فقال يعارضه(٢):

---

١- ديوان البحترى.

٢- وفيات الاعيان ١/ ٧٠، و تاريخ بغداد ٤/ ١٤٣.

فقل للفاخرين على نزارو هم في الأرض سادات العباد

رسول الله و الخلفاء مناو نبرأ من دعي بني اباد

و ما منا اباد ان اقرت بدعوه احمد بن ابي دواد

فلما بلغت هذه الأبيات ابن ابي دواد قال: ما بلغ مني احد ما بلغ هذا الغلام المهزومي، لو لا اني اكره ان انبه عليه لعاقبته عقابا لم يعاقب احد بمثله جاء الى منقبه لي فنقضها عروه عروه.

كما هجاه ابو الحجاج الأعرابي بقوله (١):

نكست الدين يا ابن ابي دواد فأصبح من اطاعك في ارتداد

زعمت كلام ربك كان خلقاً مالك عند ربك من معاد؟

كلام الله انزله بعلم و أنزله على خير العباد

و من امسى ببابك مستضيفا كمن حل الفلاه بغير زاد

---

١- نشوار المحاضرہ ٥/ ٢٢٠، و تاريخ بغداد ٤/ ١٥٣ و فيه «اظرفت» في اول البيت الاخير.

لقد أطرفت يا ابن ابي دواد بقولك اننى رجل ايادى

و من الشعراء المشهورين الذين هجوا ابن ابي دواد الشاعر الهجاء دعبل الخزاعى. فقد كان ابن ابي دواد يطعن بالشاعر المذكور بحضره المأمون و المعتصم بالله و يسبه تقربا اليهما لأنهما يبغضانه لطول لسانه. فلما تزوج ابن ابي دواد بامرأتين من قبيله عجل فى سنه واحده قال دعبل يهجو به بايات مقذعه، منها(١):

غصبت عجلا على فرجين فى سنهافسدتهم ما اصلحت من نسبك

و لو خطبت الى طوق و اسرته فزوجوك لما زادوك فى حسبك

ان كان قوم اراد الله خزيهم فزوجوك ارتغابا منك فى ذهبك

فذاك يوجب ان النبع تجمعه الى خلافك فى العيدان او غربك

و لو سكت و لم تخطب الى عرب كما نسبت الذى تطويه من سبيك

عد البيوت التى ترضى بخطبتها تجد فزاره العكلى من عربك



و لما ولى الواصل بالله الخلفه ابقى ابن ابى دواد على قضاء القضاء، و قد حسنت حاله لديه، و بقى على ما كان عليه من سعه النفوذ و التأثير على الخليفه. و كان اليه تعيين القضاء، فلم يعين الا من كان من القائلين بخلق القرآن.

و قد استمر الواصل بالله فى مناخره المعتزله بتأثير ابن ابى دواد، بل لقد تطرف و اشتد فى محاربه اهل السنه، حتى انه قتل الفقيه احمد بن نصر الخزاعى لأنه لم يستجب الى دعوته بالقول بخلق القرآن. و كان ابن ابى دواد هو الذى تولى محاكمته بحضوره الخليفه مع عدد آخر من الفقهاء، و قد فصلنا ذلك فى الفصل الخاص بالمحنه.

كان الواصل بالله شديد الاعجاب باحمد بن ابى دواد، و يستشيريه فى معظم اموره و يعمل بمشورته. و قد امره ان يصلى بالناس فى يوم عيد، و كان عليل فلما انصرف من الصلاه، قال له: يا ابا عبد الله كيف كان عيدكم؟ قال: كنا فى نهار لا شمس فيه. فضحك الواصل بالله و قال: يا ابا عبد الله انا مؤيد بك (١).

قال احمد بن ابى دواد: دخلت يوما على الواصل بالله، فقال لى: ما زال قوم فى ثلبك و نقصك. فقلت: يا امير المؤمنين «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْاِثْمِ وَ الَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (٢) و الله ولى جزائه، و عقاب امير المؤمنين من ورائه، و ما ذل من كنت ناصره، و لا ضاع من كنت حافظه فماذا قلت لهم؟

قال: قلت.

١- تاريخ بغداد ١٤ / ١٨.

٢- الآيه (١١) من سوره النور.

و سعى الى بعيب عزه نسوهجعل الاله خدودهن نعالها

وقال الواثق يوما لابن ابي دواد، وقد ضجر من كثره حوائجه: ان بيوت الأموال خلت بطلباتك للائدين بك و المتوسلين اليك. فقال: يا امير المؤمنين، نتائج شكرها متصله بك، و ذخائر اجرها مكتوبه لك، و مالى من ذلك الاعشق الأنس بحلو المدح فيك. فقال: يا ابا عبد الله لا منعناك ما يزيد فى عشقك و يقوى همتك، فتناولنا بما احببت(١).

و لما توفى الواثق بالله حضر ابن ابي دواد ساعه وفاته فاغمضه و اصلح من شأنه، و صلى عليه و انزله قبره(٢). و حضر مع بقية رجال الدوله و القواد الاجتماع الذى عقد فى دار الخلافه لاختيار خليفه للواثق بالله. و قد أبعده ابنه لصغر سنه، فشارك فى اختيار اخى الواثق بالله جعفر بن المعتصم بالله، و هو الذى البسه الطويله و عممه و سلم عليه بالخلافه، و اقترح ان يلقب بالمتوكل على الله.(٣)

و كان ابن ابي دواد يحسن معاملته جعفر فى عهد اخيه الواثق بالله الذى كان يجفوه و يحق عليه. و قد كلمه ابن ابي دواد فى ذلك و اقسم عليه بحق ابيه المعتصم بالله ان يرضى عنه، فرضى الواثق بالله عن اخيه. فلما استخلف جعفر ابقاه على رئاسه القضاء. الا ان ابن ابي دواد اصيب بالفالج فى جمادى الآخره سنه (٢٣٣ هـ) و رغم ذلك ابقاه الخليفه فى منصبه حتى اواخر شهر

١- تاريخ بغداد ١٤٦ / ٤.

٢- الطبرى ١٥٠ - ١٥١ / ٩.

٣- الطبرى ١٥٤ - ١٥٥، و الكامل ٣٤ / ٧.

صفر من سنه (٢٣٧ هـ) فغضب عليه و عزله من رئاسه القضاء و امر بالقبض على ضياعه و املاكه، و حبس ابنه ابا الوليد و سائر اولاده. فحمل ابو الوليد الى المتوكل على الله مائه و عشرين الف دينار و جواهر قيمتها عشرون الف دينار، ثم صولح بعد ذلك على ستة عشر الف الف درهم، و اشهد الخليفه عليهم جميعا ببيع املاكهم (١). و يظهر مما ذكره ابن و كيع القاضى ان احمد ابن ابى دواد كان يميل الى الامويين (٢). الا ان هذا القول لا يمكن الاعتداد به لأن خدمه ابن ابى دواد الطويله برهنت على اخلاصه لبني العباس، و لم يكن هناك سبب واضح لغضب الخليفه عليه سوى طبيعه المتوكل على الله المتقلب المزاج، و حسده ذوى النعمه و المكانه من رجاله، مما سيأتى ذكره فى فصول قادمه.

توفى احمد بن ابى دواد فى المحرم من سنه (٢٤٠ هـ) (٣) و نقل عنه انه قال: ولدت سنه ستين و مائه (٤) و هذا يتفق مع ما جاء فى كتاب العبر من انه مات و له ثمانون سنه (٥). و عند ما شيعت جنازته وقف ببابه جماعه من الشعراء، فقالوا: يدفن من كان على ساقه الكرم و تاريخ الأدب و لا يتكلم فيه، فقال احدهم (٦):

اليوم مات نظام الفهم و اللسن و مات من كان يستعدى على الزمن

١- الطبرى ٩ / ١٨٩، و الكامل ٧ / ٥٩.

٢- اخبار القضاء ٣ / ٢٩٨.

٣- الطبرى ٩ / ١٩٧، و الكامل ٧ / ٧٥.

٤- وفيات الاعيان ١ / ٧٣.

٥- العبر ١ / ٤٣١.

٦- وفيات الاعيان ١ / ٧٤.

و اظلمت سبل الآداب اذ حجبت شمس المكارم فى غيم من الكفن

و تقدم آخر فقال:

ترك المنابر و السرير تواضعوا له منابر لو يشا و سرير

و لغيره يجبى الخراج و انما تجبى اليه محامد و اجور

و قال ثالث:

و ليس فتيق المسك ريح حنوطه و لكنه ذاك الثناء المخلف

و ليس صرير النعش ما تسمعونه و لكنها اصلاب قوم تقصف

### **يحيى بن اكنم التميمى:**

ابو محمد، يتصل نسبه باكنم بن صيفى التميمى حكيم العرب المشهور. بدت عليه علائم النباهه فى سن مبكره، فقد جلس لسماع الحديث على عبد الله بن المبارك، و هو صغير السن، فاحتفل ابوه بهذه المناسبه فصنع طعاما و دعا الناس متفاخرا بابنه (١).

و عبد الله بن المبارك من علماء العرب فى خراسان، و من قبيله بنى تميم كذلك. و قد جمع الحديث و الفقه و اللغه و قضى عمره فى

الاسفار حاجا و مجاهدا و تاجرا، توفى سنة (١٨١ هـ) فى هيت على الفرات منصرفا من غزو الروم(١).

لقد نشأ يحيى عالما بالفقه بصيرا بالاحكام، و كان عالما بالقرآن و الحديث و اللغة، متكلمما، فاذا جادل رجلا اتاه من جميع الابواب حتى يفحمه، فاذا وجدته يحفظ الحديث سأله عن الفقه، و اذا رآه يحفظ الفقه سأله عن النحو، فاذا رآه ملما به سأله عن الكلام، حتى يقطعه و يخجله، و يعزو الخطيب البغدادي ذلك الى شدة حسده(٢). و لكنه على ايه حال دليل على سعه علمه و تعدد معارفه.

و كان يحيى مع فقهه و سعه علمه من ادهى الناس و اخبرهم، حاضر البديهة، سريع الجواب. و قد تولى قضاء البصرة و سنة احدى و عشرون سنة، فاستصغره شيوخها فامتنوه، فقالوا، كم سن القاضى؟ قال: سن عتاب بن اسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه و سلم على مكة، فجعل جوابه احتجاجا(٣). و لقيه مره رجل، و هو يومئذ قاضى القضاة، فقال له اصلح الله القاضى، كم آكل؟ قال: فوق الجوع و دون الشبع، فقال: فكم اضحك؟ قال:

حتى يسقر وجهك و لا يعلو صوتك، قال: فكم ابكى؟ قال: لا تمل البكاء من خشية الله تعالى، قال: كم اخفى من عملى؟ قال: ما استطعت، قال: فكم أظهر منه؟ قال: ما يقتدى بك البر و يؤمن عليك قول الناس(٤).

١- الاعلام ٤ / ٢٥٦.

٢- تاريخ بغداد ١٤ / ١٩٥، و وفيات الاعيان ٥ / ٢٠٢.

٣- تاريخ بغداد ١٤ / ١٩٨، و وفيات الاعيان ٥ / ١٩٩ بروايه اخرى.

٤- تاريخ بغداد ١٤ / ٢٠٠.

وقد اتهم يحيى بن اكنم ببعض الهنات التي اشيعت عنه و هو منها برى ء. و مما يؤيد انها نسبت اليه بهتاناً انه ذكر للامام احمد ابن حنبل عنه و ما يرميه بعض الناس به، فعجب من ذلك و انكره انكاراً شديداً(١). و كتب الخليفة المتوكل على الله الى الامام احمد يسأل عن رجلين احدهما يحيى بن اكنم، فكتب اليه: اما فلان فلا و لا كرامه، و اما يحيى بن اكنم فقد ولى القضاء فما طعن عليه احد(٢). و لما قدم احمد بن المعذل و هو من فقهاء المالكية على المتوكل على الله، ذكر يحيى بن اكنم فى مجلس الخليفة، فقال بعض الحاضرين: ذاك صاحب غلمان، فستر ابن المعذل وجهه، و قال: سبحانك هذا بهتان عظيم(٣). و يقول ابن وكيع القاضى كان يحيى كثير المزاح لا يدع الهزل فى مجلسه، و له طرائف فى الهزل(٤). و روى عن احد العلماء قوله: كان يحيى بن اكنم لا يدع العبث و النظر، فاما ما وراء ذلك فلا، و للحمد لله(٥). و مما يؤيد ما ذكره ابن وكيع ان احد البلغاء سئل عن يحيى بن اكنم و احمد بن ابى دواد، أيهما انبل؟ فقال: كان احمد يجد مع جاريتته و ابنته، و يحيى يهزل مع خصمه و عدوه(٦). و لعل ميل يحيى الى الهزل و أنسه بالناس و مآزحتهم سببت له تلك السمعة المشينه.

و لا ينكر ان من يكون فى منزلته العلميه و الاجتماعيه لا يخلو ممن يحسده و يروج ما يسيء الى سمعته و ينتقص من منزلته.

١- وفيات الاعيان ٥ / ٢٠١.

٢- اخبار القضاء ٢ / ١٦١.

٣- اخبار القضاء ٢ / ١٦٥.

٤- اخبار القضاء ٢ / ١٦٦.

٥- نفس المصدر ٢ / ١٦٤.

٦- تاريخ بغداد ١٤ / ١٩٨، و وفيات الاعيان ٥ / ١٩٨.

لقد اتصل يحيى بن اكنم بالخليفة المأمون لما كان فى مرو، و خرج معه فى بعض غزواته الى بلاد الروم. و بعثه المأمون فى سنه (٢١٦ هـ) فى حملته الى بلاد الروم فغزا و عاد ظافرا(١). و قد اعجب المأمون بسعه علم يحيى بالفقه و الحديث، و غزاره ادبه، و سرعه جوابه، و قوه حجته، فقربه اليه و نادمه، فغلب عليه يحيى بحيث لم يتقدمه عنده احد من الناس(٢). و كان اذا صحب المأمون فى سفر ركب معه بمنطقه و قباء و سيق بمعاليق، و اذا كان الموسم شتاء ركب فى اقبية الخز و قلانس السمرور و السروج المكشوفه(٣).

و استصحبه المأمون الى مصر فى سنه (٢١٧ هـ) و كانت مصر بلا- قاض، فأمره الخليفة ان يجلس فى المجلس للقضاء، فجلس و قضى بين الناس لمدته قصيره(٤). و يقول ابن خلكان انه حكم ثلاثه ايام(٥).

و قلده المأمون منصب قاضى القضاء و اوكل اليه تدبير اهل مملكته، فكان وزراء الخليفه لا يعملون شيئا الا بعد مطالعه يحيى ابن اكنم(٦). الا انه لم يلبث ان سخط عليه عند ما كان فى مصر، و يبدو ان للحسد و الوشايات دورا فى ذلك. يقول اليعقوبى ان يحيى كان قد وشى بالمعتصم الى المأمون و قال له: بلغنى انه يحاول الخلع. و كان المأمون قد وجه ابا اسحاق الى مصر عند ما استفحلت الثوره فيها فى سنه (٢١٤ هـ) فبعث اليه يأمره بالقدوم. و لما

- 
- ١- الاعلام ٤ / ٢٥٦.
  - ٢- وفيات الاعيان ٥ / ١٩٨.
  - ٣- مروج الذهب ٤ / ٢٢.
  - ٤- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٤٤١ - ٤٤٢ و ٥٨٦.
  - ٥- وفيات الاعيان ٥ / ٢١١.
  - ٦- تاريخ بغداد ١٤ / ١٩٧ - ١٩٨، و وفيات الاعيان ٥ / ١٩٨، و العبر ١ / ٤٣٩.

ذهب المأمون الى مصر فى اوائل سنه (٢١٧ هـ) وشى محمد بن ابى العباس و احمد ابن دواد بيحى بن اكثم الى المأمون تقربا الى ابى اسحاق، فسخط عليه المأمون و امر بنفيه من عسكره و نزع السواد عنه- دليل اقضائه من منصبه- و اخراجه الى بغداد و امره ان لا يخرج من منزله(١).

و يستنتج مما جاء فى وصيه المأمون الى اخيه ابى اسحاق عن يحيى بن اكثم انه اتهمه بخبث السيره و الخيانه، اذ قال: «و لا تتخذن بعدى وزيراً تلقى اليه شيئاً، فقد علمت ما نكبنى به يحيى بن اكثم فى معامله الناس و خبث سيرته حتى ابان الله ذلك منه فى صحه منى، فصرت الى مفارقتة، قالبا له غير راض بما صنع فى اموال الله و صدقاته، لاجزاه الله عن الاسلام خيراً»(٢).

و قد ابعده المعتصم بالله لما ولى الخلافة، عملاً بوصيه اخيه.

و قد يكون لسبق و شايه يحيى عند المأمون تأثير فى ابعاده عن مناصب الدوله. فبقى بعيداً عن القضاء طيله عهد المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله. لأن الواثق بالله كان شديد التأثير بعمه المأمون و يحاول ان يقتدى به فى كل اموره، فلم يستخدم يحيى طيله حكمه لأن عمه لم يكن راضياً عنه.

و عند ما غضب المتوكل على الله على قاضى القضاء احمد بن ابى دواد و عزله عن عمله فى سنه ٢٣٧ هـ رضى عن يحيى بن اكثم، و كان مقيماً ببغداد، فأشخصه الى سر من رأى و ولاه منصب قاضى القضاء و اضاف اليه رد المظالم(٣). و يقول الخطيب البغدادي ان

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٦٥ - ٤٦٦.

٢- الطبرى ٨ / ٦٤٩.

٣- الطبرى ٩ / ١٨٨، و مروج الذهب ٤ / ٩٦.



الخليفه خلع عليه خمس خلع (١). وقد استفتح يحيى عمله بأن ولى حيان بن بشر القضاء على الجانب الشرقى من بغداد و سوار ابن عبد الله العنبرى قضاء الجانب الغربى منها، و كلاهما اعور، فقال الجماز الشاعر (٢):

رأيت من الكبائر قاضيين هما احدوثة فى الخافقين

هما اقتسما العمى نصفين قدا كما اقتسما قضاء الجانبين

و تحسب منهما من هز رأسا لينظر فى موارىث و دين

كأنك قد وضعت عليه دنا فتحت بزاله من فرد عين

هما فال الزمان بهلك يحيى اذ افتتح القضاء باعورين

الا ان المتوكل على الله سخط على يحيى بن اكنم فى سنة (٢٤٠ هـ) فعزله عن القضاء، و امر بمصادره امواله و املاكه، و أعيد الى بغداد و الزم منزله. فقبض ما كان له ببغداد و مبلغه خمس و سبعون الف دينار، و من اسطوانه فى داره الفا دينار، و اربعة آلاف جريب فى البصره (٣).

---

١- تاريخ بغداد ١٤ / ٢٠١.

٢- الطبرى ٩ / ١٨٩.

٣- الطبرى ٩ / ١٩٧ - ١٩٨، و الكامل ٧ / ٧٤، و العبر ١ / ٤٢٩ و فيه انه اخذ منه مائه الف دينار.

و خرج يحيى الى الحج فى سنة (٢٤٢ هـ) و حمل اخته معه، و عزم على ان يجاور و ينقطع للعباده. و يقول ابن وكيع ان المتوكل على الله نفاه الى مكه (١). و اتصل بيحيى ان الخليفه قد رضى عنه فبدأ له فى المجاوره، و رجع يريد العراق، حتى اذا صار الى الربذه وافته المنيه فى يوم الجمعة منتصف ذى الحجه من السنه نفسها، و قيل فى مطلع السنه التاليه، و عمره ثلاث و ثمانون سنه و دفن هناك (٢).

### جعفر بن عبد الواحد الهاشمى:

هو جعفر بن عبد الواحد بن سليمان بن على، هاشمى من البيت العباسى. كان فقيها حافظا للحديث، لسنا بليغا، و قد وصف بأنه رجل تصلح له الخلافه من ولد العباس لما يتمتع به من سكينه و وقار (٣). و لاه المتوكل على الله منصب قاضى القضاة بسامرا فى صفر سنه (٢٤٠ هـ) بعد عزل يحيى بن اكثم (٤).

و عند ما تم الاتفاق على المفاداه مع الروم فى شوال سنه (٢٤١ هـ) طلب جعفر بن عبد الواحد ان يؤذن له فى حضور عمليه الفداء، و ان يستخلف رجلا- يقوم مقامه فى اثناء غيابه، فوافق الخليفه المتوكل على الله و امر له بمائه و خمسين الف درهم معونه، و ارزاق ستين الف. فاستخلف جعفر الحسن بن ابى الشوارب، و لحق بشنيف الخادم المكلف بالفداء، و حضر معه عمليه المفاداه (٥).

١- اخبار القضاة ٣/ ٣٠٣.

٢- تاريخ بغداد ١٤/ ٢٠٣، و وفيات الاعيان ٥/ ٢١٢.

٣- تاريخ بغداد ٧/ ١٧٤.

٤- الطبرى ٩/ ١٩٨، و المنتظم ٥/ ١١.

٥- الطبرى ٩/ ٢٠٢-٢٠٣، و الكامل ٧/ ٧٧.

و لما آلت الخلافه الى المنتصر بالله استمر جعفر بن عبد الواحد فى منصبه. و عند ما خلع المعتز و المؤيد نفسيهما من ولايه العهد فى صفر سنه (٢٤٨ هـ) بناء على طلب اخيهما الخليفه المنتصر بالله، حضر قاضى القضاة جعفر بن عبد الواحد للشهاده على ذلك مع كبار القواد و بنى هاشم و اصحاب الدواوين(١).

و عند ما بويع للمستعين بالله بالخلافه ابقى جعفر بن عبد الواحد قاضيا على القضاة حتى ربيع الأول من سنه (٢٥٠ هـ) حينما تمرد الشاكريه فبعث به الخليفه اليهم ليستمع الى شكواهم و يدعوهم الى الطاعه. و يظهر انه فشل فى ذلك، مما جعل القائد و صيفا يزعم بانه افسدهم. فغضب عليه الخليفه و عزله من منصبه و امر بنفيه الى البصره(٢). و يظهر انه عفى عنه و عاد الى سامرا عند ما بويع فيها للمعتز بالله. فقد استعان به الخليفه المذكور ليصلح بين الجند من الاتراك و المغاربه عند ما استولى المغاربه على الجوسق و بيت المال، فاستطاع جعفر ان يصلح ذات البين بينهما، فاصطلحا على الا يحدثا شيئا(٣).

و لما قتل المهتدى و اشهد على وفاته، صلى عليه جعفر بن عبد الواحد(٤). و قد توفى جعفر فى سنه (٢٥٨ هـ)، و يظهر مما ذكره الخطيب البغدادي و ابو المحاسن انه كان قاضيا على الثغور عند وفاته(٥).

١- الطبرى ٩ / ٢٤٦.

٢- الطبرى ٩ / ٢٧٦، و الكامل ٧ / ١٣٤.

٣- الطبرى ٩ / ٣٦٩.

٤- الطبرى ٩ / ٤٦٢، و الكامل ٧ / ٢٣٣.

٥- الطبرى ٩ / ٣٧١.

**جعفر البرجمي:**

جعفر بن محمد بن عمار البرجمي، من اهل الكوفه من قبيله تميم. كان يتولى قضاء الكوفه عند ما ولى منصب قاضى القضاء بسامرا، بعد ما عزل جعفر بن عبد الواحد(١). و كان قد تولى قضاء سامرا فى سنه (٢٣٥ هـ)، و تولى بعد ذلك قضاء واسط.

و كان البرجمي صلبا فى القضاء لا يسمح لأحد بالتدخل فى احكامه. و يقال ان صاحب البريد اراد ان يحضر مجلس قضائه، فقال له: من انت؟ قال: بعث بى لأجلس معك. فقال: انت متصفح وجوه حرم المسلمين، و ختم القمطر و قام. فبلغ الخليفه ذلك فارسل اليه و ولاه قضاء القضاء(٢). و بقى البرجمي فى منصبه حتى مات فى اوائل شهر رمضان سنه (٢٥٠ هـ)(٣)، اى بعد سنه اشهر تقريبا من توليه منصب قاضى القضاء.

و كان الشاعر ابو السرى احمد بن بديل قد هجاه، ثم عاد فمدحه، و مما قاله فى مدحه(٤):

سأشكر جعفرا و اقول فيه مقاله صادق فيما يقول

جبلت على العفاف و كل فضل و جل الناس خيرهم القليل

١- الطبرى ٩ / ٢٦٥ و ٢٧٦، و الكامل ٧ / ١٢٤.

٢- اخبار القضاء ٣ / ١٩٤.

٣- الطبرى ٩ / ٢٧٦، و الكامل ٧ / ١٣٥.

٤- اخبار القضاء ٣ / ١٩٦.

و وليت القضاء فخير وال على الأحكام ليس له عدول

و سرت كسيره العمرين حتى انار الحق و اتضح السبيل

### الحسن بن محمد بن ابي الشوارب:

الاموى البصرى. ولى القضاء فى عهد المتوكل على الله، و هو فتى حدث السن عند ما استخلفه قاضى القضاء جعفر بن عبد الواحد. و اراد المعتز بالله توليه قاض للقضاء فطلب الى مؤدبه محمد بن عمران الضبى ان يسمى له عددا من الفقهاء فسمى له ثمانيه، كان فيهم الخلنجى، و الخصاف. الا ان حاشيه الخليفه اتهموهم بانهم من اصحاب احمد بن ابي دواد و انهم قدريه جهميه، اى انهم من اهل الاعتزال. فأمر المعتز بالله باخراجهم الى بغداد، و ولى الحسن بن محمد بن عبد الملك بن ابي الشوارب المنصب المذكور، و ذلك فى سنه (٢٥٢ هـ) (١).

ولد الحسن بالبصره و نشأ فيها، و ابوه محمد بن عبد الملك الاموى البصرى من نسل خالد بن اسيد، و هو اخو عتاب بن اسيد الذى ولاه رسول الله صلى الله عليه و سلم على مكه. و كان محمد ابن عبد الملك من محدثى البصره و فقهاؤها. و قد اشخصه المتوكل على الله الى سامرا ليحدث فيها، عند ما نهى عن القول بخلق القرآن. و عند ما ورد كتاب الحسن على ابيه يعلمه بتوليه القضاء، كتب ابوه اليه: وصل كتابك بتوليتك القضاء، و حاشا لوجهك

الحسن باحسن من النار(١). اى انه يوصيه بالتمسك بالعدل فى احكامه لئلا يعرض نفسه لعذاب الآخرة.

كان الحسن من المروه و السخاء و الكرم على حانه لم ير عليها حاكم قط(٢). و كان الخليفه المعتر بالله يمتدحه كثيرا و يقول: ما رأيت أفضل منه، و لا احسن وفاء، ما حدثنى قط فكذبنى، و لا ائتمنته قط على شىء من سر او غيره فخانتى عليه، و انى لأراه يستوحش من ذكر القبيح و يحسن الثناء(٣). و لم يزل الحسن يتقلد عمله طيله ايام المعتر بالله. و لما خلع المعتر بالله من الخلافه فى اواخر رجب سنه (٢٥٥ هـ) حضر الحسن للشهاده على خلعه، فطلب اليه القائد صالح بن وصيف ان يكتب كتاب الخلع فاعتذر، فكتبه احد الكتاب الحاضرين. و حاول الحسن ان يؤمن سلامه الخليفه المخلوع و ذويه. فأخذ الشهاده على صالح بن وصيف بأن للمعتر و لاخته و امه و ابنه الأمان قبل ان يشهد على خلعه(٤).

و لما تولى المهتدى بالله الخلافه أقر الحسن بن ابى الشوارب على عمله فى القضاء، الا انه بعد مده قصيره حبسه و ولى عبد الرحمن بن نائل البصرى قضاء سامرا. و يظهر مما ذكره ابن و كيع القاضى ان الخليفه امر بحبس الحسن لاعتقاده بأن له علاقته بما اتهم به حماد بن اسحاق و اخاه القاضى اسماعيل بن اسحاق(٥).

١- تاريخ بغداد ٧ / ٤١٠.

٢- تاريخ بغداد ٧ / ٤١٠.

٣- نفس المصدر.

٤- الطبرى ٩ / ٣٩٠، و الكامل ٧ / ١٩٦.

٥- الطبرى ٩ / ٤٣٧، و اخبار القضاء ٣ / ٢٨١.

و قد اعيد الحسن بن ابى الشوارب الى منصبه لما تولى الخلافة المعتمد على الله. و عند ما عين الخليفة ابنه جعفرا وليا للعهد فى شوال سنه (٢٦١ هـ) و سماه المفوض الى الله، و عين اخاه ابا احمد الموفق وليا للعهد بعد جعفر، و اخذت البيعه بذلك على الناس، و فرقت نسخ كتاب العهد فى الأمصار، بعث المعتمد على الله نسخه من الكتاب المذكور مع الحسن ليعلقها فى الكعبه. فخرج الحسن الى الحج، فوافته المنيه بعد ما ادى فريضه الحج(١). الا ان الخطيب البغدادي يقول انه توفى بمدينة السلام لثمان عشره خلت من ذى الحجه سنه ٢٦١ هـ، و يشاركه فى ذلك ابن الجوزى(٢).

و احسبه انه نقل ذلك عنه. و يقول ابن الاثير انه توفى فى شهر رمضان من السنه المذكوره(٣). اى قبل ان يدرك موسم الحج.

### على بن محمد بن ابى الشوارب:

هو اخو قاضى القضاة الحسن بن محمد بن ابى الشوارب.

نشأ فى بيت علم وفقه، فسمع الحديث على محدثى عهده، و رواه.

و كان رجلا صالحا، ثقه امينا، لا مطعن عليه فى شىء، و قد حمل الناس عنه حديثا كثيرا(٤).

و لما توفى قاضى القضاة الحسن بن ابى الشوارب وجّه الخليفة المعتمد على الله وزيره عبيد الله بن يحيى الى على بن محمد بن ابى الشوارب فعزاه بأخيه و هنا بالقضاء، فأمتنع على عن قبول ذلك.

١- الطبرى ٩ / ٥١٥.

٢- تاريخ بغداد ٧ / ٤١٧، و المنتظم ٥ / ٢٧.

٣- الكامل ٧ / ٢٨٩.

٤- تاريخ بغداد ١٢ / ٦٠.

الا ان عبيد الله لم يبرح عليا حتى قبل المنصب، فتقلد قضاء القضاة في سامرا، و مكث بهذا المنصب حتى وفاته(١).

بقى على في منصبه حتى ايام المعتضد على الله، و قد أخذ برأيه في وجوب رد الفاضل من سهام الموارث على ذوى الأرحام، و امر بالكتاب الى جميع النواحي بردها(٢).

توفى على بن ابي الشوارب في عهد المعتضد بالله، و كانت وفاته لسبع خلون من شوال سنة (٢٨٣ هـ)، و هو بمدينة السلام، فحمل الى سامرا من يومه في تابوت و دفن فيها(٣).

### ٣- قضاء مدينة السلام:

#### اشاره

عند ما نقلت عاصمه الدوله العرييه الى سامرا ظلت مدينة السلام بغداد تحتفظ بمركزها المهم في النواحي المختلفه، و بخاصه النواحي العلميه و الاداريه. فكان و اليها يعتبر نائبا للخليفه او خليفه عنه. و لقضائها منزله لا تقل عن منزله قضاء العاصمه. و لذا رأينا من المناسب ان نستعرض سيره اولئك الذين تولوا قضاءها في عهد سامرا.

#### محمد بن سماعه:

ابو عبد الله محمد بن سماعه بن عبيد الله التميمي، من رجال الحديث و رواة الثقات، حتى قيل: لو كان اصحاب الحديث

١- المصدر السابق، و المنتظم ٥/ ١٦٤، و نشوار المحاضره ٤/ ١٣٣.

٢- المنتظم ٥/ ١٦١.

٣- الطبرى ١٠/ ٤٩، و المنتظم ٥/ ١٦٤، و تاريخ بغداد و فيه انه توفى لاحدى عشره خلت من شوال.



يصدقون كما يصدق محمد بن سماعه لكانوا فيه على نهائه (١).

كان ابن سماعه متعبدا متقشفا، و يروى عنه انه قال: مكثت اربعين سنه لم تفتنى التكييره الاولى فى جماعه الا يوما واحدا ماتت فيه امى (٢). و هو من اصحاب القاضى ابى يوسف و اخذ عنه و عن محمد بن الحسن، و روى عن ابن الحسن كتبه (٣). و قد ولاه المأمون قضاء مدينه المنصور بعد وفاه القاضى يوسف بن ابى يوسف، رغم انه كان يطعن بتقشفه، فقد روى عنه انه قال: عشره من اعمال البر لا يصعد الى لله، و الله، منها شىء، و لما سئل عنها عددها و كان من ضمنها تقشف ابن سماعه (٤).

استمر ابن سماعه على قضاء مدينه المنصور فى عهد المعتصم بالله، رغم انه كان على مذهب ابى حنيفه و يعتبر من ذوى الرأى فيه، و امتنع عن القول بخلق القرآن. و يظهر ان سبب بقاءه فى القضاء انه كان عالما ثقه محمود السيره (٥). الا انه لما ضعف بصره عزله المعتصم بالله، و يقال انه استعفى من العمل (٦).

و لمحمد بن سماعه عدد من المصنفات فى اصول الفقه. ذكر ابن النديم منها كتاب ادب القاضى و كتاب المحاضر و السجلات (٧). و ذكر له المسعودى كتاب نوادى المسائل و قد

١- تاريخ بغداد ٥ / ٣٤٢.

٢- نفس المصدر، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٧١.

٣- الفهرست / ٣٠٣، و العبر ١ / ٤١٤.

٤- تاريخ بغداد ٥ / ٣٤١ - ٣٤٢.

٥- النجوم الزاهره ٢ / ٢٧١.

٦- تاريخ بغداد ٥ / ٣٤٢، و النجوم الزاهره ٢ / ٧٢١.

٧- الفهرست / ٣٠٣.

وضعه عن استاذة محمد بن الحسن، و هو من الوف الاوراق(١).

لقد عمر محمد بن سماعه طويلا، فقد توفي سنة (٢٣٣ هـ) بعد ان بلغ مائه سنه من عمره، و هو صحيح الجسم و العقل(٢).

### شعيب بن سهل:

ابو صالح شعيب بن سهل بن كثير الرازي المولد، من رجال المعتزله المتطرفين، ولاه الخليفه المعتصم بالله في اول خلافته قضاء الجانب الشرقي من بغداد عند ما توفي قاضيها جعفر بن عيسى الحسنى. و يظهر ان احمد بن ابى دواد رشحه لهذا المنصب لأنه من اهل الاعتزال. و قد جعل الخليفه اليه، اضافه الى القضاء، الصلاه بالناس فى مسجد الرصافه فى ايام الجمع و الأعياد(٣).

اى انه اتابه عن نفسه فى اداء هذا الواجب الدينى، و فى ذلك تقدير كبير له، علما انه لم يكن يعين للامامه الا من بنى هاشم، او ممن يوثق به من افاضل المسلمين(٤).

كان شعيب من القائلين بخلق القرآن و نفى الصفات و الرؤيه عن البارى عز و جل فى الآخره. و كان ينتقص اهل السنه و يتحامل عليهم، و قد كتب على جدار مسجده «القرآن مخلوق» و حاول عوام الجند و الغوغاء فى ربيع سنه (٢٢٧ هـ) اثر مبايعه الواثق بالله ان يمحو هذه الكتابه، فمنعهم خادم المسجد، فذهبوا الى بيت القاضى نفسه و احرقوا بابه و انتهبوا داره، و ارادوا نفسه فهرب

١- مروج الذهب ٩٥ / ٤.

٢- مروج الذهب ٩٥ / ٤، و تاريخ بغداد ٣٤٣ / ٥، و الكامل ٧ / ٤٠.

٣- تاريخ بغداد ٢٤٣ / ٩، و اخبار القضاة ٢٧٧ / ٣.

٤- الخراج و صناعه الكتابه / ٤٣ - ٤٤.

منهم. فانفذ صاحب الشرطه اسحاق بن ابراهيم حرسا استطاعوا انقاذ شعيب و صاروا به الى دار اسحاق(١).

بقى شعيب على قضاء الرصافه، و لما تولى الواثق بالله الخلافه عزله من منصبه(٢). و قد توفي سنه (٢٤٦ هـ) فى ايام المتوكل على الله(٣).

### عبد الرحمن بن اسحاق:

عبد الرحمن بن اسحاق بن سلمه الضبى، كان جده من رجال الدوله(٤). و كان هو احد فقهاء المذهب الحنفى و من اصحاب الرأى فيه، و كان مترفا جماعا للمال(٥). و يروى ابن طيفور كيفيه توليه القضاء، و ذلك انه كان يختلف الى ولد ابن سماعه القاضى، فاتاهم يوما فتغدى عندهم، و اخذوا قلنسوته و تراموا بها و خرقوها، فاغضبه ذلك. فصار الى ابيهم ليشكوهم فوجد عنده جماعه فاحتشم ان يشكوهم بحضره تلك الجماعه فجلس ينتظر خروجهم. فأتى ابن سماعه كتاب طاهر بن الحسين كبير قواد المأمون يذكر حاجته الى قاض يكون فى عسكره لينظر فى امورهم. فقال لعبد الرحمن: هل لك ان تمضى اليهم؟ قال:

نعم. فبعث به الى طاهر فجعله قاضيا فى عسكره، و استمر به الأمر، و دخل فى عداد القضاء(٦).

١- تاريخ بغداد ٩/ ٢٤٣، و اخبار القضاء ٣/ ٢٧٧، و تاريخ يعقوبى ٢/ ٤٧٩.

٢- اخبار القضاء ٣/ ٢٧٧.

٣- الاعلام ٣/ ٢٤٤.

٤- تاريخ بغداد ١٠/ ٢٦٠.

٥- نفس المصدر / ٢٦٠ - ٢٦١، و اخبار القضاء ٣/ ٢٨٢.

٦- بغداد لابن طيفور / ١٤١.

و نقل عبد الرحمن الضبى بعد حين الى قضاء الرقه و بقى على قضائها مده، و قيل انه لما تولى قضاء الرقه لم يكن له علم بشىء من الفقه، الا انه عنى بعد ذلك بحفظ الحديث و حفظ منه شيئاً صالحاً(١). ثم عينه المأمون على قضاء مدينه المنصور بدلا من اسماعيل بن حماد، ثم ضم اليه قضاء الشقيه(٢)، لما عزل قاضيها بشر بن الوليد، فصار قاضيا على الجانب الغربى باسره.

و ظل فى منصبه هذا طيله ايام المعتصم بالله(٣). و عند ما خرج المعتصم بالله الى حرب الروم سنه (٢٢٣ هـ) احضر القضاء و رجالا من ذوى العداله فاشهدهم على ما اوقف من الضياع، كان عبد الرحمن بن اسحاق احد القضاة الذين شهدوا على ذلك(٤).

و لما استخلف الواثق بالله عزل عبد الرحمن بن اسحاق فى سنه (٢٢٨ هـ) و ولى مكانه الفقيه الحسن بن على بن الجعد على قضاء مدينه المنصور، و عبد الله بن محمد الخلنجى على قضاء الشقيه(٥). و حضر عبد الرحمن بن اسحاق بصفته من كبار الفقهاء مجلس محاكمه احمد بن النصر الخزامى فأيد كفره، و قال هو حلال الدم(٦).

١- اخبار القضاء ٣/ ٢٨٢.

٢- الشقيه محله كبيره بالجانب الغربى من بغداد، سمت بالشقيه لانها، شرقى مدينه المنصور.

٣- تاريخ بغداد ١٠/ ٢٦١.

٤- الطبرى ٩/ ٥٦.

٥- تاريخ بغداد ١٠/ ٢٧١.

٦- الطبرى ٩/ ١٣٨.

توفى عبد الرحمن الضبي في ذى القعدة سنة (٢٣٢ هـ) بفيد و هو بطريقه الى مكه لاداء فريضه الحج، و دفن بها(١).

### اسماعيل بن اسحاق:

ابو اسحاق اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل بن حماد الأزدي.

نشأ بالبصره و درس اللغه و الحديث و الفقه على مذهب الامام مالك بن انس، حتى صار علما فيه، و قد عمل على شرحه و نشره، و صنف الكتب في الاحتجاج له، كما اتقن علوم القرآن و الحديث و صنف عددا من الكتب فيها(٢). و يقول ابن النديم ان اسماعيل بن اسحاق هو الذى بسط فقه مالك و دعا الناس اليه و رغبهم فيه، و صنف فيه الكتب(٣). و كان ابوه اسحاق على المظالم في مصر في عهد المأمون(٤).

استوطن اسماعيل مدينه السلام و ولى القضاء فيها، و لم يزل يتولاه حتى وفاته. و قد تولى القضاء لأول مره في سنه (٢٤٦ هـ) لما مات القاضى سوار بن عبد الله العنبري، فأمر الخليفه المتوكل على الله قاضى القضاء جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ان يولى اسماعيل بن اسحاق قضاء الجانب الشرقى من بغداد فولاه(٥).

و ظل في منصبه حتى ايام المهتدي على الله الذى نقم على حماد بن

١- تاريخ بغداد ١٠ / ٢٦١.

٢- تاريخ بغداد ٦ / ٢٨٤ - ٢٨٥، و وفيات الاعيان ٢ / ٢٥٧، و المنتظم

٣- الفهرست ٢٩٦. ٥ / ١٥١ - ١٥٢.

٤- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ١٨٩ و ٥٠٢.

٥- تاريخ بغداد ٦ / ٢٨٧.

اسحاق اخى اسماعيل لما بلغه عن مكاتبتة الموفق ايام كان بمكة و صرف اسماعيل عن القضاء(١).

و لما بويح للمعتمد على الله بالخلافه اعاد اسماعيل بن اسحاق الى عمله فى القضاء. و كان الموفق شديد الاعجاب باسماعيل و بعلمه، فسأله اسماعيل ان ينقله الى الجانب الغربى من مدينه السلام، و كان على قضاء الشقيه القاضى البرتى و على قضاء مدينه المنصور احمد بن يحيى، فكره ذلك قاضى القضاء الحسن بن ابى الشوارب و اجتهد فى رده، الا انه لم يستطع ذلك لتمكن اسماعيل من الموفق. فاجابه الى طلبه، و نقل البرتى الى الجانب الشرقى من المدينه، و اسماعيل الى الجانب الغربى باسره، و ذلك فى سنه (٢٥٨ هـ)، ثم جمع قضاء بغداد بجانبها لاسماعيل بن اسحاق فى سنه (٢٦٢ هـ) و قلد معها قضاء المدائن و النهروانات و قسم من اعمال السواد، و صار المقدم على سائر القضاء(٢).

كان اسماعيل بن اسحاق مقربا الى الخليفه المعتمد على الله و الى اخيه الموفق، فكانا يتتد بانه لبعض المهام. فقد اوفده الخليفه ضمن الوفد الذى بعث به الى يعقوب بن الليث لما استحوذ على اقليم فارس فى سنه (٢٥٧ هـ)(٣). و عند ما تغلب ابن واصل على فارس فى سنه (٢٦١ هـ) و اسر احد قواد موسى بن بغا، وجه الخليفه اسماعيل بن اسحاق الى ابن واصل يسأله اطلاق القائد

١- الطبرى ٩ / ٥٢٦، و تاريخ بغداد ٦ / ٢٨٧ - ٢٨٨، و اخبار القضاء / ٣ / ٢٨١.

٢- الطبرى ٩ / ٥٢٦، و تاريخ بغداد ٦ / ٢٨٧ - ٢٨٨، و اخبار القضاء / ٣ / ٢٨١، و المنتظم ٥ / ١٥٢.

٣- الطبرى ٩ / ٤٧٦ / ٩ / ٤٧٦.

الأسير(١). ووجهه الخليفة كذلك الى يعقوب بن الليث عند ما وافى رامهرمز و عاد برسالة من يعقوب، في رجب سنة (٢٦٢) هـ(٢).

توفي اسماعيل بن اسحاق في ذي الحجة من سنة (٢٨٢ هـ) فجاءه و هو قاض على جانبى مدينة السلام(٣). و يقول ابن الجوزى انه لبس سواده ليخرج الى الجامع و لبس احد خفيه و جاء ليلبس الآخر فمات(٤). و اهم ما صنفه اسماعيل من الكتب كتاب فى احكام القرآن، و كتاب فى القراءات، و كتاب فى معانى القرآن، و المسند(٥). و يضيف ابن النديم على هذه الكتب: كتاب احوال القيامة، و كتاب المبسوط، و كتاب شواهد الموطأ، و كتاب المغازى(٦).

### الحسن بن الجعد:

هو الحسن بن على بن الجعد بن عبيد الجوهري و كان ابوه مولى ام سلمة المخزومية امرأه ابى العباس السفاح(٧). و قد درس الفقه و الحديث على عليه اصحاب الحديث و رواته. و قد اخذ عنه البخارى(٨). و توفي بعد تولى ابنه القضاء

١- نفس المصدر / ٥١٣.

٢- نفس المصدر / ٥١٦.

٣- الفهرست / ٢٩٦، و تاريخ بغداد / ٦ / ٢٩٠، و أخبار القضاء / ٣ / ٢٨١.

٤- المنتظم / ٦ / ٣٨٤.

٥- تاريخ بغداد / ٦ / ٢٨٤ و ٢٨٦، و وفيات الاعيان / ٢ / ٢٥٧ - ٢٥٨.

٦- الفهرست / ٢٩٦.

٧- المعارف / ٢٢٥.

٨- مروج الذهب / ٤ / ٧٦، و الكامل / ٧ / ١٨.

بستين (١). درس الحسن الفقه و الحديث على ابيه، و تابع الدرس و التحصيل حتى غدا من مشاهير العلماء بمذهب اهل العراق (٢). و مال اول امره الى مذهب المعتزله ثم رجع عنه.

فقد سئل الامام احمد بن حنبل عنه، فقال: كان معروفا عند الناس بانه جهمي مشهور، ثم بلغني انه قد رجع عن ذلك (٣).

عرف الحسن بن الجعد بنبله و مروءته و سمو اخلاقه. و قد اختاره الواثق بالله لقضاء مدينه المنصور فى سنه (٢٢٨ هـ) و لم يزل قاضيا عليها الى ان مات فى رجب سنه (٢٤٢ هـ) فى عهد الخليفه المتوكل على الله (٤).

### عبد الله الخلنجي:

عبد الله بن محمد بن يزيد الخلنجي، من اصحاب الرأى، كان واسع العلم حاذقا فى الفقه الحنفى و من القائلين بخلق القرآن.

تقلد المظالم فى اقليم الجبل، و القضاء فى همدان نحو من عشرين سنه، فكان مستقلا بالقضاء و وجوهه (٥). كتب اليه الخليفه المعتصم بالله بأن يمتحن الناس، فكان معتدلا يضبط نفسه و لم يتطرف فى الاعتزال. فقد تقدمت اليه امرأه فقالت:

ان زوجى لا يقول بقول امير المؤمنين، ففرق بينى و بينه، فصاح بها (٦).

١- تاريخ بغداد ٧ / ٣٦٤.

٢- نفس المصدر، و اخبار القضاء ٣ / ٢٨٣.

٣- تاريخ بغداد ٧ / ٣٦٤.

٤- نفس المصدر، و الطبرى ٩ / ٢٠٨.

٥- تاريخ بغداد ١٠ / ٧٣.

٦- نفس المصدر، و اخبار القضاء ٣ / ٢٩٠ و جاء فيه ففرق بينه و بينها.



و تولى الخلنجى القضاء على الشرقيه بالجانب الغربى من بغداد فى ايام الواصل بالله (١)، و بقى فى منصبه حتى ايام المتوكل على الله، فعزله فى سنه (٢٣٧ هـ) و امر ان يكشف للناس ليفضحه، لأنه كان من اصحاب احمد بن ابى دواد. فاقيم للناس فى جمادى الأخيره من السنه المذكوره (٢). فلم يتقدم احد بالشكوى عليه او اتهامه بأخذ حبه من احد، حتى لقد قال بعض الشهود الذين حضروا الكشف: ما علمت ان القرآن مخلوق الا اليوم. فلما سئل كيف علم ذلك، قال: سمعت القاضى يقول ذلك (٣). و هو دليل على ما كان يتمتع به الخلنجى من ثقته عاليه فى نفوس الناس.

كان الخلنجى عفيفا و فيه تيه و كبر شديد، و يظهر انه كان اسود اللون ذا شكل مهيب، فقد قال فيه احد الشعراء (٤).

نسبته فى سواد لبسته اشبه شىء بلون خلقته

كأنى بالجبال قد نصبوا فيه الخلنجى فوق بغلته

اكرم به من فتى مناسبين اجاوينه و قصعته

١- تاريخ بغداد ١٠/ ٧٣ و اخبار القضاء ٣/ ٢٩٠.

٢- الطبرى ٩/ ١٨٩.

٣- تاريخ بغداد ١٠/ ٧٤.

٤- اخبار القضاء ٣/ ٢٩٠.

ما عذب الله امه سلفت فيما سمعنا بمثل صورته

يصطلىح الناس حين يقعد للحكم فرارا من هول طلعتة و عند ما اشتد الخلاف بين المستعين بالله و القواد الأتراك و اضطر الخليفة على الانحدار مع مؤيديه الى بغداد كان عبد الله الخلنجى من جملة حاشيته. و لما طلب امير بغداد محمد بن عبد الله الى المستعين بالله ان يتنازل عن الخلافة لانهاء الحرب مع المعتز بالله، بحضور عدد من القواد و الفقهاء، قال الخلنجى للخليفة محتجا على طلب محمد: يا أمير المؤمنين انه يسألك ان تخلع قميصا قمصك به الله(١). و لما اسقط بيد المستعين بالله و لم ير بدا من الموافقة على التنازل عن الخلافة. اشترط شروطا معينة لتنازله، فبعث محمد بن عبد الله وفدا الى قائد جيش المعتز بالله ابى احمد الموفق، يحمل كتابا بشروط الخليفة المستعين بالله، كان الخلنجى احد اعضائه، ففاوض الوفد و عاد بجواب ما سأل المستعين بالله من الشروط(٢).

و كان المعتز بالله بعد ان استقر له الأمر فى سامرا، طلب الى مؤدبه عمران الضبى ان يسمى له عددا من الفقهاء ليوليهم القضاء، فاقترح له ثمانية رجال فيهم عبد الله الخلنجى، الا انهم اتهموا بالاعتزال، فأمر المعتز بالله باخراجهم الى بغداد(٣). و قد سبقت الاشاره الى ذلك.

١- الطبرى ٩ / ٣٤٣.

٢- نفس المصدر / ٣٤٤.

٣- نفس المصدر / ٣٧١.

الباب الرابع خلفاء سامرا و الأتراك ١- الأتراك فى عهد المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله.

٢- الصراع بين المتوكل على الله و الاتراك.

٣- ايام الفتنه.



## الباب الرابع خلفاء سامرا و الأتراك

### الفصل الأول الاتراك فى عهد المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله

#### ١- مقدمه:

كان الجيش عماد الدوله العربيه فى عهد العباسيين. و قد توسع كثيرا و ازداد عدده، و تنوعت صنوفه، و لم يعد يقتصر على العرب و حدهم، كما كان الأمر فى عهد الأمويين. اذ سمح لابناء البلاد المفتوحه ممن اعتنقوا الدين الاسلامى ان ينخرطوا فى صفوفه. و قد توسع العرب فى فتوحاتهم الى بلاد ما وراء النهر و استولوا على امهات المدن فيها مثل بخارى و كاشغر و فرغانه و سمرقند. و كان سكان هذه المناطق من القبائل التركيه البدويه، اعتنق اكثرها الدين الاسلامى. و يتميز ابناء هذه القبائل بقوه اجسامهم و شجاعتهم فى القتال. و كان قسم من غلمانهم من الاسرى و السبايا يجلبون الى مركز الخلافه و يباعون رقيقا. و قد

استخدم بعضهم فى الجيش لشجاعتهم و لياقتهم البدنيه. و يعتبر ابو جعفر المنصور اول خليفه استعمل مواليه و غلمانه و قدمهم على العرب، فامتثلت ذلك الخلفاء بعده(١). الا- ان عددهم كان قليلا، و لم يكن استخدامهم بموجب سياسه مرسومه. فبقيت اكثره الجيش على عهده من العرب و الخراسانيين.

و كان العباسيون فى اول عهدهم اكثروا من استخدام الخراسانيين فى الجيش لأنهم كانوا عوننا لهم فى التغلب على الامويين، مما جعلهم العنصر المسيطر فيه. و اتخذ الخلفاء الأوائل حرسهم الخاص منهم. غير ان انتصار المأمون على اخيه محمد الأمين اتاح لأنصاره من الفرس الذين اولاهم ثقته ان يهيمنوا على الجيش العربى هيمنه تامه. مما دفعه الى ان يستخدم ابناء ما وراء النهر، بعد ان اخضع كاتبه احمد بن ابى خالد الأحوال فى بلاد اشروسنه. و كان يأمر عماله فى خراسان ان يشجعوا اهل تلك البلاد على اعتناق الاسلام، فكان يستميلهم بالترغيب و يقرض لهم فى الديوان، و يجزل صلاتهم(٢). و لا ريب فى ان انعطاف المأمون نحو الأتراك كان رد فعل لما لمس من مطامع الفرس و محاولتهم الاستئثار بالسلطه. و كان الأفشين حيدر بن كاوس من امراء اشروسنه، و قد اصطنعه المأمون و اعتمد عليه، هو الذى زين له ان يتوسع شرقا فاستولت الدوله العربيه على مناطق و اقاليم جديده فى آسيا الوسطى.

ان المعتصم بالله الذى شاهد جراه الفرس و تطاولهم على قتل اخيه الخليفه محمد الأمين، اخذ يرتاب فى ولائهم منذ ان كان

١- مشاكلة الناس لزمانهم / ٢٣ لمن، و تاريخ الخلفاء / ٢٤.

٢- فتوح البلدان / ٤١٩ - ٤٢٠.

أميرا. كما ان نكبه الفضل بن سهل، و ترك المأمون مدينه مرو الى بغداد، مما اساء الى العلاقه بين العباسيين و الخراسانيين.  
فكان ذلك من جمله ما حدا بالمعتصم بالله الى الاعتماد على الاتراك.

لأنه رأى فى ذلك خير وسيله لاضعاف النفوذ الفارسى فى الجيش العربى. و يقول احد رجال المعتصم بالله، و هو جعفر الخشكى انه كان يوجه به فى ايام المأمون الى نوح بن اسد فى سمرقند لشراء الأتراك و انه كان يعود عليه فى كل سنه بجماعه منهم، بحيث اجتمع لديه منهم حينذاك زهاء ثلاثه الاف(١). و جعل حرسه الخاص منهم. و يقول ابن قتيبه ان المأمون امر المعتصم بالله باتخاذ الاتراك و جلبهم(٢). و يقول اليعقوبى انه لما افضت اليه الخلافه اشترى من كان منهم من الرقيق فى بغداد. و كان ممن اشتراهم اشناس مملوك نعيم بن خازم، و ايتاخ مملوك سلام الابرش، و وصيف مملوك آل النعمان، و سيما الدمشقى مملوك الفضل بن سهل(٣). و اراه قد نوه بهذه الاسماء لما بلغه اصحابها من مراكز قياديه فى الجيش و الدوله، و لما كان لهم من تأثير كبير فى سير الاحداث.

و قد كلف المعتصم بالله عند ما كان اميرا بمهمتين عسكريتين اعتمد فيها على غلمانه من الاتراك. فعند ما ندبه الخليفه المأمون الى قمع الثوره التى قامت فى مصر فى سنه ٢١٤ هـ توجه اليها ابو اسحاق فى اربعة الاف من اتراكه(٤). و لما خرج مهدي بن علوان (٣) نفس المصدر / ٤١٩.

١- كتاب البلدان / ٢٥٥ - ٢٥٦.

٢- المعارف / ٣٩١.

٣- كتاب البلدان / ٢٥٦.

٤- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ١٨٨.

الحرورى على ابراهيم بن المهدي فى سنة ٢٠٣ هـ وجه اليه ابراهيم ابا اسحاق فى جماعه من القواد، و مع ابى اسحاق غلمان له اتراك(١).

و هكذا صار اكثر جند المعتصم بالله عند ما تولى الخلافه من اهل ما وراء النهر من الصغد و الفراغه و الاشروسنيه و اهل الشاش و كلهم من الأتراك(٢) بحيث صار له منهم جيش كبير، و يقول فى تقدير عددهم الشاعر على بن الجهم(٣).

امام من له سبعون الفامن الاتراك مشرعه السهام

و يقول ياقوت الحموى مؤيدا هذا العدد من جند المعتصم بالله الأتراك: ان جيوش المعتصم كثروا حتى بلغ عدد مماليكه من الأتراك سبعين الفا(٤).

## ٢- المعتصم بالله و استخدامه الاتراك فى الجيش:

لقد كانت هناك بالاضافه الى ما ذكرناه من عزم المعتصم بالله على القضاء على سيطره العنصر الفارسى على الجيش العربى، عوامل اخرى دفعته الى تترك جيشه جندا و قوادا. و من هذه العوامل هو ما له علاقه بشخصيه المعتصم بالله نفسه. و انه كان قوى الجسم بدرجه تلفت النظر، و يغلب عليه حب الفروسيه و الولع بالحرب و شؤونها، و لذا اعجب بشجاعه الغلمان الأتراك

١- الطبرى ٧ / ٥٥٨.

٢- فتوح البلدان / ٤٢٠.

٣- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٢، و الاغانى ١٠ / ٢٠٥.

٤- معجم البلدان ٣ / ١٧٤.



و جرأتهم. و كان يتخير عند شرائهم من يتوسم فيه الشجاعه و قوه الجسم، و اعتمد عليهم فى امر سلامته الشخصيه. و ميزهم على بقيه جنده فالبسهم حلل الديباج و المناطق المذهبه(١). و آثرهم على المتقدمين من اوليائه و نصحاء آبائه(٢).

و لما كان حظ المعتصم بالله من العلم و الثقافه ضئيلا، فقد كان يشعر بتقارب ذهنى مع هؤلاء الغلمان الذين كانوا اميين و قد جاءوا من مناطق متخلفه من الناحيه الحضاريه عن بقيه بلدان الدوله العربيه، و لا سيما مركزها مدينه السلام. و الواقع انهم كانوا لا يزالون فى دور البداوه فلا يخضعون الا لأمرء قبائلهم او رؤسائهم.

و كما يقول الطبرى انهم كانوا عجماء جفاه(٣). و لذلك فان الجيش الذى تكون منهم كان يختلف كثيرا عن بقيه الجيش العربى.

و لهذا افرد المعتصم بالله قلائعهم عن قطائع الناس جميعا عند ما بنى مدينه سامرا، و اشترى لهم الجوارى التركيات فازوجهم منهن، و جعلهم منعزلين عن غيرهم، و منعهم ان يتزوجوا او يصاهروا الى احد المولدين، و اجرى لجواريتهم ارزاقا و اثبت اسماءهن فى الديوان، فلم يقدر احد منهم ان يطلق امرأته او ان يفارقها(٤). و قد اكد المعتصم بالله حرصه على عدم اختلاط الجند الاتراك بغيرهم عند ما اقطع شناس ارضا فانه امره ان لا يطلق لغريب من تاجر و لا غيره مجاورتهم(٥)، بحيث جعل

١- مروج الذهب ٤ / ٥٣.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣٠٧.

٣- الطبرى ٩ / ١٨.

٤- كتاب البلدان / ٢٥٨ - ٢٥٩.

٥- نفس المصدر / ٢٥٩.

للأتراك قطائع متحيزه(١). و قد كان اعتزازه بهم من اهم اسباب تشييد عاصمته سامرا.

يضاف الى ذلك موقف بعض القواد العرب منه عند ما بويح بالخلافه و ميلهم الى مبايعه العباس بن المأمون، مما جعله لا يطمئن الى ولائهم. كما ان انصراف العرب عن الحياه العسكريه الى النواحي الحضاريه الاخرى، لا سيما النواحي العلميه و الاقتصاديه نتيجته ارتفاع مستواهم الحضارى، ساعده على اضعاف شأنهم فى الجيش، مما اتاح له ان يخرج كثيرا منهم و يسقط اسماؤهم من الديوان دون ان يلقى مقاومه تذكر. اما من بقى من قبائل اليمن و قيس و مضر فى الجيش فقد اصطنعهم(٢) و ابقى عليهم.

ان هذه العوامل مجتمعه جعلت الخليفه المعتصم بالله لا- يأمن الجيش الذى وجده عند توليه الخلافه، سواء لتغلب العنصر الفارسى فيه، او لعدم ولاء بعض قواده من العرب، مما دفعه الى الاعتماد على عنصر جديد يركن اليه تتوفر فيه الكفايه و الولاء.

ولذا فقد اعتبر غلمان الأتراك اساس جيشه الجديد و اناط قياداته بمن توسم فيهم الجراء و الشجاعه من جهه و الولاء من جهه اخرى، من بين هؤلاء الغلمان. و بدأ اصبح معظم القواد الكبار على عهد من الأتراك.

### ٣- كبار القواد الأتراك:

#### إشاره

اعتاد المعتصم بالله تكريم قواده الأتراك عند عودتهم من الحروب منتصرين، اعترافا بما قاموا به من خدمه الدوله و حمايه

١- مروج الذهب ٤ / ٥٤.

٢- مروج الذهب ٤ / ٥٣.

الدين، و تقديرًا لجهودهم في ذلك، و تشجيعًا لهم. و من اهم مظاهر هذا التكريم تقليد القائد الطوق و الأسوره، و السيف و المنطقه، بحيث صار ذلك رسماً لامراء الدوله (١). او الاغداق عليهم بالاموال و الهدايا الثمينه. فقد كرم الأفشين عند ما قدم ببابك اسيرا الى سر من رأى، بأن البسه و شاحين بالجوهر، و توجه، و وصله بعشرين الف الف درهم (٢). كما اجلس القائد اشناس على كرسي و توجه و وشحه (٣).

و كان تشجيع المعتصم بالله و تقديره قواده عاملاً مهماً في بروزهم على مسرح السياسه بعد وفاته، بحيث غدا لهم نفوذ سياسى الى جانب سلطاتهم العسكريه. و بدأ يكون المعتصم بالله قد خلق طبقه جديده من القواد الحكام. الذين لم تقتصر هيمنتهم على شؤون الدوله العسكريه فقط، بل شملت النواحي الاداريه و السياسيه كذلك. فقد عينوا للحجاب، و الولايه، مع احتفاظهم بمناصبهم القياديه في الجيش، فاصبح لهم السلطان الحقيقى على شؤون الدوله. و قد اتيح لهذه الطبقة من القاده الأتراك ان تلعب دوراً خطيراً في حياه الدوله العربيه بعد عهد المعتصم بالله.

و اظهرت الحوادث بعد مده قصيره ان استخدام الاتراك في الجيش كان خطأ كبيراً من المعتصم بالله، لأن قادتهم و رؤساءهم اساءوا استعمال نفوذهم و سلطانهم في فرض ارادتهم على الخلفاء، و اخذوا يتصرفون كغرباء متغلبين.

١- رسوم دار الخلافه / ٩٤.

٢- الطبرى ٩ / ٥٥.

٣- نفس المصدر / ١٠٣.

و قد برز في عهد المعتصم بالله عدد من كبار القواد الأتراك.

و لعل أبرز هؤلاء حيدر بن كاوس، و قد اشرنا الى ما فيه الكفايه عنه عند الكلام عن حروبه و مطامحه و غضب الخليفه عليه و محاكمته. و من القواد الاتراك الذين اعتمد عليهم المعتصم بالله، و اتيح لهم ان يلعبوا ادوارا مهمه بعده: ايتاخ الخزرى، و بغا الكبير، و اشناس، و وصيف. و فيما يلي لمححه موجزه عن سيره كل منهم. و لسوف نتعرف على كثير عنهم في الفصول القادمه.

### ايتاخ الخزرى:

اصل ايتاخ من الخزر، و كان طباخا مملوكا لسلام الأبرش خادم المأمون و الرشيد من قبله، فاشتراه منه المعتصم بالله. و كان له من البأس و الشجاعه ما ساعده على ان يصل الى مركز مرموق في الدوله. اذ قربته المعتصم بالله و رفع من شأنه، فولاه معونه سامرا بالاشتراك مع اسحاق ابراهيم المصعبى، اضافته الى البريد، و قياده قسم من الجيش. و فى حملته المعتصم بالله على بلاد الروم ولى ايتاخ قياده ميمنه جيشه (١). و كان يعتمد عليه فى مهام الامور و بخاصه فى التخلص من اعدائه، فمن اراد حبسه او قتله فعند ايتاخ يحبس و بيده يقتل (٢). و هو الذى تولى قتل العباس بن المأمون و عجيف بن عنبسه عند ما تأمرا على الوثوب بالخليفه، و هو ببلاد الروم (٣). و قد احتفظ ايتاخ بمركزه طيله ايام المعتصم بالله. و زاد نفوذه و توسع سلطانه فى عهد الواثق

١- الطبرى ٥٧ / ٩، و الكامل ٤٥١ / ٦.

٢- الطبرى ١٦٦ - ١٦٧، و النجوم الزاهره ٢٧٦ / ٢.

٣- النجوم الزاهره ٢٧٦ / ٢.

بالله الذى ولاه السند و خراسان، و عند ما مات اشناس صير الواثق ولايه مصر الى ايتاخ.

و لما استخلف المتوكل على الله بقى ايتاخ فى مرتبته، فكانت اليه قياده الاتراك و المغاربه و الموالى، ثم البريد اضافه الى الحجابيه بدار الخلافه. و لكن ما لبث المتوكل على الله ان تغير عليه اثر مشاجره قامت بينهما، هم فيها ايتاخ بقتله(١). فانتهمز المتوكل على الله فرصه خروج ايتاخ الى اداء فريضه الحج، فاتفق مع امير بغداد اسحاق بن ابراهيم على استدارجه عند عودته الى بغداد و القبض عليه هناك. و نجح اسحاق فى ذلك فقيد ايتاخ و سجنه. و ما لبث ان مات فى السجن و يقال انه قتل عطشا فى سجنه(٢). و سنأتى على تفصيل ذلك فى موضوع الصراع بين المتوكل على الله و الأتراك.

### أشناس:

من الغلمان الأتراك الذين اشتراهم المعتصم بالله ببغداد، و كان مملوكا لنعيم بن خازم. و قد اعجب المأمون بشجاعته فقربه و اعتمد عليه. و عند ما تكررت الثورات بمصر ضد الولاة قدم اليها المأمون فى سنه ٢١٥ و معه اشناس، الذى عاونه فى اعاده النظام الى البلاد. و لما وجه ابراهيم بن المهدي، فى اثناء توليه الخلافه، ابا اسحاق لحرب ابن علوان الحرورى طعنه احد الحروريه فحامى عنه اشناس فحاز ثقته، بحيث لما آلت اليه الخلافه جعله من كبار قواده، و انعم عليه بولايه مصر و دعى له

١- الطبرى ٩/ ١٦٧، و الكامل ٧/ ٤٣.

٢- النجوم الزاهره ٢/ ٢٧٦.

على منابرها. كما انه استخلفه على العاصمه سامرا عند ما خرج الى السن فى سنه ٢٢٥ هـ (١). و عند تأسيس سامرا اقطعه الخليفه المعتصم بالله و اصحابه الموضع المعروف بالكرخ و ضم اليه عدده من قواد الاتراك و الجند، و امره ان يبنى المساجد و الاسواق و ان لا يطلق لغريب من تاجر و لا غيره مجاورتهم (٢). و كان قد جعله على مقدمه جيشه فى حملته على بلاد الروم، فكان اشناس اول من ورد عموريه عند ما افتتحها المعتصم بالله (٣).

كما كان لاشناس دور كبير فى كشف مؤامره العباس على المعتصم بالله، و فى القضاء على رؤوسها مما زاد فى اعتماد الخليفه عليه، و صار اثيرا لديه. و قد كرمه بأن اشرف على حفل زواج ابنته اترنجه من الحسن بن الافشين، و أمر بأن يكون العرس فى قصره، و احضر عرسها عامه اهل سامرا، و كان يتفقد بنفسه من حضره (٤). و اجلسه على كرسى و وشحه بنفسه فى سنه ٢٢٥ هـ (٥).

و قد ازداد نفوذ اشناس فى عهد الخليفه الواثق بالله، اذ استخلفه فى سنه ٢٢٨ هـ على السلطنه و البسه تاجا مجوهرا و وشاحين مجوهرين (٦). مما زاد فى سلطاته التى تعدت المهام العسكريه. و يلاحظ انه اول قائد يقلد السلطنه فى ظل الخلافه العباسيه. و قد توفى اشناس فى سنه ٢٣٠ هـ فى ايام الخليفه الواثق بالله.

١- الطبرى ٩ / ١٠٣.

٢- كتاب البلدان / ٢٥٨ - ٢٥٩.

٣- الطبرى ٩ / ٦٣، و الكامل ٦ / ١١١

٤- الطبرى ٩ / ١٠١.

٥- الطبرى ٩ / ١٠١.

٦- نفس المصدر / ١٢٤.

**وصيف:**

من مماليك المعتصم بالله الذين اشتراهم ببغداد، و كان زرادا ملمو كآلال النعمان. و لم يلبث ان اصبح من كبار القواد الأتراك، لما كان يتمتع به من جرأه و بساله. و اتخذته المعتصم بالله، عند ما تولى الخلافة حاجبا له. و عند تأسيس سامرا أقطعه و اصحابه مما يلي الحير ليقوموا مساكنهم هناك(١).

و قد تولى وصيف فى عهد الواثق بالله قياده الحمله التى جردت لاختماد تمرد الاكراد فى الجبال و فارس، فنجح فيما ندب اليه و قدم سامرا و معه مئات من الاسرى فجازاه الخليفه بخمسه و سبعين الف دينار، و قلده سيفاً(٢). و عند ما توفى الواثق بالله من غير ان يعهد بالخلافه، اشترك وصيف فى اختيار من يخلفه و لما اختير المتوكل على الله تولى وصيف حجابته، و لكنه بعد حين تزعم مؤامره اغتياله. و كان سبب نومه و وصيف على المتوكل على الله ان الخليفه امر بقبض ضياعه باصبهان و الجبل و اقطاعها الفتح ابن خاقان(٣). و ذلك فى جملة اجراءاته لاضعاف شأن القواد الاتراك. فبلغ ذلك وصيفا فغضب و انضم الى جانب محمد المنتصر ابن المتوكل على الله فى النقمه على ابيه و العمل على التخلص منه.

و حاول المنتصر بالله لما استخلف ابعاد وصيف فى شؤون الدوله. فعهد اليه فى سنه ٢٤٨ هـ قياده حمله لغزو بلاد الروم

١- كتاب البلدان / ٢٥٨.

٢- الطبرى ٩ / ١٤٠ - ١٤١.

٣- نفس المصدر / ٢٢٢.

و حمايه الثغور العربيه. و امره ان يقيم هناك حتى يأتيه امره(١). و لما غزا وصيف و كان بالثغور الشاميه، ورد عليه خبر موت الخليفه المنتصر بالله، فعاد الى سامرا. و لعب دورا مهما مع القائد بغا في تحريض الجند على القائد اوتامش الذى كان قد استولى على امور الخلافه فى اوائل عهد المستعين بالله. و لما قتل اوتامش سيطر هذان القائدان على شؤون الدوله فى عهد الخليفه المذكور.

و عند ما ترك المستعين بالله عاصمته سامرا الى مدينه السلام للتخلص من نفوذ الأتراك و ضغطهم عليه، كان القائد وصيف احد القواد الأتراك الذين صحبوه، و ظل الى جانبه الى ان خلع من الخلافه. و قد استطاع وصيف ان يسترضى المعتز بالله الذى آلت اليه الخلافه، فرضى عنه، و عاد الى سامرا، و اعيدت اليه اعماله و رتبه السابقه. الا انه لقي مصرعه بعد مده على يد الجند الأتراك الذين شغبوا مطالبين بارزاقهم فى سنه ٢٥٣ هـ. و سنطلع على تفصيل ذلك فى الفصل الخاص بالتزاع بين المعتز بالله و القواد الأتراك.

### بغا الكبير:

من مماليك المعتصم بالله الذين تقدموا على عهده، فاصبح من كبار قواده. و قد شارك فى حروب عديده. فقد وجهه المعتصم بالله على رأس جيش كبير مددا للقائد الأفشين فى حربه مع بابك.

كما بعته الى حرب منكجور عند ما اعلن عصيانه. فجاء به اسيرا الى



سامرا. و هو الذى تولى اعتقال الأفشين عند ما نقم عليه المعتصم بالله. كما قاد عدة حملات فى عهد الخليفة الواثق بالله لتأديب بعض القبائل العربيه. فقد وجهه لاختضاع الاعراب من بنى سليم الذين اغاروا على اطراف المدينه المنوره فتغلب عليهم و قضى على تمردهم. كما انتدبه لتأديب بنى نمير الذين هاجموا الحجاز و اليمامه فالتقى بهم و هزمهم، و عاد الى سامرا بعدد كبير من اسراهم.

و صار بغا من قواد المتوكل على الله البارزين. و عند ما قتل القائد يوسف الثغرى فى ارمينيه عين الخليفه بغا واليا عليها و طلب اليه ان يثار لدم يوسف. فاحرق تفليس و خرب عددا من الحصون. و حمل عددا من البطارقه اسرى الى سامرا.

و اعاد فى خلال ولايته على ارمينيه و اذربيجان بناء مدينه و شمكور القديمه التى خربت و هجرها اهلها، فحصنها و اسكنها قوما خرجوا اليه من الخزر مستأمنين لرغبتهم فى الاسلام. و نقل اليها التجار من برذعه و سماها المتوكليه، لتكون من الثغور العربيه (١). و بذل جهودا كبيره فى اصلاح و تعمير الحصون فى الثغور، بشكل لم يكن على مثله (٢).

و عند ما قتل المتوكل على الله كان بغا الكبير فى سميساط يرد الروم الذين اغاروا عليها و على الثغور القريبه منها. و لما مات المنتصر بالله اوكل القواد الاتراك باقتراح من احمد بن الخصيب، الى بغا الكبير و اوتامش و بغا الصغير، و هم ابرز القواد الاتراك

١- فتوح البلدان / ٢٠٦.

٢- نفس المصدر / ٢١٣.

الحاضرين حينذاك، اختيار من يرون للخلافه(١). فتشاوروا فيما بينهم، و قد كرهوا ان يولوا احد ابناء المتوكل على الله لثلا ينتقم منهم، و اجمعوا على اختيار احمد بن محمد بن المعتصم بالله، محتجين بحرصهم على ابقاء الخلافه فى ولد مولاهم المعتصم بالله، و لقب بالمستعين بالله.

مات بغا الكبير فى سنة ٢٤٨ هـ و قد تجاوز عمره التسعين سنة، و كان قد خاض من الحروب ما لم يخضه غيره، فما اصابته جراحه قط(٢). و كان متدينا من بين القواد الاتراك. و لما مرض عاده الخليفه المستعين بالله، و عند ما توفى عقد لأبنة موسى على الأعمال التى كانت لأبيه اضافه الى ولايه البريد(٣).

#### ٤- الأتراك فى عهد الواثق بالله:

اتبع الواثق بالله سياسه ابيه المعتصم بالله فى الاعتماد على الجند الاتراك فزاد عددهم فى عهده و اتسع نفوذهم و بخاصه كبار قوادهم اشناس و ايتاخ و وصيف و بغا. و سبق ان اشرنا الى ما و صلوا اليه من مراكز رفيعه فى الدوله العرييه فى عهد المعتصم بالله. و قد استمروا فى ايام الواثق على ما كانوا عليه فى عهد ابيه، بل أن سياسته تجاههم ساعدت على ازدياد نفوذهم و تدخلهم فى شؤون الدوله. فانه لم يقم طيله حياته بايه فعليه عسكريه يشغلهم بها و انما استخدم بعضهم فى مناصب اداريه وسعت لهم مجال التدخل فاتسع بذلك سلطانهم. و لسوف نرى فى فصول

١- الطبرى ٩ / ٢٥٦.

٢- مروج الذهب ٤ / ٦٠.

٣- الطبرى ٩ / ٢٥٨.

قادمه ما ترتب على ازدياد نفوذ الأتراك و تدخلهم من عواقب خطيره أثرت فى مسيره الدوله العرييه فى عهد العباسيين.

لقد ولى الواثق بالله، غداه مبايعته بالخلافه، القائد اشناس من بايه الى آخر عمل المغرب(١). و يشمل ذلك اعمال الجزيره و بلاد الشام و ارمينيه و مصر و شمالي افريقيه. و ولى ايتاخ خراسان و السند و كور دجله(٢). كما ولاه اكثر اعمال اشناس عند ما توفى فى سنه ٢٣٠هـ(٣)، و اتخذ القائد وصيفا حاجبا له(٤). و خلع اشناس لقب السلطان و استخلفه على السلطنه فى سنه ٢٢٨ هـ و البسه تاجا مجوهرا و وشاحين مجوهرين(٥). فكان اول خليفه استخلف سلطانا(٦).

و كان الواثق بالله مثل ابيه لا- يألوا جهدا فى مكافأه قواد الأتراك و اعلاء شأنهم كلما انجزوا مهمه تناط بهم. فعند ما تمكن القائد وصيف من اخضاع الأكراد الذين كانوا قد تمردوا فى نواحي اصبهان و الجبال فى اواخر ايام المعتصم بالله، و قدم الى الى سامرا و معه خمسمائه من الأسرى، منحه خمسه و سبعين الف دينار و قلده سيفا(٧).

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٩.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر / ٤٨١.

٤- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٥.

٥- الطبرى ٩ / ١٢٤، و المختصر فى اخبار البشر ٢ / ٣٥، و الكامل ٧ / ٩.

٦- تاريخ الخلفاء / ٣٤٠.

٧- الطبرى ٩ / ١٤٠-١٤١، و الكامل ٧ / ٢٣-٢٤.

الا ان قوه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات و سياسه الحكمه من جهه، و قوه شخصيه الواثق بالله من جهه اخرى حددت من نفوذ القواد الأتراك و سلطاتهم. بحيث استطاع الخليفه ان يامن جانبهم و يضمن ولاءهم و ان يستفيد من خدماتهم فى الميادين العسكريه الداخليه. فقد اعتمد عليهم فى اخضاع حركات التمرد المتتاليه التى قامت فى الجزيره العربيه.

## الفصل الثانى الصراع بين المتوكل على الله و الأتراك

### اشاره

سبق ان اوضحنا تأثير كبار القواد الاتراك فى اختيار المتوكل على الله للخلافه، و توخيهم ان يكون طوع ارادتهم ليؤمنوا مصالحتهم و يحافظوا على مراكزهم. لما لهم عليه من منه فى رفعه الى مركز الخلافه بعد ان كان مضطهدا مغضوبا عليه فى ايام اخيه الواثق بالله. الا ان الاحداث اظهرت انهم كانوا و احمين فى ذلك. اذ انه عند ما تسلم مقاليد الخلافه و لمس تعاظم نفوذهم، اخذ يفكر فى العمل على اضعاف شأنهم و الحد من سلطانهم. و الواقع انه جفاهم و اطرحهم، و حط من مراتبهم، و عمل على الاستظهار عليهم و استئصالهم(١). الا- انه لم يكن يستطيع ذلك علانيه بالنظر لقوه مراكزهم و انقياد الجند لهم، فاخذ يتحين الفرص المواتيه لتنفيذ سياسته نحوهم.

و قد لمس القواد الاتراك موقف الخليفه منهم و ما يرمى اليه من اخضاعهم، فأخذوا بدورهم يعملون جهد امكانهم على مقاومته و عدم السماح له بالمساس بمصالحهم. فنشأ عن ذلك صراع خفى بين الطرفين، يتحين كل جانب الفرصه للايقاع بالجانب الآخر.

حتى انتهى الأمر بفشل محاولات المتوكل على الله، و نجاحهم فى

التخلص منه. و من الجدير بالذكر ان نشير الى ان قتل المتوكل على الله وزيره محمد بن عبد الملك الزيات، كان غلظه كبيره منه، اذ ان ذلك افقده شخصيه سياسيه قويه متمرسه كانت تقف الى جانبه بوجه الطغيان التركي، و تساعد على الحد من نفوذهم. كما ان غضبه على قاضى القضاة احمد بن ابى دواد افقده ايضا شخصيه عربيه مخلصه كان يمكن ان يستفيد من خبرته و آرائه و نفوذه. و سنحاول فيما يأتى ان نتلمس نواحي الصراع المذكور و ما ادى اليه من النتائج.

### ١- التخلص من القائد ايتاخ:

سبق ان اشرنا الى ان ايتاخ كان قد اشتراه المعتصم بالله فرأى فيه شجاعه و لمس منه ولاء، فضمه الى الجيش و رفع منزلته حتى غدا من كبار قواده و قواد ابنه الواثق بالله. فلما تولى المتوكل على الله الخلافة كان ايتاخ يتولى الحبس و قياده قسم كبير من الجيش يشمل المغاربه و الأتراك، و يتولى كذلك البريد و الحجابه و شؤون دار الخلافة(١). مما جعله اقوى القاده الاتراك سلطه و اوسعهم نفوذا. بحيث ان القضاء عليه يؤثر فى تقليص نفوذ القواد الآخرين. و قد سبقت الاشاره الى موقف ايتاخ فى اختيار خلف للواثق بالله و انه كان من مؤيدى اختيار ابن الواثق بالله على صغر سنه، مما جعل المتوكل على الله يضم له شرا. و شرب المتوكل ذات ليله و عربد على ايتاخ فهم هذا بقتله. فلما اصبح المتوكل على الله و قيل له بما حصل بالأمس اعتذر اليه(٢).

١- تجارب الامم ٦/ ٥٤٢، و الطبرى ٩/ ١٦٦٧ و فيه: كان يتولى الجيش، الا انه سبق ان اشار فى ص: ١٦٦ الى انه بيده الحبس.

٢- الطبرى ٩/ ١٦٧.

و يظهر من روايه الطبرى ان المتوكل على الله لم يعد يأمن جانب ايتاخ فاراد التخلص منه «فدس اليه من يشير عليه بالاستئذان للحج ففعل»<sup>(١)</sup>. و يؤيد ابن الاثير هذا بقوله «ثم وضع عليه من يحسن له الحج فأستأذن من المتوكل فاذن له»<sup>(٢)</sup>.

الا- ان اليعقوبى يقول «و اتصل بالمتوكل انه كان على ايقاع الحيله به، فلما لم يمكنه ذلك طلب الحج»<sup>(٣)</sup>. و مهما كان السبب فى خروجه الى الحج فان المتوكل على الله قد تظاهر باكرامه، فخلع عليه و صيره امير كل بلد يمر به فى طريقه، و ذلك كسبا لثقتة. و لما انصرف ايتاخ عائدا من الحج اراد العوده الى سامرا عن طريق الانبار. الا ان المتوكل على الله كتب الى اسحاق بن ابراهيم عامله على الشرطه ببغداد يأمره بحبسه<sup>(٤)</sup>. فكتب اسحاق الى ايتاخ ان امير المؤمنين قد أمره بأن يتلقاه بنو هاشم و وجوه الناس ببغداد زياده فى اكرامه. و عند ما وصل بغداد احتال عليه اسحاق فحبسه و قيده. فاقام عدة ايام فى الحبس ثم مات. و يقال انه أطمع فاستسقى فمنع عنه الماء حتى مات عطشا<sup>(٥)</sup>.

و قد اتقن المتوكل على الله تدبير القضاء على ايتاخ باختياره بغداد لاعتقاله فيها، لأن اهل بغداد كانوا يعادون الاتراك و هم الذين ارغموا المعتصم بالله على الانتقال الى سامرا. و يقول الطبرى «لو لم يؤخذ ببغداد ما قدروا على اخذه، و لو دخل الى سامرا فاراد باصحابه قتل جميع من خالفه امكنه ذلك»<sup>(٦)</sup>.

١- نفس المصدر.

٢- الكامل ٧ / ٤٣.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٥.

٤- الكامل ٧ / ٤٦.

٥- الطبرى ٩ / ١٧٠.

٦- الطبرى ٩ / ١٦٩.

## ٢- انشاء جيش من العرب:

من الدلائل الواضحه على عزم المتوكل على الله على مقاومه نفوذ الأتراك و الاستظهار عليهم محاولته تأسيس جيش يخلو من الاتراك قوادا و افرادا، و يعتمد بالدرجه الاولى على العرب. يقول المسعودى «انه ضم الى وزيره عبيد الله بن يحيى نحو من اثنى عشر الف رجل من العرب و الصعاليك و غيرهم برسم المعتز و كان فى حجره»<sup>(١)</sup>. و رغم ان عبيد الله بن يحيى بن خاقان كان تركيا الا انه كان مواليا للخليفه، و هو ابن اخى الفتح بن خاقان القائد التركى المقرب جدا من المتوكل على الله. لقد ادرك الاتراك خطر تأليف هذا الجيش و توسيعه، و ان نموه سيكون على حسابهم، لا سيما و قد شعروا بضيق المال عليهم لأن قسما منه ينفق على هذا الجيش. فاخذوا يقاومون توسعه بمختلف الوسائل، فلم يزد عدده كثيرا. اذ عند ما قتل المتوكل على الله دخل قاده هذا الجيش على عبيد الله بن يحيى و طلبوا اليه ان يسمح لهم بمقاومه قتله الخليفه من الاتراك و غيرهم، اختلف فى عدد افراد هذا الجيش فقال البعض انهم كانوا عشره الاف، و زاد آخرون او نقصوا<sup>(٢)</sup>. يبدو ان المتوكل على الله لم ينجح فى محاولته هذه بشكل يؤثر على قوه الاتراك و نفوذهم. و يمكن القول بأن قيام المتوكل على الله بتأسيس هذه الفرقة من الجيش دليل على نيته فى اعاده النفوذ

١- التنبيه و الاشراف / ٣١٣.

٢- الطبرى ٩ / ٢٢٩، و تجارب الامم ٦ / ٥٥٧، و الكامل ٧ / ٩٩.



العربى الى الجيش، و ان هذه الفرقة ستكون نواه جيش كبير يستطيع بواسطته ان يضع حدا لتسلط القواد الاتراك. و لكن يبدو انه كان يحذر جانب اولئك القواد و يخشى اثارهم فلم يعهد بقياده الفرقة المذكوره الى احد كبار القواد العرب، و انما عهد بها الى وزيره. الا ان القواد المذكورين احسوا بالخطر الذى يكمن وراء تشكيل هذه الفرقة فعملوا جهدهم على عدم توسعها من جهه، و على الايقاع بالمتوكل على الله من جهه اخرى. و قد استطاعوا ان يستميلوا ولى العهد محمد المنتصر الى جانبهم ضد ابيه، مما سهل القضاء عليه. و بهذا تكون جريمه المنتصر مزدوجه اذ ساهم فى اغتيال ابيه، و ساعد القواد الاتراك فى تقويه مراكزهم و نفوذهم باضعاف الفرقة المذكوره و حلها. فأبقى الأتراك و حدهم اصحاب الصوله فى الميدان السياسى و العسكرى.

### ٣- نقل العاصمه الى دمشق:

اراد المتوكل على الله الانتقال من سامرا ليبعد عن تسلط الاتراك و تدخلهم فى شؤون الدوله. و يظهر انه اختار دمشق لتكون عاصمه له لنزعتها العربيه و خلوها من نفوذ الاتراك. كما ان كره اهل الشام لبعض العلويين مما يتفق مع ميوله. و قد احتج فى انتقاله الى دمشق بسبب صحى. فقد وصف له برد هوائها و كان محرورا(١). فأمر باصلاح الطريق و اقامه المنازل عليه للاستراحه، و اعداد القصور فى المدينه لسكناه و سكنى

حاشيته. فدخلها في صفر سنة ٢٤٤ هـ وعزم على المقام بها ونقل دواوين الدوله اليها، و امر بالبناء فيها(١).

الا ان القواد الاتراك سرعان ما ادركوا غرضه من الانتقال الى دمشق فحرضوا جنودهم على الشغب، فاحتجوا يطلبون باعطيائهم و ارزاقهم، ثم جردوا اسلحتهم و رموا قصر الخليفه بالنشاب بحيث ارتفعت السهام الى الرواق الذى يجلس فيه المتوكل على الله. فاستدعى احد القواد ممن يعتمد عليه، و هو رجاء الحضارى ليستطلع رأيه فيما حدث، فنصحته هذا بأن يأمر بدفع ارزاقهم حالا، و ان يعود الى سامرا. فأمر بدفع ارزاق الجند و ضرب الطبول للرحيل الى العراق. و يظهر ان الجند الاتراك فرحوا بذلك حيث سارعوا بالحركه للرحيل.

و يظهر مما يرويه المسعودى ان الاتراك حاولوا ان يقتلوا المتوكل على الله بدمشق الا انهم لم يتمكنوا من ذلك بسبب وجود القائد بغا الكبير الى جانبه. و قد عملوا على ابعاده عنه و خططوا للوقيعه بينهما ليعزلوا عن الخليفه احد كبار مؤيديه. فكتبوا الرقاع الى المتوكل على الله يحذرونه من ان بغا يزعم على الفتك به، و عينوا لذلك وقتا. ثم كتبوا الى القائد بغا بان جماعه من الاتراك عزموا على الفتك بالخليفه و يحثونه على تشديد حراسته و حمايته له. و لما ذهب بغا مستعدا بحرسه للحيلولة دون الايقاع بالخليفه، تأكد لدى المتوكل على الله تصميم بغا على الفتك به، فاخذ يتوجس منه. و لهذا لما عاد الى سامرا ابقى بغا فى دمشق(٢). و ما ذكره اليعقوبى يؤيد ما ذهب اليه المسعودى فى

١- الطبرى ٩ / ٢٠٩.

٢- تفصيل ذلك فى مروج الذهب ٤ / ١١٥-١١٧.

سبب عودته المتوكل على الله الى سامرا بقوله «و بلغه عن بعض الموالى امر كرهه فشخص عن دمشق الى العراق»<sup>(١)</sup>.

و برر المتوكل على الله عودته الى سامرا بأنه «استوبأ البلد و ذلك ان الهواء بها بارد ندى، و الماء ثقيل، و الرياح تهب فيها مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضى عامه الليل، و هى كثيره البراغيث، و غلت فيها الأسعار، و حال الثلج بين السابله و الميره»<sup>(٢)</sup>. ان القسم الأول مما ذكر عن مدينه دمشق قد يكون صحيحا، و كذلك غلاء الاسعار فيها بسبب انتقال هذا العدد الكبير من الجند و بعض موظفى الدوله و حاشيه الخليفه. الا ان حيلولة الثلج بين السابله و وصول الميره الى المدينه لا يتفق و الواقع. لان المتوكل على الله دخل دمشق فى صفر سنه ٢٤٤ هـ و اقام بها شهرين و اياما ثم خرج عائدا الى سامرا فوصلها فى اواخر جمادى الآخره من نفس السنه. و لا بد انه ترك دمشق فى ربيع الثانى.

و هذه الأشهر من السنه المذكوره تقابل الأشهر مايس و حزيران و تموز من السنه ٨٥٨ الميلاديه<sup>(٣)</sup>. و هى من اشهر الصيف فى دمشق و لم يكن الثلج قد سقط فيها. و قد يكون الطبرى اراد ان يشير الى ان الثلج يحول بين السابله و وصول الميره فى فصل الشتاء مما لا يشجع على البقاء فى المدينه، الا انه لم يحسن التعبير عن ذلك. و نقل نص قوله المؤرخون ممن جاءوا بعده.

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩١.

٢- ٩ / ٢١٠، و تجارب الامم ٦ / ٥٥٢، و الكامل ٧ / ٨٥.

٣- التوفيقات الالهاميه / ١٢٢.

## ٤- تغلب القواد الأتراك:

ذكرنا فى البحث الخاص بمقتل المتوكل على الله كيف ان المنتصر، عند ما تفاقم خلافه مع ابيه، اخذ يستقطب كبار القواد الاتراك حوله. و مما ساعده على ذلك عدم اطمئنان اولئك القاده الى سياسه المتوكل على الله و نواياه تجاههم. و قد ذكر ان المتوكل على الله عزم هو و الفتح بن خاقان ان يصيرا غداءهما عند عبد الله ابن عمر المازيال يوم الخميس لخمس ليال خلون من شوال ٢٤٧ هـ على ان يفتك بالمنتصر و يقتل و صيفا و بغا و غيرهما من قواد الأتراك و وجوههم (١). و كانت نتيجته محاوله المتوكل على الله هذه انها دفعت بالقواد المذكورين و غيرهم ممن كانوا يناصرون المنتصر ضد ابيه، الى الاسراع فى القضاء عليه قبل ان يحكم تدبيره فى الفتك بهم.

و كان من جمله الوسائل التى اتخذها المتوكل على الله فى اضعاف نفوذ القواد الاتراك، ان ينتزع منهم بعض الضياع التى التى اقطعت لهم فى مناسبات مختلفه. و قد ابتداء بالقائد و صيف، فأمر فى سنه ٢٤٧ هـ بانشاء الكتب بذلك، و صارت الى ديوان الخاتم لتوقيعها على ان تنفذ فى الخامس من شعبان. فبلغ ذلك و صيفا، فزاد فى غضبه على المتوكل على الله بحيث كانت هذه الخطوه من الخليفه السبب المباشر الذى ادى الى اغتياله.

يتضح مما ذكرناه ان المتوكل على الله حاول جاهدا ان يقضى على نفوذ الأتراك او يضعفه على الأقل، و قد اتبع لتحقيق ذلك

عده وسائل، و امتد صراعه معهم طيله مده خلافته. الا انه لم يستطع التغلب عليهم لسيطرتهم على الجيش، و لا شغالهم وظائف و مراكز مهمه تتيح لهم التعرف على محاولاته ضدهم، فكانوا سرعان ما يبادرون الى العمل على احباط تلك المحاولات. بل انهم لم يتورعوا عن اغتياله لما علموا بعزمه على الفتك بهم.



## الفصل الثالث أيام الفتنه

### ١- مقدمه:

اطمأن القواد الاتراك بعد ان اغتالوا المتوكل على الله الى عدم وجود من يهدد مصالحهم، او يقف بوجه مطالبهم الماليه، او يقلص نفوذهم و سلطانهم بل نستطيع القول انهم ازدادوا نفوذا و تأثيرا على الدوله و الخلفاء، فسيطروا على الخلافه بعد المتوكل على الله مده امتدت منذ خلافه المنتصر بالله حتى مقتل المهتدي بالله، بحيث اصبح الحكم الفعلى خلال هذه المده بايديهم. و قد سادها صراع عنيف بينهم و بين الخلفاء، و كثرت الفتن خلالها و اهمها قيام الحرب بين جيش المستعين بالله و جيش المعتز بالله و مقتل اربعة خلفاء، حتى سماها ابن خلدون «ايام الفتنه»<sup>(١)</sup>.

كان مجيء المنتصر بالله الى عرش الخلافه بعد تواطئه مع القواد الاتراك على اغتيال ابيه، كسبا كبيرا للقواد المذكورين.

---

١- تاريخ ابن خلدون ٣ / ٢٩٣.

الا انهم ما لبثوا ان انقلبوا عليه بعد ان شعروا بنواياه و ما بيته ضدهم و قرروا قتله او التخلص منه بالسم، و قد اشرنا الى ذلك فى موضوع وفاته. و لما تخلصوا منه اجتمعت كلمتهم على ان يبعدوا اولاد المتوكل على الله الآخرين عن عرش الخلافة، بل انهم فى ايام المنتصر بالله دفعوه الى ان يرغم اخويه المعتز و المؤيد على التنازل عن ولايه العهد. بحيث تسنى لهم ان يختاروا للخلافه من يتوسمون فيه الانقياد لهم. فاختاروا احمد بن محمد بن المعتصم بالله الذى لقب بالمستعين بالله، مبررين اختيارهم له بانهم لا يرغبون فى خروج الخلافة من اولاد مولاهم المعتصم بالله.

الا ان القواد، لما اشتد خلافهم مع المستعين بالله رغم ضعفه و استكائه، بايعوا للمعتز بالله بن المتوكل على الله، لأنهم توقعوا انه سيكون طوع ارادتهم. و تجاهلوا الخليفة القائم الذى فر الى مدينه السلام. مما نشأ وضع شاذ فى رئاسه الدوله العربيه، و ذلك بوجود خليفتين فى وقت واحد، فقام الصراع بينهما و نشبت الحرب بين جيش المستعين بالله و جيش المعتز بالله، ثم انتهت وفق ما يرغب به كبار القواد الاتراك الذين كانوا اضطروا المستعين بالله على الهرب الى بغداد، ثم التنازل عن الخلافة للمعتز بالله، و ما لبثوا ان اقعوا المعتز بالله بقتله.

و لما تحقق للقواد المذكورين عجز المعتز بالله عن سد حاجتهم المستمره الى المال بادروا الى خلعه و اختيار محمد بن الواثق بالله الذى عرف بزهده و عزوفه عن بهرجه الخلافة و مباحج الحياه، و طمعوا ان يجدوا فيه اداه طيعه لتلبيه رغباتهم. الا انهم لما لمسوا حرصه الزائد على اموال الأمه، و عمله فى نشر العدل، و محاسبته موظفى الدوله، ثاروا عليه و قتلوه. و اختاروا للخلافه



المعتمد على الله الذي كان منهمكا في ملذاته اكثر من اهتمامه بشؤون الدوله. و توقعوا ان سيكون لهم المجال واسعا في عهده للاستئثار بالسلطه و جر المغانم و حيازه الاموال. الا ان ابا احمد الموفق وقف الى جانب اخيه الخليفه و ضرب على ايديهم و كفهم عن العبث بشؤون الدوله. و هو و ان استأثر بالسلطه دون اخيه، استطاع ان يستعيد للخلافه هيبتها و للدوله العربيه سطوتها و سلطانها، فانهى عهد الفتنه التي سيطر خلالها الاتراك على شؤون الدوله، و اثروا تأثيرا سيئا في مسيرتها.

و سنحاول فيمايلي من الصفحات ان نستعرض علاقته القواد الأتراك بخلفاء هذه المده لتلمس نواحي قوتهم و ضعف هؤلاء الخلفاء. مع الاشاره الى مظاهر الصراع الذي استمر طيله المده المذكوره بين الطرفين، و الذي كان ينتهي دوما بانتصار القواد الاتراك، حتى استطاع الموفق ان يضع حدا لتسلطهم طيله وجوده في الحكم الى جانب اخيه الخليفه.

## ٢- المنتصر بالله يتنكر للاتراك:

اتخذ المنتصر بالله موقف الحذر من القواد الأتراك و العمل على تفريق كلمتهم و اضعاف شأنهم بل و الانتقام منهم. و كانت سياسته هذه قد كلفته حياته. اذ ان نجاح مؤامرتهم في قتل المتوكل على الله زاد من نفوذهم و تسلطهم على شؤون الخلافه، و اضعف النفوذ العربى فى الدوله. و كان هؤلاء القواد اول من بايع الخليفه الجديد حليفهم فى المؤامره، مما جعلهم يعتقدون بأن لهم الفضل فى توليه الخلافه. و تأييدا لسلطتهم عليه انهم استطاعوا

ان يرغموه على خلع اخويه من ولايه العهد لكى يأمنوا انتقام اولاد المتوكل على الله الآخرين اذا ما تولى احدهم الخلافه.

الا ان المنتصر بالله، و قد ساهم فى مؤامره اغتيال ابيه، أخذ يشعر بتأنيب الضمير، فلا تغيب ذكراها عن ذهنه. كما لا تغيب صورته ابيه عن باله، حتى انه رآه اكثر من مره فى منامه يعاتبه و يعنفه، مما نغص عليه عيشه و اسلمه الى الكآبه و اليأس.

و اخذ يحس كأنه خسر الدنيا و الاخره. و كثيرا ما صرح بما كان يقاسيه من آلام نفسه. و لذلك كان يشعر بكره طاغ تجاه هؤلاء القواد الذين زينوا له الاشتراك فى المؤامره، و بخاصه اولئك الذين تولوا قتل ابيه. و يود لو انه ينتقم منهم ليكفر عن خطيئته بحق ابيه. فكان اذا سكر قال عنهم هؤلاء قتله الخلفاء و اكثر من تهديدهم(١). و يظهر انه كان عزم على الفتك بهم فقد قال للفضل بن المأمون. قتلنى الله ان لم اقتلهم و افرق جمعهم بقتلهم المتوكل على الله(٢). فأخذ يغتنم الفرص للايقاع بهم. و عند ما اقترح عليه وزيره احمد بن الخصيب اخراج القائد وصيف على رأس جيش لحرب الروم، اغتنم هذه الفرصه للتخلص من احد كبار قوادهم.

و كانت العلاقه بين الوزير ابن الخصيب و القائد وصيف قد ساءت، و لكى يأمن الوزير شر وصيف و تدخله فى اعماله، رأى ان خير وسيله لذلك ابعاده عن حاضره الخلافه. فأشار على الخليفه باقتراحه المذكور. فتظاهر المنتصر بالله بالاهتمام بموضوع احباط نيه الاعتداء و استطاع ببراعته ان يقنع وصيفا

١- الطبرى ٩ / ٢٥٢.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٣٤، و شذرات الذهب ٢ / ١١٩.

بالخروج. اذ قال له انه بلغه ان طاغية الروم قد اقبل يريد الثغور العربيه، و هو ما لا يمكن السكوت عليه، و لا بد من رده بحمله عسكريه توجه اليه، و ان لا مناص من ان يخرج بنفسه على رأس حملة للجهاد فى سبيل الله، ان لم يخرج على رأسها احد كبار قواده. فقال وصيف بل انا اشخص يا امير المؤمنين. فاعز المنتصر بالله الى وزيره ان يبادر فوراً الى تجهيز الحمله، و ان يبذل كل جهوده فى تأمين جميع ما تحتاجه. و كتب بنفس الوقت الى خليفته ببغداد محمد بن عبد الله بن طاهر يعرفه توجيهه وصيفا للروم و يعلمه بخروج حملته الى ثغر ملطيه، و يأمره بان يبلغ عماله فى نواحي عمله بكتاب امير المؤمنين لقراءته على من قبلهم من المسلمين و ترغيبهم فى الجهاد و استنفارهم اليه، و الانفاق فى سبيل الله. و ينوه بفضل منزله المجاهدين على القاعدين، و يدعو الى بذل النفوس و الاموال لا علاء كلمه الله. و جاء آخر الكتاب «وقد رأى امير المؤمنين - لما يحبه من التقرب الى الله بجهاد عدوه .. ان ينهض وصيفا مولى امير المؤمنين فى هذا العام الى بلاد اعداء الله الكفرة الروم، غازيا لما عرف الله امير المؤمنين من طاعته و مناصحته و محمود نقيته و خلوص نيته، فى كل ما قر به من الله و من خليفته. و قد رأى امير المؤمنين - و الله ولى معونته و توفيقه - ان تكون موافاه و صيف فيمن انهض امير المؤمنين معه من مواليه و جنوده و شاكريته ثغر ملطيه .. فأعلم ذلك و اكتب الى عمالك على نواحي عملك بنسخه من كتاب امير المؤمنين هذا، و مرهم بقراءته على من قبلهم من المسلمين و ترغيبهم فى الجهاد، و حثهم عليه و استنفارهم اليه، و تعريفهم ما جعل الله من الثواب لأهله، ليعمل ذووا النيات و الحسبه و الرغبة فى الجهاد على حسب ذلك فى

النهوض الى عدوهم، و الخفوف الى معاونه اخوانهم و الزياده عن دينهم و الرمى من وراء حوزتهم، بموافاه عسكر و صيف مولى امير المؤمنين ملطيه»(١).

و كان غرض الخليفه الرئيس من اخراج هذه الحمله الكبيره للغزو ابعاد القائد و صيف عن التدخل فى شؤون الخلافه، و اضعاف نفوذ القواد الا-تراك بنفس الوقت. و مع هذا بقى المنتصر بالله يتوجس خيفه من هؤلاء القواد، و يرهب جانبهم لسيطرتهم على الجيش و يخاف ان يتآمروا عليه كما تآمروا على ابيه من قبل. و رغم تكتمه فى العمل على تفريق كلمتهم و مناوراته فى ذلك فقد ظهر منه ما يدل على انه ينوى بهم شرا، و يحاول ان يتنصل من الاشتراك فى المؤامره على ابيه ليحملهم كامل المسؤوليه. و قد روى عنه انه قال(٢):

لو يعلم الناس الذى نالنى فليس لى عندهم عذر

كان الى الأمر فى ظاهره ليس لى فى باطن امر

كما يحتمل قول هذا شكواه من تسلطهم بحيث لم يبق له من الخلافه سوى مظاهرها.

ان موقف المنتصر بالله هذا من الاتراك دفعهم الى الاسراع فى العمل على التخلص منه قبل ان يتمكن هو منهم. لأنهم لما علموا

١- نص الكتاب فى الطبرى ٩ / ٢٤١ - ٢٤٣.

٢- فوات الوفيات ٢ / ٣٧٣.

بسوء نيته فيهم و انه يعمل على التدبير عليهم، بادروه بذلك(١).

الا ان هيبه المنتصر بالله و شجاعته و يقظته و شده تحرزه حالت دون ان يتمكنوا من اغتياله(٢). و لذلك عمدوا الى التخلص منه بالسم. و سبق ان ذكرنا ذلك فى الموضوع الخاص بوفاته. و بذلك انتصر القواد الاتراك على المنتصر بالله.

### ٣- المستعين بالله و الاتراك:

انقسم القواد الاتراك اثر مبايعه المستعين بالله الى كتلتين متناحرتين تتنازعان على السلطه و حيازه الاموال. و كان لهذا الانقسام سببان مهمان، اولهما استيلاء القائد اوتامش، و هو ابن اخت القائد بغا الكبير، على السلطه و احتوائه الاموال دون بقيه القواد. فقد استوزره المستعين بالله عند ما تولى الخلافه و اطلق يده و يد شاهك الخادم فى بيوت الاموال. و فعل الخليفه مثل ذلك مع امه فتيان فلم يمنعها من شىء تريده. فكانت الاموال التى ترد الى بيت المال يصير معظمها الى هؤلاء الثلاثة، و ما يفضل عن ذلك يترك لأوتامش ايضا لينفقه على العباس بن المستعين بالله الذى كان فى حجره. فاحتوى اوتامش بذلك على كثير من الاموال و الضياع. مما اثار حفيظه عدد من كبار قواد الاتراك و بخاصه وصيف و بغا الصغير. فأخذوا يعملان على الايقاع به. و استطاعا ان يثيرا عليه قسما كبيرا من الجند فهاجموه و هو فى الجوسق مع الخليفه، و ذلك فى منتصف ربيع الآخر سنه ٢٤٩ هـ، فقبضوا عليه و قتلوه، و قتلوا معه كاتبه شجاع بن القاسم، و انتهبوا دور

١- التنبيه و الاشراف / ٣١٤.

٢- تاريخ الخلفاء / ٣٥٧.

اوتامش و اخذوا منها اموالا جمه. «و يقال ان ذلك جرى بموافقه المستعين بالله (١)».

و فى احدى قصائد البحترى فى مدح المستعين بالله يشير الشاعر الى قتل اوتامش و كاتبه لتماديهما فى الاستيلاء على الاموال العامه، و افسادهما الحكم، و ظلم الرعيه و اضطهادهما، كما يشير الى نغمه قسم من الأتراك عليهما، منها قوله (٢):

لقد نصر الامام على الاعادى و اضحى الملك موطود العماد

و عرفت الليالى فى (شجاع) و (تامش) كيف عاقبه الفساد

تمادى منهما غى فلجاو قد تردى اللجاجة و التمادى

و ضلا فى معانده الموالى فما اغتبطا هناك بالعناد

برار فى اقتطاع المال جم و سعى فى فساد الملك باد

بهضم للخلافه و انتقاص و ظلم للرعيه و اضطهاد

أمير المؤمنين اسلم فقد مانفيت الغى عنا بالرشاد

---

١- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٩٦.

٢- كامل القصيده فى ديوان البحترى ١/ ٥٢٤-٥٢٦.

## تدارك عدلك الدنيا فقرت و عم نداك آفاق البلاد

اما السبب الثاني لانقسام الأتراك فكان مقتل باغر التركي الذى كان على رأس الزمره التى اغتالت المتوكل على الله، فزيد فى ارزاقه، و اقطع عددا من الضياع. و كان مما اقطع بعض القرى بسواد الكوفه. فوثب رجل من اهل تلك الناحيه بوكيل ياغر، فحبسه هذا و قيده. فشكى الرجل امره الى القائد بغا الشرابي، و كان باغر احد قواده، فانصف له و كف يد باغر و وكيله عنه، و ذلك بتأثير كاتبه دليل بن يعقوب النصراني. فغضب باغر و بيت لبغا و دليل سرا. فجمع اليه الفئه التى كانت شاركته فى قتل المتوكل على الله، و غيرهم من مؤيديه و اصحابه و ناظرهم و تأكد من تأييدهم له، و قال لهم «الزموا الدار حتى نقتل المستعين و وصيفا و بغا، و نجىء بعلى بن المعتصم بالله او ابن الواثق بالله، فنقعه خليفه، حتى يكون الامر لنا كما هو لهذين اللذين قد استوليا على امر الدنيا، بقينا نحن فى غير شىء، فأجابوه الى ذلك»<sup>(١)</sup>. و انتهى الأمر الى المستعين بالله فبعث الى وصيف و بغا و قال لهما «ما طلبت اليكما ان تجعلانى خليفه، و انما جعلتمانى و اصحابكما، ثم تريدان ان تقتلانى»<sup>(٢)</sup>. فحلفا له انهما ما علما بذلك. و اتفق رأيهم على اخذ باغر و رجلين من اصحابه من الأتراك و حبسهم. فاحضروا باغرا و حبسوه. فلما بلغ الخبر

١- ٧٧٩ / ٩ - ٢٨٠، و الكامل ٧ / ١٣٨.

٢- الطبرى ٩ / ٢٨٠ و الكامل ٧ / ١٣٩.

مؤيديه و اتباعه و ثبوا على اصطبل الخليفه فانتهبوه و ركبوا ما فيه من الخيل و الدواب، و حضروا الى الجوسق بالسلاح لانقاذه.

الا ان اتباع وصيف و بغا قتلوا باغرا. فثار اتباعه و حاصروا المستعين بالله و وصيفا و بغا فى دار الخلافه، فخاف الخليفه و القواد المناصرين له على انفسهم، فركبوا حراقه خفيفه اعدھا لهم ميسان ملاح الخليفه فصاروا الى بغداد. و صحب الخليفه اضافه الى القائدين المذكورين، بعض رجاله و افراد حاشيته، منهم شاهك الخادم، و احمد بن صالح بن شيرزاد كاتب وصيف، و احمد بن اسرائيل. فوصلوها فى يوم الأربعاء لأربعه او خمسه خلت من المحرم سنه ٢٥١هـ (١). فنزل الخليفه فى دار محمد بن عبد الله ابن طاهر. ثم التحق به بعض القواد الأتراك، و جلّه الكتاب و العمال و بنى هاشم.

و قال الشاعر ابو على اليماني فى شخوص المستعين بالله الى بغداد(٢):

ما زال الا لزوال ملكه و حتفه من بعده و هلکه

و كأنه تنبأ بمصير المستعين بالله. فقد خسر الخلافه و خسر حياته بانتقاله من عاصمه ملكه سامرا و لجوئه الى بغداد.

اضطرب الأتراك الذين بقوا فى سامرا، فمنعوا الناس من الانحدار الى بغداد. و ذكر انهم اخذوا ملاحا اكرى سفينته فضربوه مائتى سوط و صلبوه على دقل السفينه. فامتنع اصحاب

١- الطبرى ٢٨٣/٩، و تاريخ بغداد ٨٤/٥، و الكامل ١٤١/٧.

٢- الطبرى ٢٨٢/٩.



السفن من الانحدار، الاسرا(١). ثم اتفقوا على ضروره اعاده الخليفه الى سامرا، و قرروا ان يبعثوا اليه وفدا منهم يسألونه العوده الى دار ملكه. فصار اليه عدده من كبار قادتهم منهم كلباتكين و بايكباك. و يقال انهم اخذوا اليه البرد و القضيب و بعض الخزائن و مائتي الف دينار(٢). و عند ما قابلوه سألوه ان يصفح عما بدر منهم و من اتباعهم من خلاف، فأجابوهم بما يكرهون، فقال لهم «انتم اهل بغى و فساد و استغلال للنعم الم ترفعوا الى فى اولادكم فالحقتهم بكم .. و فى بناتكم فامرت بتصيرهن فى عداد المتزوجات .. و ادررت لكم الارزاق حتى كان لكم آنيه الذهب و الفضة .. كل ذلك اراده لصلاحكم و رضاكم، و انتم تزددون بغيا و فسادا»(٣). فاعترفوا بخطأهم و سألوه العفو، فعفا عنهم.

فقال له القائد بايكباك «فان كنت رضيت عنا و صفحت فقم فاركب معنا الى سامرا، فان الاتراك ينتظرونك»(٤) فاحتج محمد بن عبد الله على طريقه مجادله الخليفه فاعز لأحد اتباعه فلكن بايكباك. فضحك المستعين بالله قائلا ان هؤلاء عجم لا معرفه لهم باصول الكلام. و امر بايكباك و جماعته ان يصيروا الى سامرا، و اكد لهم ان ارزاقهم ستستمر، و انه سينظر فى امر مقامه ببغداد او عودته الى سامرا.

عاد القواد الاتراك الى سامرا و قد يؤسوا من عوده الخليفه اليها، فاجمعوا على خلعها و مبايعه المعتز بالله بن المتوكل على الله. و قد سبق ان اوضحنا ذلك فى سيره المعتز بالله.

١- الطبرى ٢٨٢ / ٩، و تجارب الامم ٥٧٧ / ٦.

٢- مروج الذهب ١٦٢ / ٤.

٣- الطبرى ٢٨٣ / ٩.

٤- الطبرى ٢٨٤ / ٩، و الكامل ١٤٢ / ٧.

#### ٤- الحرب بين جيش المستعين بالله و جيش المعتز بالله:

##### اشاره

ان مبايعه المعتز بالله بالخلافه فى سامرا مع وجود الخليفه الأصلى فى بغداد اوجد وضعا غريبا فى الخلافه العباسيه ادى الى نشوب الحرب بين انصار الخليفتين، اى بين جيش المستعين بالله و جيش المعتز بالله. فعند ما بلغ امير بغداد محمد بن عبد الله ان الأتراك فى سامرا نقضوا بيعه المستعين بالله و بايعوا المعتز بالله، أمر بقطع الميره عن اهل سامرا، فمنع السفن او اى شىء من الميره من ان ينحدر من الموصل اليها، او ان يصعد نحوها شىء من ذلك من بغداد.

و امره المستعين بالله بتحسين بغداد، فنشط لاحاطه المدينه بجانيها بسور. و كان السور فى الجانب الشرقى يبدأ من باب الشماسيه على ضفته دجله من فوق قصر المهدي، و هو على هيئه ربع دائره تبدأ من باب بردان و تنتهى عند باب خراسان. فكان السور يحيط بمحلتى الرصافه و الشماسيه، ثم يعطف بهيئه ربع دائره ليشمل محله المخرم حتى يصل الى دجله ثانيه عند باب سوق الثلاثاء. اما فى الجانب الغربى فكان السور يبدأ من فوق باب قطيعه زبيده مشتملا على الفرضه العليا حتى يمر بباب قطربل متبعا خندق طاهر حتى باب الأنبار، و هو بهيئه نصف دائره كبيره يشتمل على مدينه المنصور، و قسم من الكرخ حتى يصل الى دجله خلف باب البصره تحت الموضع الذى يصب فيه نهر الصراه. و رتب على كل باب من ابواب السور قائدا على رأس ثله من الجند، و حفر الخنادق حول السورين كما يدوران فى الجانيين. و اقام مظلات يأوى اليها الفرسان فى الحر و المطر. و بلغت النفقه فيما

ذكر على السورين و حفر الخنادق و اقامه المظلات ثلاثمائة و ثلاثين الف دينار(١).

و جعل على باب الشماسيه من الخارج بابا سميكا معلقا قد البس بصفائح الحديد و شد بالحبال، فاذا ما وافى احد ذلك الباب ارسل عليه الباب المعلق فيسقط عليه و يقتله. كما نصب على جميع ابواب السور العرادات و المجانيق، و عليها ما تحتاجه من الرجال(٢). و من هذا يظهر ان المستعين بالله اتخذ موقف المدافع فيما اذا هاجمته جيوش سامرا.

و قبل ان تبدأ الحرب جرت بين المعتز بالله و محمد بن عبد الله مكاتبات، دعا فيها المعتز بالله محمدا الى خلع المستعين بالله و مبايعته، و ذكره بعهد ابيه المتوكل على الله له بالخلافه بعد اخيه المنتصر بالله. و دعا محمد بدوره المعتز بالله الى الأوبه الى طاعه المستعين بالله. و احتج كل منهما على صاحبه فيما يدعوه اليه بما يراه حجه له تسنده ضد خصمه.

كما كتب المستعين بالله الى عمال الخراج بكل بلده ان يحملوا الأموال اليه في بغداد و الا يحملوا شيئا منها الى سامرا. و امر بالكتابه الى القواد و الجند الاتراك بسامرا يأمرهم بنقض بيعه المعتز بالله، و الوفاء ببيعتهم له، و ينهاهم عن معصيته و نكث بيعته(٣).

### بدايه الحرب و حصار بغداد:

عقد المعتز بالله لأخيه ابى احمد الموفق لسبع بقين من المحرم سنة ٢٥١ هـ على حرب المستعين بالله، و ضم اليه جيشا بقياده

١- الطبرى ٩ / ٢٨٧، و تجارب الامم ٦ / ٥٨٠.

٢- الطبرى ٩ / ٢٨٨، و تجارب الامم ٦ / ٥٨٠.

٣- الطبرى ٩ / ٢٨٨ - ٢٨٩، و تجارب الامم ٦ / ٥٨١.

كلباتكين. فتجمع في القاطول خمسه الاف من الأتراك و الفراغنه، و الفان من المغاربه، فسار الجيش حتى وافى عكيرا(١).

و لما بلغ المستعين بالله تحرك جيش المعتز بالله نحو بغداد ولي القائد الحسين بن اسماعيل مهمه الدفاع عن باب الشماسيه باعتباره الباب الرئيس للمدينه. و قبل ان تبدأ المعارك بين الجانبين امر محمد بن عبد الله بحشد جيش بغداد في القفص(٢)، ليرهب الجيش المهاجم، و ركب معه و صيف و بغا في الدروع، و استصحب معه الفقهاء و القضاة، و بعث اليهم يدعوهم الى الرجوع عما هم عليه من الطغيان و العصيان و انه يبذل لهم الأمان، و ان يكون المعتز بالله ولي العهد بعد المستعين بالله فلم يجيبوا(٣).

### اهم المعارك:

### اشاره

جرت بين الجانبين مناوشات و معارك عديده كانت الحرب فيها سجالا بينهما لم تسفر عن انتصار حاسم لأحدهما. فكانت حرب استنزاف للطرفين. حتى اضطر في الأخير جيش بغداد على الاستسلام بسبب ما قاسته مدينه بغداد من جراء حصارها.

و سنتنصر على ذكر اهم المعارك من حيث نتائجها و كثره الجيوش المشتركة فيها.

١- الطبرى ٩ / ٢٩٠، و تجارب الامم ٦ / ٥٨٢، و الكامل ٧ / ١٤٥، و فيه كان جيش الاتراك و الفراغنه خمسين الفا.

٢- القفص: قرية بين بغداد و عكبرا و هى الى بغداد اقرب، و كانت من مواطن اللهو. معجم البلدان ٤ / ٣٨٢.

٣- الطبرى ٩ / ٢٩٢، و الكامل ٧ / ١٤٧.

**معركة الشماسيه:**

وافى قسم من جيش المعتز بالله الشماسيه ليله الأحد لسبع خلون من صفر، فرماهم حماه الباب بالسهم و المجانيق و العرات، فوقع كثير من القتلى و الجرحى بين الجانبين. و لما رأى جند سامرا تكاثر جيش المستعين بالله عليهم انسحبوا الى معسكرهم (١).

**معركة النهروان:**

اتصل بابن طاهر ان جمعا من جند المعتز بالله صاروا الى ناحيه النهروان، فوجه اليهم ما ينوف على الف فارس و راجل و عليهم قائدان، فهاجمهم جيش المعتز بالله و هزمهم، و انصرف من نجا منهم الى بغداد. و سيطر جيش المعتز بالله على طريق بغداد- خراسان، و هو الطريق الذى يربط بغداد بالولايات، الشرقيه (٢).

**معركة قطربل:**

وجه المعتز بالله جيشا آخر من الاتراك و الفراغنه و المغاربه الى بغداد، و عليه القائدان الدرغمان الفرغانى و ربله المغربى. فاجتاز الجيش قطربل (٣) قاصدا بغداد من الجانب الغربى، و عسكر عند قطيعه ام جعفر، و ذلك فى يوم الثلاثاء لاثنتى عشره ليله بقيت من صفر. فوجه ابن طاهر ثلاثه من كبار قواده هم الشاه بن ميكال، و بندار، و خالد بن عمران، و معهم اصحاب من

١- الطبرى ٩ / ٢٩١-٢٩٢ و الكامل ٧ / ١٤٥-١٤٦.

٢- الطبرى ٩ / ٢٩٤، و الكامل ٧ / ١٤٧.

٣- هى قريه شمالى بغداد، بينها و بين عكبرا- معجم البلدان ٤ / ٣٧١.

الفرسان و الرجاله. فاشتبك الجانبان فى اليوم التالى بمعركه عنيفه انتصر فيها جيش المستعين بالله و قتل و غرق كثير من جنود جيش المعتز بالله و أسر آخرون منهم، و عبر قسم من المنهزمين الى معسكر ابى احمد فى الجانب الشرقى. و ذكر انهم كانوا اربعة الالف فقتل منهم الفان(١). فاعتبر ذلك انتصارا للمستعين بالله، و كتب به بيان قرىء على اهل بغداد فى جامعها، و هو بمثابة بيان حربى مسهب يشير الى خروج جماعه ضاله نكثت ببعه الخليفه و ناصرته غيره، و ان هؤلاء الناكثين جمعوا جموعهم من الاتراك و الفراغنه و ساروا نحو مدينه السلام معلنين البغى، فهزموا عند باب الشماسيه، الا انهم استنهضوا جيشا آخر من سامرا. و لم تزل الحرب بين المواليين لأمير المؤمنين المستعين بالله و الفرقة الضاله حتى انزل الله بهم البوار و احل عليهم النقمه فولوا منهزمين مغلولين(٢).

ثم استأنف جيش المعتز بالله بعد فشله فى معركه قطربل، الهجوم على باب الشماسيه و باب البردان، فرد على اعقابه بعد ان خسر عددا غير قليل من القتلى و الجرحى، فهاج الغوغاء فى سامرا اثر هذه الهزائم، و اعتبروها ضعفا فى امر المعتز بالله، فانتهبوا سوق اصحاب الحلى و السيوف و الصيارفه و اخذوا جميع ما وجدوا فيها من متاع و اموال. و يظهر ان اهل سامرا ملوا الحرب فاخذوا يعلنون احتجاجهم على استمرارها، و لا سيما عند وصول الاسرى و رؤوس القتلى من بغداد. مما اضطر المعتز بالله

---

١- الطبرى ٩ / ٢٩٥.

٢- كامل البيان فى الطبرى ٩ / ٢٩٦ - ٣٠٣.

ان يأمر بتغطيه وجوه الاسرى، و ان يمنح كلا منهم دينارين، و ان تدفن الرؤوس(١).

و لما طالت الحرب دون نتيجه و اظهر اهل سامرا تدمرهم من استمرارها كتب المعتز بالله الى اخيه الموفق يلومه على تقصيره فى قتال اهل بغداد. فكتب اليه الموفق ما سبق ان قاله الشاعر على بن اميه فى حرب الأمين و المأمون(٢):

لأمر المنايا علينا طريق و للدهر فيه اتساع و ضيق

فايامنا عبر للانام فمناها البكور و منها الطروق

الى ان يقول:

فبالله نبلغ ما نرتجيه و بالله ندفع ما لا نطبق

### معركة الأنبار:

وقعت بالقرب من الانبار معركتان مهمتان كان النصر فيهما لجيش المعتز بالله. فقد وجه محمد بن عبد الله بن طاهر الى الانبار جيشا عليه القائد نجوبه بن قيس(٣)، ليحول دون وصول جيش سامرا من جهتها. فبثق الماء من الفرات الى خندق المدينة و قطع القناطر التى توصل اليها. و سبق لأبن طاهر ان امر بكسر القناطر و بثق المياه بطسوج الأنبار و ما قرب منه من طسوج:

١- الطبرى ٣١٣/٩، و الكامل ١٥١/٧.

٢- تتمه الابيات فى الطبرى ٣١٦/٩، و الكامل ١٥٢/٧-١٥٣.

٣- فى الاصل بحونه، الا انه جاء فى الصحيفتين ٢٨٧ و ٢٨٩ من نفس الكتاب، و فى الكامل ١٤٣ و ١٥٣، نجوبه.

بادوريا ليقطع الطريق على جيش سامرا اذا ما ورد الأنبار(١).

ثم استمد القائد نجوبه قوه اخرى ليعزز جيشه، فندب اليه ابن طاهر قوه اخرى عليها القائد رشيد بن كاوس، اخو الأفشين قائد جيش المعتصم بالله.

و كان المعتز بالله قد ارسل من سامرا جيشا على رأسه ابو نصر محمد بن بغا الكبير للاستيلاء على الأنبار، فباغت ابو نصر جيش ابن كاوس فهاجمه و هزمه. فلما بلغ نجوبه ما لقيه الجيش الذى ارسل مددا له، عبر النهر بقسم من جيشه و قطع جسر الأنبار، فوصل بغداد و اعلم ابن طاهر بمصير جيش ابن كاوس.

فوجه ابن طاهر القائد الحسين بن اسماعيل مع عدد من القواد الآخرين الى الانبار لايقاف زحف جيش سامرا.

و عند ما هزم جيش ابن كاوس و تنحى نجوبه عن الانبار، و رأى اهلها تقدم جيش المعتز بالله نحو المدينة، طلبوا الأمان و سمحوا للجيش المذكور بدخولها. و كانت قد وصلت الى الانبار فى هذه المده عدد من السفن من الرقه عليها دقيق و زيت و ابل و دواب اخرى، فاستولى جند المعتز بالله عليها، و وجهوا ما بها و بالاسرى الى سامرا. و يظهر ان الحسين بن اسماعيل الذى ارسل لانقاذ مدينه الأنبار كانت تنقصه الكفايه العسكريه، فلم يحسن اختيار الموقع الذى نزل به جيشه. بحيث انه عند ما اشتبك بجيش سامرا هزم و جيشه هزيمه شنيعه، و احتوى جند سامرا جميع ما فى عسكره من المضارب و السلاح و الأثاث و صناديق الأموال. و عاد الحسين مع من هزم معه من القاده و الجنود الى الجانب الغربى من



بغداد. و لما اتصل خبر هذه الهزيمة بابن طاهر منع المنهزمين من العبور الى الجانب الشرقى من المدينة، و نودى فيمن دخلها من جند الحسين ان يلتحقوا بمعسكره. و قد وبخ ابن طاهر الحسين و امره بجمع فلول جيشه و العوده الى الأنبار ليحارب عنها ثانيه.

عاد الحسين بن اسماعيل الى الأنبار فنزل باصحابه موقعا يسمى «دمما» و هو قرية كبيره على نهر الفرات عند الفلوجه شرقى الفرات(١). ثم عبر جدولا صغيرا رغم مقاومه جيش المعترز بالله. على ان هذا الجيش قام بهجوم عبر فيه نهر الفرات، و كان الحسين قد تهاون بامر عبوره لعدم تقديره قوته، فتكاثر عليه و هزمه للمره الثانيه، بعد ان قتل و اسر من جيشه اعداد كثيره، مما اضطره على العوده الى بغداد بفلول جيشه المهزوم(٢).

### الوضع الداخلى فى بغداد:

كان الأمراء من بنى هاشم الموجودون ببغداد قد تدمروا من معامله محمد بن عبد الله لهم، و اهماله شؤونهم و تأخيرهم ارزاقهم، مما دفع بعضهم الى ان يلتحق بالمعترز بالله مع من كان قد التحق به من الكتاب و القواد، منهم على و محمد ابنا الواثق بالله، و محمد ابن هارون بن عيسى بن جعفر و محمد بن سليمان من ولد عبد الصمد بن على(٣). اما الذين بقوا ببغداد فقد صاحوا بالمستعين بالله، و تناولوا ابن طاهر بالشتم القبيح و قالوا «قد منعنا

١- معجم البلدان ٢ / ٤٧١.

٢- راجع عن تفصيلات معركة الأنبار: الطبرى ٩ / ٣٢١ - ٣٢٦.

٣- الطبرى ٩ / ٣٢٦.

ارزاقنا .. فان دفعت الينا ارزاقنا و الا قصدنا الابواب ففتحناها و ادخلنا الاتراك فليس يخالفنا احد من اهل بغداد»<sup>(١)</sup>. و قد عجز ابن طاهر عن ترضيتهم، مما زاد فى حنقهم عليه و على المستعين بالله.

كما ان حصار المدينه اشتد على سكانها فاخذوا يتذمرون و يشكون القحط و غلاء الأسعار «و صاحوا فى اول ذى القعدة يوم الجمعة: الجوع و مضوا الى الجزيره التى هى تلقاء دار ابن طاهر لىسمعوه صراخهم و احتجاجهم»<sup>(٢)</sup>. و اجتمع فى اواخر الشهر المذكور «قوم من رجاله الجند و كثير من العامه، فطلب الجند ارزاقهم، و شكى العامه سوء الحال التى هم عليها من الضيق و غلاء السعر و شدة الحصار»<sup>(٣)</sup>.

و حاول ابو احمد قائد جيوش المعتز بالله ان يقتحم سور بغداد. فبعث فى يوم الخميس لاثنتى عشره ليله خلت من شعبان حملة لمهاجمته من ابواب الشماسيه و بغواريا و الأنبار. و قد استطاع قسم من رجال الحمله الذين هاجموا باب بغواريا ان ينقبوا السور فى موضعين تدفق منهما الجند الى داخل المدينه. كما ضرب قسم آخر من رجال الحمله باب الأنبار بالنار فاحرقوه و احرقوا ما كان عليه من المجانيق و العرادات، و دخلو المدينه ايضا. اما باب الشماسيه فقد استعصى على الجند الذين وجهوا اليه. و شعر ابن طاهر بخطر هذا الهجوم فركب على رأس قواده.

و استثار الجند و الناس. و وجه القائدين وصيفا و بغا الى باب

١- نفس المصدر / ٣٢٧.

٢- الطبرى ٩ / ٣٢٥.

٣- نفس المصدر / ٣٢٤.

بغواريا، و القائدين الشاه بن ميكال و الحسين بن اسماعيل الى باب الأنبار فالتقوا بمن دخل المدينة من جيش المعتز بالله و تكاثروا عليهم فطردوهم و ردوهم على اعقابهم بعد ان قتلوا و جرحوا و اسروا اعدادا منهم(١).

و يظهر ان محمد بن عبد الله اخذ يشعر بضعف مقاومه جيش المستعين بالله و فتور حماسه للقتال. فحاول ان يثير عزائم قواده، فجمع المكلفين منهم بابواب بغداد و غيرهم و شاورهم فى امر استمرار الحرب بعد ما اصابهم من و هن و ضعف، فأبدوا استعدادهم لبذل النفس و الدم و المال. فادخلهم على المستعين بالله، و علمه بما ناظرهم به و ما ردوا عليه من الجواب. فقال لهم «و الله يا معشر القواد لئن قاتلت عن نفسى و سلطانى ما اقاتل الا عن دولتكم و عامتكم، و أن يرد الله اليكم اموركم قبل مجىء الاتراك و اشباههم، فقد يجب عليكم المناصحه و الجهد فى قتال هؤلاء الفسقه. فردوا احسن مرد، و جزاهم الخير و امرهم بالانصراف»(٢).

### الاستعانه بالعيارين:

كان محمد بن عبد الله أمر بأن يستعان بالعيارين فى الحرب، و ان يجعل عليهم عريف، و ان تعمل لهم تروس من البوارى المقيره، و مخال تملأ بالحجاره. فكان الواحد منهم يقف خلف الباريه فلا يرى منها. و قد نصب عليهم عريف يقال له ينتويه(٣).

١- راجع عن معركتى ابواب بغداد: الطبرى ٩ / ٣٣٠ - ٣٣١.

٢- الطبرى ٩ / ٣٣٤.

٣- الطبرى ٩ / ٢٨٨.

و يظهر ان الحاجه اشتدت اليهم فامر محمد بن عبد الله بتسليحهم و اثبت اسماءهم. ففرق يتتويه اتباعه على ابواب بغداد ليكونوا عوناً للجيش المدافع عنها(١). و يقول الطبرى انهم كانوا أثبت من العامه فى الحرب(٢). و خرج يتتويه و اصحابه من العيارين فى احد الايام من باب قطربل و اشتبكوا بالمهاجمين من جيش المعتز بالله و استطاعوا ان يردوهم الى معسكرهم متخنين بالجراح. فأمر له محمد بن عبد الله بخمسمائه درهم، الا انه امره الا يخرج بجماعته الى الحرب الا فى يوم قتال(٣).

### محاولة فك الحصار عن بغداد:

رغم فشل جيش المعتز بالله فى اقتحام اسوار مدينه بغداد الا ان حصاره لها كان محكما بحيث اضطر محمد بن عبد الله ان يقوم بهجوم كبير على محاصريه ليجلبهم و يفك حصار المدينه. فأمر فى اوائل ذى القعدة بفتح الابواب كلها فى الجانبين الشرقى و الغربى، و نصب المجانيق و العرادات عليها و على السفن فى نهر دجله، و خرج على رأس الجند و معه كبار القواد. فتزاحف الفريقان و اشتبكا فى معركة عنيفه هزم فيها جيش المعتز بالله و هرب من ساحه القتال حتى صار الى معسكره. فتعقبه جند المستعين بالله و انتهبوا قسما من المعسكر، و ضربوا زورقا لهم يقال له (الحديدى) كان شديدا على اهل بغداد برمى النار. الا ان ابا احمد الموفق استطاع ان يرد جنده الى استئناف القتال و القيام

١- نفس المصدر / ٣٠٩.

٢- نفس المصدر / ٢٩٣.

٣- نفس المصدر / ٣١٠.

بهجوم معاكس. اذ قال لهم انهم ان لم يكرروا لم تبق لهم بقيه(١).

فعادوا و صمدوا فى اماكنهم. و صادف ان جمعا من جيش المستعين بالله رجعوا عن الاتراك المنهزمين مما اوهم جماعتهم ان جنود المعتز بالله قد رجعوا عليهم، فانهمزوا نحو بغداد متزاحمين.

و هكذا انصرف الفريقان عن بعضهما.

و قد سر ابن طاهر مما حققه جنده من الانتصار فى المعركة الأخيرة على بعض ابواب بغداد، و جعل يطوق كل من جاءه برأس قتيل، حتى بدت الكراهية فى وجوه اتباع بعا و وصيف من الأتراك لمقتل اصحابهم جنود المعتز بالله.

### المستعين بالله يخلع نفسه و يبائع المعتز بالله:

يمكن اعتبار معركة فك الحصار عن بغداد و فشلها نهاية للحرب بين جيش المعتز بالله و جيش المستعين بالله. و قد ذكر ان ابن طاهر كان قد كاتب المعتز بالله قبل ذلك فى الصلح(٢). اذ كان جادا فى نصره المستعين بالله حتى استطاع عبيد الله بن يحيى ابن خاقان و احمد بن اسرائيل و الحسن بن مخلد ان يصدقوه عما كان عليه. اذ اقنعوه بان المستعين بالله يعمل للتخلص منه(٣).

و كان استياء اهل بغداد من استمرار الحرب، و ما قاسوه من تأثير الحصار المفروض عليهم، مما شجعه على ان يبعث وفدا الى عسكر ابى احمد لمناظرته فى امر الصلح. كما انه خرج بنفسه لمقابلته.

و كان قد ضرب لابن طاهر باب الشماسية مضرب كبير، و جاء ابو احمد فى زلال و دخل المضرب. فتناظرا طويلا ثم خرجا. و انصرف

١- نفس المصدر / ٣٣٤.

٢- الطبرى ٩ / ٣٣٥.

٣- نفس المصدر / ٣٤٢.

ابن طاهر الى المستعين بالله و اخبره بما دار بينه و بين ابي احمد «فذكر انه فارقه على ان يعطى خمسين الف دينار، و يقطع غله ثلاثين الف دينار فى السنه. و ان يكون مقامه بغداد حتى يجتمع له مال يعطون الجند، و على ان يولى بغا مكه و المدينه و الحجاز، و وصيف الجبل و ما والاى، و يكون ثلث ما يجبى من الخراج لمحمد ابن عبد الله و جند بغداد، و الثلثان للموالى و الأتراك»<sup>(١)</sup>.

كانت هذه شروط المستعين بالله، و قد امتنع اول الأمر من ان يخلع نفسه من الخلفه، «الا انه عند ما ناظره ابن طاهر و وصيف و بغا و اغلظ لهم كاشفوه بنواياهم. فقال له وصيف:

انت امرتنا بقتل باغر فصرنا الى ما نحن فيه، و انت حرضتنا لقتل اوتامش، و قلت ان محمدا ليس بناصح، و ما زالوا يفرعونه و يحتالون له. فقال له محمد بن عبد الله: و قد قلت لى ان امرنا لا يصلح الا باستراحتنا من هذين الاثنين. فلما اجتمعت كلمتهم اذعن لهم بالخلع و كتب بما اشترط لنفسه»<sup>(٢)</sup>. و قد كشفت هذه المناظره عن سوء تدبير المستعين بالله و فساد نيته تجاه رجاله، مما ازال الثقه بينه و بينهم و جعلهم يحجمون عن الاستمرار بالحرب الى جانبه.

و يظهر ان مفاوضات الصلح قد اثمرت، اذ وجه الموفق خمس سفائن من دقيق و حنطه و شعير و تين الى ابن طاهر. فوجه هذا قواده اليه فبايعوا للمعتز بالله. كما ان رشيد بن كاوس احد كبار قواد المستعين بالله كان قد قابل الموفق ثم عاد الى بغداد يقول

١- نفس المصدر / ٣٤٣.

٢- نفس المصدر ٣٤٤ - ٣٤٥.

للناس «ان امير المؤمنين المعتز و ابا احمد يقرآن عليكم السلام و يقولان من اطاعنا وصلناه و من أبى فهو أعلم»<sup>(١)</sup>.

و لما علم اهل بغداد بهذه الاتصالات ظنوا ان مفاوضات الصلح تجرى باذن الخليفة المستعين بالله على ان يستمر هو فى الخلافه و يكون المعتز بالله ولى عهده. الا انهم اتضح لهم ان ذلك تم دون موافقه المستعين بالله فهاجوا على ابن طاهر و قصدوا داره و شتموه، الا ان جنده ردوهم عن داره.

ان المستعين بالله بعد ان رأى ما صارت اليه الأمور، و ان اتباعه تخلوا عن نصرته اذعن لما ستسفر عنه نتيجه المفاوضات.

فلما كان يوم السبت لعشر بقين من ذى الحجه ادخل محمد بن عبد الله جميع القضاة و الفقهاء على المستعين بالله و اشهدهم عليه بأنه صير امره اليه<sup>(٢)</sup>. و استمر محمد فى مفاوضاته التى انتهت بالموافقه على ان يتنازل المستعين بالله عن الخلافه و يبايع للمعتز بالله بشرط ان يقطع المستعين بالله بعض الاراضى و ينزل المدينه المنوره و يسمح له بالتنقل بينها و بين مكه. فوافق ابو احمد الموفق على ذلك، الا ان المستعين بالله طلب ان يكتب المعتز بالله موافقته عليها بخطه. فاخرج ابن طاهر جماعه من قواده الى المعتز بالله فى الشروط المذكوره، فوقع ذلك بخطه و شهدوا على اقراره. و خلع المعتز بالله على الرسل و قلدهم السيوف، و وجه معهم جماعه من رجاله لأخذ البيعه له من المستعين بالله<sup>(٣)</sup>.

١- الكامل ٧ / ١٥٨.

٢- الطبرى ٩ / ٣٤٥.

٣- نفس المصدر، ٣٤٤-٣٤٥، و الكامل ٧ / ١٦٢.

و يقال ان المستعين بالله طلب ان ينزل بواسط الى وقت مسيره الى مكه و ان المعتز كتب له على نفسه شروطا متى نقض شيئا منها فالله و رسوله منه براء، و الناس فى حل من بيعته(١). فخلع المستعين بالله نفسه من الخلافة فى يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة ٢٥٢هـ (٢). و بذلك انتهت الحرب التى قامت بين المستعين بالله و المعتز بالله، و غدا على رأس الدوله العربيه رئيس واحد فى سامرا. و تسلم محمد بن عبد الله منه البرده و القضيبي و الخاتم، و هى شارات الخليفة، و وجه بها الى المعتز بالله مع اخيه عبيد الله بن عبد الله، و كتب معه كتابا، قال فيه «اما بعد، فالحمد لله متمم النعم برحمته و الهادى الى شكره بفضله، و صلى الله على محمد عبده و رسوله .. كتابى الى امير المؤمنين و قد تمم الله له امره، و تسلمت تراث رسول الله صلى الله عليه و سلم ممن كان عنده، و انفذته الى امير المؤمنين ..»(٣).

و قال بعض الشعراء فى خلع المستعين بالله(٤):

خلع الخلافة احمد بن محمد و سيقتل التالى او يخلع

و يزول ملك بنى ابيه و لا يرى أحد تملك منهم يستمتع

ايها بنى العباس ان سييلكم فى قتل أعبدكم طريق مهيع

١- مروج الذهب ١٤ / ١٦٣.

٢- الطبرى ٩ / ٣٤٥، و مروج الذهب ٤ / ١٦٣.

٣- الطبرى ٩ / ٣٤٨ - ٣٤٩.

٤- الطبرى ٩ / ٣٥٠، و الكامل ٧ / ١٦٨.



رقتكم دنياكم فتمزقت بكم الحياه تمزقا لا يرقع

و تمثل هذه الايات على قصرها شعور الناس حينذاك، و رأيهم فى تصرفات الخلفاء من بنى العباس و مصيرهم على ايدى مواليهم الأتراك المتسلطين عليهم، الذى ينتهى بالخلع و القتل.

## ٥- المعتر بالله و الأتراك:

### اشاره

كان الأتراك قد استحوذوا منذ مقتل المتوكل على الله على شؤون الخلافة و استضعفوا الخلفاء. فكان الخليفة كالأسير فى ايديهم يبقوه اذا شاءوا، و يخلعوه اذا ما اختلفوا معه. و يورد ابن الطقطقى قصه للدلاله على تسلط القواد الأتراك على مقادير الخلفاء، فيقول «لما جلس المعتر على سرير الخلافة قعد خواصه و احضروا المنجمين، و قالوا لهم: انظروا كم يعيش و كم يبقى فى الخلافة. و كان بالمجلس بعض الظرفاء فقال: أنا اعرف من هؤلاء بمقدار عمره و خلافته. فقالوا: فكم تقول انه يعيش و يملك؟ قال: مهما اراد الأتراك»<sup>(١)</sup>.

و مما يدل على ان المعتر بالله كان يرهب جانب الأتراك، ما يقال ان امه لم تزل تحرضه على الفتك بقتله ابيه من الأتراك، فكان يعدها و يمنيها، و هو يعلم انه لا يقوى عليهم لشده شوكتهم و غلبتهم على الامور. فأخرجت اليه يوما قميص ابيه المتوكل على

اللّه و هو مخضب بدمائه، و جعلت تبكى و تستثيره، فقال لها: يا امى ارفعى القميص و الا صار قميصين(١).

و يظهر ان عامه الناس و قسما من الجند لم يكونوا راضين عن تسلط الأتراك لاستغلالهم مراكزهم و اضطهادهم الناس. فقد وثب بعض الجند الاتراك بالوزير عيسى بن فرخان فى اول رجب سنه ٢٥٢هـ، فثار له المغاربه من الجند و غلبوا الاتراك على الجوسق و اخرجوهم منه، و قالوا لهم: كل يوم تقتلون خليفه و تخلعون آخر و تقتلون وزيراً(٢). فصار الجوسق و بيت المال بيد المغاربه.

فتجمع الأتراك ثانيه و اشتبكوا مع المغاربه. و قد اعان الناس المغاربه كرها بالاتراك حتى قاربوا ان يتغلبوا عليهم. الا ان قاضى القضاة جعفر بن عبد الواحد اصلح بين الطرفين.

### القائدان وصيف و بغا و مقتلهما:

بقى القائدان وصيف و بغا الى جانب المستعين بالله الى ان خلع نفسه من الخلافه و بايع المعتز بالله. فأمر المعتز بالله محمد بن عبد الله ان يسقط اسميهما مع اتباعهما من الديوان ببغداد. الا ان وصيفا وجه اخته سعاد الى ابراهيم المؤيد، و كان نشأ فى حجرها، فكلم اخاه المعتز فى الرضا عنه. و يقول الطبرى ان سعادا اخرجت من قصر وصيف الف الف دينار كانت مدفونه فيه، فدفعتها الى المؤيد، فكلم هذا اخاه الخليفه. فرضى عن وصيف،

١- الديارات / ١٦٩، و ثمار القلوب / ٨٦.

٢- الطبرى ٩ / ٣٦٩، و الكامل ٧ / ١٧٣، و فيه: و تعملون وزيراً.

و كتب اليه بالرضا عنه(١). و كلم الموفق اخاه المعتز بالله بشأن بغا الصغير، فرضى الخليفه عنه كذلك(٢). فعادا الى خدمته فى سامرا، رغم انه كان يرغب ببقيائهما ببغداد بعيدين عنه. اذ اعز الى ابن طاهر ان يحول دون خروجهما الى سامرا.

الا انهما استطاعا الشخوص اليها، و عادا الى مراتبهما(٣).

و كان الاتراك و الفراغنه و الاشروسنيه من الجند قد شغبوا فى اوائل شوال سنه ٢٥٣ هـ و طالبوا بارزاقهم المتأخره لأربعه اشهر.

فخرج اليهم من القواد وصيف و بغا الصغير و سيما الشرابى ليناظروهم فى طلباتهم. فاغلظ وصيف فى كلامه مع الجند فوثبوا به و قتلوه، و نصبوا رأسه على محراك تنور(٤). فتخلص بذلك المعتز بالله من احد كبار القواد المتغلبين.

لقد صفا الجو بعد مقتل وصيف للقائد بغا الصغير، فأخذ المعتز يظهر اكرامه فجعل اليه ما كان الى وصيف من المهام و القيادات، ثم خلع عليه و البسه التاج و الوشاحين(٥). و من الجدير بالذكر ان نشير الى ان اكرام القواد الاتراك فى المناسبات المختلفه لا سيما عند انتصارهم فى الحروب، فى عهد المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله، لم يكن لقوه نفوذهم و سلطانهم، و انما كان تشجيعا لهم و تقديرا لجهودهم و دفعهم الى مزيد من الولاء للخليفه و خدمه الدوله العرييه. اما فى عهد بقيه خلفاء سامرا فان الباعث على تكريمهم كان محاوله كسب رضاهم و دفعا لنقمتهم و غضبهم، بعد ان قوى نفاذهم و اشتد ازهرهم كطبقة عسكريه حاكمه.

١- الطبرى ٩ / ٣٥٥.

٢- نفس المصدر

٣- الطبرى ٩ / ٣٥٦، و الكامل ٧ / ١٦٩.

٤- الطبرى ٩ / ٣٧٤، و الكامل ٧ / ١٧٩.

٥- نفس المصدرين.

و حاول بغا ان يقنع المعتز بالله بالمسير الى بغداد لكي ينفرد بالهيمنة على شؤون الخلافة، الا ان المعتز بالله كان يأبى ذلك.

و لما زوج بغا بنته من صالح بن وصيف، و قد اصبح هذا من كبار قادة الاتراك، ازداد بغا قوه و نفوذا، فطغى و تفرد بالأمور(١).

فاخذ المعتز بالله يرهب جانبه بحيث «كان لا ينام فى غيبه بغا الا فى ثيابه و عليه السلاح»(٢) و قال «لا ازال على هذه الحاله حتى اعلم لبغا رأسى او رأسه لى»(٣).

و يبدو ان الخلاف اشتد بين الخليفه و بغا، لا سيما و ان المعتز بالله قد استطاع ان يكسب ولاء بعض القواد الاتراك. و لما بلغه ان بغا عزم على الوثوب به دبر على قتله، فلما بلغ ذلك بغا هرب(٤). و حاول ان يتظاهر بالخروج من سامرا لكي يباغت المعتز بالله و اعوانه. فخرج فى غلमानه و قواده الى السن ثم عاد بمفرده ليلا متخفيا ليجمع الى صالح بن وصيف ليدبرا الوثوب بالخليفه. الا- انه وقع بيد الحراس، و لما اعلموا المعتز بالله بالقبض عليه، أمر بقتله. فقتل و حمل رأسه اليه، فنصب بسامرا و بغداد(٥). و يقول الطبرى ان المعتز بالله وهب قاتله عشره الاف دينار و خلع عليه خلعه(٦). مما يدل على اغتباطه بالتخلص منه.

١- كتاب دول الاسلام ١١١ / ٢.

٢- الكامل ١٨٧ / ٧.

٣- مروج الذهب ١٧٧ / ٤.

٤- تاريخ اليعقوبى ٥٠٣ / ٢.

٥- الطبرى ٣٨٠ / ٩، و الكامل ١٨٧ / ٧، و المروج ١٧٧ / ٤.

٦- الطبرى ٣٨١ / ٩.

**سيطره صالح بن وصيف:**

انتهت زعامه الجند الأتراك بعد مقتل وصيف و بغا الى القائد صالح بن وصيف. فصار الشخص الاول بعد الخليفه، تخرج الكتب باسمه، و يتولى تعيين الوزراء و الولاة و الكتاب. و عند ما ساء الوضع المالى و لم يعد فى بيت المال ما يكفى لدفع ارزاق الجند التى اخذت تتأخر كثيرا عن مواعيدها، عمد صالح بن وصيف الى مصادرته الكتاب للحصول على الأموال. فأخذ احمد بن اسرائيل كاتب الخليفه و وزيره، و الحسن بن مخلد كاتب ام الخليفه، و ابا نوح عيسى بن ابراهيم، فقيدهم و طالبهم باخراج ما يملكونه من الاموال. و قال للخليفه مبررا فعلته هذه «ليس للاتراك عطاء، و لا- فى بيت المال مال، و قد ذهب ابن اسرائيل و اصحابه باموال الدنيا»<sup>(١)</sup>. و ضرب ابن اسرائيل حتى كسرت اسنانه، و ضرب ابن مخلد مائه سوط، و كان عيسى بن ابراهيم محتجما فلم يزل يصفع حتى سالت الدماء من محاجمه، و لم يتركوا حتى اخذت رقاعهم بمال جليل قسط عليهم<sup>(٢)</sup>.

لقد حاول المعتز بالله ان يعتمد على قوه تساعد فى مناهضه صالح و مؤيديه من الاتراك، فاصطنع المغاربه و الفراغنه من الجيش. الا ان نتيجة سياسته هذه ان الاتراك و حدوا صفوفهم، و قد رأوا الخليفه يعمل على اضعاف شأنهم. فعمد قوادهم و على رأسهم صالح بن وصيف الى تحريض الجند و دفعهم الى مطالبه الخليفه بارزاقهم التى كان عاجزا عن دفعها لفراغ بيت المال نتيجة سوء الاداره و اهمال الشؤون الزراعيه و تكاليف الحرب

١- الطبرى ٩ / ٣٨٧.

٢- نفس المصدر.

الأهليه التي قامت بين سامرا و بغداد(١). و يقول الطبرى ان حاجه الجند الأتراك دفعتهم الى ان يطلبوا الى الخليفه ان يعطيهم خمسين الف دينار على ان يقتلوا صالحا. فارسل المعتز بالله الى امه يعلمها باضطراب الاتراك، و شغبهم عليه، و خوفه على نفسه منهم، و يطلب مساعدتها من المال. فارسلت اليه ان ليس عندها مال و لينتظروا حتى تقبض و تعطيهم. علما انها كانت معها اموال لا تحصى، و قد قوموا جواهرها بالفى الف دينار(٢). فقد كانت بخيله و قد جمعت اموالا طائله و كانت تخفيها عن ابنها. و قد وقع صالح على خزائن لها فيها اموال كثيره من اللؤلؤ و الياقوت و غير ذلك بحيث ظلت تلك الخزائن تباع فى سامرا و بغداد عده شهور حتى نفذت(٣). و يقول السيوطى انها كانت اختفت اثر مقتل ابنها، و لما ظهرت اعطت صالح بن وصيف قاتل ابنها مالا عظيما، من ذلك الف الف دينار، و سفت زمرد و آخر لؤلؤ. فلما رأى صالح تلك الأموال قال: قبحها الله عرضت ابنها للقتل لأجل خمسين الف دينار و عندها هذا(٤).

### خلع المعتز بالله من الخلافة:

عند ما رأى القواد الاتراك انهم لم يحصل لهم شىء من المال من المعتز بالله اتفقت كلمتهم على خلعه و التخلص منه. فساروا اليه، و دخلوا عليه و طلبوا اليه ان يخرج اليهم، فاحتج بالمرض.

١- الطبرى ٩ / ٣٩٤ - ٣٩٥.

٢- كتاب دول الاسلام ٢ / ١١٢.

٣- الطبرى ٩ / ٣٩٤ - ٣٩٥.

٤- تاريخ الخلفاء / ٣٦٠.

ال- ان بعضهم اقتحموا عليه الغرفه و جروا برجله و ضربوه بالدبابيس، و خرقوا قميصه. و اقاموه فى الشمس فكان يرفع رجلا و يضع اخرى من شدة الحر، و كان بعضهم يلطمه (١). ثم امره ان يخلع نفسه من الخلافه طالما عجز عن تدبير المال لهم.

و احضروا القاضى ابن ابى الشوارب، و كتبوا كتاب خلعه، فأقر المعتز بالله مكرها بما جاء فى كتاب الخلع (٢). و شهد عليه الحاضرون، كما شهدوا على صالح بن وصيف بان للمعتز بالله و امه و ولده و اخته الأمان (٣). و كان ذلك فى يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنه ٢٥٥هـ (٤). و كان نص كتاب الخلع كما يأتى (٥):

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما اشهد عليه الشهود المسمون فى هذا الكتاب، شهدوا ان ابا عبد الله بن امير المؤمنين المتوكل على الله أقر عندهم، و اشهدهم على نفسه فى صحه من عقله، و جواز من امره، طائعا غير مكره، انه نظر فيما كان تقلده من امر الخلافه و القيام بامور المسلمين، فرأى انه لا يصلح لذلك، و لا يكمل له، و انه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها، ضعيف عن ذلك، فاخرج نفسه، و تبرأ منها، و خلعها من رقبته، و خلع نفسه منها، و برأ كل من كانت له فى عنقه بيعه من جميع اوليائه و سائر الناس ممن كان له فى رقابهم من البيعه و العهود و المواثيق و الايمان بالطلاق و العتاق و الصدقه و الحج و سائر الأيمان، و حللهم

١- الطبرى ٩ / ٣٨٩، و الكامل ٧ / ١٩١، و الفخرى / ٢٢١.

٢- العبير ٢ / ٩.

٣- الطبرى ٩ / ٣٩٠.

٤- الطبرى ٩ / ٣٨٩.

٥- نفس المصدر / ٣٩١ - ٣٩٢.

من جميع ذلك، و جعلهم فى سعه منه فى الدنيا و الآخرة، بعد ان تبين له ان الصلاح له و للمسلمين فى خروجه عن الخلافه و التبرؤ منها، و اشهد على نفسه بجميع ما سمى و وصف فى هذا الكتاب جميع الشهود المسمين فيه و جميع من حضر، بعد ان قرىء عليه حرفا حرفا، فأقر بفهمه و معرفته جميع ما فيه طائعا عن مكره، و ذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ هـ.

و وقع المعتز فى ذلك: أقر ابو عبد الله بجميع ما فى هذا الكتاب و كتب بخطه. و كتب الشهود شهاداتهم.

ثم حبس المعتز بالله، و كان القواد الاتراك قد اوعزوا بقتله و قد ذكرنا تفصيل ذلك فى سيرته.

## ٦- المهتدى بالله و محاوله اضعاف سلطه الاتراك:

### اشاره

الخلاف بين المهتدى بالله و موسى بن بغا:

كان موسى بن بغا الكبير على رأس جيش فى محاربه الحسن بن زيد العلوى فى بلاد الرى. فاستنجدت به ام المعتز بالله لما ضايق القواد الاتراك ابنها، فلم يتمكن آنذاك من الشخوص الى سامرا.

و لكن بعد ان بلغه نبأ مقتل الخليفه صعب عليه ذلك فقرر العوده بجيشه الى سامرا للانتقام من قاتله صالح بن وصيف و اصحابه.

و كان الجند الذين مع موسى بلغهم ما اخذه صالح و جنده من اموال الكتاب و اسلاب المعتز بالله و اموال امه، فحسدوا المقيمين بسامرا من الجند و دعوا موسى الى الشخوص بهم الى سامرا.

و لما بلغ المهتدى بالله خبر توجه موسى نحو سامرا انكر ذلك عليه و كتب اليه بالمقام فى موضعه للحاجه المامه اليه فى القضاء



على الخارجين على الدوله فى تلك النواحي. و كان صالح بن وصيف بدافع خوفه من انتقام موسى منه و محاسبته على الاموال التى حازها، يعظم على الخليفه قدومه و ينسبه الى المعصيه و الخلاف. الا ان موسى ابى الاذعان لأمر الخليفه و سار بجيشه قدما حتى وصل سامرا. و رأى صالح بن وصيف، و هو المسيطر على شؤون الخلافه، فى عوده موسى و جيشه خطرا عليه، و عجب من قدومه رغم ممانعه الخليفه، مما جعله يعتقد ان الخليفه هو الذى طلب اليه سرا ان يقدم الى سامرا لكى يباغت اتباعه، فانفض عن المهتدى بالله.

و عند ما جاء موسى الى دار الخلافه كان المهتدى بالله قد جلس للمظالم فلم يأذن له و لمن معه الا بعد ان فرغ من المجلس، فدخلوا عليه. و كانوا رأوا فى تأخير الخليفه الأذن لهم بالدخول مطاوله منه حتى يكبسهم صالح بن وصيف و اتباعه. فخافوا من ذلك، فأخذوا المهتدى بالله من مجلسه و حملوه معهم الى دار ياجور احد كبار قواد الاتراك. و بعد مناظره الخليفه اخذ موسى و جماعته عليه «العهود و المواثيق ان لا يمايل صالحا عليهم، و لا يضم لهم آلا مثل ما يظهر، ففعل ذلك، فجدوا له البيعه»<sup>(١)</sup> ورددوه الى الجوسق.

علم صالح بما تم بين الخليفه و موسى و اتباعه، و انهم ينقمون عليه قتله المعتر بالله و الكتاب و اخذه اموالهم، فاختفى خوفا على حياته. فخاف موسى ان يعمل صالح عند اختفائه على الوثوب به، فبث العيون و الارصاد فى طلبه. فوصل الى الخليفه كتاب من صالح، فدعا بسليمان بن وهب ليقراه بحضور جماعه من قواد

الاتراك فيهم موسى بن بعا و مفلح و بايكباك و ياجور. و ذكر صالح فى كتابه انه مستخف بسامرا و قد استتر متخيرا للسلامه و ابقاء على الموالى، و خوفا من ايصال الفتن بحرب ان حدثت بينهم، و بين ما صار اليه من اموال الكتاب و من وصل اليه ذلك المال و تولى تفريقه، ثم ذكر اشياء يعتذر ببعضها و يحتج ببعض الآخر(١).

و تكلم المهتدى بالله يحض الحاضرين على المهادنه و الصلح و الألفه، و يكره اليهم الفرقة و التباغض. مما جعل موسى و اتباعه يهتمونه بالميل الى صالح و انه يقدمه عليهم، و انه يعلم بمكان اختفائه فخرجوا منه و صاروا مع موسى الى داره فى داخل الجوسق و تناظروا فيما بينهم، و ذكر بعض من كان حاضرا ان القوم اجمعوا على خلع المهتدى بالله(٢).

و لما اتصل الخبر بالمهتدى بالله خرج الى مجلسه متقلدا سيفا ثم امر بادخالهم اليه، فقال لهم «انه قد بلغنى ما انتم عليه من امرى، و لست كمن تقدمنى مثل احمد بن محمد المستعين و لا مثل ابن قبيحه ... و هذا سيفى، و الله لا ضربن به ما استمسك قائمه بيدي .. أما دين، أما حياء، أما رعه؟ كم يكون هذا الخلاف على الخلفاء، و الاقدام و الجراه على الله ... هل تعلمون انه وصل الى من دنياكم هذه شىء؟ اما انك يا بايكباك ان بعض المتصلين بك ايسر من جماعه اخوتى و ولدى .. ثم تقولون انى أعلم علم صالح، و هل صالح الا رجل من الموالى و كواحد منكم فكيف الاقامه معه اذا ساء رأيكم فيه؟ فان آثرتم الصلح كان ذلك ما

١- نفس المصدر / ٤٤١.

٢- نفس المصدر / ٤٤٢، و الكامل / ٧ / ٢١٩.

اهوى لجمعكم، و ان ايتم الا الاقامه على ما انتم عليه فشأنكم، فاطلبوا صالحا ثم ابلغوا شقاء انفسكم، و اما انا فما اعلم علمه»<sup>(١)</sup>.  
 ان خطاب المهتدي بالله خطاب رجل ضعيف يتوسل، و ليس خطاب رئيس دوله حازم يرهب من يحدد عن طريق الصواب، و يهدد بمحاسبه من يسىء الى الخلافه. و هو يترك المشاكل القائمه، و بخاصه امر صالح بن وصيف، اليهم ليتخذوا ما يرونه بشأنه. بينما كان من الضرورى ان يشعروهم بانه سيتولى ذلك بنفسه و يحاسب كل مقصر او مسيء. و لا شك فى انه بخطابه هذا اطعمهم بنفسه و جرأهم عليه، لما لمسوا من ضعفه و فقدانه الحزم.

و ذكر ان المهتدي بالله قال لبايكباك و لابي نصر محمد بن بغا: قد حضرتما ما عمله صالح فى اموال الكتاب و ام المعتر فان اخذ من ذلك شيئا فقد اخذتما مثله، فاحفظهما ذلك<sup>(٢)</sup>.

و قد قيل ان القوم من لدن قدوم موسى بن بغا الى سامرا للتأثر لمقتل المعتر بالله، كانوا يضمرون خلع المهتدي بالله، و انما كان يمنعهم من ذلك قله الأموال لديهم لدفع ارزاق الجند و كسب رضاهم. فلما استحوذوا على المال الوارد من الأهواز فى المحرم سنه ٢٥٦ هـ و مقداره سبعة عشر الف الف و خمسمائه الف درهم، تحركوا للعمل على تحقيق نواياهم<sup>(٣)</sup>.

١- الطبرى ٩ / ٤٤٢ - ٤٤٣.

٢- نفس المصدر / ٤٤٣ و الكامل ٧ / ٢٢١.

٣- نفس المصدرين، و جاء فى الكامل ان مبلغ المال عشره الاف الف و خمسمائه الف درهم.

و مما زاد فى قوه مركز موسى بن بعا انه تخلص من صالح بن وصيف. اذ عثر عليه غلام صدفة فى احد الدور فى اوائل صفر، فاستعان بعيار يعرفه، فجمع هذا آخرين معه و هجموا على الدار و اخرجوا صالحا و ذهبوا به الى دار موسى. فاخذ بعض القواد الى الجوسق، الا انهم قتلوه فى الطريق و احتزوا رأسه و صاروا به الى المهتدى بالله، فأمرهم ان يواروه. الا انهم حملوه على قناه و طافوا به ينادون عليه: هذا جزاء من قتل مولاه، ثم نصبوه بباب العامه(١). و هناك من يقول انه رأى انه حمى له حمام و ادخل اليه فمات فيه(٢).

### تنكر المهتدى بالله للقواد الاتراك:

ضاق المهتدى بالله ذرعا بتسلط القواد الاتراك و بخاصه استحوادهم على الأموال التى ترد من الولايات الى بيت المال متجاهلين جهود الخليفة فى تقويم الوضع المالى. فحاول ان يستفيد من نغمه الجند على قوادهم، و ان يعمل على ايقاع الخلاف بين القواد انفسهم. و كان قد وجه فى مستهل جمادى الاولى موسى بن بعا و بايكباك الى حرب مساور الشارى، فكتب بعد ان حبس ابا نصر محمد بن بعا الى موسى يأمره بتسليم قياده جيشه الى بايكباك و القدوم الى سامرا. و كتب بنفس الوقت الى بايكباك يستميله بتسلم قياده الجيش و القيام بقتال الشارى، و ان يقتل موسى و مفلحا او يحملهما اليه مقيدين. الا ان بايكباك اطلع موسى على كتاب الخليفة، و قال له: هذا تدبير علينا جميعا، فاذا فعل بك

١- الطبرى ٩/٤٥٣-٤٥٥، و الكامل ٧/٢٢٥.

٢- مروج الذهب ٤/١٨٥.

اليوم شىء فعل بى غدا مثله. و اتفقا على ان يتظاهر بايكباك بمولاه الخليفه، و من ثم يدبران امر قتله(١).

و قد اخبر بعض الاتراك المهتدى بالله بان بايكباك قد اتفق مع موسى على الفتك به فى الجوسق. فلما دخل بايكباك مع بعض قواده على المهتدى بالله امر بحبسه و صرف الباقين، ثم امر بضرب عنقه. و لما احتج اتباعه على حبس قائدهم و تجمعوا لمهاجمه الدار و اطلاق سراحه، رمى الخليفه برأسه اليهم، مما اثار غضبهم و زاد فى ثورتهم عليه(٢). و قد حاول المهتدى بالله بعمله هذا ان يتخذ موقف ابى جعفر المنصور من ابى مسلم الخراسانى، متصورا ان ذلك سيفل قوه الاتراك و يضعف سلطانهم. الا انه لم تكن له منعه المنصور و قوته. و لذا فقد اعتبر قواد الاتراك هذا غدرا بهم، و انهم لذلك اصبحوا فى حل من بيعته. و الواقع ان محاوله المهتدى بالله الايقاع بين موسى و بايكباك لم تكن محكمه لأنه كاشف كلا منهما بنيته تجاه زميله دون ان يتوثق من ولائه و اخلاصه، مما انعكس عليه بنتيجه سيئه. اذ صارت محاولته دافعا لجمع كلمتهم و توحيد قواهم لمقاومته. كما كان قبضه على ابى نصر محمد بن بغا بعد ان كتب اليه بالأمان على نفسه و من معه و من ثم امره بقتله(٣)، قد اثار مزيدا من سخط الاتراك و غضبهم عليه.

### محاولته الاعتماد على الجند و العامه:

لما انتشر الخبر بين العامه ان القواد الاتراك على و شك ان يخلعوا المهتدى بالله و يفتكوا به، كتبوا الرقاع انتصارا له

١- الطبرى ٩ / ٧٤٥٦ - ٤٥٧.

٢- نفس المصدر / ٤٥٩.

٣- نفس المصدر / ٤٦٠.

و القوها فى المساجد و الطرقات. و ذكر انها كانت كالاتى «بسم الله الرحمن الرحيم: يا معشر المسلمين، ادعوا الله لخليفتكم العدل الرضى المضاهى لعمر بن الخطاب ان ينصره على عدوه و يكفيه مؤونه ظالمه، و يتم النعمه عليه و على هذه الأمه ببقائه، فان الموالى قد اخذوه بان يخلع نفسه و هو يعذب منذ ايام، و المدبر لذلك احمد بن محمد بن ثوابه و الحسن بن مخلد. رحم الله من اخلص النيه و دعا و صلى على محمد صلى الله عليه و سلم».

و كان المهتدى بالله من جانبه يؤلب الجند و العامه ضد القواد الاتراك. فقد جاء بالفراغنه و الاشروسنيه و الطيريه و الديالمه و غيرهم، فسألهم النصره على موسى و مفلح، و قال: «قد اخذوا الاموال و استأثروا بالفى ء، و انا اخاف ان يقتلونى. و ان نصرتمونى اعطيتمكم جميع ما فاتكم و زدتمكم ارزاقكم. فاجابوه الى نصره و الخلاف على موسى و اصحابه. كما اخذ المهتدى بالله يركب فى بنى هاشم و يدور فى الاسواق، و يسأل الناس النصره على الفساق قتله الخلفاء(١).

لقد اخافت دعوه العامه برقاعهم لنصره الخليفه قسما من الجند فارسوا الى الخليفه انهم مستعدون للموت دونه اذا ما استمع الى شكواهم و ازال اسبابها. و تقدموا اليه بمطالب معينه يتعلق قسم منها بالامور العامه، و يخص القسم الآخر شؤونهم المسلكيه و تنظيم امورهم. و اهم هذه الطلبات(٢):

١- ان ترد الامور الى امير المؤمنين فى الخاص و العام و لا يعترض عليه معترض.

(٩٣) نفس المصدر/ ٤٤٤.

(٩٤) الطبرى ٩/ ٤٦٨.

١- نفس المصدر ٤٦٩.

٢- نفس المصدر/ ٤٤٦-٤٤٧.

٢- ان ترد رسومهم الى ما كانت عليه ايام المستعين بالله، و هو ان يكون على كل تسعه منهم عريف، و على كل خمسين خليفه، و على كل مائه قائد.

٣- ان يدفع لهم العطاء فى كل شهرين.

٤- ان تبطل الاقطاعات.

٥- ان يصير امير المؤمنين الجيش الى احد اخوته او غيرهم ممن يرى، على ان لا يكون من الموالى.

٦- ان يأمر الخليفه بمحاسبه صالح بن وصيف و موسى بن بغا على ما عندهما من الأموال.

و قالوا انهم لا يرضيهم دون ما سألوا، مع تعجيل ارزاقهم المتأخره. فأجابهم الخليفه بسروره من طاعتهم له و تأييدهم اياه، و انه موافق على جميع ما سألوه و سيعمل على تنفيذه، و يزيل ما يشتكون منه.

الا- ان عدم توفر المال اللازم فى بيت المال حال دون تلبية تعجيل عطائهم، و هو أهم طلباتهم و لا شك. كما انه لم يتخذ أى اجراء لأبطال الاقطاعات الممنوحه للقواد، و لم يبادر الى اعاده رسوم الجيش و تنظيمه بالشكل الذى كان عليه ايام المستعين بالله.

كما انه لم يقرر محاسبه القائدين الكبيرين اللذين طلبوا محاسبتهم. فكان ذلك مما افقدهم الثقة بالخليفه، لا سيما و انه كان يتظاهر بالتودد للقواد الاتراك و يحاول ترضيتهم.

و كان القواد بنفس الوقت يعملون على ترضيه الجند. فاعلنوا موافقتهم على طلباتهم التى تقدموا بها الى الخليفه، و تأييد

اخلاصهم له، و انهم لا يريدون به سوء، كما سارعوا الى دفع ارزاقهم المتأخره. و بدأ اصبحت الظروف مهيئه لان يفرض الخليفه سلطته على الا-تراك و قوادهم، الا- ان موقفه المتسم بالحيره و التردد. و تظاهر بالتودد للقواد مع انه يبطن الشر لهم، و عدم مبادرته الى اى عطف او استجابته لطلبات الجند، افقده ثقته الطرفين.

### نهايه المهتدى بالله:

عند ما استشعر المهتدى بالله شرا من جموع الاتراك، خرج فعسكر بجسر سامرا فى جمع من الجند الموالين له من الفراغنه و المغاربه و بعض الأ-تراك فأصطدم الطرفان و وقع بينهما كثير من القتلى. و انضم الجنود الاتراك الذين اعلنوا ولاءهم للخليفه الى جماعتهم، و انهزم بقيه جنده و مؤيدوه، و تركوا الخليفه يواجه مصيره مع عدد قليل من اتباعه. فجرح و اضطر الى الهرب.

فخرج الى باب العامه و هو يستغيث طالبا النجده، فلم يجبه احد من عامه الناس. فصار الى باب السجن فاطلق من فيه و هو يظن انهم يعينونه، فلم يكن منهم الا- الهرب، فصار الى دار صاحب الشرطه. الا- ان الا-تراك دخلوا خلفه و اخرجوه الى الجوسق و حبسوه عند القائد احمد بن خاقان.

ثم اجتمع القواد الأ-تراك و قرروا خلعه من الخلافه، و مالبنوا ان قتلوه بحجه عدم موافقته على التنازل عن الخلافه. و قد اوضحنا ذلك مفصلا عند الكلام عن خلعه و مقتله.



**٧- انحسار نفوذ القواد الاتراك:**

بعد ان تم للقواد الاتراك بزعامه القائد موسى بن بغا، التغلب على الخليفة المهتدي بالله و قتله، انتخبوا للخلافه احمد بن جعفر المتوكل على الله، و لقب بالمعتمد على الله، و قد ورث الخليفه الجديد تركه ثقيله من المشاكل. فقد كان الوضع المالى للدوله سيئا جدا بحيث كان الخليفه عاجزا عن دفع ارزاق الجند. و ذلك لاستغلال امراء الولايات و عمالها ضعف الخلافه و استثمارهم باموال الخراج و لم يوجهوا شيئا منها الى بيت المال. كما كانت ثوره الزنج قد استفحلت و اصبحت تهدد الخلافه و كيان الدوله العربيه و وجودها. يضاف الى ذلك اطماع امراء الولايات المستقله و محاولاتهم فى توسيع اماراتهم على حساب الدوله. هذا الى جانب المشكله المزمنه و هى سطوه القواد الاتراك و عبثهم بشؤون الخلافه و الدوله. و كانت هذه المشاكل مما ينوء المعتمد بالله بحملها و بعجزه عن التغلب عليها، لو لا ان قدر بان يكون اخوه الموفق طلحه الى جانبه. و قد سبق ان اشرنا الى ما كان يتمتع به الموفق من صفات قياديه و اهمها الحزم و الشجاعه، مما اهله للسيطره على شؤون الخلافه بحيث لم يترك لأخيه منها سوى الاسم.

و كان المعتمد على الله عند توليه الخلافه اناط بأخيه الموفق رئاسه الجيش. و يبدو ان ذلك كان تنفيذا لطلب الجند من سلفه المهتدي بالله أبن يصير رئاسه الجند الى احد اخوته، او غيرهم ممن يراه من القواد على ان لا يكون من الاتراك. و بذلك اطمأن الخليفه الى ولاء الجيش، و أمن شر الاحتكاك بقواده الاتراك.

و قد استطاع الموفق ان يستفيد من الظروف المحيطه بالخلافه فى ان

يوقف تدخل هؤلاء القواد بشؤون الدوله و فرض رغباتهم على الخليفه. و اهم ما ساعده فى ذلك اضافه الى كفايته السياسيه و قوه شخصيته عاملان، اولهما النزاع الذى كان قد قام بين القواد انفسهم منذ عهد المستعين بالله حتى تولى المعتمد على الله، مما اضعف من قوتهم و قلل من شأنهم. و ثانيهما الحروب القائمه التى استطاع الموفق ان يوجههم اليها و يشغلهم بها. و بذلك تسنى للموفق ان يعيد للخلافه هيبتها، و للدوله سلطانها و نفوذها.

و كما من الاخطار المهمه التى هددت الخلافه فى سامرا، اضافه الى استفحال ثوره الزنج، ان يعقوب بن الليث الصفار قدم بجيشه يطرق ابواب عاصمه الخلافه، لانه رغم ما كان يتظاهر به من ولاء و طاعه للخليفه، لم يكن قانعا بما و ليه من الاقليم و الولايات، لأن ذلك لا يزال دون هدفه فى ازاله دوله العرب.

فعزم على محاربه الخليفه لىتم له الاستيلاء على الدوله العربيه كلها مدعيا «بانه لم يجىء الا لخدمه الخليفه و التشراف بالمشول بين يديه و النظر اليه و ان يموت فى ركابه»<sup>(١)</sup>. الا ان الخليفه و اخاه الموفق ادركا ما كان يخفيه من النوايا الخبيثه تجاه الدوله العربيه، خلف هذا القناع من المسكنه و التذلل. فخرج اليه الخليفه بنفسه بجيش اشترك فيه اغلب القواد و على رأسهم الموفق. و سرعان ما دارت الدائرته على الصفار و جيشه فهزم شر هزيمه، و عاد خائبا و قد تحطمت احلامه. و اعادت الدوله سيطرتها على ما سبق ان استولى عليه من الاقليم عنوه.

كما ان الامير احمد بن طولون الذى كان نازع الخلافه و ارسل جيوشه لمحاربتها ردحا من الزمن، قد انتهى نزاعه بالخضوع لسياده الخلافه فى سامرا. و هكذا كانت الحروب التى

دامت اكثر ايام المعتمد على الله اهم عامل فى تدعيم سلطه الموفق، بحيث انه انتزع من القواد الاتراك ما كانوا يتمتعون به من نفوذ و سلطان على الخلافه، و جعلهم ينصرفون الى داء واجباتهم العسكريه حسب. و بذلك مهد للخليفه القادم و هو ابنه احمد الملقب بالمعتضد بالله، ان يتفرغ لاعاده بناء الدوله العربيه و تقويه شأن الخلافه، بحيث سمى المنصور الثانى.



الباب الخامس العلويون و خلفاء سامرا ١- خلفاء سامرا و العلويون ٢- خروج العلويين في عهد سامرا



## الباب الخامس العلويون و خلفاء سامرا

### الفصل الأول خلفاء سامرا و العلويون

#### إشارة

كانت علاقة العلويين تتسم بالخلاف و التوتر مع خلفاء بني العباس، و لم يدخروا وسعا في الخروج كلما سنحت لهم الفرصة. إلا- ان الخليفة المأمون حاول ان يتقرب اليهم و يحسن معاملتهم ليكسب ولاءهم. و قد زوج بنته من الامام الرضا و عهد اليه بالخلافه من بعده، كما زوج بنته الثانيه من الامام محمد الجواد.

و عند ما اوصى لأخيه ابي اسحاق اكد عليه بأن يرعى العلويين و يحسن معاملتهم. و لما تولى المعتصم بالله الخلافه انتهج سياسه اخيه المأمون في التسامح مع العلويين التزاما بوصيته اليه، و قد جاء فيها «و هؤلاء بنوعمك من ولد امير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه، فأحسن صحبتهم، و تجاوز عن مسيئتهم، و اقبل من محسنهم، و لا تغفل صلاتهم في كل سنه عند محلها، فان حقوقهم تجب من وجوه شتى»<sup>(١)</sup>. و لكي يدلل المعتصم

---

١- الطبرى ٨ / ٦٥٠، و الكامل ٦ / ٤٣١.

بالله على رعايته العلويين واهتمامه بشؤونهم استدعى الامام محمد الجواد فى سنة ٢٢٠ هـ من المدينة المنوره ليقوم الى جانبه فى سامرا. فجاء و معه امرأته ام الفضل بنت المأمون. و لا يخفى ان استدعاءه كان حذرا من ان يلتف الناس حوله. و ليكون تحت انظار الخليفه. الا انه ما لبث ان توفى فى اواخر السنه المذكوره. و هناك من يقول انه مات مسموما(١). فأمر المعتصم بالله بأن تحمل زوجه الامام الى قصره لتعيش مع حرمه(٢). و لما خرج محمد بن القاسم فى عهده، اكتفى المعتصم بالله بسجنه.

و سار الواثق بالله على نهج ابيه و عمه فى اتباع سياسه التسامح و اللين مع العلويين. فاشتمل عليهم، و بالغ فى اكرامهم و الاحسان اليهم، و التعهد لهم بالاموال، بحيث انه لما توفى كان بعض نساء اهل المدينة يخرجن كل ليله الى البقيع فيبكين عليه و يندبنه حزنا عليه، لما كان يكثر من الاحسان اليهم(٣). يقول ابو الفرج «و كان آل ابى طالب مجتمعين بسر من رأى فى ايامه تدور الارزاق عليهم(٤) و يقول ابن الطقطقى «و لما ولى الخلفاه احسن الى بنى عمه الطالبين و برهم(٥). و يقول القاضى يحيى بن اكرم «ما احسن احد الى آل ابى طالب ما احسن اليهم الواثق، ما مات و فيهم فقير(٦). و قد اثمرت سياسه الواثق بالله القائمه على

١- مروج الذهب ٥٢ / ٤، و الكامل ٤٥٥ / ٦.

٢- تاريخ بغداد ٥٤ / ٣، و وفيات الاعيان ٣٥ / ٣.

٣- الكامل ٣١ / ٧.

٤- مقاتل الطالبين / ٥٩٣.

٥- الفخرى / ٢٥١.

٦- تاريخ بغداد ١٩ / ١٤.



التسامح و اللين تجاه العلويين و تعهده اياهم، اذ لم يخرج عليه احد منهم طيله خلافته.

اما المتوكل على الله فقد كان شديدا في معاملته العلويين، مما جعل عهده ثقيل الوطأه عليهم، على ان اسباب بغض المتوكل على الله للعلويين غير واضح، الا- انها يمكن ان تعزى الى ما كان يغيظه ما يراه من ولاء اتباع العلويين لأئمتهم و اخلاصهم لهم و تقديسهم اياهم. فقد امر بهدم قبر الامام الحسين بن على بن ابى طالب، و هدم ما حوله من المنازل، و ان يحرق موضع القبر و يبذر، و ان يمنع الناس من اتيانه. فامتنع الناس من المصير اليه(١).

و كان اكثر منادى المتوكل على الله ممن اشتهروا ببغض العلويين، منهم على بن الجهم الشاعر الشامي، و ابو السمط من ولد مروان ابى حفصه من موالى بنى اميه، و عمر بن فرج الرخجى. و كانوا يخوفونه منهم و يشيرون عليه بالاعراض عنهم و الأساءه اليهم(٢). و احسبهم انهم كانوا يتملقونه بذلك و يستدرون عطاياه. و يقول ابو الفرج «ان عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره كان يسيء الرأى فيهم، فحسن له القبيح فى معاملتهم»(٣).

و بلغ مسامح المتوكل على الله ان احد زعماء العلويين، و هو يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى (٨) مقاتل الطالبين / ٥٩٧.

(٩) الكامل ٧ / ٥٦.

١- الطبرى ٩ / ١٨٥، و مروج الذهب ٤ / ١٣٥، و الكامل ٧ / ٥٥.

٢- الكامل ٧ / ٥٦.

٣- مقاتل الطالبين / ٥٩٧.

طالب، قد جمع جمعا ببعض النواحي، فأمر بالقبض عليه، فاخذ و ضرب و حبس في سجن المطبق ببغداد(١).

كان امام العلويين في عهد المتوكل على الله على بن محمد الجواد الملقب بالنقى و بالهادى، يقيم في المدينه المنوره، و قد عرف بالزهد و التقوى و الانصراف الى العلم، الا ان و شايات عنه وصلت الى المتوكل على الله فأمر باشخاصه الى سامرا ليكون تحت رقابته المباشره. فبعث به والى مكه ابو العباس عبد الله بن محمد ابن داود مع يحيى بن هرثمه حتى صار الى بغداد. و لما وصلا قريبا منها ركب اسحاق بن ابراهيم المصعبى لتلقيه، و لما رأى تشوق الناس اليه و اجتماعهم لرؤيته، انتظر حلول الليل فدخل به بغداد، ثم وجه به فى اليوم التالى الى سامرا(٢). و مما ذكره يحيى بن هرثمه عن الامام انه قال: و فى احد ايام السفر، و السماء صاحيه ركب و عليه ممطره و قد عقد ذنب دابته، فعجبت من فعله، فلم يكن بعد ذلك الا هنيهه حتى جاءت سحابه و نالنا من المطر امر عظيم. فالتفتت الى و قال: انا اعلم انك انكرت ما ما رأيت و توهمت انى اعلم من الأمر ما لا تعلمه، ليس ذلك كما ظننت و لكن نشأت بالباديه فانا اعرف الرياح التى يكون عقبها المطر، فلما اصبحت هبت ريح شممت منها رائحه المطر فتأهبت لذلك(٣).

و يظهر ان المتوكل على الله ابقاه فى سامرا، الا انه كان يتمتع بحريه كبيره فيلقى اصحابه، و يحضر مجالس الخليفه. و لكن ما

١- الطبرى ٩ / ١٨٢، و الكامل ٧ / ٥٣، و جاء سمه فيه يحيى بن عمر بن يحيى.

٢- تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٨٤.

٣- عقيدته الشيعه / ٢١٧ عن الكافى للكلىنى / ٢٠٦.

لبث ان وشى به بعضهم الى المتوكل على الله بان فى بيته سلاحا و كتبنا من شيعته، و انه يطلب الأمر لنفسه. فوجه اليه من الجند الاتراك من داهم منزله ليلا على غفله من اهله، فوجده وحيدا جالسا على الأرض فى غرفه مغلقة، و عليه مدرعه من شعر و على رأسه ملحفه من صوف، و هو مستقبل القبلة يرتل آيت من القرآن الكريم. فحمل الى الخليفة فى جوف الليل، فمثل بين يديه و هو فى مجلس شراب. و قال من اتى به انه لم يجد فى منزله شيئا مما قيل عنه. فأعظمه المتوكل على الله و اجلسه الى جانبه، و ناوله الكأس التى كانت فى يده، فاعتذر بأنه لم يذقه. فطلب اليه ان ينشده مما يحفظ من الشعر، فأعتذر بأنه قليل الروايه للشعر. فالح عليه المتوكل على الله فأنشده(١):

باتوا على قتل الأجيال تحرسهم غلب الرجال فما اغنتهم القلل

و استنزلوا بعد عز من معاقلهم فاودعوا حفرا، يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأسره و التيجان و الحلل

أين الوجوه التى كانت منعمهم دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

---

١- مروج الذهب ٩٣/٤ - ٩٤، و وفيات الاعيان ٢/ ٤٣٤ - ٤٣٥.

قد طالما اكلوا دهرا و ما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

و طالما عمروا دورا لتحصنهم ففارقوا الدور و الأهلين و انتقلوا

و طالما كثروا الاموال و ادخروا فخلفوها على الأعداء و ارتحلوا

أضحت منازلهم قفرا معطلهوا ساكنوها الى الأجدات قد رحلوا

فتأثر الخليفة و بكى حتى بليت دموعه لحيته، و بكى الحاضرون، فأمر برفع الشراب. ثم قال له: يا ابا الحسن أعليك دين؟ قال:  
نعم، اربعه الاف دينار. فأمر بدفعها اليه و رده الى منزله مكرما.

لبث الامام على الهادى فى سامرا طيله حكم المتوكل على الله، و ابنه المنتصر بالله، و المستعين بالله بعده، حتى توفى فى ايام  
المعتز بالله لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٥٤ هـ ١٧، و دفن بداره بسامرا.

**الملحق: الامام على الهادي:**

و الامام على الهادي هو ابن الامام محمد الجواد و يعرف بابي الحسن العسكري و انما قيل له العسكري لأنه لما كثرت السعاه به عند المتوكل على الله احضره من المدينه المنوره و أقره بسر من رأى و كانت تدعى العسكر ايضا فاقام بها عشرين سنه فنسب اليها(١).

و هو عاشر الأئمه الأثنى عشر. ولد بالمدينه المنوره و بها كانت نشأته. و هناك خلاف بسيط فى تاريخ مولده، اذ يقول الخطيب البغدادي انه ولد فى رجب سنه ٢١٤ هـ، بينما يقول ابن الأثير انه ولد فى سنه ٢١٢ هـ، و يتردد ابن خلكان فى ان ولادته كانت فى سنه ٢١٣ هـ او فى سنه ٢١٤ هـ(٢).

كان الامام الهادي من الاتقياء الصالحين، فقيها متعبدا منصرفا الى العلم. و لما ارتاب المتوكل على الله به لكثره الوافدين عليه من مختلف الاقطار، استقدمه الى سامرا ليكون تحت رقابه الخلافة مباشره. فبقى الامام فى سامرا لا يبرحها، الا انه كان يستقبل اصحابه و زائريه و يحضر مجالس الخلفاء و مجالس كبار

١- وفيات الاعيان ٢/ ٤٣٥، و شذرات الذهب ٢/ ١٢٩.

٢- تاريخ بغداد ١٢-٥٧، و الكامل ٧/ ١٧٩، و وفيات الاعيان ٢/ ٤٣٥.

رجال الدوله. و يروى الخطيب البغدادي خبرا يدل على سمو منزلته لدى الخليفه و اطمئنانه اليه. فقد اعتل المتوكل على الله فقال لئن برئت لا- تصدقن بدنانيه كثيره. فلما برىء جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك فاختلفوا في الاجابه، فبعث الى الامام على بن محمد يسأله، فقال: يتصدق بثلاثه و ثمانين ديناراً. فعجب بعض الفقهاء من ذلك و تعصب قسم منهم عليه، و قالوا تسأله يا امير المؤمنين من اين له هذا. فرد الرسول اليه و قال: قل لأمير المؤمنين في هذا الوفاء بالنذر لأن الله تعالى قال «لقد نصركم في مواطن كثيره» فروى اهلنا جميعاً ان المواطنين في الوقائع و السرايا و الغزوات كانت ثلاثه و ثمانين موطناً. و ان يوم حنين كانت الرابع و الثمانين، و كلما زاد امير المؤمنين في فعل الخير كان انفع له و آجر عليه في الدنيا و الآخرة(١).

بقى الامام على الهادي طيله عهد المتوكل على الله و عهد المنتصر بالله و خلفه المستعين بالله مقيماً في سامرا مكرماً، لأن ما كان يمتاز به من هدوء الطبع و كرم النفس و قوه الصبر و الاحتمال، قد ساعده على الاحتفاظ بمنزلته رغم حذر الخلفاء منه و فرضهم الرقاب عليه. و قد انتقل الى جوار ربه في سنة ٢٥٤ هـ في يوم الخميس ليلال بقين من جمادى الآخرة و هو ابن اربعين سنه، في ايام المعتز بالله. فبعث الخليفه باخيه ابى احمد ابن جعفر المتوكل على الله فصلى عليه في الشارع المعروف بشارع ابى احمد. و لما كثر الناس و اشتد بكاؤهم و علا ضجيجهم، رد النعش الى دار الامام فدفن فيها(٢). و يقول الخطيب البغدادي ان

١- تاريخ بغداد ١٢ / ٥٦ - ٥٧.

٢- الطبرى ٩ / ٣٨١، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٥٠٣، و تاريخ بغداد ١٢ / ٥٧.

هذه الدار كان الامام قد اشتراها من دليل بن يعقوب النصراني(١).

### الامام الحسن العسكري:

و كان خلف الامام على الهادي ابنه الامام الحسن العسكري و هو الامام الحادي عشر، ابو محمد، و غلب عليه لقب العسكري لسكناه في سامرا، و قد اقام بها طيله حياه ابيه و بعده حتى توفي بها. و هناك بعض الاختلاف في مكان ولادته و تاريخها، و يستنتج من تاريخ وفاته و مقدار عمره انه ولد في سنه ٢٣١ هـ و قيل ٢٣٢ هـ او ٢٣٣ هـ. و يقول ابو المحاسن ان ولادته كانت في سنه ٢٣١ هـ(٢). اما محل ولادته فليس هناك اشاره واضحه الى ذلك في المصادر الأوليه عدا ما قاله ابو المحاسن بانه ولد بسر من رأى و امه ام ولد(٣). الا انه يظهر من تاريخ ولادته ما يرجح بانه ولد بالمدينه المنوره لأن اباه كان حينذاك لا يزال فيها و لما يشخص بعد الى سامرا.

انتقل الامام الحسن العسكري مع ابيه على الهادي الى سامرا فنشأ بها نشأه دينيه على سنن سلفه الصالح، فكان ناسكا متعبدا.

و يظهر انه عنى بتعلم عدد من اللغات لاختلاف جنسيات الوافدين الى زيارته و زياره ابيه من قبل. فكان يتكلم بالهنديه مع الزوار الهنود، و بالتركيه مع الاتراك و بالفارسيه مع العجم(٤). و عند ما

١- تاريخ بغداد ١٢-٥٧.

٢- مروج الذهب ١٩٩/٤، و وفيات الاعيان ١/٣٧٢، و النجوم الزاهره ٣/٣٢

٣- النجوم الزاهره ٣/٣٢.

٤- عقيدته الشيعه / ٢٢٣ اعتمادا على خلاصه الاخبار للسيد محمد مهدي.

توفى ابوه سجن الامام الحسن فى بغداد، الا- انه ما لبث ان اطلق من السجن و سمح له بالعوده الى سامرا، فاقام بها حتى نهايه حياته.

توفى الامام الحسن العسكرى فى سنه ٢٦٠ هـ و يقول ابن خلكان انه توفى بسر من رأى و دفن بجنب قبر ابيه(١). و لما ذاع خبر وفاته ارتجت سر من رأى، و عطلت الأسواق، و ركب بنو هاشم و القواد و الكتاب و القضاء و سائر الناس لتشيع جنازته(٢).

و لما تولى المنتصر بالله الخلافه بعد مقتل ابيه المتوكل على الله، اتسمت سياسته تجاه العلويين بالتسامح معهم و العمل على استرضائهم، فأمر بعدم التعرض لهم، و الا يمنع احد من زياره قبر الحسين و قبر غيره من أئمه آل البيت. فلم يجز على احد منهم قتل او حبس او مكروه(٣). و كان اول عمل قام به لتنفيذ سياسته هذه انه أقال و الى ابيه على المدينه المنوره صالح بن على الذى كان آل ابى طالب هناك ينقمون عليه لسوء معاملته لهم.

و استعمل عليها على بن الحسن بن اسماعيل بن العباس بن محمد.

و ذكر عن على هذا انه قال «دخلت على المنتصر اودعه، فقال لى:

يا على انى اوجهك الى لحمى و دمي و مد جلد ساعده: و قال لى:

الى هذا وجهتك، فانظر كيف تكون للقوم و كيف تعاملهم، يعنى آل ابى طالب. فقلت: ارجو ان امثل رأى امير المؤمنين ايده الله فيهم ان شاء الله. فقال: اذا تسعد بذلك عندى(٤).

١- مروج الذهب ٤ / ١٩٩، و الكامل ٧ / ٢٧٤، و وفيات الاعيان ١ / ٣٧٣.

٢- الاعلام ٢ / ٢١٥.

٣- الطبرى ٩ / ٣٨١، و وفيات الاعيان ٢ / ٤٣٥.

٤- مقاتل الطالبين / ٦٢٦.



كما اطلق المنتصر بالله ما كان محبوسا عليهم من الأوقاف، ورد «فدك» الى اولاد الحسن و الحسين(١). و كان الرسول صلى الله عليه و سلم صالح اهل فدك على نصف الارض بتربتها، و كان ذلك النصف خالصا له لأنه لم يوجت عليه المسلمون بخيل و لا ركاب، و كان يصرف ما يأتيه منها فى ابناء السبيل. و لما قبض عليه الصلاه و السلام قالت فاطمه الزهراء لأبى بكر الصديق: ان رسول الله صلى الله عليه و سلم جعل لى فدكا فاعطني اياها، و شهد لها على بن ابي طالب. فسألها ابو بكر شاهدا آخر. فشهدت لها ام أيمن مولاه الرسول صلى الله عليه و سلم، فقال لها: قد علمت يا بنت رسول الله انه لا تجوز الا شهاده رجل و امرأتين، فانصرفت. و لما تولى المأمون الخلفه امر بدفعها الى ولد فاطمه.

فردت الى وراثتها و سلمت الى محمد بن يحيى بن زيد بن على بن الحسين و محمد بن عبد الله بن الحسن. الا ان المتوكل على الله كان قد ردها الى ما كانت عليه قبل المأمون(٢).

لقد لقيت مبادره المنتصر بالله برده فدك الى آل البيت رضى من العلويين و شيعتهم. و قال الشاعر يزيد المهلبى فى ذلك(٣):

و لقد بررت الطالبيه بعد ماذموا زمانا بعدها و زمانا

ورددت الفه هاشم فرأيتهم بعد العداوه بينهم اخوانا

١- الطبرى ٩ / ٢٥٤.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٣٥، و الكامل ٧ / ١١٦.

٣- عن موضوع فدك راجع: فتوح البلدان / ٤٢-٤٣، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٦٩، و الخراج و صناعه الكتابه / ٢٥٩-٢٦٠.

آنست ليلهم و صبرت عليهم حتى نسوا الأحقاد و الاضغانا

لو يعلم الاسلاف كيف بررتهم لرأوك أثقل من بها ميزانا

و لشده بر المنتصر بالله بالعلويين قال عنه صاحب الذهب المسبوك انه كان شيعيا(١). كما مدحه البحترى بقصيده اشاد فيها بسياسته تجاه العلويين. و لعلها القصيده الوحيدة التي قالها في مدحه، لأنه كان قد اتهمه بالمشاركة في اغتيال ابيه، قال فيها يخاطب المنتصر بالله(٢):

رددت المظالم و استرجعت يداك الحقوق لمن قد قهر

و آل ابي طالب بعد ما أذيع بسربهم فابذعر

و نالت ادانيهم جفوكتاد السماء، لها تنفطر

وصلت شوابك ارحامهم و قد أوشك الحبل ان ينبت

فقربت من حظهم ما نأى و صفت من شربهم ما كدر

---

١- مروج الذهب ٤ / ١٣٥ - ١٣٦.

٢- الذهب المسبوك / ٢٢٧.

قرابتكم، اشقاؤكم و اخوتكم دون هذا البشر

و من هم و انتم يدا نصره هو حدا حسام قديم الأثر

بقيت امام الهدى، للهدى تجدد من نهجه ما دثر

و كان من نتيجته محاسنه المنتصر بالله العلويين، انهم اخلدوا الى مسالمة الخلافة العباسيه على عهدہ.

و عند ما ضعفت الخلافة في ايام الفتنة كثرت و ثبات العلويين.

و لكن رغم ضعف الخلفاء كان الجيش الذى يعتمد عليه القواد الحكام من الاتراك قويا و هو تحت قيادتهم، و لذلك كانوا يبادرون الى توجيهه لاختصاع تلك الوثبات و البطش بالقائمين بها. و يمكن القول ان جميع و ثبات العلويين على خلفاء سامرا قد قضى عليها سوى فتنه الحسن بن زيد العلوى التى اندلعت فى ايام المستعين بالله. فقد استمرت الى ما بعد عوده العاصمه الى مدينه السلام ثانيه حتى تم القضاء عليها فى سنه ٢٨٧ هـ على أيدي السامانيين، كما سنرى فى الفصل القادم، بعد ان استمرت سبعا و ثلاثين سنه، بحيث ان ابن خلدون سماها الدوله العلويه.

و بلغ الخليفه المعتر بالله فى سنه ٢٥٢ هـ ان بعض العلويين المقيمين فى بغداد لهم اتصالات بالحسن بن زيد العلوى صاحب طبرستان، و ان احدهم شخص الى ناحيه الكوفه مع عدد من اتباعه.

فأوجس خيفه من انهم يعتزمون الخروج عليه، فكتب الى نائبه فى بغداد محمد بن عبد الله ان يحمل هؤلاء الطالبين الى سامرا،

فحملوا جميعا، و كان فيهم ابو هاشم داود بن القاسم الجعفرى و هو من احفاد جعفر بن ابى طالب، و على بن عبيد الله بن عبد الله من احفاد الحسن بن على بن ابى طالب، و ابو احمد محمد بن جعفر من احفاد الحسن كذلك و هم من رؤساء العلويين. و كان ابو احمد المذكور سبق ان ولاه المعتر بالله ولايه الكوفه بعد ما قضى مزاحم بن خاقان على ثوره الحسين بن محمد العلوى، فاساء ابو احمد فى ادارته و اعتدى على اموال الناس و ضياعهم. فارسل محمد بن عبد الله نائبا عنه الى الكوفه، فاستطاع ان يخذع ابا احمد و يقبض عليه و يحمله مقيدا الى بغداد، فحبسه محمد ثم ما لبث ان اطلقه بكفاله بعض العلويين، و كان مع العلويين الذى حملوا الى سامرا من بغداد عدد من اتباعهم(١).

و يظهر ان المعتر بالله رأى ان يضع بقيه العلويين تحت رقابته فى حاضره الخلافه سامرا، فأمر بحمل العلويين الموجودين فى مصر الى سامرا كذلك. فقدم عيسى الشيبانى من مصر و معه سته و سبعون من سائر ولد ابى طالب من اولاد على و جعفر و عقيل.

و كان هؤلاء قد خرجوا الى مصر خوفا من الفتنه و بسبب الجهد النازل بالحجاز. فلما وصلوا سامرا احسن المعتر بالله معاملتهم و امر بتكفيهم و اطلاقهم(٢).

و يتضح مما يذكره ابو الفرج فى كتابه مقاتل الطالبين ان ايام المعتمد على الله كانت شديده على العلويين، و قد مات عدد منهم فى سجن سامرا فى ايامه. فقد توفى محمد بن الحسين بن محمد ابن الحسن بن على بن ابى طالب و هو محبوس بسجن سامرا.

١- القصيده فى ديوان البحترى ٢ / ٨٤٨ - ٨٥١.

٢- الطبرى ٩ / ٣٦٩ - ٣٧١، و الكامل ٧ / ١٧٥ - ١٧٦.

و توفي موسى بن موسى بن محمد بن الحسن بن علي بن ابي طالب، و كان ممن حمل من مصر في ايام المعتز بالله و سجن.  
كما توفي محمد بن احمد بن عيسى بن الحسين بن علي بن ابي طالب، و كان قد حمله سعيد الحاجب مع ابنه احمد و علي،  
فتوفي محمد و ابنه احمد في الحبس ايضا (١)(٢).

---

١- مروج الذهب /٤ /٧٧٧.

٢- مقاتل الطالبين / ٦٨٨ - ٦٨٩.



## الفصل الثانى خروج العلويين فى عهد خلفاء سامرا

### ١- خروج محمد بن القاسم العلوى:

كان محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب(١)، و يكنى بابى جعفر، يسكن المدينه المنوره ملازما المسجد النبوى الشريف(٢). وقد عرف بحسن السيره و الزهد، و لقب بالصوفى لأنه ادمن لبس الثياب من الصوف الأبيض(٣). فاتصل به احد الخراسانيين المجاورين واقنعه بحقه فى الامامه و بايعه عليها، و صار يأتيه ببعض حجاج خراسان يباعونه(٤). و لما رأى محمد بن القاسم كثره من بايعه من الخراسانيين سافر الى الطالقان من كور خراسان و اظهر دعوته فيها

- 
- ١- هكذا ورد اسمه فى تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧١، و مروج الذهب ٤ / ٥٢، مقاتل الطالبين / ٥٨٧ و ورد فى الطبرى ٩ / ٧: محمد بن القاسم ابن عمر بن على ... و نقله عنه ابن الاثير- الكامل ٦ / ٤٤٢.
  - ٢- الكامل ٦ / ٤٤٢.
  - ٣- مقاتل الطالبين / ٥٧٨.
  - ٤- الكامل ٦ / ٤٤٢.

فى سنة ٢١٩هـ، فصار اليه كثير من الاتباع و الأنصار فى تلك المناطق.

و يقول المسعودى انه كان بالكوفه و قد عرف بالزهد و التقوى، و لما خاف على نفسه هرب الى خراسان و تنقل بين كورها، و اظهر دعوته هناك(١).

و ذكر ابو الفرج ان ابراهيم بن عبد الله العطار، و هو احد دعاه محمد بن القاسم، قال انه نزل بمرو و معه عدد من الكوفيين من اتباعه، فلما اجتمع امره عين يوما لخروجه على الخلافه، فاجتمع اليه اتباعه فى يوم محدد ليتلقوا امره بالخروج. و يروى ابراهيم المذکور خبرا عن احد الانتهازيين ممن بايعوا محمد بن القاسم لمجرد الانتفاع و الكسب. قال ما خلاصته: بينما نحن عنده نعد للخروج سمعنا صوت استغاثه رجل، فقال لى محمد انظر ما هذا الصراخ، فأتيت الموضوع فرأيت رجلا حائكا قد اخذ رجل ممن بايعنا لبدا و الحائك متعلق به يستغيث. فاستفسرت عن الأمر، فقال الحائك: اخذ صاحبكم هذا لبدى. فقلت للرجل اردد عليه لبدى، فقد سمع ابو جعفر صراخه. فقال لى: انما خرجنا معكم لنكتسب و ننتفع و نأخذ ما نحتاج اليه. فلم ازل ارفق به حتى اخذت منه اللبد و رددته الى صاحبه. و رجعت الى محمد بن القاسم و اخبرته الخبر، فقال: يا ابراهيم أبمثل هذا ينصر الدين؟ ثم قال لنا: فرقوا الناس حتى ارى رأى(٢).

١- مروج الذهب / ٤ / ٥٢.

٢- مقاتل الطالبين / ٥٧٩ - ٥٨٠.



و عند ما شعر امير خراسان عبد الله بن طاهر بخطر دعوه محمد بن القاسم قرر ان يقبض عليه. فجرت بين قواته و اتباع محمد عده وقائع بنواحي الطالقان و جبالها، كان نتيجتها فشل محمد، فانهزم و بعض اتباعه الى احدى القرى فقبض عليه عبد الله بن طاهر و سيره الى سامرا. و لم يجسر ابن طاهر على اشخاصه علنا لكثرة اتباعه و مؤيديه، فكان يخرج بغالا عليها قباب ليوهم الناس انه قد اخرجها، ثم يردها، و قد فعل ذلك عده مرات حتى استطاع ان يبعث به فى احدى الليالى و معه جيش لحمايته، حتى اوصله الى الخليفة ببغداد(١). فأمر المعتصم بالله بحبسه ريثما ينظر فى امره(٢).

و كان المعتصم بالله امر ببناء حبس فى بستان موسى و كان القيم به مسرور مولى الرشيد، و هو نموذج للحبوس فى ذلك العهد، و قد وصف بانه كالبئر العميقه حفرت الى الماء، ثم بنى فيها بناء على هيئة المناره مجوف من باطنه و مدرج. و قد حفر فى مواضع من التدرج مستراحات، و بنى فى كل مستراح ما يشبه الغرفه، يجلس فيها رجل واحد كأنها على مقدارها بحيث لا يستطيع ان يمد رجله. فلما قبض على محمد بن القاسم حبس فى اسفل ذلك الحبس. فاصابه من الجهد لضيقه، و من البرد امر عظيم. فكاد ان يتلف من ساعته، فقال: ان كان امير المؤمنين يريد قتلى فالساعه اموت، و الا فقد اصبحت على وشك منه.

---

١- مقاتل الطالبيين / ٥٨٤.

٢- الطبرى ٨ / ٩.

فلما بلغ المعتصم بالله قوله، قال: ما اريد قتله، و امر باخراجه و حبسه فى بيت كان قد بنى فى البستان(١).

و قد استطاع محمد بن القاسم ان يهرب من سجنه بمساعدة بعض اتباعه. و هناك عدة روايات عن كيفية هروبه.

يقول الطبرى: و لما كانت ليله الفطر و اشتغل الناس بالعيد و التهنته، احتال للخروج من الحبس بالليل. و انه دلى اليه جبل من كوه كانت فى اعلى البيت الذى حبس فيه يدخل منها الضوء. فلما اصبحوا اتوه بالطعام فافتقدوه، و جعلوا لمن دل عليه مائه الف درهم، الا- انه لم يعرف له خبر(٢). و جاء فى مقاتل الطالبين انه هو الذى صنع الجبل من لبد كان تحته فى السجن و ربطه فى الكوه و تدلى الى الخارج و هرب(٣). اما المسعودى فيقول ان جماعه من شيعته من الطالقان اتو ذلك البستان، فتأتوا للخدمه فيه من غرس و زراعه و اتخذوا سلالم من الحبال و اللبود و نقبوا الازج و اخرجوه، فذهبوا به، و لم يعرف له خبر(٤).

و وردت عن نهايه محمد بن القاسم روايات متعدده ايضا.

فان المسعودى يقول ان هناك من يقول انه قتل بالسم، و ان كثيرا من اتباعه يزعمون انه مهدى هذه الأمه. و هو يرى أن قولهم هذا

- 
- ١- التفصيلات فى الفرج بعد الشده ١٧٥ / ٢ - ١٧٩ و يبين كيفية هروبه. و فى مروج الذهب ان المعتصم بالله حبسه فى ازج اتخذ فى بستان- ٥٢ / ٤.
  - ٢- الطبرى ٧ / ٩ - ٨.
  - ٣- مروج الذهب ٥٥ / ٤.
  - ٤- مقاتل الطالبين / ٥٨٦.

فى محمد بن القاسم يشبه قول الكيسانى فى محمد بن الحنفىة (١). و جاء فى مقاتل الطالبين انه رجع الى الطالقان، و قيل انه انحدر الى واسط و اختفى طيله ايام المعتصم بالله و الواثق بالله، ثم اخذ فى ايام المتوكل على الله فحبس و مات فى حبسه (٢). و من المرجح ان نهايه محمد بن القاسم كانت القتل، لأن خروجه على الخليفه العباسى بدعوه الامامه العلويه مما يهدد خلافته. اما الادعاء باختفائه فانه يلائم السلطه لتخلص من تهمة قتله، كما انه يلائم اتباعه الذين يرون فيه المهدي المنتظر الذى سيتمثل بمن سيخرج على الدوله من العلويين.

## ٢- خروج محمد بن صالح:

رغم سياسه الشده التى اتبعها المتوكل على الله مع العلويين فقد حاول بعضهم الخروج عليه. فقد خرج فى الحجاز فى ايامه ابو عبد الله محمد بن صالح بن عبد الله من احفاد الحسن بن على ابن ابى طالب. و كان خروجه فى موسم الحج فى سنة ٢٤٢ هـ.

و كان القائد ابو الساج قد عينه المتوكل على الله فى سنة ٢٤٢ هـ و اليا على طريق مكه و احداث الموسم (٣). فخاف موسى بن عبد الله، و هو عم محمد بن صالح، على نفسه و اولاده و اهله فضمن لأبى الساج تسليمه. و استطاع موسى ان يقنع ابن اخيه بالتسليم، فخرج محمد الى ابى الساج فقيده و حمله الى سامرا مع جماعه من اهله. فأمر المتوكل على الله بسجنه فيها. الا ان الفتح

١- نفس المصدر / ٥٢-٥٣.

٢- مقاتل الطالبين / ٥٨٧.

٣- الطبرى ٩ / ٢١٠.

ابن خاقان تكفل بأمره فوافق المتوكل على الله اطلاقه على ان يجعله الفتح تحت رقابته. و ان يكون مقامه بسامرا و لا يخرج الى الى الحجاز. فلم يزل بسامرا حتى مات بالجدرى فى ايام المنتصر بالله. و كان يجهد فى ان يؤذن له بالرجوع الى الحجاز، فلا يجاب الى ذلك.

و يعتبر محمد بن صالح من شعراء آل ابى طالب المتقدمين.

و قد عدّه ابو الفرج الاصبهاني من شعراء الحجاز الظرفاء، و افرد له فصلا فى كتابه باعتبار ان له شعرا يغنى به (١). و قد قال محمد بن صالح فى عبيد الله بن يحيى بن خاقان. وزير المتوكل على الله، هجاء كثيرا، لأنه كان لشده انحرافه عن الطالبين يغرى المتوكل على الله به و يحذره من اطلاقه. و قد هجاه فى قصيده مدح بها صديقه ابراهيم بن المدبر، جاء فيها (٢):

و ما فى آل خاقان اعتصام اذا ما عمم الخطب الكبير

لثام الناس اثناء و فقرا و اعجزهم اذا حمى القتير

و قوم لا يزد حبههم كريم و لا تسنى لنسوتهم مهور

و كان محمد بن صالح حلو اللسان، ظريفا، ادبيا، و كان فى سامرا يخالط سراة الناس و وجوه البلد، و لم يكن يفارق

١- الاغانى ١٦ / ٣٦٠ - ٣٧٢.

٢- كامل القصيده فى الاغانى ١٦ / ٣٦٧ - ٣٦٨، و عن خروجه راجع مقاتل الطالبين / ٦٠٠ ج ٦١٣.

سعيد بن حميد، و هو من كبار كتاب الدوله. بحيث لما توفي محمد رثاه سعيد بقصيده منها(١):

لعمري لقد غال التجلد أنافقدناك فقد الغيث و العام جادب

فما اعرف الايام الا ذميمهو لا الدهر الا و هو بالثار طالب

فقدت فتى قد كان للارض زينهكما زينت وجه السماء الكواكب

سقى جدثا امسى الكريم ابن صالح يحل به، و ان من المزن ساكب

اذا بشر الرواد بالغيث برقه مرته الصبا و استحلته الحجاب

فغادر باقى الدهر تأثير صوبه ربيعا زهت منه الربا و المذائب

### ٣- خروج يحيى بن عمر:

خرج فى سنه ٢٥٠ هـ على عهد المستعين بالله احد الطالبين هو يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب المكنى بابى الحسين، بالكوفه و بها كان مقتله. و قد سبق ان شرنا الى محاولته الوثوب فى عهد المتوكل على الله و فشله فى

ذلك. فقد سافر بعد اطلاقه من السجن الى خراسان، الا ان اميرها عبد الله بن طاهر رده الى سامرا خوفا من ان يتجمع حوله اولياؤه و مؤيدوه. فنالته ضائقه ماليه شديده و تراكت عليه ديون ضاق بها ذرعا. فلقى عمر بن فرج الرخجى، و كان يتولى امور الطالبين، و كلمه فى صلته، فاغظ له عمر القول فقذفه يحيى فى مجلسه. و لما شكاه الرخجى الى المتوكل على الله امره بضربه و حبسه، و لم يزل محبوسا حتى كفله بعض اهله فاطلق سراحه.

فشخص الى بغداد فاقام بها بحال سيئه، فعاد الى سامرا و كلم وصيف القائد ان يخصص له رزق يجرى له، فجاببه وصيف و قال «لأى شىء يجرى على مثلك» (١) متجاهلا مكانته، فانصرف حانقا غاضبا.

كان يحيى بن عمر دينا عفيفا كثير العطف و المعروف على عوام الناس، بارا بحوائجهم لم تظهر له زله (٢). و فارسا شجاعا شديد البدن مجتمع القلب (٣). و يظهر ان ما قاساه من ضيق مالى، و ما لقيه من معامله سيئه من رجال الخليفه، دفعه الى شق عصا الطاعه و الخروج. يقول المسعودى «و كان ظهوره لذل نزل به، و جفوه لحقته، و محنه نالته، من المتوكل و غيره من الأتراك» (٤).

فتوجه الى الكوفه و اظهر امره، فاجتمعت اليه الزيديه و كثير من اهل الكوفه و الاعراب النازلين حولها، فبايعوه، فقوى امره بهم.

فطرد عامل الكوفه، و صار الى بيت مالها فاخذ ما فيه و مقداره

١- الطبرى ٩ / ٢٦٦.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٤٩.

٣- مقاتل الطالبين / ٦٣٩.

٤- مروج الذهب ٤ / ١٤٨.

الفا دينار و زياده شى ء، و من الورق سبعون الف درهم(١). و وجه الى قوم من الصيارفه عندهم مال للسلطان فاخذهم منهم(٢). و فتح السجون و اخرج جميع من كان فيها.

و لما بلغ خبره محمد بن عبد الله أمير بغداد أمر عبد الله بن محمود السرخسى عامله على معاون السواد بمحاربه يحيى. فلما لقيه جرح السرخسى و انهزم مع اصحابه. و استولى يحيى على ما كان معه من المال و الدواب. فوجه محمد بن عبد الله لمحاربه القائد الحسين بن اسماعيل و معه عدد من القواد. فقدم الحسين الى شاهی، و هو موضع غير بعيد من الكوفه، و اقام ينتظر تحرك يحيى و اتباعه.

و اخذ يحيى بن عمر يستعد للحرب فجمع ما تيسر له من السيوف لتسليح بعض اتباعه. و نظرا لقله خبرته بشؤون الحرب استجاب الى جماعه من اتباعه الزيديه ممن لا- معرفه لهم باصول الحرب، بمعاجله الحسين. كما الح عليه عوام اتباعه بالخروج اليه. فزحف الى الجيش باتباعه و اكثرهم عزل من السلاح، و التقى الطرفان عند شاهی و اقتتلا قتالا شديدا، فانهم اصحاب يحيى لما رأوا كثافه الجيش و شدة الحرب. اما يحيى فقد صرع فى احدى حملاته على عسكر الحسين، فحز رأسه و ارسل الى بغداد.

فلما رآه اهلها استنكروا ذلك و ضجوا لما كان فى نفوسهم من المحبه له(٣). و جعلوا يصيحون ان يحيى لم يقتل، ميلا منهم اليه، حتى

١- الطبرى ٩ / ٢٦٧.

٢- مقاتل الطالبين / ٦٤٠.

٣- مروج الذهب ٤ / ١٤٨.

حتى ان الغوغاء كانوا يصرخون فى الطرقات: ما قتل و ما فر و لكنه دخل البر(١).

أمر محمد بن عبد الله بحمل رأس يحيى الى المستعين بالله و كتب اليه بالنصر عليه. و نصب الرأس بباب العامه بسامرا، الا ان الناس اجتمعوا متذمرين، فأمر الخليفه برده الى بغداد و ان ينصب بها بباب الجسر. الا ان محمدا لم يقدر على ذلك لكثره من اجتمع من الناس و تذرهم، فخاف ان يأخذه، فجعله فى صندوق فى بيت السلاح فى داره(٢). و جلس محمد بن عبد الله يتقبل التهاني بمقتل يحيى. و كان ممن دخل عليه ابو هاشم داود بن القاسم، و كان ذا علم و ورع و زهد فقال لأبن طاهر: ايها الأمير انك لتهنا بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه و سلم حيا لعزى به. فما رد محمد عليه بشىء، فخرج ابو هاشم و هو يقول(٣):

يا بنى طاهر كلوه و بيان لحم النبى غير مرى

ان و ترا يكون طالبه الله لو تر نجاحه بالحرى

و قد اكثر الشعراء فى رثاء يحيى لما كان عليه من حسن السيره و ما اتصف به من خصال حميده، و عداله و نزاهه. يقول ابو الفرج: «و ما بلغنى ان احدا ممن قتل فى الدوله العباسيه من آل ابى طالب رثى باكثر مما رثى به يحيى، و لا قيل فيه من الشعر باكثر مما قيل فيه»(٤).

١- مقاتل الطالبين ٦٤٤.

٢- الطبرى ٢٧٠ / ٩، و الكامل ١٢٨ / ٧.

٣- الطبرى ٢٧٠ / ٩، و مروج الذهب ١٤٨ / ٤ مع اختلاف يسير.

٤- مقاتل الطالبين / ٦٤٦.



و كان الشاعر ابن الرومى على بن العباس اشهر من رثاه فقد قال فى رثائه قصيده اربت على مائه بيت، منها(١):

ألا أيهذا الناس طال ضريركم(٢)

بآل الرسول فاحشوا او ارتجوا

أكل أوان للنبي محمدقتيل زكى بالدماء مخرج

تبعون فيه الدين شر أئمهفله دين الله قد كاد يمرج(٣)

أيحيى العلا لهفى لذكراك لهفهبياشر مكواها الفؤاد فينضح

أحين تراء تك العيون جلاءها و اقذاءها اضحت مراثيك تنسج(٤)

أرديتم يحيى و لو يطو أيطل طرادا و لم يدبر من الخيل منسج(٥)

تأت لكم فيه منى السوء هينهو ذاك لكم بالغى اغرى و ألهج

تمدون فى طغيانكم و ضلالكم و يستدرج المغرور منكم فيدرج

---

١- القصيده فى مقاتل الطالبيين / ٦٤٦ - ٦٦٢.

٢- ضريركم: ضرركم.

٣- يمرج: يفسد و يضطرب.

٤- تراء تك: نظرتك فكنت جلاء لعيون احبابك و قذى لاعدائك.

٥- الا يطل: الخاصره، و الطراد: حمل الفرسان بعضهم على بعض، و المنسج ما بين العرف و موضع اللبد.

أجنوا بنى العباس من شتآنكم و شدوا على ما فى العياب و اشرجوا(١)

و لم تقنعوا حتى استثارت قبورهم كلابكم منها بهيم و ديزج

و رثاه على بن محمد بن جعفر العلوى الحمانى الشاعر بعدد من القصائد ذكر المسعودى بعضا منها(٢). و كان على هذا نقيب الهاشميين فى الكوفه، و قد تخلف عن زياره الحسين بن اسماعيل قائد الجيش الذى حارب يحيى بن عمر، فتفقدته الحسين بن اسماعيل قائد الجيش الذى حارب يحيى بن عمر، فتفقدته الحسين و بعث بجماعه فاحضروه. فأنكر الحسين عليه تخلفه عن سلامه، فاجابه على بقوله(٣):

قتلت أعز من ركب المطاياو جئتك استلينك فى الكلام

و عز على ان القاك الاو فيما بيننا حد الحسام

و لكن الجناح اذا أهيضت قواده يرف على الأكام

كما رثاه احمد بن طاهر الشاعر بقصيده طويله ذكر المسعودى عددا من ابياتها منها(٤):

١- أجنوا: استروا، الشآن: البغض، العياب: جمع عيبه و هى ما يجعل فيها المتاع، و الاشرج شد الخريطه.

٢- مروج الذهب /٤ /١٤٨ - ١٥١.

٣- نفس المصدر / ١٥١.

٤- نفس المصدر / ١٤٨ - ١٤٩.

سلام على الاسلام فهو مودع اذا ما مضى آل النبي فودعوا  
فقدنا العلى و المجد عند افتقادهم و اوضحت عروش المكرمات تضعضع

بنو طاهر و اللؤم منكم سجيها للغدر منكم حاسر و مقنع  
قواطعكم فى الترك غير قواطع و لكنها فى آل احمد تقطع  
لكم مرتع فى دار آل محمد و داركم للترك و الجيش مرتع  
أخلمت بأن الله يرعى حقوقكم و حق رسول الله فىكم مضيع

#### ٤- خروج الحسن بن زيد الطالبى:

لعل اخطر الوثبات العلويه و ابعدها اثرا من حيث طول مدتها وسعه رقعتها هى التى قام بها الحسن بن زيد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن ابى طالب المعروف بالحسن العلوى او الطالبى، فى رمضان سنة ٢٥٠ هـ على عهد الخليفة المستعين بالله (١). و كان سبب خروجه ان الخليفة كافأ امير بغداد

---

١- النسب، و انه من نسل الحسين بن ابى طالب لا الحسن كما فى الطبرى ٩ / ٢٧١، و الكامل ٧ / ١٣٠ و فيه بعض الخلاف فى سلسله الطبرى.

محمد بن عبد الله لما قضى على حركة يحيى بن عمر، فاقطعه بعض القطائع من اراضى الدوله بطبرستان و منها قطيعه على حدود الديلم. فوجه محمد بن عبد الله جابر بن هارون و هو اخو كاتبه بشر بن هارون النصرانى، لحيازه ما اقطع هناك من الأراضى.

و كان عامل طبرستان حينذاك سليمان بن عبد الله خليفه اخيه محمد بن عبد الله، و الغالب على سليمان محمد بن اوس البلخى الذى فرق اولاده حكاما على مدن طبرستان. و هم احداث سفهاء تأذى الناس بهم و استنكروا منهم و من ايهم سيرتهم و سوء تصرفاتهم. و قد اثار محمد بن اوس الديلم باجتياحه ما قرب من بلادهم من حدود طبرستان فقتل و سبى منهم عددا كبيرا، و هم اهل سلم و موادعه لأهل طبرستان، مما جعل الطبريه ينقمون عليه و على اولاده و يتحينون الفرصه للوثوب بهم. فلما وصل رسول محمد ابن عبد الله الى طبرستان عمد الى ما اقطع محمد من الاراضى فحازه و حاز معه ما اتصل به من موات الارض التى كان اهل تلك الناحيه يرتفقون بها، فترعى فيها مواشيهم و منها يحتطبون، فأثار بعمله هذا حفيظتهم. و كان فى تلك المنطقه اخوان معروفان بالشجاعه و البأس يقال لاحدهما محمد و للآخر جعفر، فانكرا ما فعل جابر بن هارون من حيازه الارض الموات. و كان الاخوان مطاعين فاستنهضا اتباعهما لمنع جابر من ذلك. فنهضوا معهما، فهرب جابر خوفا على نفسه، و لحق بسليمان بن عبد الله. فأيقن الأخوان و اتباعهما بالشر لأن سليمان عامل طبرستان هو اخو محمد بن عبد الله و عم محمد بن طاهر بن عبد الله عامل الخليفه على خراسان و جميع اقاليم المشرق. فاتصلوا بجيرانهم من الديلم و تعاقدوا على معاونه بعضهم بعضا فى مجابهه سليمان اذا قصدهم بحرب.

و لكي يعزز هؤلاء مركزهم ارسلوا الى رجل من الطالبين المقيمين بطبرستان يقال له محمد بن ابراهيم يدعونه الى البيعه له ليتولى رئاستهم و قيادتهم فأبى ذلك و امتنع عليهم. الا- انه دلهم على طالبى آخر و قال لهم انه يصلح للرئاسه. و كان ذلك الطالبى هو الحسن بن زيد. فوجهوا الى الرى من يدعوه الى الشخصوص الى طبرستان فوافاهم الحسن بن زيد، و اجمعوا على مبايعته و قتال سليمان بن عبد الله، و بايعه معهم رؤساء الديلم.

و كان اول اعمال الحسن بن زيد انه طرد عمال ابن اوس و اولاده من تلك المناطق. فانضم اليه كثيرون من اهل جبال طبرستان و سفوحها، فزحف باتباعه نحو مدينه آمل، و هى حاضره طبرستان، فاقبل ابن اوس يريد دفعه عنها الا انه هزم و دخل الحسن و اتباعه المدينه. و باحراز الحسن هذا النصر كثف جيشه و غلظ امره. و انضم اليه كل طالب نهب و مرید فتنه من الصعاليك و الحوزيه و غيرهم(١). و جى الحسن الخراج من اهل المدينه، و نظم اتباعه، و سار نحو مدينه ساريه لمحاربه سليمان بن عبد الله و اخراجه منها. فنشب القتال بين الطرفين، و استطاع الحسن ان يهزم جيش سليمان و يدخل المدينه. فهرب سليمان الى جرجان تاركاً اهله و عياله و امواله بمدينه صاريه. فاستولى الحسن و اتباعه على الاموال، اما الحرم و الاولاد فقد سيرهم الحسن الى سليمان بجرجان. و يقول ابن الأثير «يقال ان سليمان انهزم اختياراً لأن الطاهريين كلهم كانوا يتشيعون لآل ابي طالب، فتأثم سليمان من قتال الحسن بن زيد»(٢). فأجتمع للحسن بن زيد بهزيمة سليمان امره طبرستان كلها. و قد شجعه ذلك على ان يوجه

١- الطبرى ٩ / ٢٧٤.

٢- الكامل ٧ / ١٣٢.

حملة الى مدينة الرى فطردت عاملها و استولت عليها فأستخلف الحسن احد الطالبين عليها، يقال له محمد بن جعفر. و بذلك اجتمعت للحسن بن زيد مع طبرستان الرى الى حد همذان.

و لما بلغ خبر استفحال امر الحسن بن زيد الخليفة المستعين بالله ارسل القائد اسماعيل بن فراشه على رأس جيش الى همذان و امره بالقيام بها و الدفاع عنها، اما ما وراء ذلك فقد ترك امر الدفاع عنه لمحمد بن طاهر و عماله(١). و كان محمد بن طاهر قد اغتتم فرصه و ثوب اهل الرى بمحمد بن جعفر الطالبى لسوء سيرته فيهم، فوجه اليها جيشا يقوده محمد بن ميكال فأستطاع ان يأسر الطالبى و يهزم اتباعه و يسترجع المدينة. و حمل محمد بن جعفر الى نيسابور فسجنه محمد بن عبد الله بن طاهر فمات فى محبسه(٢). الا ان الحسن بن زيد جرد حملة اخرى على رأسها احد قواده المسمى و اجن، فهاجم ابن ميكال الذى قتل فى المعركة فصارت الرى ثانياه الى الحسن بن زيد.

و قد استطاع سليمان بن عبد الله ان يجمع جيشا كثيفا فى جرجان، و هاجم فى سنة ٢٥١ ه طبرستان و اضطر الحسن بن زيد على ان يتنحى عنها و يلحق بالديلم. فدخل سليمان الرى و استرجع كذلك مدينتى ساربه و آمل. و كتب الى ابن اخيه محمد بن طاهر بدخوله طبرستان و هزيمه الحسن بن زيد و استرجاع ساربه و آمل، فابلق ابن طاهر الخليفة المستعين بالله بذلك، فقرىء كتابه ببغداد(٣). و لكن الحسن بن زيد ما لبث بعد مده ان لم شمل

١- الطبرى ٩ / ٢٧٥.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٥٣.

٣- الطبرى ٩ / ٣٠٧.

اتباعه و هاجم مدينه الرى مجددا و استولى عليها فى رمضان سنه ٢٥٦ هـ، فوجه اليه الخليفه المعتمد على الله كبير قواده موسى ابن بغا، فخرج بجيشه فى شوال و شيعه الخليفه بنفسه»(١).

الا- ان الحسن بن زيد قصد فى السنه التاليه مدينه جرجان و كان محمد بن عبد الله قد جهز جيشا و بعث به لحمايتها، فظفر الحسن بهذا الجيش و غنم ما كان معه من اموال و دواب و استولى على المدينه(٢). كما استطاع بعد ذلك بسنتين اى فى سنه ٢٥٩ هـ ان يتغلب على عامل مدينه قومن و يستولى عليها(٣).

على انه واجه فى السنه التاليه خطر اماره بنى الصفار التى اخذت بالتوسع فى الأقاليم الشرقيه للدوله العربيه. فقد هاجمه يعقوب بن الليث و هزمه و دخل طبرستان. و كان سبب هجومه انه كان قد استرد سجستان من عامله عبد الله السجزي الذى كان خرج عليه، فهرب و لحق بالحسن بن زيد فى طبرستان. فبعث يعقوب الى الحسن يطلب اليه ان يسلمه السجزي، الا- ان الحسن ابنى تسليمه فاذنه ابن الليث بالحرب. و عند ما التقى جيشاهما انهزم الحسن بن زيد و فر الى ارض الديلم و دخل ابن الليث مدينه ساريه ثم مدينه آمل. و حاول ان يتعقب الحسن، الا ان و عوره الطريق حالت دون ذلك.

و استفاد الحسن بن زيد فى السنه التاليه من غضب الخليفه المعتمد على الله على يعقوب بن الليث الصفار، و كان قد امر

١- الطبرى ٩/ ٤٧٤، و الكامل ٧/ ٢٤٠.

٢- الكامل ٧/ ٢٤٨.

٣- الطبرى ٩/ ٥٠٦، و الكامل ٧/ ٢٦٦.

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بأن يجمع من ببغداد من حجاج خراسان و الرى و طبرستان و جرجان و يقرأ عليهم كتابا يعلمهم فيه ان الخليفه لم يول ابن الليث ولايه خراسان، و ينكر عليه دخولها و اسره اميرها محمد بن عبد الله بن طاهر، و يأمرهم بالبراءه منه. فاغتنم الحسن الفرصه و هاجم طبرستان باتباعه من الديلم و استعدادها، و عاقب الذين ايدوا ابن الليث عليه(١).

و ما لبث الحسن بن زيد بعد ذلك بضع سنوات حتى توفى فى طبرستان فى رجب سنه ٢٧٠ هـ، بعد ان استمر خروجه قرابه عشرين عاما، و تولى مكانه اخوه محمد بن زيد(٢). و كان الحسن زاهدا متواضعا، عالما بالفقه و العربيه، جوادا. مدحه احد الشعراء، فقال(٣):

لا تقل بشرى و لكن بشريان عزه الداعى و يوم المهرجان

فقال له الحسن: كان الواجب الا تفتح الأبيات بلفظ (لا) لأن الشاعر المجيد يتخير لأول قصيدته ما يعجب السامع و يتبرك به، و لو ابتدأت بالشطر الثانى لكان أحسن. فقال الشاعر: ليس فى الدنيا كلمه اجل من قوله لا اله الا الله، و اولها (لا)، فقال له: اصبت، و اجازه.

و حكى عنه ان مغنيا غنى امامه قصيده الفضل بن العباس فى عتبه بن ابي لهب التى اولها:

١- الطبرى ٥١٢ / ٩، و الكامل ٢٨٨ / ٧.

٢- الكامل ١٠٧ / ٧، و الطبرى ٦٦٦ / ٩ و فيه انه مات فى رجب او فى شعبان.

٣- الكامل ٤٠٨ / ٧.



و انا الآخر من يعرفنى اخضر الجلوده من بيت العرب

فلما وصل الى قوله:

برسول الله و ابني عمه و بعباس بن عبد المطلب

غير الشطر الثاني من البيت و قال: لا بعباس بن عبد المطلب.

فغضب الحسن و قال له: يا ابن اللخناء تهجو ابن عمنا بين يدي، و تحرف ما مدح به؟ لئن فعلتها ثانيه لأجعلنها آخر غنائك (١).

و يظهر ان محمد بن زيد لم يكن كأخيه الحسن درايه و كفايه، اذ هاجمه القائد التركي اذكوتكين فى منتصف جمادى الاولى من سنه ٢٧٠ هـ باربعه الاف فارس، فلاقاه بمن معه من الديلم و الطبريه و الخراسانيه، و اقتتلوا قتالا شديدا. و رغم كثافه جيش ابن زيد فقد هزم و تفرق اتباعه بعد ان قتل منهم ستة الاف و اسر الفان، و غنم جيش اذكوتكين من ائقالهم و دوابهم شيئا كثيرا، و دخل بجيشه الرى (٢).

و فى سنه ٢٧٥ هـ سار رافع بن هرثمه الى جرجان و ازال عنها محمد بن زيد الذى فر الى استراباد. فتعقبه جيش رافع و حاصره فى المدينه نحو سنتين. و قد استطاع محمد ان يفر منها ليلا مع عدد يسير من اتباعه الى مدينه ساريه، فسير اليه رافع جيشا، فأجبره على الالتجاء الى ارض الديلم (٣).

---

١- الكامل ٧ / ٤٠٨.

٢- نفس المصدر / ٤١٨.

٣- نفس المصدر / ٤٣٤.

و لما نشبت الحرب بين عمرو بن الليث الصفار و رافع بن هرثمه. حاول رافع ترضيه محمد بن زيد طمعا بمساعدته على ابن الليث فبعث اليه و صالحه بأن اعاد اليه طبرستان و جرجان.

الا ان محمدا لم يخف الى نجده رافع عند ما احاط به جيش الصفار و اضطره على الهرب. فعرف الصفار لمحمد بن زيد موقفه و خلى عليه طبرستان(١).

و عند ما قامت اماره بنى سامان و دخلت فى حرب طاحنه مع بنى الصفار و بلغ محمد بن زيد ان اسماعيل بن احمد السامانى قد اسر عمرو بن الليث خرج فى جيش كثيف نحو خراسان طامعا بالاستيلاء عليها ظنا منه ان اسماعيل السامانى قد انهكتته الحرب مع بنى الصفار و لا- يطمع فى الوصول اليها. فلما صار الى جرجان كتب اليه اسماعيل يسأله ان يتركها و يعود الى طبرستان، فابى محمد ذلك. فوجه اسماعيل جيشا يقوده محمد بن هارون.

و لما التقى الجيشان على ابواب جرجان اقتتلا قتالا شديدا فاصيب محمد بعده طعنات، و اسر ابنه زيد، و احتوى محمد بن هارون على ما فى عسكره من اموال و متاع. و لبث محمد بعد هذه الوقعه اياما قليله و مات من اثر الطعنات التى اصابته فى الحرب، فدفن عند باب مدينه جرجان. اما ابنه زيد فقد حمل الى اسماعيل السامانى فاكرمه و وسع عليه و انزله بخارى، و كان الجيش السامانى دخل طبرستان(٢).

١- نفس المصدر / ٤٥٨.

٢- الطبرى ١٠ / ٨١، و الكامل ٧ / ٥٠٤.

و بهذا انتهت الاماره التى اقامها الحسن بن زيد الطالبى و قد سماها ابن خلدون «الدوله العلويه»<sup>(١)</sup>. الا انه فى الواقع لم يؤسس دوله بالمعنى المعروف، لأنه اقرب الى الثائر المتغلب منه الى الامير المستقر. و قد مر بنا كيف انه كان يستولى على المدن و يتنحى عنها. و قد تكرر ذلك عدده مرات. و قضى حياته فى كر وفر. و من الطبيعى ان مثل هذا الأضطراب لا يساعد على قيام دوله. و قد انتهج محمد اخو الحسن نفس نهجه فى الاستيلاء على المدن و التنحى عنها حتى قتل بعد ثمانى عشره سنه من توليه الأمر على ايدى السامانيين كما ذكرنا.

#### ٥- خروج اسماعيل بن يوسف الطالبى:

اشرنا الى ان من اسباب تدمير الطالبيين و وثوب بعضهم بين آن و آخر ما كانوا يلقونه من سوء المعامله من رجال السلطه. و هذا طالبى يسكن المدينه المنوره، خرج فيها فى سنه ٢٥١ اثر خلاف بينه و بين الوالى فيها حول وقف كان له، فتحامل عليه الوالى و اغلظ له الكلام مما اثار غضبه، فاعلن العصيان. و جمع حوله لفيفا من الاعراب المتعطشين للسلب و النهب، و هاجم بهم ناحيه الروحاء و استولى على اموال كانت تحمل الى المدينه من بعض الجهات. ثم انصرف الى مكه و كان العامل عليها جعفر بن الفضل ابن عيسى بن موسى بشاشات، فقاومه و حاول منعه من دخولها.

الا ان اسماعيل استطاع باتباعه ان يهزم الوالى و حاميته. و انتهب منزله

و منازل اصحابه(١). و لما حاول اهل مكه مساعده الوالى و خرجوا لمقاتله اسماعيل و اتباعه، وضع هؤلاء السيوف فيهم و قتلوا جماعه منهم فتهاربوا امامهم. فدخل اسماعيل و اتباعه مكه و استولى على ما كان حمل من المال لاصلاح بئر زمزم، و اخذ كسوه الكعبه و ما وجده فى خزائنها من الذهب و الفضة، و بقى فيها خمسين يوما عاث فيها و اتباعه قتلا و نهبا و حرقا، و استولى على نحو من مائتى الف دينار.

ثم عاد اسماعيل باتباعه الى المدينه المنوره فهرب عاملها على ابن الحسين بن اسماعيل لضعف حاميته، فدخلوها، ثم رجعوا الى مكه و حاصروا اهلها الذين لقوا منهم البلاء، و مات كثير من اهلها جوعا و عطشا. و لما لم يجدوا فى مكه ما يشبع نهمهم من الاموال هاجموا جده و استولوا على ما فيها من مؤونه و اخذوا اموال التجار و ما وجدوه من متاع فى المراكب.

و لما وافى اسماعيل مكه للمره الثالثه كان موسم الحج قد حل، فصار الى عرفه. فقابله جيش كان قد وجهه الخليفه المعتر بالله لقتاله عليه محمد بن احمد بن عيسى الملقب بكعب البقر و معه عيسى بن محمد المخزومى صاحب جيش مكه. فقاتلهم اسماعيل و قتل ما يزيد على الف من الحجاج الواقفين بعرفه، فهرب الباقيون الى مكه دون ان يقفوا بعرفات ليلا و لا نهارا(٢). و قد توفى

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩٨.

٢- الطبرى ٩ / ٣٤٦-٣٤٧، و الكامل ٧ / ١٦٥-١٦٦ و فيهما كان خروجه بمكه اولاً.

اسماعيل بن يوسف فى سنة ٢٥٢ هـ (١). فخلفه اخوه محمد بن يوسف و كان اسن منه بعشرين سنة فنال الناس بسببه جهدا شديدا، حتى تمكن منه القائد ابو الساج الاشروسنى الذى بعث به المعتر بالله، فهرب محمد بعد ان قتل اكثر اصحابه (٢).

ان خروج اسماعيل بن يوسف و اخيه من بعده لم يكن ثوره منظمه تستهدف الحكم القائم، و انما هو مجرد عصيان و ما يتبعه من سلب و نهب اموال الدوله و الناس لمجرد الانتقام و الكسب.

و لذا فانهما لم يلقيا من الناس اى عطف او مساعده، بل انهم على العكس قاوموهما و ساعدا السلطه ضدهما. و لا يعتبره ابو الفرج من الثوار العلويين و انما اعتبره عابثا مفسدا تبعه امثاله، فعرضوا للحجاج و قطعوا الميره عن بيت الله الحرام (٣).

### ٦- خروج الحسين بن محمد العلوى:

لم يكن يقضى على فتنه يحيى بن عمر الطالبى الذى خرج مع من بايعه من الزيديه فى الكوفه، حتى وثب طالبى آخر فى نفس المدينه، هو الحسين بن محمد بن حمزه بن عبد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب، و يكنى ابا احمد (٤).

و يلاحظ ان المسعودى و ابن الأثير يحذفان من سلسله نسبه اسم

١- الطبرى ٣٢٧ / ٩، الكامل ١٧٧ / ٧.

٢- مروج الذهب ١٧٦ / ٤ - ١٧٧.

٣- مقاتل الطالبين / ٦٦٩.

٤- هكذا ورد اسمه فى الطبرى ٣٢٨ / ٩، و مقاتل الطالبين / ٦٦٥، و الكامل ١٦٤ / ٧، و مروج الذهب ١٥٤ / ٤.

«الحسين بن علي» المكرر. و نميل الى صحه ما جاء في الطبرى و مقاتل الطالبين لأن بقيه الطالبين الذين خرجوا فى السنيتين ٢٥٠ هـ و ٢٥١ هـ جاء نسبهم بثمانيه اجيال كالحسن بن زيد و يحيى ابن عمر. و يلقب ابو الفرج الحسين بن محمد العلوى بالحرون(١).

خرج الحسين العلوى فى سنه ٢٥١ هـ على عهد المستعين بالله بسواد الكوفه فى اتباعه من الزيديه و من بنى اسد، و هم بضع مئات. و كان عامل الكوفه احمد بن نصر بن مالك الخزاعى، فقتل العلوى بعض رجاله مما اضطره على الهرب منها فاستولى عليها اتباع العلوى. فأمر الخليفه و كان حينذاك فى بغداد، محمد بن عبد الله ان يبادر الى اخماد الفتنه الجديده. فوجه ابن طاهر احد كبار القواد الا-تراك الذين صحبوا الخليفه عند انتقاله الى بغداد، و هو مزاحم بن خاقان، فى جيش كبير. فلما وصل الجيش مدينه الكوفه هرب منها الحسين لتخلى اصحابه عنه(٢).

لأنهم ادركوا ان لا- قبل لهم بمواجهه جيش كثيف. الا- ان ابن خاقان دخل المدينه فقابله اهله بالحجاره فامر بضرب المدينه بالنار، فأحرق فيما يقال الف دار و ثمانيه اسواق، و قبض على جميع من وجدته من العلويين فى الكوفه و اودعهم السجن. و اخذ للحسين العلوى جوار و فيهن امرأه حره، فنادى عليها لبيعها بباب المسجد(٣).

١- مقاتل الطالبين / ٦٦٥.

٢- الطبرى ٩ / ٣٢٩، و مروج الذهب ٤ / ١٠٤.

٣- الطبرى ٩ / ٣٢٩.

و يظهر ان الحسين العلوى كان قد ظهر بناحية نينوى و اجتمع اليه جماعه من الأعراب، فلقبه القائد هاشم بن ابي دلف و قتل جماعه من اصحابه، فهرب الى الكوفه و اعلن الخروج ثانيه(١).

و يذكر ابو الفرج عن نهايه الحسين انه عند ما قارب جيش ابن خاقان مدينه الكوفه هرب و خالف طريق الجيش و صار الى سامرا و بايع للمعتز بالله الذى كان قد بايعه القواد الاتراك فيها بعد التجاء الخليفه المستعين بالله الى بغداد، الا انه ما لبث بعد مده ان هم بالوثوب ثانيه فقبض عليه و سجن، و بقى سجيناً حتى سنه ثمان و ستين و مائتين فاطلق المعتمد على الله سراحه، و لكنه خرج للمره الثالثه بسواد الكوفه فقبض عليه و امر الخليفه بحبسه فى مدينه واسط. و انه لبث فى الحبس الى ان مات فى سنه ٢٧١هـ (٢).

### ٧- ظهور الكوكبي الطالبى:

يشير كل من الطبرى و ابن الأثير الى ظهور احد العلويين المعروف بالكوكبي الطالبى فى سنه ٢٥٣ هـ بقزوين. و قد التقى به و باتباعه جيش القائد موسى بن بغا فهزمه بخدعه حربيه، فهرب على أثرها الكوكبي و لحق بالديلم. و كان سبب الهزيمة ان اصحاب الكوكبي لما التقوا بجيش موسى جعلوا تروسهم فى وجوههم يتقون بها السهام، و لما رأى موسى ان سهام اصحابه لا تصيب منهم مقتلاً امر بما معه من النفط ان يصب فى ساحه المعركه. ثم امر اصحابه بالاستطراد لاتباع الكوكبي ففعلوا ذلك.

١- الطبرى ٩ / ٣٢٩، و الكامل ٧ / ١٦٧.

٢- مقاتل الطالبين / ٦٦٥.

فظن الكوكبي ان اصحاب موسى قد انهزموا فامر اتباعه فتبعوهم فلما توسطوا النفط امر موسى بالنار فالقيت فيه، فالتهب النفط من تحت اقدام اصحاب الكوكبي و جعل يحرقهم، فانهمزوا، فدخل جيش موسى قزوين(١).

و يلاحظ ان كلا- من الطبرى و ابن الأثير لم يذكر اسم الكوكبي الطالبى و نسبه حسب العاده، بل اكتفى بلقبه فقط. الا ان ابن الأثير سبق ان اشار فى حوادث سنه ٢٥١ هـ الى ظهور احد الطالبين بناحية قزوين و اسمه الحسين بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الأرقط بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب، المعروف بالكركى، و طرد عمال بن طاهر منها(٢). كما ان المسعودى يذكر انه ظهر فى السنه المشار اليها آنفا بقزوين «الكركى» الحسين بن احمد بن اسماعيل .. و هو من ولد الأرقط، فحاربه موسى بن بغا، و صار الكركى الى الديلم(٣). و لعدم اشاره الطبرى الى ظهور من سماه المسعودى و ابن الأثير بالكركى، يمكن القول انه هو الذى خرج فى سنه ٢٥٣ هـ باسم الكوكبي العلوى، فقاتله موسى بن بغا و هزمه، كما اشرنا. و ان احد اللقبين تصحيف للآخر، فقد يكون لقبه الصحيح الكوكبي فصحف الى الكركى، او بالعكس، و ذلك ما جعل ابن اثير يعتبرهما شخصين. و مما يؤيد ما ذهبنا اليه ان اليعقوبى يسميه الكوكبي الارقط(٤).

١- الطبرى ٩ / ٣٧٨، و الكامل ٧ / ١٨٤.

٢- الكامل ٧ / ١٦٥.

٣- مروج الذهب ٤ / ١٥٤، و اسمه فيه الحسن بن احمد.

٤- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٥٠١.



## ٨- خروج علي بن زيد العلوي:

يظهر مما جاء في الطبري و مروج الذهب و الكامل ان علي ابن زيد الحسنى حاول فى اواخر خلافه المعتز بالله الخروج بمعاونه طالبى آخر هو عيسى بن جعفر العلوى فخرجا فى سنه ٢٥٥ هـ و قتلا عاملها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى فوجه الخليفه اليهما القائد سعيد بن صالح المعروف بسعيد الحاجب فى جيش كبير، فانهزم العلويان لتفرق اصحابهما عنهما(١). و بعد فشلهما انفرد علي بن زيد بالخروج فى السنه التاليه، فى اواخر خلافه المهتدى بالله. فظهر فى الكوفه ايضا و استطاع ان يطرد و اليها عنها و ان يستولى عليها. فتوجه اليه القائد الشاه بن ميكال على رأس جيش كثيف، الا ان علي بن زيد استطاع ان يهزمه و يقتل كثيرا من افراده(٢). مما قوى مركزه فى الكوفه و ما حولها.

و عند ما تولى المعتمد على الله الخلافه ارسل القائد كنجور التركى الى محاربه العلوى و امره ان يدعوه الى الطاعه و يبذل له الأمان قبل مبادرتة بالقتال. فسار اليه كنجور و نزل فى موضع يقرب من الكوفه يسمى شاهى، و ارسل الى علي بن زيد يبذل له الأمان اذا ما استسلم و اعلن طاعته. فاشترط على شروطا لم يقبلها كنجور. و لما رأى علي بن زيد كثافه الجيش الذى جاء لمحاربتة، تنحى عن الكوفه الى القادسيه فعسكر فيها باصحابه و مناصريه، فدخل كنجور مدينه الكوفه.

١- الطبري ٩ / ٣٨٨، و مروج الذهب ٤ / ١٨٠، و الكامل ٧ / ٢١٦.

٢- الطبري ٩ / ٤٧٤، و الكامل ٧ / ٢٣٩.

اوغل على بن زيد فى الباديه و دخل اراضى بنى اسد و كان قد صاهرهم، فارسى كنجور خلفه جيشا يتعقبه، فتوارى على عن الانظار، و بذلك انتهت فنتته. و يقول ابو الفرج ان اتباع على بن زيد كانوا قليلى العدد، فلما هاجمه جيش كنجور، قال لأتباعه «ان القوم لا- يريدون غيرى، فاذهبوا انتم فى حل من بيعتى»<sup>(١)</sup>. فرفض اتباعه التخلى عنه رغم جزعهم و خوفهم من الجيش الكبير المحيط بهم، فحاول على ان يثير حماسهم فانتضى سيفه و حمل على الجيش، فتشجع اتباعه و حملوا معه فهزموا جيش منكجور. و لكن رغم انتصار على فقد تخاذل اصحابه من الكوفه و خذلوه خوفا لما لحقهم من الاذى، و ما اصاب مدينتهم من الحرق و التدمير عند ما ايدوا يحيى بن عمر، فاضطر على الهرب و الاختفاء.

#### ٩- وثوب محمد و على ابنى الحسين بن جعفر:

دخل الأخوان محمد و على ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين المدينه المنوره فى سنه ٢٧١ هـ، فقتلا جماعه من اهلها، و اخذ اموال الناس. فذعر اهل المدينه طيله مقام الأخوين فيها، و لم يصلوا فى مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم اربع جمع، لا جمعه و لا جماعه<sup>(٢)</sup>. و لا تعرف

١- مقاتل الطالبين / ٦٧٥.

٢- الطبرى ٧/١٠، و الكامل ٧/٤١٣ و فيه اسم الشاعر الفضل بن العباس العلوى، و فى البيت الثالث (امسى) بدلا من (اضحى) و لا ذكر للبيت الأخير.

اسباب وثوبهما الا ان يكون ذلك عبثا و فسادا منهما، لأن احد شعراء العلويين و هو ابو العباس بن الفضل، قد تألم من اعمالهما و شتمهما بقوله (١).

أخربت دار هجره المصطفى البر فابكى ائرابها المسلمينا

عين فابكى مقام جبريل و القبر فبكى و المنبر الميمونا

و على المسجد الذى أسه التقوى خلاء اضحى من العابدينا

و على طيبه التى بارك الله عليها بخاتم المرسلينا

قبح الله معشرا أخربوها و اطاعوا متبرا ملعونا

#### ١٠- اسباب فشل خروج العلويين:

اذا ما القينا نظره فاحصه على ما ذكرناه من الوثبات العلويه و دققنا فى اسباب كل منها و نتائجها، لرأيناها قد فشلت كلها تقريبا من تحقيق هدف العلويين الأساسى و هو ازاحه بنى العباس عن الحكم و القيام مقامهم فيه. و هناك عوامل عديده ادت الى فشلها يمكن تلخيصها بما يأتى:

---

١- الطبرى ٧/١٠ و الكامل ٧/٤١٣ و فيه اسم الشاعر الفضل بن العباس العلوى و فى بيت الثالث (امسى) بدلا من (اضحى) و لا ذكر للبيت الاخير.

١- التسرع باعلان الخروج قبل ان تستكمل اسباب نجاحه، من حيث تهيئه العدد الكافي من المؤيدين، و تجهيزهم بالسلاح الكافي، و ضمان تأييد الناس لها.

ب- لم تكن اسباب الفتن التى قامت من العمق و السعه بما يمس مصالح الناس بحيث يهبون لنصرتها و تأييدها عند قيامها.

فقد كان اكثر اتباع العلويين الخارجين اما من الأعراب المتعطشين للغزو و السلب و النهب و لا يستهدفون من تأييدهم الا ما يكسبون من الاسلاب، او من الانتهازيين الذين يتوخون مكاسب آنيه. و قد كانت اغلب الفتن التى استعرضناها قد قامت لأسباب شخصيه تتعلق بالعلوى الخارج، مما كان يجعلها اقرب الى العصيان و التمرد.

ج- عدم تنظيم الدعوه العلويه، و توحيد اجنحتها المختلفه.

فان العلويين انفسهم كانوا شيعا متعدده. مما جعل اكثر تلك الوثبات مبتسرا لم تسبقه دعوه لمبادئ و اهداف واضحه، او ترتبط بشخص معين مهياً لذلك بحيث تستحق التضحيه فى سبيل انجاحها.

د- ان معظم القاده العلويين الذين اعلنوا عصيانهم كانت تنقصهم الخبره العسكريه بحيث انهم لم يستطيعوا المناوره او الصمود امام الجيوش التى كانت توجه لحربهم و اخضاعهم، الا نادرا. فللحرب اساليبها و فنونها، و لا بد من معرفتها و الاحاطه بها لتحقيق النصر فى ايه معركة حريه.

ه- قرب مواقع الفتن من حاضره الخلفه. اذ اعلن اغلبها فى مدينه الكوفه او فى اماكن قريبه من مراكز جيوش الدوله

العربيه. لان قيام الفتنه فى اماكن لا تبعد كثيرا عن حاضره الخلافه لا تتيح لها فرصه كافيه لأن تتوسع و تستفحل، لأنه سرعان ما تصل انباؤها و اخبارها الى المسؤولين، سواء من رجال البريد او من العيون المبتوثه لرقابه العلويين اينما كانوا. كما كان هذا القرب يساعد ايضا على سرعه وصول الجيوش التى ترسل لقمع الفتن و اخضاع القائمين بها.

و قد رأينا كيف ان فتنه الحسن بن زيد الطالبى اتسعت و استمرت مده طويله بسبب بعدها عن حاضره الخلافه و قيامها فى منطقه نائية.

انتهى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ  
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.



مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩